ديوان السليمانيات

(الجزءُ الخامس)

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

ترنيمـــــــــــة الحـــــــــــب الضـــــــــــحوك علـــــــــــى فمـــــــــــي

طيـــــــــــفٌ يُـــــــــــداعبُ جُـــــــــــرحَ قلبـــــــــــي المُغـــــــــــرم

وأريجُهـــــــــــا كالشـــــــــــعر يســـــــــــري فـــــــــــي دمـــــــــــي

ونســـــــــــيمُها مثـــــــــــلُ الصَـــــــــــدَى المُتـــــــــــنغم

الطبعة الأولى

1 ترنيمة على جدار الحب

نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

ديـــوان السّـليمـانيـّات

(الجزء الخامس)

ترنيمة على جدار الحب

شِعرُ

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجعه الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مُجمّعة من المجلات والصحف والدَوريات والجرائد

ومُراجعة ومُصحّحة ومُحَققة ومُنقحة ومَزيدة

ديوان السليمانيات

(الجزء الخامس)

ترنيمة على جدار الحب

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

الإهداء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم على محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين. أهدي قصائد هذا الديوان لكل منصف معتدل يوغل في دينه برفق ويتمسك به بقوة! وأدرك طبيعة المرحلة الخطيرة التي يمر بها الشعر العربي واللغة العربية اليوم على حدٍ سواء! في كتاب له بعنوان: (الشعر في خطر) يقول الأستاذ محمد صابر عبيد ، ما نصه بتصرف زهيد: (يظلّ سؤال الشعر أحد أهمّ الأسئلة وأخطرها في الثقافة العربية على مرّ العصور ، بوصفه النموذج الإبداعيّ الحيويّ والأصيل والجميل من نماذج تشكيل العقل الثقافيّ العربيّ. وإذا كان سؤال الشعر في الثقافة العربية القديمة أقلّ حضوراً وإشكالاً بحكم هيمنته شبه المطلقة على العقل الثقافيّ العربيّ في مستويات كثيرة ، فإنّ هذا السؤال في الثقافة العربية الحديثة يعدّ واحداً من أهمّ أسئلة الثقافة وأكثرها إشكالية والتباساً. وقبل سنوات أجرى الشاعر والأكاديمي محمد عظيمة الذي يدرّس في جامعة طوكيو ، استفتاء غريباً وطريفاً في فكرته وأسلوبه وفضائه ومقاصده ، وجّه فيه سؤالاً مركزياً واحداً هو: كيف ترى المستقبل؟ واختار عيّنات متنوعة من مختلف شرائح المجتمع اليابانيّ: من طالب الابتدائية ، إلى الثانوية ، إلى الجامعة ، ثم إلى طبقة العمال والفلاحين والمهنيين ، وصولاً إلى أساتذة الجامعات والمفكرين والساسة والرياضيين والفلاسفة والأدباء (من الجنسين طبعاً) ، وحين جمع أوراق الاستفتاء كلها ، فوجئ بأنّ الجميع اتفقوا على إجابة واحدة هي: لا أفهم السؤال! فتحت لي شخصياً هذه الحكمة الصادمة أفقاً في غاية التركيز والتكثيف ، اختزل في لحظة قلق مذهلة كلّ ما تعلّمته من حِكَم ، وأدركتُ بعد طول تأمل سرّ عظمة هذا الشعب وفهمتُ معنى حضارته ودلالة تقدّمه. أجد أنّ اليابانيّ لم يتحوّل إلى إنسان مدهش بهذه السرعة العجيبة بعد نهوضه من الرماد ، إلّا حين اكتشف بالخبرة والتجربة والذكاء والحساسية أخطر ما في تاريخه ألا وهو الحاضر / الراهن / المرئيّ / الملموس ، فكرّس حياته كلّها على الفور لهذه القيمة الثمينة ، ثم نفض عن معطفه ما بقي من ماضي الرماد وإرثه الثقيل الذي يكبّد الركون لزمنيته المهينة المفعول ثمناً باهظاً ، وحوّل ذاكرته إلى ذاكرة محض بصرية تؤمن ـ عملياً على الأقل ـ بما ترى ، وتتلبث تلبثاً دائماً في دارة الحاضر ، وبدأ بتشغيلها بأعلى ما صمّم لها من كفاءة وطاقة إنتاجية ، فكان على النحو الحضاريّ المدهش الذي نراه اليوم. نحن العرب ما زلنا نتعامل مع الزمن تعاملاً نحوياً وبيانياً وأخلاقياً ، وإذا ما حاول أحدنا أن يفلسف القضية على قدر طاقته في التفلسف ، فإنه ينتهي دائماً إلى أنّ الحاضر عبارة عن خيط وهمي خفيّ يربط بين الماضي والمستقبل ، على النحو الذي ينفي وجوده من الناحية العملية الإجرائية على صعيد الممارسة والتداول. الإنسان العربيّ كائن ماضويّ بامتياز ، يحلم حلماً شاعرياً خاوياً ويوتوبياً بمستقبل مجهول لا حضور له إلّا في دائرة الوهم. وإذا جرّب أيّ باحث أن يجري تجربة لسانية على أيّ مجتمع عربيّ من دون أيّ استثناء ، يراقب فيها أيّ حديث لفرد أو مجموعة من هذا المجتمع وفي أيّة مناسبة يختار ، وجد أنّ حجم حضور الماضي يتجاوز نسبة 90 في المئة ، في حين تندس الـ 10 في المئة المتبقية في جيب حلم هارب من تلك الأحلام اليوتوبية الواسعة التي لا تزال تدعو إلى استرجاع الأندلس السليب من بين أيدي الغزاة الأسبان! كلما استطاع فعل الشاعر استيعاب لحظة التوتر الراهنة واستثمار طاقاتها استثماراً حيوياً ، واستيحاء التجربة بأرقى تجلياتها وأقصاها ، فإنّ في وسعه إنجاز مستقبله الخاصّ (خارج مفهوم الزمن العام طبعاً) الذي لا ينصرف كلياً إلى

دائرة الحلم. إذ إنّ حلم الشعر هو حلم يقظة يرى الأشياء وهي تشفّ وتتجلّى وتتمثّل وتتصيّر بطاقة تكثيف وتركيز هائلة ، لا يمكن نسيانها من أجل الاستعانة بمرجعية الذاكرة بمعناها الماضويّ ، وكما لا يمكن حجبها وتصميتها وتغييبها وإزاحتها إزاحة كاملة إلى أفضية الغموض العليا ، على النحو الذي يشجع الحلم بمادته الإجرائية الأولية ـ ما قبل الفنية ـ على الإمساك القويّ والمقصود بزمام المبادرة والتحكّم بأدوات الفعل. لعلنا نستغلّ ما بقي لنا من جرأة المعرفة على تخوم هذه المداخلة لنذهب إلى السؤال من زاوية أخرى تقترح صيغة استفهامية جديدة هي: لمَن يُكتب الشعر؟ ذلك السؤال الذي كلّما أجبنا عنه لا يمكن أن تكون إجاباتنا إلّا عبر أسئلة كثيفة وخصبة بلا حدود ولا نهاية ، يظلّ يطرحها الشعر على العالم والوجود. ندرك تماماً هنا أنّ الشائعة والمحاكاة واللاشعور الجمعيّ ومفردات أُخرى كثيرة يمكن أن تندرج في الحلقة نفسها ، وفي وسعها أن تؤثر في دعم غزارة شعبية ما لشاعر ما أو ظاهرة ما توهم بأهميته / أهميتها ، إلّا أنّ الاهتمام النقديّ الواعي بهذه الأسماء في المدوّنة النقدية العربية الحديثة ينفي عنها ذلك ويزكّيها شعرياً ، لا بل يضاعف من أهميتها الإبداعية ، فهم شعراء ـ باتفاق نسبة عالية من قرّائهم ودارسيهم ـ يمتلكون وعيا خلاقاً يجعلهم يعرفون ماذا يفعلون بحساسية عالية قلّ نظيرها ، لذا فهم لا يخافون مطلقاً من مسمّى مجهول يدعونه المستقبل لأنهم شعرياً يعيشون حاضراً زاهراً وزاهياً يرونه متألقا في عيون الآخرين. سيظلّ الشعر حاضراً في مستقبله وقادراً على اختراع مساحات جديدة ، كلّما زحفت عليه رياح الثورة الإنفوميدية وغطّت أراضيه الشاسعة بألوان التقانات والآليّات والوسائل ، مثلما ستظلّ الروح تواقة لتلك "الكلمة المعجزة" تمضي في غابة الوجدان لتشرق أرضها بثمار الحبّ تتفجّر نضجاً وغنجاً وإثارة ، حيث تتماثل كلّ الأشياء للغةٍ نفاذةٍ استكشافيةٍ مبصرةٍ في رؤيتها ورؤياها تقول ما ترى وما تستشرف ، على الرغم من ألوف التابوات التي تضعها أصابع التكنولوجيا الحديثة على مراهقة اللسان ، وتسعى إلى خنق تطلّعه وإخماد جذوة الحبّ فيه. في السبيل إلى تأسيس ثقافة (رؤية بصرية) داخل مساقات الخطّي والمكتوب تثق بما تتمثّل وترى وتمسك ، بعيداً عن فضاء اليوتوبيا وقريباً من حساسية الزمن بمعناه الحقيقيّ المؤسس لحضارة عصرية ، تحتفي وتحتفل بكلّ مقومات الحياة من دون استثناء ، ولا تنسى أبداً أنّ الإنسان بؤرة وجدان عميقة في جمالها وحرّة في عمقها وجميلة في حريتها. فهل نشهد زمناً عربياً جديداً أقلّ إشكالية وأكثر وضوحاً وحضوراً وتماثلاً لإنسانية الإنسان في حضوره وقدرته على الإنتاج ، حتى وإن كان الشعر بساط الريح الذي يستقلّه الزمن وقد امتلأ بقوة الحضور وحدّة البصر ، من أجل مثول فاعل ومنتج بين أيدي الإنسان العربيّ المستحضر لثقافته ورؤيته وإمكاناته الاستشرافية ، وهو يبتسم ابتسامة حرة داخلية وجميلة لـ "الآخر" ، مادّاً يده إليه بما يناسب المصافحة ، داعياً إياه إلى حوار نظيف ومستقل ومتكافئ تحت رعاية دقيقة في زمن حضاريّ مشترك ومتسامح وجميل وأصيل مشحون بالمعنى والقيمة؟).هـ. والحقيقة أنني كشاعر أحس بهذا الإحساس وأشعر ذلك الشعور! فكلما قرأت من شعري على أحد أظنه أهلاً للفهم والإدراك ومالكاً لأدوات النقد والتمحيص والنصح ، فإذا بي أصدم عندما لا أجده على شيئ من ذلك! وكأن الجامعات والكليات المعنية بهذا الخصوص تخرّج لنا أقواما متخصصين في لغة العرب نحوها وصرفها وشعرها ، بينما هم في الحقيقة لا يدركون شيئا من أساسيات اللغة! إن الشعر العربي يعيش مأساة حقيقية بين الشعراء والقراء على حدٍ سواء! وإذن فالماضي له عبقه ، خصوصاً عند الشاعر! ومن هنا يبدو حجم المعاناة التي يعانيها الشاعر العربي المسلم اليوم وهو يحاول إيصال فكرته للجماهير!

المقدمة

الحمد لله المتوحد بالجلال بكمال الجمال..المتفرد بتصريف الأمور على التصريف والإجمال..خلق وأبدع..وحكم وشرّع..وعز فارتفع..وذل كل شيء لعظمته وخضع. والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد أشرف من سجد وركع ، وسبّح واسترجع ، وعلى آله وصحبه أجمعين..أما بعد. فواضح من عنوان هذا الديوان أنه يتناول الحُب! ذلك المفهوم المظلوم الذي أسيئ فهمه طويلاً! تلك العلاقة التي قصرَها أهل الجاهلية المعاصرة على حب العشيقات والأخدان فقط! وقصرَها بعضهم في حب الطين والأرض والوحل والمال والولد! واستمر الأمر على ذلك إلى أن ضعفت شوكتنا لأن مفهوم الحب قد اختل! إنه لا بد من توطين نفوسنا على السعي في تقوية وتمتين تماسكنا الاجتماعي بالحب والمودة حتى نصير كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في استعارةٍ جميلةٍ شبّه فيها المسلمين في تماسكهم وتعاونهم كالبنيان فقال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً". فكل لبنةٍ في البناء تنجذب نحو أختها لتلتصق بها ، وأختها تفعل نفس الشيء ، فإذا هو تجاذب متبادل بين جميع الأطراف المتجاورة ، وإذا نحن أمام قوة واحدة كبيرة تجمعت من إمدادات قوى اللبنات ، هذا هو الوضع الطبيعي للمجتمع السليم ، كما هو في الإشارة النبوية. ولا يمكن أن يحصل انجذاب ، أو تجاذب من كل الأطراف ، إلا بالمحبة والمودة المذكورة في الحديث الشريف "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر". وقد أشار إلى هذا المعنى الأستاذ خالد محمد خالد بقوله: "وبعد محاولات وجهود ، اكتشف الإنسان أن "المحبة" هي القانون الحقيقي لوجوده ، بل للوجود كله! فالجاذبية ، عماد الكون ـ السماوات ، والأرضون...الشمس ، والكواكب ، والنجوم ، والأفلاك جميعاً..كلها شاء الله بناءها ، وشد أزرها بالتآلف والجاذبية حتى الأضداد التي تتباين خصائصها...تؤلف ذات بينها جاذبية خفية ، تجعلها تعمل معا ، وكأنها شيء واحد ، لا أضداد مختلفة! تبين الإنسان أن الحب قوام طبيعته ، وجوهر طينته وأنه خلق ليعبد الله بالحب والخوف والرجاء ، ليحب ، ويحب ليألف ويؤلف." وهذا المعنى الذي ذكره خالد محمد خالد هو نفسه الذي ساقه ابن تيمية ، وغيره من العلماء في عبارة تأصيلية: "والأصل في الوجود الحب ، والبغض طارئ". فالإنسان خلق ليعمل في الوجود ويعمره بأمر الله وعلى منهجه ، وهذا يعني عند علماء الإسلام أنه مطالب بالسير والانجذاب نحو الله وهذا السير منذ بدايته هو بذرة حب تتنامى وتكبر وعلى حسب حجمها وكبرها تزداد سرعة السالك وتكثر إنجازاته وتتحسن ، لأن الإنجاز الإيجابي محبة ، والهدم والتخريب بغض وكراهية." وبنفس الإحساس وبنفس المشاعر الإنسانية الواحدة يعبر الفيلسوف الشاعر "جيته" عن هذا المعنى بقوله: "ليس في العالم ما يجعل الإنسان ضرورياً لأخيه الإنسان إلا المودة". ومن هذا المنطلق نؤكد الرأي القائل أن الحب قيمة القيم ، فالقيم الأخرى لا تقوم بذاتها ، وأما الحب فهو القيمة الوحيدة التي تقوم بذاتها ، أو هو الشيء الوحيد الذي لا يترك لمن يملكه شيئاً آخر يرغب فيه. بالمحبة والتحاب تطيب الحياة وتأخذ قيمتها الحقيقية وتستحق أن نحياها ونحيا لها ، لا لشيء ، إلا لأن قيم المحبة قد غمرتها. والحق أنك لا تجد في العالم لذة أصدق ، ولا مسرّة أقوى من أن ترى قلباً خالصاً ينفتح أمامك ، ونفساً كبيرة تنكشف لك. وعلى من عرف قيمة الحب الوجودية والاجتماعية ، وعرف حاجته وحاجات الناس إليه ، أن يرعى بذرة الحب بداخله وينمّيها ويجعلها عُملته وبضاعته ، بها يُعطي ، وبها يأخذ ، وسيكتشف أن الحب لا يعرف الفرق بين الأخذ والعطاء ، فهو يعطي حين يأخذ ، ويأخذ حين يعطي ، وأن المحب الحقيقي كسبه دائم ومستمر ، عند الأخذ وعند العطاء ، لأن الحب هو بضاعته الغالية ، ولا

أغلى ـ عنده ـ منها. بل إن الحب ـ عنده ـ هو سلاحه ضد البغض والكراهية ، لأن تشرّبه من بحر الحب لم يُبق فيه مكاناً للكراهية ، فيحفر بحبه في ترسبات الكراهية عند مرض الإنسانية. ليصل إلى نبع المحبة في قلوبهم ، فتجده يعطف على أخطائهم وحماقاتهم بشيء من الود والمحبة الحقيقية لهم ، بغير تصنع ولا تكلف...وبعد مدة ـ تطول أو تقصر ـ ينكشف نبع الخير في نفوسهم فيمنحوه ـ ومعه المجتمع ـ حبهم ومودتهم وثقتهم. وصدق الله العظيم الذي بنى هذا الوجود على المحبة ، وجعل نفسه أصل الحب والتحاب ، القائل: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم". كأنه حبيب قريب من قلبك وقريب ـ أنت ـ من قلبه. يقول صاحب رسالة جميلة بعنوان "صلة الأخلاق بالعقيدة والإيمان": (إن المتمعن في أحوال الناس يجد كثيراً من المسلمين يغفل عن الاهتمام والاحتساب في هذا الجانب ، وقد يجهل الصلة الوثيقة بين محاسن الأخلاق وقضية الإيمان والعقيدة ، فبينما تجد الشخص يظن أنه قد حقق التوحيد ومحض الإيمان تراه منطوياً على ركام من مساوئ الأخلاق والنقائص التي تخل بإيمانه الواجب أو تحرمه من الكمال المستحب ، كالكِبْر والحسد وسوء الظن والكذب والفحش والأثرة وغير ذلك ، وقد يكون مع ذلك جاهلاً بضرر هذه الأمور على عقيدته وإيمانه ، أو غافلاً عن شمولية هذا الدين لجميع مناحي الحياة ، كما قال تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ، إن تحقيق التوحيد وتكميل الإيمان ليس باجتناب الشرك الأكبر فحسب ، بل باجتناب كل ما ينافي العقيدة وكل ما يخل أو يقدح في كمال التوحيد والإيمان...إلى آخر كلامه هناك). وصدق الشيخ الدويّش إذ يقول: (وإذن فليست العقيدة متوناً تردّد ، ونصوصاً تحفظ فقط ، بل لا بد أن تتحول إلى واقع عملي في الحياة ، والتعامل بين الناس ، ولما حصل هذا التصور عند بعض الناس ظهر انفصام نكد وازدواجية بين مفهوم الإيمان ومقتضياته. إن الناس اليوم في عرض الأرض وطولها بحاجة إلى من يقف معهم ويعينهم ، وإلى من يزيل عنهم الهم والقلق ، إلى من يدلهم إلى طريق السعادة والراحة النفسية ، بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة والأمان. حتى وإن قامت الحضارات ، وصُنعت المخترعات ، وتوالت الإنجازات فكل ذلك من أجل سعادة الإنسان وتكريمه ، لكن مع الأسف البشرية اليوم تغرق في بحر الدنيا ، يلهث الكثيرُ منهم وراء المال والتجارة ، وراء الشهوات والملذات ، وراء الرياسة والريادة بأي طريق وبأية صورة ومهما كان الثمن ، المهم الوصول للمراد ، وهذا هو الواقع الغالب على الناس اليوم ـ إلا ما شاء الله ـ. في خضم هذا اللهثان وفي وسط هذا الإغراق يتلفت البعض ليبحث عن المثل وعن المبادئ وعن الأخلاق والآداب في صفوف الناس ، ربما سمع عن التبشير وهو شعار أعلنه المنصرون وتسموا به بل وتمثلوه وللأسف).هـ. حيث صنعت الجاهلية أصناماً عصرية يدين لها أغلب الناس في الأرض اليوم! مثل صنم الإنتاج وصنم المادة وصنم الصراع الطبقي! ومن هنا تبدو أهمية الحب بمفهومه الشمولي بين الناس من أجل تحقيق الغاية الأم من وجود الناس في هذه الحياة: (إلا ليعبدون)! والعبادة التي أقصدها هنا هي العبادة بمفهومها الشامل الكامل الجامع المانع الذي أشار إليه من القرن السابع لميلاد المسيح ، شيخ الإسلام ابن تيمية: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)! فليست منحصرة إذن في شعائر التعبد من صلاة وزكاة وصيام وحج بمعزل عن التوحيد والعقيدة! ومن هنا عزفت معظم قصائد هذا الديوان على وتر الحب فكانت ترنيمة حادية صادية على جداره! وحرصت على أن لا يكون هناك إسفاف أو سفول في تناول قضايا الحب ، على عادة كثير من الشعراء المرتزقة الهازلين المنبطحين على أعتاب المزابل الماسونية الجاهلية ، وقانا الله شرهم وشعرهم!

الافتتاحية

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد. فيعلم الله مدى الإخلاص الذي اصطبغت به قصائد هذا الديوان ومقدار الجهد الذي بذل فيه! وذلك إيماناً مني بأن الإخلاص هو الأكسير الذي يعطي لكل قول أو عمل حياته! والإخلاص مطلوب فيما يلتزمه الإنسان من الأعمال ، فهو مطلوب من العامل ، ومن المستشار والمؤتمن والموظف ، ومن المعلم والمتعلم! وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ما يترتب على طلب العلم والإخلاص فيه من النتائج الحميدة ، وما يترتب على فقده من العواقب الوخيمة بقوله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة". رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. وروى عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها ، فقال: "ما عملت فيها؟" قال: "قاتلت فيك حتى استشهدت". قال: "كذبت ؛ ولكنك قاتلت ليقال: جريء ، فقد قيل" ، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار! ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها فقال: "ما عملت؟" قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك". قال: "كذبت ؛ ولكنك تعلمت ليقال: عالم! وقرأت ليقال: قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسُحب وجهه حتى ألقي على النار" الحديث. ويروى أن معاوية رضي الله عنه لما بلغه هذا الحديث بكى حتى أغمي عليه ، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله ؛ قال الله عز وجل: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ} ، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: "لا تعلّموا العلم لثلاث ؛ لتماروا به السفهاء ، ولتجادلوا به الفقهاء ، أو لتصرفوا وجهة الناس إليكم ، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله ، فإنه يبقى ويذهب ما سواه". والحقيقة أن الإخلاص ما كان في شئ أو عمل إلا باركه الله – سبحانه وتعالى - ، وما نزع من شئ أو عمل إلا ونزعت البركة منه! ولما كان الإخلاص بهذه المنزلة التي تقدم وصفها جاء الشرع المطهر في الحث عليه والترغيب فيه وبيان فضله في آيات كثيرة وأحاديث عديدة ، نذكر بعضها على سبيل التمثيل قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} ، وقوله: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} ، وقوله: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ} الآية.. وقوله: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَه} ، وقوله: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا} ، وقوله: {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي}. ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله لأصحابه في غزوة تبوك: "إن بالمدينة رجالاً ما سِرتم سيراً ولا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم حبسهمُ المرض". وفي رواية: "إلاّ شاركوكم في الأجر". متفق عليه واللفظ لمسلم ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاّ أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك". متفق عليه. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم". رواه مسلم. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله". جواباً لمن سأله عن رجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء أيّ ذلك في سبيل الله ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يكتسبه الإنسان في الدنيا بسبب الإخلاص إلى جانب ما أعده الله له في الآخرة من مثوبة ، بما ذكره صلى الله عليه وسلم من قصة الثلاثة الذين آووا إلى غار للمبيت فيه ، فانحدرت صخرة وسدّت عليهم باب الغار ، ففرّج الله عنهم ذلك بسبب إخلاصهم الأعمال الصالحة له سبحانه وتعالى. والشعر قولاً وعملاً لا بد

فيه من الإخلاص: لأن الكلمة إن خرجت من القلب ، فللقلوب تصل! ويقول الأستاذ سعد بن ضيدان السبيعي في مقالة له بعنوان: (الشعر ما له وما عليه) ما نصه: (فالشعر له عند العرب عظيم الموقع ، قال الأول منهم: (وجرح اللسان كجرح اليد). ويقال: الشعر ديوان العرب! وقد استمع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشعر! ففي صحيح مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: أردفتُ رسول الله يوماً ، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلتُ: نعم. قال: هيه! فأنشدته بيتاً فقال: هيه! ثم أنشدته بيتاً فقال: هيه! حتى أنشدته مائة بيت. قال الإمام القرطبي في أحكام القرآن: (وفي هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها ، إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعاً وطبعاً ، وإنما استكثر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شعر أمية لأنه كان حكيماً). وفي صحيح البخاري عن أبي بن كعب قال: (إن من الشعر حكمة). قال ابن مفلح في الآداب الشرعية: (هي هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس). وقد نص الإمام النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم على جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه ، وسماعه ، شعر الجاهلية وغيره. بل قال ابن قدامة في المغني: (وليس في إباحة الشعر خلاف ، وقد قاله الصحابة والعلماء. والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية ، والاستشهاد به في التفسير ، وتعرَّف معاني كلام الله تعالى ، وكلام رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ويستدل به أيضاً على النسب والتاريخ ، وأيام العرب). ومن المقرر لدى أهل العلم أن الشعر كالكلام ، حسنه حسن ، وقبيحه قبيح. فهو لا يُكره لذاته ، وإنما لما يتضمنه من معاني سامية حميدة فيكون مليحاً ، أو معاني سيئة قبيحة فيكون مرفوضاً مرذولاً. أخرج البخاري في الأدب المفرد والدارقطني والطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً بلفظ: (الشعر بمنزلة الكلام ، فحسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام) وسنده ضعيف. وقد صح من كلام عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: الشعر منه حسن ومنه قبيح ، خذ بالحسن ودع القبيح! ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك. رواه البخاري في الأدب المفرد وسنده حسن. ونقل البيهقي في السنن الكبرى عن الشافعي رحمه الله قال: (الشعر كلام ، حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام! غير أنه كلام باق سائر فذلك فضله على الكلام). قال الإمام ابن عبد البر في التمهيد: (ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهى ، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة ، إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه ، فرضيَ ما كان حكمة أو مباحاً ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى ، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء ، لا يحل سماعه ولا قوله). وقال ابن قدامة في المغني: (والشعر كالكلام ، حسنه كحسنه ، وقبيحه كقبيحه). وقال الإمام الذهبي في مسائل في طلب العلم وأقسامه: (الشعر كلام كالكلام ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، والتوسع منه مباح إلا التوسع في حفظ مثل شعر أبي نواس (قبل توبته) ، وابن الحجاج وابن الفارض ، فإنه قال في مثله نبيك: (لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه ، خيرٌ له من أن يمتليء شعراً). ومن هذا المنطلق حرصتُ على أن أتقيَ الله فيما أكتبه من شعر ، حتى يوافق عقيدة السلف الكرام وأخلاقهم ، ويكون انعكاساً لما أدين الله به من الحق والعدل والخير والهدى! وكثيراً ما كنت أدفع بما أكتبه من الشعر للمتخصصين في اللغة والشريعة ليدلوني على الأخطاء والمخالفات والأحاديث الضعيفة التي قد أوردها في مقدمات القصائد بحكم كوني من غير أهل التخصص في العربية ولا في العلوم الشرعية وفي الذؤابة منها علم الحديث! ولقد قال الشنقيطي في أضواء البيان: (واعلم أن التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه أن الشعر كلام ، حسنه حسن ، وقبيحه قبيح).هـ. ويشهد الله أنني أهديتُ الأستاذ أبا إسحق الحويني دواويني السبعة الأولى ليوافيني بالأخطاء!

بين يدي الديوان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..أما بعد: فلربما يتبادر إلى بعض الأذهان أنني عنيت بهذا العنوان الترنم والشدو والغناء المحرّم! إذ العنوان هو: (ترنيمة على جدار الحب)! كيف وأنا أدين الله تعالى بحُرمة الغناء والموسيقى؟ وأستثني الدف بغير جلاجل! كما أستثني إنشاد الشعر العربي الأصيل بطريقة حُدائية عذبة لا تضاهي أهل المجون والخلاعة طرفة عين ولا أقل من ذلك! وقصائد الديوان تحدّث عن نفسها ابتداءً ، ومحاورها وليدة المعاناة والغربة ونتاج التفاعل مع النفس ومع الناس ، وهي بذلك الإيحاء تستفرغ الجهود ، وتستنفذ الأوقات في التأمل والعمق والفهم! حتى إذا بزغ فجر صحوتها ، وتنفس صبحها اشرأبت لها أعناق المحبين على منهج الله وشريعته وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم -. والحقيقة أنني بعد أن فرغت من قصائد هذا الديوان العذب ، ألفيت زبدتها وفحواها تضئ ولو لم تمسسها نار المادحين والمجاملين ، فإذا بهم يتفيأون ظلالها الوارفة آناء الليل وأطراف النهار! وقبل أن نتناول قصائد الديوان أضع بين يدي الديوان هذه الزفرة التي تبين موقفنا من الغناء ، وأضم صوتي لصوت الأستاذ محمد سعد عبد الدايم – حفظه الله فأقول: (قال تعالى إخبارًا عن عدوه إبليس لما سأله عن امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام واحتجاجه بأنه خير منه ، وأن إبليس بعد ما أصابه غضب الله ولعنته سأل الله تعالى أن يُنظره إلى يوم البعث فأنظره الله ، فقال عدو الله: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ). ومنذ هذه اللحظة وإبليس قد بدأ في الكيد والمكر لآدم عليه السلام وذريته ؛ ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين ، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع الغناء والمعازف وهي من أكبر المحرمات..الغناء الذي يصد به القلوب عن القرآن..ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان. فالغناء قرآن الشيطان..والحجاب الكثيف عن الرحمن عز وجل..فمن انشغل بالغناء هجر القرآن ولا شك. والغناء هو رقية الزنا واللواط..وهو بريد العشاق والسفهاء والفساق..وهو الرباط الذي يربط بين قلوبهم وأجسادهم في علاقات محرمة تنتهي بالفواحش ما ظهر منها وما بطن..تنتهي بسخط الله وعقابه. فالغناء يفعل بالقلوب والنفوس فعل الخمور..بل أشد..فيا حسرة على العباد..ويا شماتة أعداء الإسلام في أمة تصبح وتمسي على الغناء واللهو..دينهم الطبلة والمزمار..وذكرهم العود والكمان..وإذا تليت عليهم آيات الله ما اهتزت لهم شعرة ، وإذا خالطت أسماعهم مزامير الشيطان تراهم يضطربون ويرقصون ويهتزون ويتمايلون ، لا يكلون ولا يملون ، قال تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ). وصدق الشاعر المحترم إذ وصفهم فقال:

تلـــــيَ الكتـــــابُ فـــــأطرقوا ، لا خيفـــــة لكنـــــه إطـــــراقُ ســـــاهٍ لاهـــــي

وأتـــــى الغنـــــاءُ فكـــــالحمير تنـــــاهقوا واللهِ مـــــا رقصـــــوا لأجـــــل الله

دُفٌ ومزمـــــارٌ ونغمـــــة شـــــادن فمتـــــى رأيـــــت عِبـــــادة بملاهـــــي؟!

ولقد حرّم الله عز وجل الغناء في كتابه الكريم ، وحرم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته المطهرة ، وحرّمه الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم بإحسان من علماء الأمة المعتبرين قديمًا وحديثًا بما فيهم الأئمة الأربعة رحمهم الله. فعلى تحريم الغناء إجماع الأمة ، فاتفقت النصوص من قرآن وسنة وأقوال الصحابة والعلماء على تحريم سماع الغناء وتحريم سماعه وتحريم العمل به ، وتحريم الكسب الناتج عنه ، وتحريم شرائه ، وتحريم دفع الأجرة عليه. فإلى من هجر القرآن ، واستهان بالمحرمات ، وابتعد عن الدين وانفلت من أحكام الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وجاهر بالفسق والمجون واتخذ اللهو والغناء مذهبًا ودينًا..إلى الغافلين عما يراد بهم..إلى الغافلين عن الموت وظلمة القبر وعذابه..إلى الغافلين عن أهوال يوم القيامة..إلى الهاربين من ربهم..إلى الغافلين عن ذكر الله..إلى الذين تركوا الصلوات وسائر العبادات..أقدم لأهل الغفلة هذه الباقة من الأشعار المستلة أفكارُها وزبدتها من كتاب الله وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقوال الصحابة وعلماء الأمة وأدبائها المؤمنين الموحدين..لعل عاصياً يهتدي..ومفرّطاً يتوب..ألا وإن هذه الباقة الشعرية التي أقدّمها لكم هي حجة الله على خلقه..فلا عذر لأحد بعد مطالعتها..وكل إنسان مسؤول عن عمله يوم القيامة..والحساب يوم الحساب..يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولا يفلح إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا. ألا إنني سطرتها للناس كلهم إبراءً للذمة وإقامة للحجة وإيضاحاً للمَحجة! وأتفق مع أستاذي محمد الخضر حسين إذ كان يرى أن الشعر قد يكون منه القبيح والمحرم! يقول: (ومن الشعر ما هو باطل ، وهو الذي وصف الله ـ تعالى ـ أصحابه بقوله: [وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمْ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا]... الآية. ومنه ما هو حق ، وهو المشار إليه بقوله – صلى الله عليه وسلم -: "إن من الشعر حكمة". وله وسائل براعة مذخورة فيه: فالتوغل في العلوم يضايق ملكة الشعر ، وأشد ما يضايقها العلوم النظرية ، كالمنطق ، والكلام والفلسفة ، والفقه ، ولا سيما ما يُعنى صاحبه بالبحث في طرق الاستنباط ، ويتعلم كيف يطبق الأصول على الوقائع الخارجية. وعلوم النحو والصرف والبيان معدودة في وسائل إحكام صنعة الشعر ، ومتى دُرِسَتْ على طريقة التوسع في مسائل الخلاف ، ومناقشة الآراء والأدلة والعبارات ـ أصبحت في خدش ملكة الشعر كالمباحث الفلسفية أو الفقهية. وقد يكون في الرجل قوةُ الشاعرية فيهجُرُها ، فتضعف حتى لا تواتيه عندما يهم باستدرارها). قال أبو القاسم الأندلسي: (جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي الفارسي وأنا حاضر ، فقال: إني أغبطكم على قول الشعر ؛ فإن خاطري لا يوافقني على قوله على تحقيقي في العلوم التي هي موادّه).هـ. رحم الله الخضر حسين فلقد كان دقيقاً في وصفه ، وأسأل الله أن أكون على الوصف الذي ارتآه في الشاعر الذي يعتقد جازماً أنه معروض بشعره الذي كتب على الله يوماً ما! ولقد صدقت نبوءة أستاذي الدكتور الشربيني أبو طالب – رحمه الله – عندما قالها لي صراحة وأنا أقرأ عليه من قصائدي الأولى: (سيكون لك إن شاء الله نصيب من هذا العلم يا بني!) عانياً بذلك علم القريض! والحمد لله على كل حال ، كم كنت أتمنى أن يُطالع الدكتور باقي القصائد ، ولكنها إرادة الله تعالى أن يفارقنا إلى الرفيق الأعلى ، ومن يدري لعلنا نكمل قراءة ما كتبناه في الدنيا في جنات النعيم على سرر متقابلين! والحقيقة أنني اجتهدت قدر الاستطاعة في أن أكون قريباً من الشعر ، واعتدت أن أعرضه على أهل الاختصاص من أصحاب التخصص ، ويا حبذا إن كانوا شعراء! إذ لا يعي كنه الشعر وماهيته وحقيقته مثل الشاعر المُجيد النحرير ذي الهمة والملكة والعزيمة!

كل ما في الأمر

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. والصلاة والسلام على الهادي الأمين وآله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الدين ، وبعد. كل ما في الأمر تتمة لكلامنا فيما سبق أنني اجتهدتُ في هذه الدواوين الأربعة التي أخرجتها للنور بفضل الله ورحمته وتوفيقه وكرمه ، فكان الجهد المبذول فيها جهداً فردياً ، حتى أخذت طريقها إلى وزارة الإعلام ، وتحديداً في قسم الرقابة على المصنفات الفنية ، وذلك بعد جمعها من الجرائد والمجلات على اختلاف أذواقها وتصورات القائمين عليها ، وكم كان أمراً شاقاً جداً بدرجة لا يطيقها إنسان: الإعداد والإخراج وصياغة المقدمات التحليلية التي تحوي الجو النفسي لكتابة القصيدة ، وغير ذلك من المهمات ، إلى أن أتم الله أمر إخراج الديوان ليصبح اليوم بين أيدي القراء. وإن هو إلا عهد من أعماق ضميري أخذته على نفسي ، أن أكون موحداً في شعري بالقدر الذي أستطيعه ، وواجهت في البداية طوفاناً من المشاكل التي من بينها دور النشر التي تريد ابتلاع الكاتب ، ولا تفرق بين الغث والثمين ، ولا بين المبتدئ والمحترف ، ولا بين من يعمل لله ومن يعمل لسواه ، ولا من يعمل للدنيا ومن يعمل للآخرة ، ثم الجمهور الذي يمسك بالديوان الذي دماء كاتبه على غلافه تسيل ، فإذا بهذا الجمهور يزهق تلك الزفرات العانية بهز الرؤوس اعتراضاً ، ويكون الشاعر قد لعق الصبر والصبار معاً ، في إيصال الديوان إلى الأيدي التي لا يقرأ أصحابها إلا ما يخاطب غرائزهم وأمزجتهم وشهواتهم. إنها المأساة الجاثمة على صدر الأديب خاصة من كان في أول درب الشعر والشعراء ، أعني شعراء القيم وشعر الفضائل والخيرات والحق. أقول: لقد كانت تجربة مريرة أصبحتُ فيها والله يشهد من الغارمين. ولا عليّ فقد بعت نفسي لله وأتاجر مع ربي ، وتجارة العبد مع ربه لا ولن تبور أبداً. وإن بدا للناس أنها بائرة في الدنيا فلا تبور في الآخرة ، ولمّا أن أصبحت في منتصف الطريق وفي شطر البحر ، كان لزاماً عليّ أن أكمل كيفما انتهى الحال والمصير ، والله تعالى يعرف عبداً تقرب إليه في اليُسر فيعرفه في الشدة ، (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين). وأذكر من تاريخنا المجيد موقفاً يُشبه حالي اليوم مع جمهوري ودور النشر والتوزيع والطباعة والإخراج الفني ، إنه موقف الفتى البربري الرابط الجأش الذي فتح الأندلس ، بعد أن أحرق سفن العودة ووضع جنوده أمام الأمر الواقع ، وذلك في رواية كانت قد حيّرتِ الباحثين والمؤرخين ورواة السير وكُتاب التاريخ حتى أن بعضهم كذّبها لشدة جدّيتها واستحالة حدوثها ، إلا على أيدي أناس هم للنبوة والرسالة أقرب منهم إلى البشرية المألوفة المعروفة المأنوسة الملموسة! وعلى أي حال ظلت هذه الخطبة - التي خطبها الفتى البربري العملاق طارق بن زياد فاتح الأندلس ، تلك الخطبة الشهيرة الجهيرة – ظلت شاهد عيان على ذلك الجيل القرآني الفذ الفريد من صفوة الفاتحين الموحدين وخِيرة المجاهدين المؤمنين. وآخذ من خطبته قسطاً أدلل به على الذي ذهبت إليه ، من أن أصحاب الهمم العالية لا يأبهون بالذي يقابلهم من عقبات وعقابيل وعراقيل ، يقول طارق: (أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الله ثم الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام. وقد استقبلكم عدوكم هذا بجيشه وأسلحته ، وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم ، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ، ذهب ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها عنكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمنجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته تلك الحصينة وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإني لم

أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، بل أبدأ بنفسي. واعلموا أنكم إن صرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه بأوفر من حظي ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عُرباناً ، ورضيكم لملوك الجزيرة أصهاراً ، بل وأختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمخالدة الأبطال والفرسان لتكون مغانمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولى أنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين. واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه ، وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله ، فاحملوا معي ، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذي ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا لهم من فتح الجزيرة بقتله!).هـ. والحقيقة أنني عانيت أيضاً في غلاف الديوان! إذ قصة الغلاف من الموضوعات العويصة أمام الشاعر الجاد ، حيث إنه يحاول البحث عن غلاف يجمع جُل قصائده إن لم يكن كلها ، كذلك ينتظمها ذلك الغلاف في عقد واجهته حتى ليشعر القارئ الجاد أن لكل قصيدة في الغلاف زاوية! أقول: لما كان الجهد في دواويني كلها بالإجماع جهداً فردياً بحتاً: سواء في اختيار الموضوعات كلها أو في انتقاء عناوين القصائد وإيقاعاتها المتنوعة وترتيب الديوان والتقديم له والإهداء والإخراج الفني واللغوي ، لما كان كل ذلك من فضل الله تعالى عليّ أولاً وآخراً ثم من عمل يدي ، لما كان ذلك كذلك كنت في حيرة شديدة وأنا أختار غلاف ديواني هذا! بل وكل ديوان لي سبق. وكنت أحاول في كل مرة وهذه المرة أن أنأى بديواني هذا أن يرضيَ غلافه مراهقي القرّاء على حساب العقيدة والتوحيد! حيث إن المرء ليلمس من عنوانه أنه ديوان يتكلم عن الحب ، فالحب مادته وموضوعه ، فكان من المتصور لدى منحرفي الفطر والأمزجة أن يكون على الغلاف نهدُ امرأة أو شفتها أو صدرها أو ساقها أو ذراعها أو وجهها أو عنقها أو خصرها! معاذ الله وحاشايَ أن أفعل ذلك تلميحاً فضلاً عن أن يكون تصريحاً! وأستغفر الله العظيم الحليم الغفار من هذا الإثم الكبير الذي نحسبه هيناً وهو عند الله عظيم. خاصة وأنني أخذت على عاتقي كتابة شعر القيم هذا الذي تحتاجه الساحة اليوم ، وليس أدب الغرائز والشهوات الذي ملأ الأدمغة وخرّب القلوب وأفسد الفطر ، وأحدث انتكاسة كبرى يخجل الخجلَ الكبيرَ من تصورها أبو لهب الجاهلي المشرك ، وتقشعر منه جلود العواهر والمومسات! ومن هنا راح اختياري يضطرب بين القيم وحاجة الجمهور الذي يفرض تصوراته فرضاً على الكاتب الأديب شاعراً كان أم ناثراً. وفي الختام اخترت بفضل الله ورحمته ما أراه أصوب وأميز بعيدا عن التصاوير المخلة أو المحرمات التي تثير الغرائز عند الجمهور المراهق. وإنما عمدت إلى أن أثير الهمم والقلوب والأرواح والضمائر والمشاعر والأحاسيس نحو الخير والحنيفية السمحة ليس إلا. وفرق كبير بين شاعر يريد إثارة الهمم والقلوب والضمائر نحو الخير ، وبين آخر غاية ما يكتبه أن يثير الغرائز والشهوات نحو الرذيلة والفحشاء: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)! وعليه فليتقلص شراء الديوان بعد ذلك لأن الغلاف لا يناسب ، اللهم إني تركت إغراء الناس لك ومن أجلك وتعظيماً لشعائرك وشرائعك وحُرماتك ، اللهم فعوّضني عن الذي يفوتني! أنت ربي أعلم بنا وبنوايانا. لقد كان مثلي في هذه الحيرة كمثل الإمام العلامة الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه ، فلقد حكى عنه الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام (مج 1 ص 20:22) وذلك من حكاية الإمام عبد الرحمن بن بطة عن نفسه إذ قال: (عجبتُ من حالي في سفري وحضري ، مع الأقربين مني والأبعدين ، والعارفين والمنكرين ، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقاً أو

مخالفاً ، دعاني إلى متابعته على ما يقوله ، وتصديق قوله والشهادة له! فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك ، كما يفعله أهل هذا الزمان سماني موافقاً ، وإن وقفت في حرف من قوله أو في شئ من فعله سماني مخالفاً! وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد حقا سماني خارجياً! وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني مشبهاً ، وإن كان في الرؤية سماني سالمياً ، وإن كان في الإيمان سماني مُرجئياً. وإن كان في الأعمال سماني قدرياً. وإن كان في المعرفة سماني كرّامياً ، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – سماني ناصبياً ، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضياً وإن سكتُ عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهرياً ، وإن أجبت بغيرهما سماني باطنياً ، وإن أجبت بتأويل مني سماني أشعرياً. وإن جحدتهما معا سماني معتزلياً ، وإن كان في السنن مثل القراءة سماني شافعياً ، وإن كان في القنوت سماني حنفياً ، وإن كان في القرآن سماني حنبلياً ، وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من الأخيار إذ ليس في الحديث والحكم محاباة – قالوا طعن في تزكيتهم. ثم أعجب من ذلك أنهم يسمونني فيما يقرأون عليّ من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما يشتهون من هذه الأسامي ، ومهما وافقت بعضهم عاداني البعض الآخر ، وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تعالى ، ولن يغنوا عني من الله شيئاً. وإني مستمسك بالكتاب والسنة ، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو وهو الغفور الرحيم).هـ. رحم الله الإمام ابن بطة ، ووالله لكأنه ينكأ جرحاً نعيشه اليوم في متاهة تصنيف الناس بعامة ثم الشعراء بخاصة ، ولا يتم ذلك التصنيف للعلمانيين من الذين استغنوا بالدنيا عن الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وإذن فليقبل مني قارئي الحبيب هذا الغلاف على ما عليه من مآخذ ، والعبرة بما حواه الديوان الشعري لا بشكله ولا بغلافه! وفي الختام أقول: إن ديوان (ترنيمة على جدار الحب) إن هو إلا مجموعة من القصائد القديمة التي تضرب بجذورها في أيام صباي ، حيث الشباب والتصابي ، ثم قمت بإكمال الديوان ببعض القصائد الأخيرة والتي قمت بنشرها في غير ما مجلة وجريدة في العالم العربي مثل: (جريدة الوحدة العربية – الخليج – البيان – الاتحاد – الفجر)! ثم بدا لي أن أقوم بنشر المجموعة الشعرية على شكل ديوان شعري يجمع شتاتها! وهذا هو الأستاذ الفذ إيهاب الملاح يتحدث إلى الذين لا يعرفون مسؤولية الكتابة فيقول ما نصه: (أتابع - بكثير من الاهتمام - السجالات التي تكاد لا تنتهي عن الحديث عن مدى مسؤولية الكاتب عن نصه بالكامل ، أو المسؤولية المشتركة بينه وبين دار النشر في ما يخص سلامة نصه الشكلية وإخراجه..إلخ. ولقد كتبت عن الأخطاء اللغوية في الكتابات الإبداعية والمأساة التي نشهدها ونتعذب بها من مستويات أقل ما توصف به أنها متدنية ومنحطة في مستواها اللغوي بشكل عام ، وتتصف بالرعونة والجهل والسخف في ما يتصل بالعناية والاهتمام بنص قام السيد الكاتب المحترم بكتابته وتسليمه إلى دار النشر وقال لهم (هذا كتابي فخذوه) وكفى! ويبدو أن استيعاب فكرة بسيطة تتعلق بأن السلامة اللغوية للنص ؛ أي نص ، تتصل بشكل أكيد بمدى فهم الكاتب أو القارئ لهذا النص مهما كان ؛ وأياً ما كان.. السلامة اللغوية التي أقصدها تعني الحد الأدنى من سلامة التعبير ، لغوياً وإملائياً ونحوياً ، بمعنى أن هناك جملة سليمة مكتملة الأركان صحيحة الكلمات خالية من الأخطاء! فقط! لا أكثر ولا أقل! لأن هذا ببساطة يعني أنك مدرك تماما لما تحمله جملتك من معنى ، فتعرف - يا سيدي الكاتب النحرير - أنك كتبت جملة اسمية لها "مبتدأ" ولا بد أن يكون لها "خبر" حتى تكتمل الفائدة أو يتم المعنى ؛ وبما يعني أنك تعلم - وتريد أن تُعلم غيرك - بأن هناك جملة واضحة مكتملة الأركان وتؤدي هذا المعنى بوضوح وسلاسة. هل هذا معناه أنك مطالب بأن تكون "سيبويه" عصرك وأوانك؟! أبداً..هل هذا معناه أنك لا بد أن تراجع كل كلمة في القاموس حتى تتيقن من صحتها وضبطها؟ أبداً والله..كل ما في الموضوع أنك فقط مطالب ببذل

قليل من الجهد ؛ قليل من الوقت ، وتراجع معلوماتك وتنعش ذاكرتك ببضع معلومات سبق لها تحصيلها في مراحل الدراسة الأساسية. وإذا سألني سائل: لماذا أنا مطالب بذلك؟ ألا يكفي أنني أكتب فقط ، وأنني أؤلف فقط ، وهناك من يتولى عملية المراجعة والتصحيح؟ فلماذا تريد أن تحمّلني جهداً فوق الجهدٍ وطاقة فوق الطاقة وتشغلني عن الإبداع بتدقيق الإبداع؟ والله بعضهم يسأل هكذا ويمتعض هكذا ويتأفف هكذا..لا يدري الأستاذ الكاتب الكريم المحترم الذي قرر أن يتحفنا بما يكتب ويطلق عليه "أدباً"..أنه يكتب "الأدب" ؛ أي أنه عقلاً ومنطقاً قد تجاوزت معرفتُه باللغة المستوى العادي والمتوسط ، أداءً وتعبيراً ، وأنه قرر بكامل إرادته ومحض إرادته أن يكتب في دائرة تستدعي مهاراتٍ وإمكانات أعلى بكثير من مجرد التواصل اليومي المعتاد والكلام العادي المألوف..إنك تكتب الأدب يا سيد! هل تدرك معنى أنك تكتب أدباً؟ أي شعراً ونثراً فنياً جمالياً (رواية وقصة ومسرحاً ومقالاً.. إلخ). يعني أنك تستعين بالخيال وتتوسل بالمجاز وتتجسد هذه الأشياء جميعًا من خلال اللغة التي تتيح لك عبر إمكاناتها الهائلة وطاقاتها التي لا تنفد عشرات الملايين من الاحتمالات لتشكيل جملتك المكتوبة ، وانتقاء كلماتك المعروضة ، وصياغة فقرتك وصورتك الفنية كما أردتها..هل تعلم أن هذه العملية ليست سهلة؟ وليست مطروقة في الطرقات ومرمية في الشوارع؟ إنها جهد عنيف يبذل وقدرة وإرادة على تنظيم هذه الكتابة ومراجعتها وتدقيقها..كل هذه الأشياء يجب أن تتمها وتنتهي منها قبل أن تفكر أصلاً في الدفع بنصك إلى النشر ، أي أنك مسؤول مسؤولية كاملة ، شكلاً ومضموناً ، عن هذا النص قبل أن ترمي به في وجه الناشر وتقول له تحمل مسؤوليتك وادفع عني الأذى أكرمك الله (أو حتى بدون ذلك). هل هذا كثير؟! هل هذا يتطلب أن يقوم البعض من الكتاب والمبدعين وغيرهم بالدفاع المستميت عن الكاتب وإعفائه من مسؤولية مراجعة وتدقيق نصه؟ لا أفهم..والله لا أفهم كيف ذلك؟ الناشر يتحمل مسؤوليته بلا شك ومن البداية إذا قبل فعلاً أن يتسلم نصاً بان له وظهر له أن كاتبه مستهتر باللغة مستخف بفكرة المراجعة والتدقيق ، وأنه حتى لم يهتم بأن سلمه نصاً خالياً من الأخطاء أو على الأقل اجتهد في ذلك ويمكن التغاضي عن هامش محدود من الأخطاء التي سقطت سهواً أو عرَضاً أو كما نقول في العامية "جلت" أو "فلتت" (وهذا الهامش أقدره بحوالي عشرة في المائة وهذه نسبة كبيرة جدا بالمناسبة!) هذا هو الدرس الغائب عن أذهان كتابنا المتأففين من مطالبتنا لهم بالتدقيق والمراجعة والتنقيح والسلامة! فهل هذا كثير يا عالم؟!).هـ. وأنا مع هذا الرأي الدقيق المحترم جملة وتفصيلاً ، قلباً وقالباً ، فكرة ومضموناً! وأكاد أطبقه بحذافيره قبل أن أطلع عليه! نعم ، أنا أهتم بشعري جيداً ، وأعيد النظر فيه مراراً ، ولا أمل من المراجعة ولا من التدقيق ، ولا من التحقيق! ولا أستثقل أن يكتشف غيري أخطاء في قصائدي ويوافيني بها مقيماً عليها الدليل والبرهان! بالعكس أنا أشكره وأذكر من أفضاله وتكرماته وجمائله! وأدعو له كلما تذكرته! وإن كنت أنسى فلا أنسى الشاعرين الجليلين: الشاعر الدكتور عدنان محمد علي رضا النحوي ، والشاعر الأستاذ سالم محمد سالم النوبي موجه اللغة العربية بمنطقة عجمان التعليمية! وأنا مدين لهما بالفضل ، حيث قد حققا أغلب أشعاري ونقحا معظم قصائدي ، بلا مقابل سوى: (جزاك الله خيراً)! الأمر الذي لم يقبله أحد الأساتذة في الجامعة إلا بمقابل باهظ جداً! ولا أعترض على المقابل (هذا حقه) ، ولكنني اعترضت على المغالاة فيه جداً! فشكراً للشاعرين الكريمين! وأفتخر أن أقول بأن الشعر الذي كتبته بعدهما ولم يقرآه كان على ذات النسق ونفس الأسلوبية! وحاولتُ فيه أن أتجنب ما اتفقتُ معهما عليه من قبل! ومن أجل ذلك استغرق إخراج الديوان مني وقتاً طويلاً ، والله وحده المستعان على هذه المهمة الشاقة العاتية المكلفة!

جئتُ يحدوني يقيني

اللهم يا رب السماوات وما أظلت ، ويا رب الأرضين وما أقلت ، ويا رب العالمين ، أسألك مسألة الخاضع الذليل: مسألة من ذلت لك نفسه ورغمت لعظمتك أنفه وخضع لك قلبه ، اللهم ارزقني حسن القول وحسن العمل وحسن النية وحسن الإخلاص ، اللهم آتني الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً ، وإن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً ، فاللهم اجعل شعري كله حكمة واجعل بياني كله سحراً ، واجعلني ممن قلت فيهم وقولك الحق: (يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً). اللهم اجعلني من عبادك الصالحين ، الذين شهدوا لك بالوحدانية وأقروا لك بالتوحيد ، وشهدوا لنبيك بالرسالة ، واعتقدوا ذلك وعملوا بمقتضاه ابتغاء وجهك الكريم ، وأسألك أن تتوفاني على ذلك ، اللهم لا تجعلني من الشعراء الذين قلت فيهم وقولك الحق: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ، والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون؟) واجعلني من الشعراء المستثنين في قولك ، وقولك الحق: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلِموا) ، واجعل في أشعارنا الحُسنَ الذي ترضى ، والإخلاصَ الذي ترضى. اللهم اجعل هذا الشعر في طاعتك ، واجعله سِلماً لأوليائك ، حرباً على أعدائك ، واجعله سبيلاً لهداية الناس في شتى بقاع الأرض ، ولا تجعله أبداً سبيلاً إلى غواية أحد من خلقك ، اللهم أحسنتَ خلقي فخلقتني في أحسن تقويم ، فأحسن اللهم خلقي وأحسن قولي ، وشعري من قولي ، فاجعله اللهم في غاية الحسن والجمال. رب زدني علماً وهُدى ، وآتني حكمة وتقوى. اللهم حبّب إلى الإيمان ، وزينه في قلبي ، وكره إليّ الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلني من الراشدين ، فضلاً منك ونعمة ، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم إني أعيذ ذريتي بك من الشيطان الرجيم ، رب تقبل ذريتي بقبول حسن ، وأنبتهم نباتاً حسناً. اللهم رب اجعلني ممن آتيته حكمة فهو يقضي بها ويعلمها ، وآتيته مالاً فسلطه على هلكته في الحق. اللهم أكثر مالي وولدي ، وبارك لي فيما أعطيتني ، وأطل حياتي على طاعتك ، وأحسن عملي واغفر لي. اللهم فقهني في ديني ، وثبتني واجعلني هادياً مهدياً. اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم والقسوة ، والغفلة ، والعَيْلة ، والذلة ، والمَسكنة ، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق ، والشقاق والنفاق ، والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصمم والبكم ، والجنون والجذام ، والبرص وسيء السقم. اللهم إني أعوذ بك من الفقر ، والقلة ، والذلة ، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم. اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي ، اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة. اللهم إني أعوذ بك من البرص ، والجنون ، والجذام ومن سيء الأسقام. اللهم إني أعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك ربي أن أموت في سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك أن أموت لديغاً. اللهم إني أعوذ بك من عِلم لا ينفع ، وعمل لا يرفع ، ودعاء لا يسمع. اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لما أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرّب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة من الذين أوتو الكتاب ، إله الحق. اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا

عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، أبوء بذنبي ، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً! ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضِلع الدين وغلبة الرجال. اللهم إني أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أردّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر. اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ، ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ، ونقِّ قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب. رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ؛ أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير. اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر. اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل. اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي أخرتي التي فيها مَعادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر. اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى. اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجُبن والبُخل ، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكّها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها. اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحوّل عافيتك ، وفجاءة نِقمتك ، وجميع سَخطك. اللهم مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك. اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دِقه وجله ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسره. اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر المساوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك. اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، شماتة الأعداء. اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي لساني نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، ومن فوقي نوراً ، ومن تحتي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، ومن بين يدي نوراً ، ومن خلفي نوراً ، واجعل في نفسي نوراً ، وأعظم لي نوراً. اللهم إني أسألك من الخير كله ، عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ، عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك ، اللهم إني أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول أو عمل ، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً. اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، وأسألك قرّة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضاء بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك ، في غير ضراء مضرّة ، ولا فتنةٍ مضلة ، اللهم زيّنا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين. اللهم إني أسألك

العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي ، واحفظني من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بك أن أغتال من تحتي. اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشرَكه. اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ، وأسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب. اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عمن سواك. اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، لا إله إلا أنت ، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، لا إله إلا أنت. رب أعني ولا تعن عليَّ ، وانصرني ولا تنصر عليَّ ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ ، واهدني ويسّر الهدى لي ، وانصرني على من بغى عليَّ ، رب اجعلني لك شكّاراً ، لك رهّاباً مِطواعاً ، لك مخبتاً ، إليك أوّاهاً منيباً ، رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي وثبّت حجتي ، وسدد لساني ، واهد قلبي ، واسلل سخيمة صدري. لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. لا حول ولا قوة إلا بالله. ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار. اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، والموت راحة لي من كل شر. أعوذ بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء. أعوذ بك اللهم من البرص والجنون والجذام ومن سيء الأسقام. اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي. اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي أمري ، وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطيئتي وعمدي ، وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير. اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم إنك علام الغيوب. اللهم رب النبي محمد عليه الصلاة والسلام اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأعذني من مضلات الفتن ما أبقيتي. اللهم رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته! أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدين وأغنني من الفقر. اللهم أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجُبن والهرم والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر. اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، أعوذ بعزتك أن تضلني ، لا إله إلا أنت ، أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس تموت. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها. اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء. اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي. اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عمن سواك. اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى. اللهم إني أسألك الهدى والسداد. اللهم إني أسألك الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر

كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً. لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ، ورب العرش العظيم. اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحد لا شريك لك المآب يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم – إني أسألك ـ الجنة وأعوذ بك من النار. اللهم احفظني بالإسلام قائماً ، واحفظني بالإسلام قاعداً ، واحفظني بالإسلام راقداً ، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً. اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفد ، ومرافقة محمد صلى الله عليه وسلم في جنة الخلد. يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. اللهم حاسبني حساباً يسيرا. اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم. اللهم إني أسألك عيشة نقية ، وميتة سوية ، ومرداً غير مخز ولا فاضح. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم ارزقني من طاعتك ما تحُول به بيني وبين معاصيك وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك ، وارزقني من اليقين ما تهوّن به عليّ مصائب الدنيا. اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت. اللهم إني عبدك ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيد ، ماضٍ في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خقلك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب غمي. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرْنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنت المستعان ، وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي. اللهم اغفر لي واهدني ، وارزقني وعافني وارحمني. اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة. اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني ، وإذا أردت في خلقك فتنة فنجني منها ، غير مفتون! اللهم وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك. اللهم اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سني ، وانقطاع عمري. اللهم ارزقني حبك ، وحب من ينبغي حبه عندك ، اللهم ما رزقتني مما أحب ، فاجعله قوة لي فيما تحب ، وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب. اللهم قنعني بما رزقتني ، وبارك لي فيه واخلف علي كل غاية لي بخير. اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا. اللهم رب جبرائي وميكائيل وإسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار. اللهم رب جبرايل وميكائيل وإسرافيل أعوذ بك من حر النار وعذاب القبر. اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمتُ ومن شر ما لم أعلم ، وأعوذ بك من شر ما علمتُ ومن شر ما لم أعلم. اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وارزقني علماً ينفعني. اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء ، ومن ليلة السوء ، ومن ساعة السوء ، ومن صاحب السوء ، ومن جار السوء في دار المقامة. اللهم متعني بسمعي وبصري حتى تجلعهما الوارث مني ، وعافني في ديني وفي جسدي ، انصرني ممن

ظلمني حتى تريني فيه ثأري ، اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك وألجات ظهري إليك ، وخليت وجهي إليك ، ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت برسولك الذي أرسلت ، وبكتابك الذي أنزلت. اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد. اللهم إني أدعوك بأدعية القرآن الكريم ، فاستجب لي يا حنان يا منان يا قريبا لمن دعاه ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا إنك أنت العزيز الحكيم. رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين. رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء. رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي. ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين. ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين. ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين. ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشداً. رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون. رب اغفر وارحم ، وأنت خير الراحمين. ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب. ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين. ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وقنا عذاب النار. رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء. ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك ، فقنا عذاب النار ، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ، وما للظالمين من أنصار. ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين. ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم. ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير. اللَّهُمَّ يا سامع الصوت ويا سابق الفوت.. ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت.. صل علي سيدنا محمد في الأولين والآخرين..ولا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته..ولا هماً إلا فرّجته..ولا كرباً إلا نفثته..ولا ديناً إلا قضيته..ولا مريضاً إلا شفيته..ولا ميتاً إلا رحمته..ولا ضالاً إلا هديته..ولا عدواً إلا خذلته..ولا غائباً إلا رددته..ولا باغياً إلا قطعته.

ولا مبتليً إلا عافيته .. ولا عسيراً إلا يسرته ولا عيباً إلا سترته.. ولا حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضاً ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا علي قضائها ويسرتها برحمتك يا أرحم الراحمين. اللَّهُمَّ يا أنيس كل غريب آنس في القبر وحشتي وارحم وحدتي .. يا عالم السر وأخفي .. يا كاشف الضر والبلوي.. كيف نظرك لي من بين ساكني الثري؟ وكيف صنيعك بي في دار الوحشة والبلي؟ كنت بي لطيفا في حياتي .. فلا تقطع عني برّك بعد مماتي .. يا خير من دعاه داعٍ .. وخير من رجاه راجٍ .. يا من عليه اعتمادي في حياتي وبعد مماتي. اللَّهُمَّ شهدَ قلبي بتوحيدك .. وانطلق لساني بتحميدك .. ودلني القرآن علي فضل جودك .. فكيف لا يتحقق رجائي بحسن موعودك؟ اللَّهُمَّ كأني بنفسي وقد أضجعت في حفرتها ، وانصرف عنها المشيّعون من عشيرتها ، ورحمها المعادي لها في الحياة عند صرعتها ، ولم يخف علي الناظرين ذلُ فاقتها .. فأصبحت غريباً نأي عنه الأقربون ، وبعيداً جَفاه الأهلون ، وخذله المؤملون.. فأصبحت في اللحد غريباً.. وقد كنت في دار الدنيا داعياً.. ورحمتك إياي في هذا اليوم راجياً .. فأحسن ضيافتي .. وكن أشفق عليّ من أهلي وعشيرتي. اللَّهُمَّ آمين. اللهم إني أسألك لأشعاري القبول! اللهم تقبلها مني بقبول حسن ، وأنبتها في قلوب قارئيها وسامعيها ومتأمليها نباتاً حسنا! اللهم ما كان فيها من الحق فمنك وحدك لا شريك لك ، وأسألك الأجر الجزيل عليها! وما كان منها من الباطل فمن نفسي وهواي وشيطاني ودنياي ، وأسألك عليها المغفرة والعفو والسماح! اللهم اجعل شعري كله سبيلاً إلى جنتك ، ولا تجعله سبيلاً إلى نارك ، اللهم ما احتوى ذلك الشعر من الحق فاجعلني وأهلي أجمعين من أول من يعمل به مبتغياً بعمله رضاك والجنة. وما احتوى ذلك الشعر من الباطل والشر فاجعلني وأهلي من أول من اجتنبه مبتغياً باجتنابه رضاك والجنة! اللهم هذا جهدي في شعري ، وعليك القبول والتكلان! اللهم وحدك تعلم مقدار الجهد الذي بذلته في هذا الشعر! اللهم فانفع به اليوم وغداً! اللهم اجعله سهلاً ممتنعاً على قرائه وانفعهم به! اللهم ما احتوى هذا الشعر من الحق فاجعل له القبول في الأرض ، ولا تسلط عليه من لا يخافك ولا يؤمن بك ، بل قيّض له من يعمل به ابتغاء وجهك وطمعاً في جنتك يا عزيز يا قوي!

ترنيمة تتلو ترنيمة

(لقد كانت الترنيمة في أول عهدها همسة شعرية مجتزأة ، ثم تطورتْ إلى قصيد طويل يحكي ما كان من شأن الترنيمة وما أعقبها من تداعيات وأحداث! وكم كلفتني هذه الترنيمة في أول عهدها! وكم عانيت في سبيل تنميتها والسمو بها لتكون إيجابية تحيا بين الأحياء ، وترسم صورة لصاحبها ليواجه الحياة بها! إنها الرجولة في مواجهة المواقف ، وصدق الله: (من المؤمنين رجال)! (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)! (....يُسبّح له فيها بالغدو والآصال رجال)! وصدق الدكتور الحوالي وهو يعرّف للرجولة في إحدى محاضراته إذ يقول: (للرجولة في القرآن وصف آخر فيه زيادة على مجرد الذكورة ؛ فالله تبارك وتعالى بدأ بأنبيائه في هذا المنصب ، فقال: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ) والله تبارك وتعالى أرسل رجالاً مواقفهم الرجولية واضحة لمواجهة الفساد ، والشرك ، والطغيان ، والانحراف ، والجور ، والظلم وكل ما من شأنه أن يخدش أمراً مما أنزله الله ، ولذلك كانت تلك المواقف البطولية ، التي لا يقفها إلا أعظم الرجال وأقواهم وأشجعهم: مثل وقوف إبراهيم الخليل عليه السلام أمام النمرود ، ووقوف موسى عليه السلام أمام فرعون ، ووقوف نوح عليه السلام أمام أمةٍ عاتيةٍ ماكرةٍ ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ووقوف هود عليه السلام أمام أمةٍ مستكبرةٍ متجبرةٍ يبنون بكل ريع آية يعبثون ، وإذا بطشوا ؛ بطشوا جبارين ، كما أخبر الله عنهم حكاية عن نبيه هود عليه السلام ، وكل الأمم لا يقف لدعوتها ويتصدى لجبروتها إلا رجال. وإن أعظم هؤلاء الرجال هو خيرة الله ومصطفاه من خلقه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو استعرضنا المواقف الرجولية لانقضى العمر كله ، وما زلنا نتحدث عن موقف واحدٍ من مواقفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! يكفيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مواقف الرجولة أن يقف وحده ، والناس كلهم قاموا ضده ، وأن يدعو إلى الله ويحطم الأصنام جميعاً ، ترتجف قلوب ملوك الروم والفرس منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يجف مداد صلح الروم بعد! كما ثبت ذلك في الصحيح وفي قصة هرقل. أية رجولة هذه التي عُلِّمَها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ربه ، وخَلَقَه وَجَبَلَه عليها ، ثم عَلَّمها أصحابه من بعده صلوات الله عليه وعليهم أجمعين؟! أية رجولة أعظم من قيامه على الصفا لينذر عشيرته الأقربين؟! ثم ذلك الموقف الشجاع الذي وقفه في هجرته).هـ. وإذن فهي الرجولة التي تصنعها المواقف وتزيدها صلابة وشجاعة.)

ترنيمـــــــــــــة الحـــــــــــــب الضـــــــــــــحوك علـــــــــــــى فمـــــــــــــي

طيـــــــــــــفٌ يُـــــــــــــداعبُ شـــــــــــــوقَ قلبـــــــــــــي المُغـــــــــــــرم

وأريجُهـــــــــــــا كالشـــــــــــــعر يســـــــــــــري فـــــــــــــي دمـــــــــــــي

ونســـــــــــــيمُها مثـــــــــــــلُ الصـــــــــــــدى المُتـــــــــــــنغم

ورضـــــــــــــابُها كالرشـــــــــــــد للعقـــــــــــــل الظمـــــــــــــي

وشـــــــــــــعورُها كالـــــــــــــدُر يُقـــــــــــــري مِرقمـــــــــــــي

وظلالهـــــــــــــا فـــــــــــــي واحتـــــــــــــي كـــــــــــــالأنجُم

ترنيمـــــــــــــــــــة فـــــــــــــــــــي عـــــــــــــــــــالم متدمـــــــــــــــــــدم

تهـــــــــــــــــــدي القـــــــــــــــــــريض لشـــــــــــــــــــاعر متـــــــــــــــــــألم

وتقـــــــــــــــــــوده نحـــــــــــــــــــو المَعـــــــــــــــــــين المُكْـــــــــــــــــــرم

وتشـــــــــــــــــــد عـــــــــــــــــــزم كِيانـــــــــــــــــــه المتلـــــــــــــــــــوم

وتقـــــــــــــــــــيم هِمّـــــــــــــــــــة عبقـــــــــــــــــــري ضـــــــــــــــــــيغم

وتجـــــــــــــــــــرّع العُـــــــــــــــــــذال كـــــــــــــــــــأس العلقـــــــــــــــــــم

وتقـــــــــــــــــــول شـــــــــــــــــــعراً مُســـــــــــــــــــتبين المَعْلـــــــــــــــــــم

ترنيمـــــــــــــــــــة فـــــــــــــــــــي كـــــــــــــــــــل خيـــــــــــــــــــر تســـــــــــــــــــتمي

طرقـــــــــــــــــــتْ شِـــــــــــــــــــغاف القلـــــــــــــــــــب بعـــــــــــــــــــد تـــــــــــــــــــوهم

وتعطـــــــــــــــــــرتْ بالصـــــــــــــــــــبر لـــــــــــــــــــم تـــــــــــــــــــتجمجم

وتشـــــــــــــــــــوقتْ للنـــــــــــــــــــور ، لـــــــــــــــــــم تـــــــــــــــــــتظلم

وتناولـــــــــــــــــــتْ قلبـــــــــــــــــــي بعِشـــــــــــــــــــق المســـــــــــــــــــلم

رســـــــــــــــــــمتْ أمـــــــــــــــــــامي الـــــــــــــــــــدربَ لـــــــــــــــــــم تتكـــــــــــــــــــتم

نفحـــــــــــــــــــتْ فـــــــــــــــــــؤادي بـــــــــــــــــــالغرام الحَضـــــــــــــــــــرمي

فـــــــــــــــــــإذا الفـــــــــــــــــــؤاد كمـــــــــــــــــــا الهَـــــــــــــــــــزار الأفخـــــــــــــــــــم

أنا يا فتاة الحي

(سألته يوما من أنت؟ فأهاجت في نفسه الشجون والمشاعر ، فراح يرد عليها بهذه القصيدة يُعرّفها بنفسه! وحديث الإنسان عن نفسه لمن يحب يجعله يستفيض ، ويفضي بما يعانيه من مآس وعذابات. وإذ سُئلتُ هذا السؤال فكان طبيعياً جداً أن أقدم نفسي لمن يسأل بشئ من الصراحة والوضوح! الأمر الذي جعلني أقاسي هذي الصراحة وذلك الوضوح! والسؤال سألته فتاة تدعى (غدير) وهذا هو الجواب!)

يـــا فتـــاة الحـــيّ ، إنـــي – اليـــومَ - نفـــسُ ... تنشـــدُ الخيـــر ، لهـــا فـــي النـــاس شـــمسُ

وتريـــد الحـــق فـــي الـــدنيا حصـــيناً ... ولـــه – فـــي الأرض – رايـــاتٌ وبـــأس

وتحـــب العـــز ، لا تهـــوى الـــدنايا ... إنمـــا الـــذل متاهـــاتٌ ورجـــس

يقتـــل الـــذلُ إبـــاءَ المـــرء حتمـــاً ... لكـــنِ العـــز لـــه عطـــرٌ وأنـــس

مـــاء وجـــه الحُـــر غـــال لـــيس يُشـــرى ... دونـــه الـــدنيا ودينـــارٌ و(دَوْس)!

إن ديـــن الله – يـــا أختـــاه - أغلـــى ... دونـــه – بـــالله – أمـــوالٌ ونفـــس

إننـــي فكـــرت فـــي الـــدنيا طـــويلاً ... حـــار - فـــي دنيـــايَ - تخمـــينٌ وحَـــدس

فوجـــدتُ الحـــق فـــي تـــرك مَـــداها! ... حُبهـــا – فـــي القلـــب – تنغـــيصٌ ونحـــس

عاشـــقُ الـــدنيا - مِـــن الـــدنيا - يعـــاني ... وعلـــى الأيـــام قلـــبُ الصـــب يقســـو

طالـــبُ الـــدنيا تناغيـــه الأمـــاني ... وخِتـــام الرحلـــة العرجـــاء رَمـــس

ضـــاع مَـــن يـــركن للـــدنيا مليـــاً ... كـــان - فـــيمن ضـــاع - قبـــل اليـــوم درس

فقرُهـــا – بـــالله – خيـــرٌ مـــن غِناهـــا ... عِـــز دنيـــا المـــرء حِرمـــانٌ وبـــؤس

فاجعـــل الـــدنيا لأخـــراكِ ســـبيلاً ... ثمـــنُ الـــدنيا – لـــدى الأفـــذاذ - بخـــس

إنهـــا مرتـــعُ مَـــن فـــي الزيـــف يلهـــو ... وإلـــى حِقويْـــه – فـــي الآثـــام - يجســـو

خالهـــا بحـــراً ســـيجني الخيـــرَ منـــهُ ... فـــإذا المســـكين كالمِرســـاة يرســـو!

هنيئا لكِ حلاوة الصبر يا خنساء!

(كلما طالعتُ خبر الصحابية الجليلة تماضر بنت الشريد (الخنساء) ، ووقفتُ على قصة أبنائها الأربعة الذين استشهدوا في القادسية ، استلهمتُ الدروس والعِبر ، ورحتُ أردِّد في نفسي: هنيئاً لك الصبر الجميل - عند الصدمة الأولى وبعدها - يا خنساء العقيدة والتوحيد!)

حنانيكِ شعرُكِ أزكى الجوى ... وفي خافقيه الفؤادُ ثوى

ألا تذكرين نبيَّ الهُدى ... يجاهد بالحق أهل الهوى؟

وكان يثابر في دعوةٍ ... ويصبر عند لقاء القوى

وشعرُك كان له طارقٌ ... إلى قلبه ، وله مستوى

فيَطرب إذ تنشدين لهُ! ... وشعرُك من كل خير حوى

وبعد اتباعك دينَ الهُدى! ... وإيمانُ قلبك كان اللوا

وكان البلاء بأربعةٍ ... إذ ارتحلوا نال منك النوى

تجلدتِ للجُرح رغم العنا ... وكان اصطبارُك نعم الدوا!

هنيئاً لك الصبرُ في محنةٍ ... بها قلبك المستكينُ اكتوى

ولقيا الأحبة في جنةٍ ... تزيل المُصاب إذا ما استوى

شرفتِ بهم في مِهاد الوغى ... بنصر – على الحُسنيين - انطوى

وخلد ربُ الورى ذكرَهم ... وتاريخ أعلامنا قد روى

ألا إن هذا هو المبتغى ... لمَن قلبُه بالرشاد ارتوى

بصبركِ صرتِ لنا قدوة ... تبيدُ - من القلب - لفح الجوى

وتمحو - من النفس - آلامها ... وتطعن - في الروح - وخز الخوا

وتدفعُنا لبلوغ الذرى ... وتؤتي معالمها والصوى

كريمٌ في إزار خادم!

(هكذا الدنيا ، كم فيها من كريم يلبس إزار خادم! وكم من خادم يلبس عباءة كريم! والصبر – بعد الإيمان – بضاعة العبد الموحد القانت. ولقد يغتر بالدنيا من ينظر إليها بإعجاب يستغرق فيه ، متناسياً أنها ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً كما أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم -. ومتناسياً أنها جيفة وطلابها كلاب كما قال الصحابي العبقري الفذ علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -!)

ألا إنمـــــا دنيـــــا الأنـــــام تخـــــوّفُ ... ويأســـى - علـــى الـــدنيا - البليـــدُ المخـــرّفُ

تمرّســـتُ فـــي الـــدنيا طـــويلاً ، وجُبتهـــا ... فألفيتهـــا بـــالحُر تـــودي وتعصِـــف

ومَـــن يعتبـــرْ يـــرم الـــدنايا وراءهُ ... ولا يفتكـــرْ فيهـــا ، فليســـتْ تشـــرّف

لقـــد أصـــبح الحُـــر الكـــريم منكّســـاً ... وللنـــذل - فـــي الـــدنيا - الصـــدى والتتـــرف

وقـــد يخـــدم الصـــرعى كـــريمٌ موحـــدٌ ... يعـــيش كســـيراً عـــن دجـــى العـــز يَصـــدِف

يـــراهُ سَـــوادُ النـــاس - فـــي القـــوم - خادمـــاً ... طـــواه الجـــوى - بـــين الـــورى - والتخـــوّف

ولـــم يقتـــرفْ إثمـــاً ، ولكـــنْ نصـــيبه ... وجـــرحُ المعـــالي فيـــه مـــازال ينـــزف

يقـــيسُ الـــورى وزنَ الرجـــال بمـــالهم! ... ومِعيـــارُهم - مـــن بعـــد ذاك - التوظـــف

وليســـت علـــوم الشـــرع فـــي فكـــرة امـــرئ ... ويعلـــو الفتـــى لـــو كـــان يَعصـــي ويَهـــرف

فيَعصـــي إلـــه الخلـــق جهـــراً وخِلســـة ... ويَهـــزأ بـــالقرآن ردحـــاً فيُصـــرف

تـــراه - علـــى الـــدنيا - صـــريعاً مُفتنـــاً ... وزمرتـــه بالســـوء والغـــدر تُعْـــرف

وإن الكـــريم الحـــق مَـــن يلفـــظ الهـــوى ... وإن عـــاش مجهـــولاً ، ولـــم يـــكُ يُعـــرف

يحـــب الإلـــه الحـــق ، يعبـــده ولـــم ... يـــذرْ شـــرعه ، بـــالله ذلـــك أشـــرف

ويتلـــو كتـــاب الله كـــي يُبْصِـــر الهُـــدى ... ولـــم يَشـــغل العبـــدَ المُنيـــبَ التكلـــف

فصـــابرْ ، وإن ألبســـتَ لبســـة خـــادم ... لـــك الله ، جاهـــدْ إنّ ذلـــك ألطـــف

لا تعتبنّ على الجبان!

(عمد إلى التشويش والإشاعات عن برئ يُخالفه في العقيدة والتوحيد ، فراح يرد عليه ذلك البرئ بقوله: إنه لا عتاب على الجبان المرتزق! إنه من السهل اليسير أن تشوّش على ذي دين في هذا الزمان! ومن العسير أن يُمنح ذلك البرئ فرصة ليدافع عبرها عن نفسه. وإن هو منح هذه الفرصة ، فمن ذا الذي سيسمع له؟ وإن وجد من يسمع له فأنى يصدقه؟!)

إن العتـــــاب ببـــــذل الخيـــــر مُـــــرتبط ... ولا عِتـــــاب علـــــى قـــــوم هـــــمُ الســـــقط

كـــم ذا عتبـــتُ ، ولـــم يُجـــدِ العِتـــاب شـــياً! ... ولـــــو تركـــــتُ لقـــــلّ الســـــوءُ والشـــــقط

إن الجبـــــــان إذا عاتبتـــــــه لطغـــــــى ... فدعْـــــه يأكـــــلُ – فـــــي أحشـــــائه ـ الســـــخط

قـــد لفـــق الزيـــفَ – بـــين النـــاس ـ مغتبطـــاً ... وإن يُصـــــــبك أذىً فالنـــــــذل يغتـــــــبط

حـــــاك الإشـــــاعاتِ ، فـــــالتزويرُ صَـــــنعته ... كـــذاك فـــي الكيـــد كـــم كانـــت لـــه خطـــط!

كـــم زلـــةٍ صـــاغها ظلمـــاً ، وزينهـــا! ... والأمـــرُ حقـــاً – علـــى الجهـــال ـ يَخـــتلط

هـــو الـــذي ينســـج الأحقـــاد مجتهـــداً ... ينـــال منـــك ، ويكـــوي قلبـــه الغلـــط

ولا يفيـــق مـــن الشـــرك اللصـــيق بـــه ... ولا تـــراه – علـــى التوحيـــد ـ ينضـــبط

عنـــد الضـــريح لـــه رقـــصٌ وملحمـــة ... فيهـــا الأســـاريرُ – عنـــد القبـــر ـ تنبســـط

ويجهـــل الحـــق ، والإعـــراضُ مَركبُـــه ... ولـــــو رأى بدعـــــة يســـــعى ويلـــــتقط

ولـــيس يشـــكر مـــا أعطـــاه خالقـــه ... لكـــنْ يمـــوج – علـــى ألفاظـــه ـ القـــنط

وإن تكلـــم كـــان اللحـــنُ ديدنـــه ... لا يُحســـن الضـــاد حتـــى يحســـن النـــبط!

ولا يغـــارُ علـــى عِـــرض ولا حُـــرُم ... وإن تعامـــل بالـــدينار يَشـــترط

أواه مـــن جوقـــةٍ همّـــازةٍ أبـــداً ... وفـــي الضـــلالة والبُهتـــان قـــد ســـقطوا!

فـــيم العتـــابُ علـــى عقـــل بـــه خبـــلٌ؟ ... لـــن تســـمن العِيـــر حتـــى يـــذهب الحـــبط!

الصلح العقيم

(صالحَه بعد خلاف قام بينهما! وهو يشعر أنه لا فائدة ترجى من صلح هازل لا وزن له. لأن ذلك الصعلوك لا يبالي بالقيم ولا بالمبادئ ولا بأهلها! والأصل أن يبذل الطرفان المتصالحان معاً كل الجهود الرامية لإزالة الخلافات ، ليستمر الصلح وليثمر حَميمية وصِلة على الأيام. أما أن تكون الصحبة مبنية على الانتفاع الخسيس ، فإن عمرها قصير إذا ما قورنت بأخرى مبنية على تبادل المنفعة من الطرفين ، فلكل منهما حقوق وعليه واجبات! وإلا يكن ذلك كذلك فلا قيمة للصحبة ابتداءً ، فضلاً عن الصلح.)

أيها الوغدُ تذرعْ بالجحودِ ... وامش فرداً خلف شيطان مَريدِ

واحترقْ في نارك الهوجاء نذلاً ... عاش في الدنيا أسيراً للجمود

إنما الصلحُ عقيمٌ ، إي وربي ... وأنا في عُقمه شِدتُ قصيدي

وحدك المجنوز في خِزي التدني ... تخدعُ الأقوامَ في كل صعيد

قلبُك الصخرُ طغى دهراً علينا ... وتمادى في متاهات الصدود

وتشَفى في بريئ مُستكين ... بعَداء دونه كل الحدود

وتريثنا عسى تحنو علينا ... وتعيد الحق مِن عبدٍ كنود

وترد القوس للباري ، وتسمو ... عن دنايا النفس والسمت العنيد

فإذا بالوغد خوانٌ أثيمٌ ... يعشق الكِبرَ ، ويحيا للنقود

قد أهان الكل ، لم يظفرْ بخل ... فقلاه الكل ، أمسى كالطريد

أي صلح تبتغي يا نذلُ مني ... بعدما صَفدتَ وُدّي بالنقود؟

عقمَ الصلحُ ، فلا تجرحْ شعوري ... وتورّعْ صاح عن كيل الوعيد

هل يفيد الصلحُ سِنوْراً عقوراً ... يألف الغابة ، يحيا كالشريد؟!

بئس صلحاً بعده سَفكُ دماءٍ ... ودمارٌ بعده يُتمُ الوليد!

يُزهق الأرواح ، يُزري باليتامى ... ويُزيل الخير من هذا الوجود

مثل هذا الصلح في ظني حرامٌ ... إن حقن الدم مِن دين (المجيد)

حقيقة الشاعر

(سألني كثيرون لماذا لم تكتب الشعر في كذا وكذا ، وعدّدوا من المناسبات والظروف؟ فأجبت: لم تتحرك عندي عاطفة لما تسألون عنه! إن كثيرين يتصورون أن الشاعر كالنجار الذي يُمسك بقطع الخشب ليصنع منها كرسياً! أو كالحداد الذي يمسك بقطع الحديد ليصنع منها باباً! ولست أنكر أن في الساحة شعراء هكذا ، لكنهم ليسوا شعراء بل هم صناعون! وإنما الشعر شعور!)

فيم التساؤل عن شعري وعن أدبي؟ وكيف أقنعكم يا جوقة الرّيَبِ؟

ومذ متى وقريضي العذبُ يشغلكم؟ سؤالكم عنه أمرٌ بالغ العجب!

أهديتُ شعري دواوينا مزركشة والشعر - في أمّها - مُطهّم الطرب

وقد سطرْتُ كُليماتي أبجّلكم فيها البريقُ شدا كالماس والذهب

وقبلُ سطرتُ شعري ، والمِدادُ دمي ينِمّ عن قِيَم صُبتْ على الكتب

ناصحتُ فيه ، وقد دونتُ تجربتي والشعرُ أرجى من الأموال والحَسب

وما نقشتُ سوى ما هز عاطفتي ومِن عل قد هوى كالتين والعنب

ولم أكنْ بشعوري العفّ مرتزقاً شأن الألى رغبوا في المال والقرَب

ولم أطوّعْ قريضي للألى انحرفوا عن الحنيفة ، وانصاعوا إلى اللعب

وكم صدقتُ بما قصّدتُ محتسباً! وقصْدُ ربي به من أفضل الحِسَب

لو لم أعانِ لمَا فاض القريض جوىً على قراطيس مُلتاع ومُغترب

أعطيتُ للشعر مِن مالي ومن عُمُري حتى يراه الورى يختال في أرب

شتان بين قريض صِدقه علمٌ وآخر من كثير الكِذب مضطرب!

حقيقة الشعر ما جاد اليقينُ به شتان شتان بين الصدق والكذب!

وكم قصيدٍ أهاجتهُ مناسبة حتى انقضت ، فثوى كالظل والسحُب!

يا صاح أما آن الأوان؟!

(عاب أحدهم كتاب (معجم قواعد اللغة العربية في جداول ولوحات) لأنطوان الدحدوح. فرُحتُ أنتصر شعراً لهذا الكتاب الرائع! والحقيقة أنني درسته كاملاً ، ووقفت عنده طويلاً ، وتساءلتُ كيف لرجل كان يعمل سفيراً أن يكتب في نحو العربية وصرفها وقواعدها؟ وأسأتُ الظن بالكتاب في بادئ الأمر ، فلما درسته شهدتُ بالعبقرية لصاحبه! هداه الله وأصلحه ونفع به في بقاع الأرض!وقد لفت انتباهي أكثر استشهاد المؤلف بآيات القرآن الحكيم وأحاديث النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – مما أعطى الكتاب بُعداً أدبياً وأخلاقياً هائلاً! وأسأل الله من قلبي لك ولذريتك يا دحداح أن يهديكم إلى صراطه المستقيم!)

وسِـــفر بـــدا للضـــاد فـــي ثـــوب كوكـــبِ ... حـــوى الـــدُرّ يســـري كالغمـــام المُرَطـــبِ

تناســـق حتـــى قلـــتُ: قـــد بلـــغ الـــذرى ... وبـــدّد بالـــذكرى صـــنيعَ الترقـــب

وقـــد زخـــرفَ (الدحـــداحُ) أوراق مَتنـــهِ ... وزيّنـــه ، جلـــى بـــديع التطيـــب

وألـــبس نحـــو العُـــرْب أجمـــل حُلـــةٍ ... وأبهجنـــا جـــداً بهـــذا التشـــعّب

وجمّـــل علـــمَ الصـــرف فـــي الطِـــرس ناطقـــاً ... بـــأن أصـــول الضـــاد لِينـــت لمُحْبـــب

كـــم اختصـــر النحـــو المُصـــفى بدقـــةٍ! ... فأمســـى لعقـــل المـــرء يَســـبي ويجتبـــي

وكـــم تـــوّج النحـــوَ البـــديعَ بنجمـــه ... وبالصـــرف وافانـــا بـــزي محبّـــب!

بـــذا ســـهّل الصـــعب العســـير بخفـــةٍ ... ويشـــكر مـــا أســـدى لـــه كـــل طيّـــب

ســـأنزلُ خلـــق الله مـــا فيـــه أبـــدعوا ... وأوصَـــى بمـــا قـــد سَـــطر المِـــرقمُ النبـــي

أمـــا والـــذي أعطـــاك مـــا ســـطرتْ يـــدٌ ... لقـــد فـــاق هـــذا الســـفرُ كـــل التطـــرّب

ولـــو أننـــي - فـــي كـــل يـــوم - قرأتـــه ... فـــإني لمشـــتاقٌ لـــه ، بـــات كـــوكبي

أحـــنُ إلـــى مـــا قلـــت فيـــه ، وأجتنـــي ... شـــذى النحـــو والصـــرف الأريـــب المُخضـــب

ويأسِـــر عقلـــي كـــل رأي وفكـــرةٍ ... وأهفـــو إلـــى الأفكـــار فـــي كـــل مضـــرب

ألا أصـــلح المـــولى فـــؤادك للـــذي ... عليـــه أنـــا مـــن دينـــه والتقـــرب

ألا فـــانتفعْ يـــا (أنطـــوان) بآيـــهِ! ... شـــواهدُ فيمـــا قـــد كتبـــتَ فقلّـــب!

قصرٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ ثم نشر

(ما أكثر الأقوام الذين تغرّهم حياتهمُ الدنيا ، فيُعرضون عن الحق ، ويُقبلون على زخرف الدنيا حتى يدركهم الموت! والمسألة ليست كذلك عند العقلاء الذين يجعلون من الحياة الدنيا الفانية معبراً للحياة الأخروية الباقية! وإن هي إلا المراحل: فمن القصر المنيف إلى القبر ويليه الحشر والنشر والحساب! ثم الخاتمة الباقية الخالدة ، إما إلى جنة نسأل الله من فضله ، أو إلى نار نعوذ بالله منها! وإذن فالمسألة محسومة في حس وشعور من أدرك حقيقة الدارين! وفي ذات الوقت تعتبر المسألة ذاتها مغلوطة في حس وشعور مَن فتن بالدنيا الفانية ، فعمل لها وأهمل العمل للآخرة الباقية!)

وقصـــــرٌ كطيـــــف الحُلـــــم ســـــام عريـــــقِ ... مَشـــــيدِ منيـــــفٍ عـــــن يمـــــين الطريـــــقِ

لـــــه صـــــنمٌ فـــــوق الجـــــدار تســـــامى ... وأســـــــواره دَفـــــــتْ وراء البريـــــــق

وبوابـــــــة فيهـــــا الزخـــــارف شـــــتى ... وأشـــــــجاره لفـــــــتْ بـــــــنجم وريـــــــق

يَحـــــار الفـــــؤادُ المســـــتنيرُ كثيـــــراً ... يقـــــول: وهـــــل تحلـــــو الحيـــــاة بضـــــيق؟

فقلـــــتُ: هنيئـــــاً للكُســـــالى حيـــــاة ... قراهـــــا تـــــدنت فـــــي ضـــــلال عميـــــق

تمـــــوت البرايـــــا فـــــي التـــــردي خزايـــــا ... وجيـــــل تهـــــاوى هكـــــذا كـــــالغريق

تخـــــبّط بـــــين النـــــاس عمـــــداً ، وأغفـــــى ... وأعـــــرض عـــــن هـــــدْي وعهـــــدٍ وثيـــــق

ألا إنمـــــا القبـــــرُ المُريـــــعُ مُعـــــدٌ ... ومـــــوتُ البرايـــــا قـــــد جـــــرى فـــــي العـــــروق

وحشـــــرٌ ونشـــــرٌ ، والقيامـــــة تـــــأتي ... تُـــــرى هـــــل يفيـــــدُ القصـــــرُ أيَ فريـــــق؟

فمـــــاذا تـــــزوّدتم؟ أجيبـــــوا علينـــــا! ... ألـــــيس ـ لشـــــمس المنتهـــــى ـ مـــــن شـــــروق؟

ألا إنمـــــا القصـــــرُ المنيـــــفُ ســـــرابٌ ... ولا يشـــــتهيهَ غيـــــرُ غِـــــر صَـــــفيق

وعمـــــا قريـــــب ســـــوف يمضـــــي هشـــــيماً ... ويمضـــــي وشـــــيكاً كـــــل عِـــــز عتيـــــق

ويقطـــــعُ ســـــيفُ المـــــوت آجـــــالَ قـــــوم ... تمـــــادَوْا طـــــويلاً فـــــي النعـــــيم الرقيـــــق

وقـــــد أمعنـــــوا فـــــي التيـــــه يبغـــــون حـــــلاً ... وكـــــم ضـــــيّع الإنســـــانَ غـــــيٌّ صـــــديق!

ألا فاســـــتفيقوا ، وانهضـــــوا ، واســـــتجيبوا ... وجـــــدّوا لقبـــــر ، ثـــــم حشـــــر حقيـــــق

العذراءُ والقلم التائه

(كاتبة شابة أيّم ، كانت لها مجلة حوائية راحت تنادي بما يخدش الحياء ، ويُزري بالمرأة ، وتزعم أنها تدافع عن حقوق المرأة بقلمها التائه! وساعة يتوه القلم عن رسالته ، يخبط خبط عشواء ، فيتبنى الهراء والضلال والسخافات والحماقات! ويستلمه الشيطان ، فيلقى في روع الممسك به ما يشاء! وتكون الفتنة في الأرض ، عندما يعدم ذلك القلم من يرد عليه ، ويوقفه عند حده بالحجة والبرهان! فحاسب الله عسيراً من كمّموا الأفواه وكسّروا الأقلام ، فراجت فتنة الجهلاء والعملاء والمرتزقة في الأرض ، بلا زاجر ولا رادع! وإنه قبل سنوات ما كانت تستطيع مثل هذي أن تتجرأ هكذا! لأنها ستجد من يردّ عليها عاجلاً!)

عـــذراءُ زلـــت بهـــا فـــي الغفلـــة القـــدمُ ... قـــد اشـــتكى هزلهـــا القرطـــاسُ والقلـــمُ

لا تملـــك الحـــق وضّـــاحاً فتكتبـــه ... ولـــيس فـــي رأســـها نـــورٌ ولا قـــيم

تعبّـــئُ الزيـــفَ غضـــاً فـــي مجلتهـــا ... وتفـــتن الغيـــدَ ، فـــي تزويرهـــا نغـــم

علـــى الغـــلاف تبـــدَّى وجـــهُ غانيـــةٍ ... وفـــي المجلـــة كـــم قـــبح لـــه ظلـــم!

كـــم مـــن قواصـــمَ تطفـــو فـــوق صـــفحتها! ... والمـــوجُ يمكـــو علـــى البلـــوى ، ويضـــطرم

طغـــى الهُـــراءُ علـــى أفكارهـــا فغـــوتْ ... لـــولا الغوايـــة مـــا زلـــت بهـــا القـــدم

تهـــوى العزوبـــة ، لا ترضـــى بهـــا بـــدلاً ... ولـــيس تُعجـــب مـــا قالـــت بـــه الغـــنم

حـــب الحليـــل بـــدنيا الله سُـــنتنا ... وفـــق الشـــريعة ، لا خلـــف الـــذين عَمُـــوا

تـــاهَ اليـــراعُ ، وأنـــتِ اليـــوم حـــائرة ... صَـــمّاء شاخصـــة الـــذكرى كمـــا الصـــنم

بَكمـــاءُ عـــن قـــول حـــق فـــي بنـــي (لكـــع) ... ولـــيس عنـــدكِ فـــي كيـــل الخنـــا بكـــم

عـــذراءُ تـــولج - فـــي حـــواء - إبرتهـــا ... وتنفـــث الســـم ، يُخفـــي نـــارَه الدســـم

تُعلمـــنُ الفكـــرَ ، لا تخشـــى غوائلـــه! ... يَضـــيعُ فـــي غيِّهـــا الأعـــرابُ والعجـــم

إنـــي أســـائل مَـــن - فـــي التيـــه - قـــد ســـقطتْ ... أمـــا اعتبـــرتِ ، وقـــد عـــم القـــرى الضـــرم؟

تـــوبي إلـــى الله ، إن الـــرب مُطلـــعٌ ... أمـــلاكِ دهـــراً ، ويومـــاً منـــكِ ينـــتقم

مـــا أحلـــم الله ، قـــد أملـــى لمـــن ظلمـــوا! ... هـــو الـــرحيم ، وذو الإكـــرام ، والحَكَـــم

تصابى الكهولُ ، ومات الصباّ

(إنْ عاش المرء في سِنه ، وأتى ما يليق به ، وانتهى عن الذي لا يليق به ، تكن مَكرُمة له ومَنقبة بين الخلائق. ولكنْ عندما يتصابى ويغشى الحرام ، فإن الحياء يموت فيه. ولقد نسي نفسه ذلك الأشيبُ الذي فاق الثمانين ، فراح ينحدر ويمارس التصابي الوقح ، ويراود فتاة عن نفسها مستغلاً أنها تخدمه وله زوجان! إن تصابيَه في هذه الحالة لعنة قتلتْ فيه الحياء والخوف من الله! وكنت أتصور أن الشيب يزجره فما زجره! فقلت: فالموت يردعُه فما ردعَه! وذلك بسبب تصابيه!)

تمـــــرّق - فـــــوق الأديـــــم - الإبـــــا ... وقـــــد أوشـــــك البـــــرّ أن يهربـــــا

فكـــــــم وأدَ الحـــــــبُ أشـــــــواقه ... وفـــــاض الجـــــوى ، فغـــــدا صَـــــيّبا!

وهـــــاجَ الغـــــرامُ ، فعـــــجّ الصـــــفا ... وأصـــــبح - فـــــوق الثـــــرى - عقربـــــا

ومـــــات الهُيـــــامُ صـــــريعَ الخنـــــا ... وأضـــــحى علـــــى أرضـــــنا مُجـــــدبا

وعربـــــدَ - بـــــين الأنـــــام - الفنـــــا ... جَـــــزاءَ الزنـــــا ولِقـــــاء الربـــــا

وطاشـــــتْ مـــــوازينُ مَـــــن أعرضـــــوا ... تصـــــابى الكهـــــولُ ، ومـــــات الصـــــبا

وبنـــــتٌ علـــــى وجههـــــا شـــــامة ... وبـــــين البرايـــــا غـــــدتْ كوكبـــــا

تنـــــاغِي نعومـــــة أظفارهـــــا ... وإن لهـــــا - فـــــي الـــــورى - مأربـــــا

ووغـــــدٌ تعقـــــب خطواتهـــــا ... يُراودهـــــا لتُـــــرَى ثيّبـــــا

يفـــــوقُ الثمـــــانين قـــــيسُ الهـــــوى ... ويُمســـــي بمـــــا يَشـــــتهي مُعجبـــــا

لـــــه زوجتـــــان ، ولا يكتفـــــي ... ولـــــم يـــــكُ بينهمـــــا مُغضـــــبا

ألا قـــــد كفـــــاكَ ، فكـــــن راشـــــداً ... فنجمُـــــك - بـــــين الأنـــــام - خبـــــا

رفاقـــــك فـــــي القبـــــر قـــــد جُنـــــدلوا ... ويأتيـــــك أمـــــرُ القضـــــا مُعتبـــــا

فأحســـــنْ ، ولا تـــــكُ مســـــتلئماً ... يـــــراك المليـــــكُ ، فكـــــن طيبـــــا

وموتـــــك أمســـــى وشـــــيك الصـــــدى ... فـــــلا تـــــكُ للعـــــيش مُســـــتعذبا

أعرابية في عصر الإنترنت

(دخلتْ مع زوجها حانوتاً ، فوجدتْ مجلة غربية فيها صور للنساء عارية ، فصاحت: حرام! ما هذا؟ ولماذا يغشى قرانا؟ وكيف له أن يُتداول؟ ومن أذن به؟ فعجبتُ لها وقلت في نفسي: هل جاءت من كوكب آخر؟ وراح زوجُها يُبرّر لها ويقول: هذا شئ طبيعي! فاستمرتْ في الجدال الذي لم تكن فيه فائدة سوى أن عبرتْ هذه الأعرابية - التي نسيتْ أنها تعيش في عصر الإنترنت – عن رأيها! فقلتُ: رحم الله زمان الجاهلية الأولى؟ وساد صمت بعده كانت القصيدة! وقد عرضتها على الدكتور عدنان فانتقد وزنها وسأل: على أي بحر؟ فقلت: ولدتُ قبل أن يولد العَروض! كما قالها من قبل أبو العتاهيه! فضحك ، ولم يعقب!)

ضـــــجّتْ كثيـــــراً وصـــــاحتْ ، لمَـــــا تـــــرى مِـــــن فضـــــوحِ

فعبّـــــرتْ عـــــن رؤاهـــــا ، بكـــــل حـــــرفٍ فصـــــيح

وقلّبـــــتْ مُقلتيهـــــا ، حتـــــى تـــــرى مـــــا تـــــوارى

وأســـــفرتْ بكـــــلام ، عـــــن غيظهـــــا فـــــي وضـــــوح

تألمـــــتْ واستشـــــاطتْ ، قالـــــتْ: حـــــرامٌ وربـــــي!

قـــــال: اســـــكتي وأرينـــــي ، وزايلـــــي واســـــتريحي

وكفكفـــــتْ عَبـــــراتٍ: (غربيـــــة لا تبـــــالي)

باعـــــت أريـــــج صِـــــباها ، بـــــدتْ بجســـــم ملـــــيح

لهـــــا قـــــوامٌ نحيـــــلٌ ، كأنـــــه أفعـــــوانٌ

مـــــا للجمـــــال حـــــدودٌ! كـــــم ذا لـــــه مـــــن جمـــــوح!

عُـــــرْيٌ يـــــروحُ ويغـــــدو ، وغـــــادة تتلـــــوى

مثـــــل الأفـــــاعي تمامـــــاً ، ســـــلوى الفـــــؤاد الجـــــريح

مثـــــل النســـــيم حَلاهـــــا ، وكـــــالهتيف صـــــداها

رضـــــابها قطـــــراتٌ ، كـــــالزعفران الصـــــبيح

والشـــــعر مثـــــل لجَـــــين ، والـــــدُر فيـــــه دفـــــينٌ

ذي باختصـــــار مـــــلاكٌ ، يفـــــوق كـــــل مـــــديح

قالـــــــت: ضـــــــللتَ كثيـــــــراً ، وقلـــــــتَ كـــــــل ســـــــخيفٍ

وفهْـــــــتَ زوراً وطيشـــــــاً ، وقلـــــــت كـــــــل قبـــــــيح

ذاك الجمـــــــال رخـــــــيصٌ ، فكـــــــل عـــــــين تـــــــراهُ

يُبـــــاع بـــــالفلس بَخســـــاً ، وكـــــم بـــــه مـــــن فضـــــوح!

تقـــــول: ذلـــــك حســـــنٌ! وغـــــادة وقـــــوام!

فالحسْـــــن مـــــا يتـــــوارى ، خلـــــف التقـــــى والصـــــروح

إلا عـــــن الـــــزوج والأهـــــل الكـــــرام فيبـــــدو

حسْـــــب الشـــــريعة ، لا حسْـــــب الضـــــلال الصـــــريح

صـــــدقتَ هـــــذي أفـــــاع ، فـــــي دورنـــــا تتلـــــوى

تُميـــــتُ كـــــل عشـــــيق ، كـــــم ذا لهـــــا مـــــن فحـــــيح!

مـــــا قـــــال ذلـــــك شـــــرعٌ ، ولا نبـــــيٌ رســـــولٌ

ولا عقـــــولٌ تســـــامت ، ولـــــيس قـــــولَ المســـــيح!

ضـــــلوا كثيـــــراً وحـــــادوا ، وقـــــد أضـــــلوا الخزايـــــا

ممـــــن تعـــــامى صـــــريعاً ، كـــــم أحـــــدثوا مـــــن قـــــروح!

واستســـــلموا للمنايـــــا فـــــي كـــــل صُـــــقع ووادٍ

والجاهليـــــة شـــــرعٌ تعـــــروه أخـــــزى شـــــروح

فـــــاهجرْ سُـــــفول الغـــــواني ، لأنهـــــن زوان

واذكـــــرْ رقـــــاداً وَشـــــيكاً يـــــا صـــــاحبي فـــــي الضـــــريح

ابدأ بنفسك (نصيحة شعرية)

(إن هذا الشعار (ابدأ بنفسك!) شعارٌ عظيم النفع. يُضمنه كتاب الله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب)؟ وجميلٌ جداً من الداعي أن يتأسى بما يقول ويعمل به ، ويلزم نفسه الوقوف على ما يدعو إليه الآخرين. إنه إن فعل ذلك يكون قد دعا إلى ما يدعو الآخرين مرتين: الأولى بالقول ، والثانية بالعمل. والنفس بها البدءُ وإليها ينتهي الختام. (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس). وإذن فالنفس ما لم يتعهدها كل عاقل حصيف أوبقته ، وأوقعته في شر الأعمال والأقوال. (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها). ومَن أخذ بأسباب هُدى النفس اهتدت نفسه. ومن أخذ بأسباب تدسيتها تدسّت وخابت وخسرت. ولقد أسرفتُ على نفسي كثيراً بانتقاد الآخرين عقيدة وسلوكاً. إلى أن أصبح ذلك ديدني ليل نهار! فأصبحتْ نفسي خاوية لانشغالها بالناس. فرأيتُ أن أكتب قصيدة أهديها لنفسي ، أعظها فيها وكأني أقول لها: (طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس) وصدق الشاعر إذ يقول ناصحاً من ينشغل بعيوب الآخرين غافلاً أو متغافلاً ناسياً أو متناسياً نفسه:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنهُ فأنت حكيمُ

وحكيم آخر راح يوبّخ نفسه ويقول لها: (يا نفس قبل أن تنظري إلى ذرات الرمال التي علقت بالآخرين انظري الحجارة التي علقت بك ولا تزال!) ألا وإن وعظ الشاعر الحكيم لنفسه ، وحثها على الخير وعظائم الأمور ، وزجره لها للانتهاء عن السوء ومحقرات الأعمال ، لمن أصعب الأمور التي لا يتصورها عقل مهما أوتي من حكمة! وكل من استطاع أن يوقف نفسه عند حدها فهو حكيم! عَن أبي مَسعودٍ - رضي اللَّه عنه - قالَ: قال لي النبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "اقْرَأْ عَلَيَّ القُرآنَ" قلتُ: يا رسُولَ اللَّه ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ: "إِني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي". فقرَأْتُ عليه سورَةَ النِّساء ، حتى جِئْتُ إلى هذِهِ الآية: {فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَهيدٍ وجِئْنا بِكَ عَلى هَؤلاءِ شَهِيداً} قال: "حَسْبُكَ الآن". فَالْتَفَتَّ إِلَيْهِ ، فَإِذَا عِيْناهُ تَذْرِفانِ. متفقٌ عليه. وتحت عنوان: (مفاتيح في تربية وبناء النفس) يقول الأستاذ عبد الله بن سعيد آل يعن ما نصه: (التخلية والتحلية! وطريقة ذلك أن يتخلى الإنسان عن بعض الاعتقادات الخاطئة عن تعامله مع القرآن! كأن يقول أنا غير قادر على تلاوة القرآن. أو أنا غير قادر على المحافظة على جدولي الأسبوعي مع القرآن وهكذا من الخيالات المثبطة عن التعامل مع القرآن باعتناء ، والواجب أن يحدث الإنسان نفسه بأنه يستطيع التخلي عن المعوقات التي تعيقه عن الاعتناء بالقرآن ، ويحدث نفسه بأنه سوف يحفظ ويتقن القرآن. وغير ذلك من الشعور الذي يُفضي إلى النفس حبّ القرآن والأنس به).هـ. ذلك أن القرآن هو مربي النفس الأول. والنفس القريبة من القرآن العاملة به نفس أبية كريمة ولاشك! ولا مُشاحة في الاستظهار! إذا منّ الله على العبد واستظهر القرآن كله أو جُله أو بعضه فبها ونعمت! وإلا فلا ينبغي عليه أن يجعل الاستظهار غاية في ذاته ، على عادة المرتزقة المنافقين الذين ختموا الاستظهار ليس لله بل للوظيفة!)

ابـــــدأ بنفســـــك ، إن العُمـــــر مُرتحـــــلُ وجمّـــــل الفعـــــلَ ، لا تـــــذهبْ بـــــك الســـــبلُ

وإن عيشـــــك ســـــاعاتٍ مُقســـــمة كـــــذاك أيامنـــــا ، يـــــا صـــــاحبي دول

لا ألفينّـــــك – بـــــين النـــــاس - مفتخـــــراً صُـــــنْ مـــــاء وجهـــــك ، أنـــــت اليـــــوم مبتـــــذل

تعيب كل الورى ، من غير ما سبب ... كأن عقلك - في التقييم - مختبل

الناسُ حمقى ، وأنت الشهم يا بطلاً! ... هوّنْ عليك ، ولا يلعبْ بك الأمل

وتنقدُ الكل مُستاءً لما اجترحوا ... تخال نفسك – فوق النقد – يا عَجل

تغتابُ جمهرة من بينهم بطراً ... وغِيبة الناس ليست طبعَ مَن عقلوا

وتكثِر اللوم والتأنيب مُشتهياً ... أقصرْ أخيّ ، فشيْبُ الرأس يشتعل

عَوارُك اليوم - في الأقوام - مُفتضحٌ ... مهما تواريت يحكي سوءَك الطلل

قم فاغسل النفس من سُوآى ضغينتها ... واسأل فؤادك: أين العيبُ والخلل؟

يا صاح عجّلْ ، فإن الموت منتبهٌ ... يهفو إليك ، وخطبُ المنتهى جلل

فابدأ بنفسك ، دع للغير عالمهم ... وزيّن القول ، لا يحلو لك الجدل

وهيِّئ النفسَ لاستقبال غايتها ... أنت اللبيبُ ، فجدّ السير يا بطل

هلا قرأت كتاب الله ممتثلاً؟ ... هلا امتثلت كذا ما قالت الرسل؟

إن الشريعة لم تتركْك دون هدىً ... بل حددتْ غاية المخلوق يا رجل

يا هاديَ الناس ، أنت اليوم مفتقرٌ ... إلى الهداية ، غاضت عندك العِلل

يراك كل الورى بالحق منطلِقاً ... تدعو الأنام ، وبالتوحيد تنفعل

أصبحت – من حبهم – بالرغم قدوتهم ... أنت الأصيلُ ، وأنت النورُ والمَثل

(ابدأ بنفسك) لا تغررْك قولتهم ... إن الستار - على الزلات - منسدل

تعلّم الصدق في سر وفي علن ... فالصدقُ مَنقبة بالبر تتصل

عليك بالنفس ، فاستكملْ محاسنها ... إن الجمال ببذل الخير يكتمل

والله ناصرُ مَن يحيا بشرعته ... كأنه بين قطعان الورى جبل

القصيدة الوعظية (مذنب)

(قليلون هؤلاء الذين يتقبلون النصيحة أسديت إليهم بأسلوب طيب أو غير طيب. والنصيحة وإن كانت مُرة المذاق ثقيلة اللفظ إلا إنها ذات منافع جمة وفوائد عظيمة للغاية. وعشت عمري ينصحني غيري فأتقبل (ولله الحمد). فإذا نصحتُ لم يقبل مني إلا القليل من الناس. فهل عدم قبول النصيحة عائد لثقل ألفاظها أو لمجافاة أسلوبها أحياناً؟ أم لأنها بطبيعتها ثقيلة على النفس؟ وهذا الاحتمال أو ذاك يتباين من إنسان إلى آخر. ومن هذا المنحنى ندرك ما يقرب وجهات النظر نسبياً من أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يتخول أصحابه الموعظة والنصيحة مخافة السآمة. إن الصاحب الناصح الأمين مَغنم لا يُقدّر ولا يُثمّن اليوم في خضم الانتفاع الخسيس وبيع الذمم البغيض الذي نعيش. إن أغلب العلاقات بين الناس اليوم تقوم بعيداً عن القيم. ولذلك فسرعان ما تتلاشى وتمضي إلى غير رجعة. وإذا بهذين الصديقين عدوَّان كأنْ لم تكن بينهما مودة ولا معرفة أبداً. وكنت أتحدث إلى أحدهم وقد وقع المتحدث إليه في ورطة ، ورحتُ أسأل: ما السبب؟ فأجبت متحدثاً إلى نفسي قائلاً: (فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير). ذلك القول الذي كانت أمنا أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – تقوله عندما يحزبها الأمر أو تكون عندها نازلة من النوازل ، وكان حَبر الأمة وترجمانها عبد الله بن عباس يقول كذلك: إني لأرى شؤم المعصية في دابتي! وإنما أردتُ أن أسرّي عن الذي أتحدث إليه وأراجعه وأواسيه. وما تطرّق إلى مخيلتي طرفة عين ولا أقل من ذلك أن يفهم الرجل أنني أشمت فيه! لكنه الشيطان حمّله هذه الكلمة بغير المعنى الذي أريد! وصدق الله: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم). والله المستعان. عموماً كان هذا حال السلف الكرام! قال الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ونسيه إلا بذنب. وقال مُرة الهمداني: رأيت على ظهر كف شريح قرحة ، فقلت: يا أبا أمية ، ما هذا؟ قال: هذا بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير. وقال ابن عون: إن محمد بن سيرين لمّا ركبه الدَيْن اغتم لذلك ، فقال: إني لأعرف هذا الغم! هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة. وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها ، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها. وكلام عكرمة هذا هو خلاصة سُنة المصائب: أنها إما بذنب فجاءت البلية لتكفره ، أو لأن الله يحب المرء فيريد رفع درجته عنده فيصيبه البلاء. ولكن لا ينزل البلاء كذلك بالصالحين الذين يريد الله أن يرفع درجاتهم إلا بسبب ذنوبهم وهفواتهم. وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذه السنة فتراهم يفسرون الأحداث من خلالها ، قال الحسن: دخلنا على عمران بن الحصين فقال رجل: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع! فقال عمران: يا أخي لا تفعل ، فو الله إني لأحب الوجع ، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله ، قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ، فهذا بما كسبت يدي ، وعفو ربي عما بقي أكثر. وقال أحمد بن أبي الحواري لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟ فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم ومعاصيهم. وهكذا كان أسلافنا يروْن في الابتلاء منفعة!)

تعاظمـــــتِ الـــــذنوب علـــــى فـــــؤادي ... فلـــــم يعـــــرفْ ســـــبيلاً للرشـــــادِ

ولـــــم أكُ - فـــــي الأنـــــام - بمســـــتريب ... ولكـــــنْ غفلـــــة غشـــــيتْ فـــــؤادي

وأطفـــــأتِ الســـــنا - فـــــي الـــــروح - دهـــــراً ... ونالـــــت مِـــــن يراعـــــي ومِـــــدادي

وأسـئلة تحيّرنـي كثيـراً ... لمـاذا جُـرحُ قلبـي فـي ازديـاد؟

لمـاذا تجـرحُ الأوهـامُ عمـري ... فـأهبط فـي سـراديب الرمـاد؟

لمـاذا الـذنب تلـو الـذنب عمـداً؟ ... أيلهـث عاقـلٌ خلـف الفسـاد؟

أمـن ذنـب إلـى ذنـب وذنـب؟ ... أينسـى مـؤمنٌ يـوم المعـاد؟

وأيـن ضـميرك اليقظـان؟ قـل لـي! ... أبيـعَ ضـميرُ مثلـك فـي المـزاد؟

أمـات العـزم فيـك فلـم تجالـدْ ... وصـرتَ اليـوم تحيـا فـي حِـداد؟

أتـاه الرشـدُ عنـك فلـم تحـاول؟ ... أأخطـأت الطريـقَ إلـى السـداد؟

أغـرّك حِلـم مـن خلـق البرايـا؟ ... تـذكّرْ أخـذ ديّـان العِبـاد!

ألا إن الـذنوب عليـك تتـرى ... فجاهـدْها بـألوان الجهـاد

وقـد كنـت الصـبور بـلا مثيـل ... فلـم يـكُ لاصـطبارك مِـن نفـاد

فـأين الصـبرُ ولـى والتصـدّي؟ ... لمـاذا تكتـوي بلظـى العـوادي؟

لمـاذا تشـتكي منـك الخطايـا ... وتشـكوك الحواضـر والبـوادي؟

وفـي ناديـك تغشـى كـل ذنـب ... وتجلـب كـل سـوءٍ للنـوادي

جـوادك فـي دروب الـزور يعـدو ... ويـدعو للخنـا كـل الجيـاد

ويسـعى النـاسُ للخيـر احتسـاباً ... وأمّـا أنـت سـاج كالجمـاد

ألسـت بمُـذنب؟ بـالله قلهـا! ... وذنبـك عـن تحـر واجتهـاد

غرقـت ببحـر ذنبـك دون وعـي ... وتشـكو – الآن – مـن ثقـل السُـهاد

بمـا كسـبتْ يـداك ، ولـيس إلا ... ويعفـو ربنـا عـن كـل عـاد

يمـينَ الله ، إن ترجـعْ فخيـرٌ ... وإلا فارتقـبْ يـوم التنـاد

أسمى آيات التهاني (قصيدة أعراس)

(إن المنشدين الإسلاميين على ثغر من ثغور الإسلام. ولا يجب أن يؤتى الإسلام من قِبلهم ، لأن الأمة كلها تتطلع إليهم وترتقب فيهم الآمال المنشودة. وإنني أحيي من أعماق قلبي كل عروس مسلم موحد وكل عروس مسلمة موحدة ، إذ آثرا مرضاة الله – سبحانه وتعالى – ولم يرضخا للفقه الجاهلي المعاصر بعُهره وخروجه السافر على الشريعة المطهرة السمحاء. إن الواحد منهما يجاهد في سبيل الله بإعلان التوحيد في قطعان المجاهرين بالمعاصي والموبقات ، ويجهر بالحق في دنيا الباطل ، ويُشهر سيف الحنيفية السمحة في وجوه أهل الجاهلية المعاصرين. إن كل عروس قصر ماله على إقامة الشرع سيبارك الله له في نفسه وأهله وماله وعروسه وولده. إن أهل الجاهلية في عِزة بالجاهلية اليوم ، وعما قريب سيعضون أصابع الندم ، ولات ساعة مندم! (يا قوم لكمُ الملك اليوم ظاهرين في الأرض). ويوم أن يعلوَ الإسلام عقيدة وشريعة ، مصحفاً وسيفاً ، قيادة وعبادة ، أقوالاً وأفعالاً ، سنرى أين هؤلاء يوم تزول الغربة الجاثمة على صدور المؤمنين من مئات السنين؟! ولقد أثر في نفسي أحد أناشيد الأفراح الإيمانية الطاهرة ، وكم أثلج صدري نبرة الأداء الرقيق وعذوبة اللفظ الشفيق ، فأخذت أردد اللفظ واللحن ، ونسجت على ذات البحر والروي والقافية قصيدة أشارك بها في البديل الإيماني الحاني في هجير الجاهلية اللافح. فإن ير القارئ أني أفلحت ، فمن فضل الله تعالى ، وإن ير غير ذلك وأني أخفقت ، فلي شرف المحاولة. هذا ، وإنني لأقدم أسمى التهاني لكل عروس مسلمة آثرت حياض التوحيد على مستنقعات الجاهلية. ولله الحمد أولاً وآخراً ، وأنتهز الفرصة وأدعو لكل عروس بقولي: بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينك وبين زوجك في خير. ومن هنا وجب علينا أن نفوّت الفرصة على أعدائنا الذين حولوا أفراح المؤمنين وأعراسهم إلى مواخير فساد ورقص وغناء وعُهر ورذيلة! والناظر لأعراسنا وأعراس أعدائنا يدرك أن الفرق ليس بكبير! ذلك الفرق الذي كان ينبغي أن يكون أكبر مما بين السماوات والأرض من البُعد! والحمد لله على نعمة الإسلام ، وكفى بها نعمة! يقول أستاذنا محمد الخضر حسين: (إن الأمة تجتاز اليوم مرحلة من أدق مراحلها في تاريخ نضالها العنيف ، هي مرحلة تقرير المصير ، وهذه المرحلة ـ بما لها من الخطر والأثر في مستقبل الأمة وحاضرها ـ تقتضي منَّا أن نتيقظ لكل ما يراد بنا ، سواء من العدو الغاصب ، أو من أعوانه ، وأن نحذر دعاة الفتنة والذين يعملون على إشاعتها بين طبقات الأمة ، ولنعلم أن هؤلاء وأولئك يستهدفون غرضاً واحداً ، ويعملون لغاية واحدة ، هي تمزيق الشمل ، وتشتيت الجمع ، وتفريق الكلمة ، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها ، فإذا ما تحققت غايتهم فإن الفتنة تصيب الأمة بأسرها).هـ. ألا وإن الشكر موصول للمنشد الكبير محمد بن رشيد المساعد ، حيث يرجع الفضل إليه بعد الله تعالى في انفعالي بالنشيد والشروع في معارضته بما فتح الله تعالى عليّ به!)

يـــــــا عروســـــــا صـــــــدقيني أنـــــــت إشـــــــراقُ المَعـــــــالي

أنـــــــت نـــــــورٌ فـــــــي الـــــــدياجي أنـــــــت فحـــــــوى الاحتفـــــــال

أنـــــــت عِـــــــزٌ لا يُبـــــــارَى أنـــــــت يـــــــاقوتُ الوصـــــــال

أنـــــــت فـــــــي العُـــــــرس بهـــــــاءٌ جَـــــــلّ عـــــــن أي مثـــــــال

أنـــــــــتِ عطـــــــــرٌ يحتوينـــــــــا ... أنـــــــــتِ مِصـــــــــباحُ الجمـــــــــال

زادكِ الإيمـــــــــــانُ حُســـــــــــناً ... يتهـــــــــــادى فـــــــــــي دلال

إن تقـــــــــــوى الله زيـــــــــــنٌ ... بـــــــل ، ومـــــــن أســـــــمى الخِـــــــلال

قـــــــد أتينـــــــا العُـــــــرسَ نســـــــعى ... فـــــــي احتـــــــرام وابتهـــــــال

نســـــــبق الســـــــيرَ إلـــــــيكم ... فـــــــي لحَيْظـــــــاتٍ عِجـــــــال

دعـــــــــــوة أعلنتموهـــــــــــا ... رايـــــــة الشـــــــرع الحـــــــلال

فأجبنـــــــــا مـــــــــا طلبـــــــــتم ... قبـــــــل إتيـــــــان الـــــــزوال

نرفـــــــــعُ الصـــــــــدقَ شـــــــــعاراً ... شـــــــــامخاً ، مثـــــــــلَ الجبـــــــــال

وعلينـــــــــا العـــــــــز تـــــــــاجٌ ... عـــــــــاطرٌ صـــــــــعبُ المنـــــــــال

إنكـــــــــــم أكرمتمونـــــــــــا ... إن ذا خيـــــــــــر الفِعـــــــــــال

ورفعـــــــــتم مُرتقانـــــــــا ... دونمـــــــــا أدنـــــــــى ابتـــــــــذال

فشـــــــــعَرْنا بارتيـــــــــاح ... دونمـــــــــا أي انفعـــــــــال

عرسُـــــــــكم – بـــــــــالله - نـــــــــورٌ ... وبشـــــــــاراتُ كمـــــــــال

واحتـــــــــرامٌ واحتشـــــــــامٌ ... وعلامـــــــــاتُ جـــــــــلال

مـــــــا رأينـــــــا فيـــــــه فحشـــــــاً! ... مـــــــا ســـــــمعنا مـــــــن ضـــــــلال!

إنمـــــــا تقـــــــوى وهـــــــدْيٌ ... ورفيعـــــــاتُ خِصـــــــال

بـــــــاركِ اللهـــــــم فـــــــيهم ... مِـــــــن نســـــــاءٍ ورجـــــــال

وامـــــــلأ البلـــــــدان مـــــــنهم ... ثـــــــم بـــــــاركْ فـــــــي العِيـــــــال

ليت لي!

(إن أول ما تنشئه العقيدة التوحيدية الحقة السمحاء في نفس صاحبها التحرر من الخوف وتركيبته! فلا يخاف صاحب العقيدة الإسلامية السمحاء النقية البهية من المجهول ، ولا من ذوي البأس والجبروت من الجبابرة العُتاة وجلاوذتهم ، ولا من المتكبرين في الأرض بغير الحق ، ولا يخاف من الفرعنة ولا من الكهانة ولا من الشعوذة ، ولا يخاف من العرافين ولا الدجالين ولا المشعوذين ولا الحُواة المارقين ولا السحرة ولا الكفرة الفجرة ، مهما كانت مواقعهم ومهما كان بأسهم. إن صاحب العقيدة الحقة يستهين بالباطل وأهله ، ويضرب بكل العلائق عُرض الحائط. (أعني العلائق المنفصلة الصلة عن لا إله إلا الله). ويضع تحت قدميه كل تقاليد وعادات وأعراف وأذواق وقيم وموازين ومعايير ومقاييس الجاهلية. ويسود شعارٌ واحد: (إليك عني يا أبتاه ، إليك عني يا أماه ، إليك عني يا أخي ، إليك عني يا أختاه: فرّق بيني وبينكم جميعاً دينُ محمد – صلى الله عليه وسلم -). إنه عندما يبصر الإنسان بقلب في البلاء ثابت ، وفي الرزايا صلب جلمود ، وفي المحن صخرة تواجه الجاهلية والطاغوت ، فإنه يغبط صاحب هذا القلب على صلابته وثباته ، ويتمنى مثل ذلك القلب لو كان يحيا به ، وإنني لأهدي أبياتي هذي للغلام المؤمن الذي واجه السحر والطغيان ، وآثر نار الطاغوت ورآها أهونَ بما لا يوصف من نار الله تبارك وتعالى ، وأتى ذكره في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في صحيح مسلم من حديث صهيب – رضي الله تعالى عنه – في قصة الغلام المؤمن وأصحاب الأخدود ، والذي تحيّر بين ما يقوله العابد العالم والذي يقوله الساحر المشرك ، وعبر خيوط الحيرة وغياهب الاضطراب كان الإيمان يولد في قلب الغلام ، وليت لي ولكل مسلم اليوم مثل قلب ذلك الغلام وإبائه وعزيمته وإيمانه! ويتساءل الدكتور الحوالي ويجيب فيقول: (إنّ الشيطان إذا جاء ، وقال لصاحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إذا كان الأمر كذلك ، فانسحبْ من هذا الميدان ، فماذا يكون الحال؟ وهل هذا حل؟ لا. هذا ليس حلاً ، فهنا الخطر ، وهنا تكون الفتنة لأهل الشر والفسق والفجور ، وما أجرأهم على ارتكاب المحرمات! إن هذا الإنسان يأثم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ لأنه آثر الراحة وآثر السلامة ؛ أي أنه باختصار لم ينجحْ في الابتلاء ، والله تعالى يقول: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) أي: أنه لا بد من الفتنة ، ولا بد من الابتلاء ، فهذه سُنة ربانية! حتى قال بعض العلماء: "إن من لم يؤذَ ويبتلَ ويتحمل الأذى ، فإن إيمانه لا يُعد إيماناً في الحقيقة". فإذا حصل الابتلاء ؛ فهنا يكون المحك الحقيقي للإيمان ، إما أن يصبر فيرتقى إيمانه ، ويكون مؤمناً حقاً على تفاوت في الدرجات بين المؤمنين ؛ وإما أن يخفق في الابتلاء ، فيفقد إيمانه وكفى به حرماناً).هـ. وإذن فالابتلاء سُنة ربانية لا تتبدل ولا تتخلف! والفتنة تنفي خبثها ، كما ينفي الكِيرُ خبث الحديد! وهي مأخوذة من فتنة الذهب عندما يصهره الصائغ لتتبخر شوائبُه التي علقتْ فيه وليست من جنسه! ونسأل الله تعالى الثبات!)

(ليـــت لـــي) قلبـــاً بـــه عِـــز الشـــريعة واعتـــزاز الـــروح بـــالنفس القنوعـــة

وإبـــاءَ الحـــق فـــي ذاتـــي وقـــومي وســـموَّ العـــزم فـــي كـــل وجيعـــة

وامتثـــالَ الهَـــدي إن غيـــري تعـــامي واجتنـــابَ الزيـــف – دومـــاً - والخديعـــة

يـــا غلامـــاً – فـــي ظـــلال الشـــرع - يحيـــا أمَّـــة أصـــبحتَ ، بـــل أزكـــى طليعـــة

تنشـــر التوحيـــد – فـــي الخلـــق – رضـــياً! تطفـــئ الشـــبهة فـــي كـــل ذريعـــة!

وتريـــــد القـــــوم – لله - عِبـــــاداً تبتنـــــي - للحـــــق - أســـــواراً منيعـــــة

عشـــتَ – للحـــق – وحيـــداً لا يُبـــالي ولـــك الإيثـــارُ والتقـــوى طبيعـــة

قلـــتَ: يـــا رب اكفنـــيهم ، فأبيـــدوا دعـــوة ذي - عنـــد مولانـــا - وديعـــة

يـــا غلامـــاً قـــد دعـــا النـــاس بصـــدق لـــم يُمـــوّه بالتعـــابير الضـــليعة

أعلـــمَ النـــاسَ صـــراط الله حقـــاً ثـــم أفضـــى بتعـــاليم الشـــريعة

إنـــه لـــم يرتـــزقْ بالهـــدي ، كـــلا بـــل أبـــان الـــدينَ فـــي الـــدار الصـــريعة

إنـــه - بـــالروح - ضـــحّى والحنايـــا ذبـــحَ الشـــركَ ، وأودى بالخنوعـــة

حطـــم الطـــاغوت - بـــين النـــاس - فعـــلاً وأبـــادَ الـــزورَ ، واجتـــث الوقيعـــة

جـــددَ الـــدينَ ، وضـــحّى بصـــباهُ شـــامخاً ، قـــد ودّع الـــدنيا المُريعـــة

(ليـــت لـــي) قلبـــاً كقلـــب الشـــبل هـــذا إن نفســـي - مـــن أســـى - قلبـــي صـــريعة

ضـــرب الـــذلُ عليهـــا ، فاســـتكانت تركتْهـــا فـــي مآســـيها اليُنوعـــة

فـــإذا بـــالنفس فـــي التيـــه رُكـــامٌ تشـــرب النفـــيَ ، وترضـــى بالقطيعـــة

يـــا فـــؤادي ، إنمـــا النـــورُ سيســـري لا تغرنْـــك المتاهـــاتُ الوســـيعة

إنمـــا الإيمـــان فـــي القلـــب منـــارٌ وكـــذا الـــنفسُ لمولاهـــا مُطيعـــة

عنـــدما الأخـــدودُ – فـــي الأرض - تلظـــى أنطـــق الله – لـــدى النـــار - الرضـــيعة

مثلمـــا ضـــحّت تمثـــلْ يـــا فـــؤادي يغفـــر الـــذنب ، وتجتـــث الفجيعـــة

بلادي بلادي

(ما منا أحد إلا وهو متعلق بمكان نما وترعرع فيه ، وأكل من رزق الله فيه وشرب. وهذا هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يضرب أروع الأمثلة في المعنى الذي ذكرت. فعندما أخرج من مكة كرمها الله (ولم تكن يوم إخراجه داراً للإسلام بعد) ، وبارحها طريداً شريداً خائفاً يترقب. قال كلمته الشهيرة الجهيرة: (إنك لأحب بلاد الله إلى قلبي ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت)! وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى تعلق النبي – صلى الله عليه وسلم – بمكة. وإلا فلماذا يخاطبها بهذه الكلمات الغالية الرقيقة الشاعرية؟ وطبعاً هذا أقرره على فرض صحة الحديث! واليوم كل إنسان يرى بلده (أم الدنيا) ، وتظل الأنظمة تضخم شأن الطين في نفوس الناشئة والعامة سواء في مناهج التعليم أو في الفقرات الإعلامية المختلفة من مسلسلات ومسرحيات وتمثيليات ونشرات وإعلانات إذاعية أو مرئية. وأما أنا فأنشدت في حب بلدي هذه القصيدة ، وقديماً كان يعجبني نشيد بلادي ، فلما يفعت وحررني ربي من عبادة الأرض إلى عبادة رب السماوات والأرض! ومن هنا ترسخ عندي هذا النشيد بكلماته وفقراته على طولها. وأبكي فيها الغربة وأدعو أن يبعث الله لهذه الأمة من يجمعها على الحق ، ويجمع الله به شتات الطائفة المنصورة. قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: [مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خيرٌ أم آخره]. رواه الترمذي وقال الحافظ حديث حسن. ويعلق الشيخ محمد المنجد على هذا الحديث بقوله: (الخير باقٍ في هذه الأمة ، كما كان من أولها ، فكما أن الدين كان محتاجاً إلى أول هذه الأمة لإبلاغه ، وكذلك هو محتاجٌ إلى القائمين به في آخر هذه الأمة ، والفضل للمتقدم قطعاً ، كما أن الزرع محتاجٌ إلى المطر الأول ، وإلى المطر الثاني ، ولكنَّ احتياجه إلى الأول آكد ، فإنه لولاه ما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها. قال شيخ الإسلام: ومعنى الحديث أنه يكون في آخر الأمة من يقارب أولهم في الفضل ، وإن لم يكن منهم ، حتى يشتبه على الناظر أيهما أفضل ، وذلك لأنه قال: لا يدرى أوله خيرٌ أم آخره. حتى يشتبه على الناظر أيهما ، وذلك لأنه قال: لا يدرى أوله خيرٌ أم آخره. ومن المعلوم أن الله يعلم ، أيهما خير ، وهذا فيه بشارةٌ عظيمةٌ لنا ، بأن الخير موجودٌ في هذه الأمة ، إلى قيام الساعة ، ألا ترى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم رحمه الله: [لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله فيهم وهم كذلك]. فهذه الطائفة المنصورة باقية إلى قيام الساعة ، تنافح عن دين الأمة ، تنافح عن عقيدة هذه الأمة ، تنافح عن شريعتها ، وعن أحكام ربها ، وعن مقدساتها ، بالسنان واللسان! لا يضرهم من خالفهم ، حتى تقوم الساعة. قال النووي رحمه الله: إنه لا يلزم من هذه الطائفة أن تكون واحدة أو أن يكون واحداً قائماً بجميع الدين ، بل يمكن أن تكون الطائفة جماعةً متعددةً من أنواع المؤمنين ، ما بين شجاعٍ وبصيرٍ بالحرب وفقيهٍ ومحدثٍ ومفسرٍ وقائمٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزاهدٍ وعابد ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلدٍ واحد).هـ. وأسأل الله لبلادي العزة والفخار والنصر المبين والتكين الرصين في ظل الإسلام! كما أسأله بأن تكون موئلاً للمؤمنين وذخراً!)

ألا يـــــا بـــــلادي اهنئـــــي واســـــلمي ســـــيفديك ـ عنـــــد الـــــدواهي ـ دمـــــي

وعهـــــــداً سأمضـــــــي إلـــــــى الله لا أخـــــاف الـــــورى ، أو أغطـــــي فمـــــي

فمـــــا الزيـــــف بعـــــد الـــــذي لـــــي بـــــدا وليســـــــت مـــــــدائننا تنتمـــــــي

وســـــيفي جـــــلا النـــــوم عـــــن غمـــــده ... ومـــــا عـــــاد بـــــالمفتري يحتمـــــي

ومـــــن أي شـــــئ يكـــــون الحيـــــا ... أيـــــا ســـــيف قـــــل لـــــي ، ولا تنـــــدم

ورب الـــــورى لـــــن أكـــــون الـــــذي ... يبيـــــع الفـــــراديس بالأعـــــدم

فلســـــتُ الـــــذي يعتريـــــه الهـــــوى ... ولا يخـــــدَعَنّي ســـــنا الأنجُـــــم

ولســـــتُ الـــــذي يرعـــــوي للخنـــــا ... ومـــــا كنـــــتُ يومـــــاً لـــــه أرتمـــــي

ولـــــو قلـــــتُ آهٍ فلـــــي إخـــــوة ... لنـــــا الله إنـــــا بـــــه نســـــتمي

****

ومهمـــــا أرانـــــي غريـــــبَ الحِمـــــى ... فيومـــــاً تُـــــرى دعـــــوتي فـــــي العـــــلاءْ

أتـــــى الـــــدينُ - فـــــي غربـــــةٍ - والهُـــــدى ... ويمضـــــي غريبـــــاً ورب الســـــماء

ومهمـــــا ضـــــللتم أيـــــا قومنـــــا ... فلـــــيس يُضـــــير التقـــــى الانـــــزواء

ومهمـــــا عبـــــدتم هنـــــا مـــــن هـــــوىً ... فيومـــــاً يمـــــوت الهـــــوى والعَـــــداء

فيـــــا قـــــوم لا تعبـــــدوا مـــــن إذا ... تنـــــادون لـــــيس يلبـــــي النـــــداء

وأعـــــرافكم هـــــذه يـــــا تـــــرى ... تعيـــــد الجمـــــال وتعلـــــي البنـــــاء؟

أم الجهـــــل حلـــــى لكـــــم صُـــــنعكم؟ ... وتفنـــــي الجهـــــالاتُ صـــــرحَ الـــــولاء

جهلـــــتم ، وضـــــيعتمُ هـــــديكم ... ومـــــزقتمُ بـــــالجحود اللـــــواء

وضـــــللتمونا بتهـــــويلكم ... وأفقـــــدتمونا أريـــــج النمـــــاء

وأغمضـــــتمُ الطـــــرف يـــــا قـــــوم عـــــن ... جهـــــاد ، وخِفـــــتم وقـــــوعَ الـــــبلاء

وأغضـــــبتمُ كـــــل مـــــن جاهـــــدوا ... فأرضـــــيتموهم بـــــبعض الحُـــــداء

وأشـــــجاكمُ عـــــاركم واللظـــــى ... فكيـــــف التمنـــــي؟ وكيـــــف الرجـــــاء؟

عبـــــدتم تقاليـــــدكم والهـــــوى ... وأســـــلمتمُ ديـــــنكم للغثـــــاء

****

ومـــــن أخلصـــــوا ناشـــــدوا فـــــي الـــــورى ... جهـــــــاداً ، فهـــــــاج ومـــــــاج الهبـــــــاء

****

وقـــــدسُ الهُـــــدى كـــــم رجـــــتْ فـــــي البطـــــاحْ ... رجـــــــالاً وعونـــــــاً وبعـــــــض الســـــــلاحْ!

وطِبـــــــاً ومـــــــالاً وجنـــــــداً تـــــــذودْ ... ولكـــــــنْ تعـــــــامَوْا لهيـــــــب الصـــــــياح

وقـــــــالوا: ســـــــندعو لهـــــــا جهـــــــدنا ... ونســـــــتنكر الإحـــــــتلال الصـــــــراح

فهـــــل ينصـــــر الله مـــــن قـــــد بغـــــى ... وأطلـــــــق ـ للموبقـــــــات ـ الســـــــراح؟!

وشـــــتان بـــــين الهُـــــدى والهـــــوى! ... وشـــــتان بـــــين النمـــــا والجـــــراح!

ومـــــــادام تخشَـــــــوْن أعـــــــداءكم ... ومـــــــادام تـــــــزوى معـــــــاني الكفـــــــاح

ومـــــــادام فـــــــي الهـــــــزل مجهـــــــودُكم ... ومـــــــادام عهـــــــرٌ ودُعـــــــرٌ وراح

ومـــــــادام ظلـــــــمٌ يُغشـــــــي الـــــــدنا ... فحتمـــــــاً يســـــــود الضـــــــلال البـــــــواح

وحتمـــــــاً يكـــــــون التـــــــردي هنـــــــا ... وحتمـــــــاً تســـــــود الخطـــــــوبُ الصـــــــحاح

سُـــــعار الغـــــواني بـــــدار الشـــــقا ... وأخلاقكـــــم فـــــي مهـــــب الريـــــاح

تعـــــادون بـــــالفن رب الســـــما ... وكـــــل الحـــــرام لكـــــم مســـــتباح

وســـــادت بـــــذلك أمراضـــــكم ... فقلـــــتم نجـــــدّد فـــــي الانفتـــــاح

وفِتيـــــانكم فـــــي هجيـــــر الخنـــــا ... وقـــــد تشـــــربون الغـــــرام القـــــراح

وكـــــبشُ الجريمـــــة مـــــن قـــــال لا! ... ومـــــن قـــــال: إي فنـــــراه اســـــتراح!

يـــــرى فـــــي الســـــقوط العُـــــلا والتقـــــى ... تـــــردّى وجـــــافى مِهـــــاد الصـــــلاح

شـــــبابٌ تغـــــذى بإفلاســـــهم ... بخمـــــر وهـــــزل وغِيـــــدٍ مِـــــلاح

إذا جفـــــتِ الكـــــأسُ صـــــبّ الأســـــى ... وحتـــــى خيـــــوط انـــــبلاج الصـــــباح

مـــــع الـــــدعر والفســـــق بعـــــد الغِنـــــا ... كـــــأني بـــــه قـــــد أحـــــب النـــــواح

ولـــــيس الـــــذي يأخـــــذ الـــــدرس مـــــن ... متاهـــــات لهـــــو تعـــــوق النجـــــاح

ولكنـــــــه قـــــــد أضـــــــاع العُـــــــرى ... وأودى بمـــــــا يرتجيـــــــه الكُســـــــاح

وزالـــــــت بطولاتـــــــه ، وانمحـــــــتْ ... مروءاتـــــــه فـــــــي الـــــــدجى بارتيـــــــاح

ونـــــــاح الهـــــــزالُ علـــــــى عزمـــــــه ... وأيـــــــد كـــــــل ضـــــــلال متـــــــاح

****

****

بـــــلادي أيـــــا طفلـــــة فـــــي العُبـــــاب ... تحـــــاول أن تتخطـــــى الصـــــعابْ

أيـــــا طفلتـــــي قـــــد طوينـــــا الكـــــرى ... أبـــــوك هنـــــا كـــــان لا ، لا يهـــــاب

وداري لمـــــا نـــــالني تشـــــتكي ... وأهـــــل الوفـــــاء نـــــأوْا فـــــي الحجـــــاب

تـــــوارَوْا جميعـــــاً بوديـــــانهم ... وقـــــالوا: كفانـــــا حـــــروب الخـــــراب

وطفلـــــي علـــــى راحتـــــي صـــــامتٌ ... يبيـــــتُ الليـــــاليْ بـــــوهم الســـــراب

ويطـــــوي هنـــــا المـــــوتُ آهاتنـــــا ... وجـــــبن البطـــــولات خلـــــف الســـــحاب

ويهتـــــز صـــــوتي بعـــــذب الـــــدعا ... أحـــــار المحاريـــــبَ فصـــــلُ الخطـــــاب

ويعلـــــو الصـــــراخ الـــــذي نـــــاره ... شـــــكتْ ، وانضـــــوى وهْجهـــــا فـــــي الضـــــباب

وهـــــزتْ كيـــــاني أناشـــــيده ... أيهـــــذي؟ أيطـــــوى هنـــــا فـــــي اغتـــــراب؟

أنـــــين الثكـــــالى بـــــرى أعظمـــــي ... وغشـــــى ضـــــميري دمـــــارُ الشـــــباب

ضـــــياع النبـــــالات أجـــــرى دمـــــي ... وأضـــــنى شـــــعوري غيـــــاب الجـــــواب

جـــــواب الســـــؤال الـــــذي فـــــي فمـــــي ... أيـــــروى الشـــــباب بكـــــأس العـــــذاب؟

شـــــباب الأغـــــاني أيعلـــــو إذن؟ ... أيبـــــرأ مـــــن أمســـــياتٍ عـــــذاب؟

شـــــبابٌ يـــــرى فـــــي الفســـــوق العـــــلا ... أيســـــمو كـــــذا مـــــن يُجيـــــد الســـــباب؟

شـــــبابٌ بأميّـــــةٍ يهتـــــدي! ... شـــــبابٌ تـــــردى بهجـــــر الكتـــــاب

بإفلاســـــــه ضـــــــاع فـــــــي أهلـــــــه وغاصـــــت بـــــه ـ فـــي الجحـــود ـ الشـــعاب

ومـــــا عـــــاد يـــــدري الهُـــــدى المرتجـــــى وللـــــــــدنيويات قـــــــاد انقـــــــلاب

****

أيـــــا صـــــحبتي خبـــــت مـــــن خاويـــــة وقـــــد ســـــادتِ الأنفـــــسُ الطاغيـــــة

وباتـــــت ســـــيوف الـــــردى تجتنـــــي رقـــــاب الـــــورى باليـــــد اللاهيـــــة

وظلـــــت يهـــــود لهـــــا ترتجـــــي فباتـــــت وهـــــاد العِـــــدا داميـــــة

وإن ترتضـــــوا الـــــذل لـــــن تفلحـــــوا وأفكـــــاركم هـــــذه خاويـــــة

وإن تقبلـــــوا العـــــار لـــــن تنصـــــروا وروحـــــي لأفكـــــاركم قاليـــــة

ولســـــتم رفـــــاقي إذا هنـــــتمُ ونفســـــي ســـــتغدو بكـــــم باليـــــة

فمـــــا قيمـــــة العـــــيش فـــــي ذلـــــةٍ؟ وتســـــمو بنـــــا الـــــروح لـــــو ســـــامية

ومـــــا المـــــوت إلا كتـــــابٌ علـــــى جميـــــع الـــــورى ، ولـــــه غاشـــــية

وتـــــدري فنـــــاءَ النفـــــوس الـــــورى وتعـــــرف دنياهـــــا الفانيـــــة

وكيـــــف احتـــــواء القلـــــوب الصـــــفا وعـــــن كـــــل رجـــــس هـــــي الواعيـــــة؟

وتصـــــغي إلـــــى الـــــزور أرواحكـــــم وفـــــي الـــــران أكبـــــادُكم واهيـــــة

****

ألا يـــــا فتـــــاتي ســـــئمتُ الخـــــداعْ ومـــــن أجـــــل هـــــديي هجـــــرتُ الضِـــــياعْ

وحبـــــي لربـــــي أحـــــال الـــــدجى ضـــــياء تجلـــــى يفـــــوق الخـــــداع

وعشـــــق العـــــذارى يُميـــــت النهـــــى إذا المـــــرء أعمـــــاه زيـــــف القنـــــاع

وحـــــب تخطـــــى حـــــدود الهـــــدى أودّعـــــه ، ذاك أحلـــــى وداع

فسُـــــحقاً لحـــــب يُميـــــت الحيـــــا يُـــــذيق النفـــــوس العمـــــى والضـــــياع

وصـــــمتُ العمـــــى صـــــاح فـــــي مهجتـــــي ... أمـــــا زلـــــت تهـــــذي بهـــــذي القِـــــلاع؟

أترضـــــــى نقيـــــــع المخـــــــازي بهـــــــا ... وحـــــــرب المليـــــــك بغيـــــــر التيـــــــاع؟

وتحيـــــــــا بعشـــــــــق لمحبوبـــــــــة ... تبيـــــــع الـــــــذي قـــــــط لـــــــيس يُبـــــــاع

تبيـــــــــع الضـــــــــمير وإخلاصـــــــــها ... وتشـــــــري بـــــــه بعـــــــض سِـــــــقط المتـــــــاع

وتـــــــأتي تمـــــــاري أيـــــــا مـــــــن غـــــــوى ... وســـــــرعان مـــــــا يعتريـــــــك النـــــــزاع

يمينـــــــاً ســـــــيُرديك مـــــــا تـــــــدّعي ... ويـــــــذبلُ فـــــــي شـــــــفتيك الشـــــــعاع

****

أيـــــــا قومنـــــــا كفكفـــــــوا دمعكـــــــم ... وقومـــــوا انظـــــروا فـــــي الـــــورى شـــــأنكم

وكفـــــوا عـــــن الغـــــي ، عـــــن هـــــزلكم ... وعـــــن الاحتفـــــالات ، عـــــن زيفكـــــم

وتوبـــــــوا إلـــــــى الله لا تهزمـــــــوا ... كفـــــى مـــــا مضـــــى ، راجعـــــوا ســـــيركم

فحـــــب الطواغيـــــت شـــــج العُـــــرَى! ... عـــــن التيـــــه كفـــــوا ، وعـــــن يأســـــكم

إذا الغـــــرب قـــــال ســـــمعتم ، ولـــــو ... تردونـــــه يـــــكُ خيـــــراً لكـــــم

ألا صـــــدقوني سيمضـــــي الرخـــــا ... ويومـــــاً يمـــــوت صـــــدى جُبـــــنكم

فـــــلا تســـــتكينوا لمـــــا نـــــالكم ... وإن تســـــتجيبوا فـــــذا نصـــــركم

****

ألا يـــــا ديـــــار الأســـــى والإحـــــنْ ... ويـــــا موئـــــل الصـــــامد الممـــــتحنْ

فـــــدا الهَـــــدْي روحـــــي وأرضـــــي إذن! ... وأهلـــــي ومـــــالي أقـــــلُ ثمـــــن

وأســـــعى بصـــــيراً إلـــــى غايـــــةٍ! ... لآخـــــرةٍ لـــــيس فيهـــــا محـــــن

وأخـــــزى جبينـــــي هنـــــا عثرتـــــي ... وتعطيـــــل شـــــرعي يزيـــــد الشـــــجن

وبـــــالأمس كانـــــت لنـــــا صـــــولة ... وبـــــأسٌ يُـــــزيّن أغلـــــى وطـــــن

فهـــــلا أعـــــدنا عتيـــــق العُـــــرَى؟ وهـــــلا اســـــتعدنا رطيـــــب المِـــــنن؟

ألا إننـــــا اليـــــوم فـــــي ذلـــــةٍ وداري علـــــى الجـــــرح هـــــذا تـــــئن

ألا يـــــا بـــــلادي اصـــــمدي ، واصـــــبري فلســـــنا ننـــــال العُـــــلا بـــــالتمن!

ولكـــــنْ بنصـــــر مجيـــــد اللـــــوا مـــــن الله يـــــأتي إلـــــى المطمـــــئن

ويُهـــــزم حقـــــاً مَـــــن غـــــاص فـــــي متاهـــــات قفـــــر عقـــــيم عفـــــن

لـــــكِ الله أرضـــــي ودينـــــي كـــــذا إذا المخلصـــــون انتهـــــوْا للفـــــتن

وعـــــاش الجميـــــعُ دُجـــــى فتنـــــةٍ ودكّ العُـــــرَى مِنجنيـــــقُ الـــــوَهَن

****

****

بـــــلادي وصـــــمت العقابيـــــل فـــــي دروبـــــي تخطـــــى حـــــدود الأدبْ

علـــــى دارنـــــا راح يبكـــــي الصـــــدى ويفنـــــي بهـــــول قـــــلاع الأرب

ولكـــــن فِـــــراري إلـــــى أيـــــن هـــــو؟ ومـــــا عـــــاد تجـــــدي ريـــــاضُ الكتـــــب

فكيـــــف احتمـــــالي وقـــــوع الأســـــى وهـــــدم الـــــديار وهتـــــك الحجـــــب؟

وكيـــــف اصـــــطباري علـــــى مـــــن بغـــــى؟ وإن التقـــــيَ هنـــــا يغتـــــرب

وفـــــيض الـــــدموع التـــــي شـــــاركت فـــــؤادي الهمـــــوم بـــــه يلتهـــــب

وأبكـــــي المُسَـــــجّى فـــــؤادي الـــــذي علـــــى المخلصـــــين انكـــــوى وانشـــــعب

وقـــــد أصـــــبحوا فِرَقـــــاً كلهـــــم وفـــــي جهـــــرةٍ باعـــــدوا المُقتـــــرب

كمـــــا فرّطـــــوا قبـــــلُ فـــــي دارهـــــم وقـــــالوا لنـــــا: إن هـــــذا كُتِـــــب!

ولـــــم يكتفـــــوا بالـــــذي قـــــد أتـــــوْا ويـــــأنفُ مـــــا فعلـــــوه العـــــرب

وبـــــاتوا ليوثـــــاً علـــــى بعضـــــهم إلـــــى أن نمـــــا أفعـــــوانُ العطـــــب

وبـــــث الســـــموم التـــــي عنـــــده وأضـــــحى الجميـــــعُ بهـــــا يســـــتطب

وضـــــــاعت بهـــــم هكـــــذا دارهـــــم ... وعمّـــــــت بقـــــاعَ الـــــديار الكُـــــرب

****

بـــــــلادي بـــــــلادي ارقبـــــي نصـــــرتكْ ... ستمضـــــــي الزحـــــوف التـــــي تعتـــــركْ

ويمضـــــي كـــــذا كـــــل زيـــــف بـــــدا ... ويقـــــوى هنـــــا الواجـــــفُ المرتبـــــك

إذا كـــــــان بـــــــالحق مستمســـــــكاً ... يُقـــــيم العقيـــــدة ، ثـــــم النســـــك

ويمتـــــد إســـــلامنا فـــــي الـــــورى ... ويلتـــــفُ زحـــــفٌ بنـــــا يشـــــترك

يُعيـــــد الســـــلام الـــــذي قـــــد مضـــــى ... ويغـــــدو إلـــــى النصـــــر لا يرتبـــــك

ورب البرايـــــــا يـــــــرى ســـــــعينا ... إليـــــه اتجهنـــــا بـــــأرض تبـــــك

لنـــــا شـــــرعة نبتغيهـــــا هنـــــا ... مـــــن الأرض تعلـــــو لـــــذات الحُبُـــــك

أنـــــادي بصـــــوتٍ عـــــلا أبشـــــري ... أيـــــا شـــــرعتي قـــــد دنـــــا موعـــــدُك

فهـــــذي الجيـــــوش التـــــي جُهـــــزتْ ... تحـــــبُ الـــــردى ، تبتغـــــي رفعتـــــك

****

وعـــــودٌ كحفـــــر برمـــــل مَهـــــينْ ... فكـــــل المخـــــازي هنـــــا تســـــتبينْ

سنمضـــــي ، ســـــنغدو ، ولا خطـــــوة ... كـــــأن المُضـــــي انتهـــــى والقـــــرين!

ســـــنزجي الصـــــفوف التـــــي حطمـــــتْ ... نفايـــــاتكم – تلـــــك – يـــــا عـــــابثين!

وأوضـــــاعُكم هـــــذه لـــــن تـــــرى ... وبعـــــد الرزايـــــا يكـــــون الحنـــــين

****

ألا إننـــــا نبتغـــــي الكـــــوثرا ... وغيـــــرَ الهدايـــــة لســـــنا نـــــرى

نتـــــوق إلـــــى الحـــــق فـــــي عـــــزةٍ ... وننشـــــر هـــــدياً بكـــــل القـــــرى

ونســـــعى جميعـــــاً لنيـــــل العُـــــلا ... وننشـــــد - فـــــي مبتغانـــــا - الـــــذرى

كـــــؤوسَ الـــــردى لملمـــــي مَـــــن طغـــــى ... وعـــــودي بـــــه عـــــودة القهقـــــرى

هشـــــــيمَ الجهـــــــالات لا تبتســـــــمْ ... ســـــيُردي المهـــــيمن مَـــــن ذا افتـــــرى

وعهـــــداً إلـــــى النـــــور فـــــي عـــــزةٍ ... أتـــــأتي اليواقيـــــت بعـــــد الكـــــرى؟

فـــــوالله لا ، لـــــن يعـــــود الهُـــــدى ... بغيـــــر الحـــــروب التـــــي تشـــــترى

نعـــــم نشـــــتريها ببيـــــع الهـــــوى! ... هـــــوى العـــــيش أودى بكـــــل الـــــورى

وخيـــــرٌ لمـــــن ذاق طعـــــم الأســـــى ... تخطيـــــه عيشـــــاً بنـــــوم ســـــرى

وكـــــم صِـــــحتُ يـــــا نـــــاسُ نبغـــــي القتـــــا ... ألا إن ـ فـــــي الحـــــرب ـ للعنبـــــرا!

****

وجمعـــــي هنـــــا وافـــــرٌ ذلـــــهُ ... ويحيـــــا يجـــــاري كـــــذا أهلـــــهُ

بغيـــــر اعتبـــــار ولا قيمـــــةٍ ... أتـــــى يـــــدّعي أننـــــا نســـــله

ويزهـــــو حِيـــــالي نســـــيمُ النـــــدى ... إذ الشـــــعب يعطـــــي المنايـــــا ابنـــــه

معـــــاذ الوفـــــا يـــــا جمـــــوعَ الأســـــى ... إذِ القِـــــط لا يَخمشـــــنْ إلفـــــه

ولكـــــنكم رغـــــم إســـــلامنا ... فجـــــرتم ، وشـــــوهتمُ حُســـــنه

يمينـــــاً ظلمـــــتم بتعـــــذيبكم ... هُمامـــــاً حمـــــى ربنـــــا دينـــــه

يمينـــــاً ســـــجونُ الـــــردى هـــــذه ... سيســـــحقها – فـــــي الـــــدنا ـ عزمـــــه

وأســـــيادكم وقتهـــــا لـــــن تـــــرى! ... رعاديـــــدُ يحصـــــدها ســـــيفه

وعَـــــودٌ إلـــــى فجـــــر أمـــــس مضـــــى ... تلـــــوّى بلـــــدغ الـــــدجى نـــــوره

لظلـــــم الرجـــــالات فـــــاض الأذى ... وأورثنـــــا الهـــــم تخذيلـــــه

ولكـــــنْ قضـــــاء المليـــــك انبـــــرى ... علـــــى الظلـــــم يـــــذبح مـــــن ســـــنه

فســـــبحان ربـــــك مـــــن عـــــادل ... يُجـــــازي الكفـــــور علـــــى كفـــــره

****

عبيـــــــدَ الشـــــــياطين إنـــــــا لهـــــــا ... ليـــــــوثٌ بنـــــــى الحـــــــق أركانهـــــــا

فهـــــــلا اســـــــتمدتْ كتابـــــــاتكم ... مـــــــن العلـــــــم والحـــــــق أخبارهـــــــا؟

مقـــــــالاتكم هـــــــذه يـــــــا تـــــــرى ... أتجـــــــري المقـــــــاديرَ أســـــــمالها؟

نفايـــــــاتكم هـــــــذه يـــــــا تـــــــرى ... ألا تـــــــدركون هراءاتهـــــــا؟

أو العـــــــرش يغـــــــري بأوضـــــــاعه ... وتعمـــــــي الضـــــــمير نفاياتهـــــــا؟

وأقـــــــوالكم هزلـــــــت كلهـــــــا ... فمـــــــا حصـــــــلتْ ســـــــعر أوراقهـــــــا

هـــــــراء يُغلفـــــــه زيفـــــــه ... وأكذوبـــــــة منـــــــذ إصـــــــدارها

أكـــــــاذيبكم – تلـــــــك - مُســـــــتنقعٌ ... وتـــــــؤذي الصراصـــــــير قيعانهـــــــا

تحـــــــديكمُ ســـــــافرٌ فـــــــي الـــــــورى ... وأوضـــــــاعُكم دفّ إنتاجهـــــــا

كـــــــذاك المجـــــــلاتُ فيهـــــــا الخنـــــــا ... علـــــــى الهـــــــدم والهـــــــزل منهاجهـــــــا

وتبـــــــدي لنـــــــا كـــــــل حـــــــوا بهـــــــا ... بكـــــــل الغوايـــــــة عَوراتهـــــــا

وتـــــــوحي لنـــــــا فســـــــق إفلاســـــــهم ... مقـــــــالاتهم عبـــــــر ترياقهـــــــا

ومـــــــا مـــــــن مقـــــــال يُعيـــــــد الحيـــــــا ... ويـــــــزرع فـــــــي الـــــــروح أخلاقهـــــــا

فبـــــــئس المجـــــــلاتُ تزجـــــــي العمـــــــى ... وتعطـــــــي الجهالـــــــة أصـــــــحابها!

لقـــــــد مـــــــات - فـــــــي الزيـــــــف - إنســـــــانها ... إذ الفســـــــق أودى بأفلاكهـــــــا

لكـــــــل الســـــــقوط ازدهـــــــتْ وانتشـــــــتْ ... وبـــــــالتِبر زينـــــــتْ بلاهاتهـــــــا

بهـــــــا مـــــــن صـــــــنوف الخنـــــــا والهـــــــوى ... كـــــــذاك الأغـــــــاني وألحانهـــــــا

وفنانـــــــة ضـــــــجَّ منهـــــــا الزنـــــــا ... فراحـــــــت تؤلـــــــه أهواءهـــــــا

وبـــــــين الثنايـــــــا فنـــــــون الهـــــــوى ... تـــــــدلت علـــــــى الســـــــاح أهـــــــدابها

****

وراحت ترى العيش حضناً بدا! وباقي الخفايا بأستارها

وإن تعتبرْ ما تبدتْ لنا يفوح اللظى من ثآليلها

وقالوا: فنونٌ ، فقلت: اخرسوا وردوا على النفس شيطانها

على المنكبين تمطى الخنا ونواح العشيق على صدرها

على الوجنتين علت قبلة وبوح العيون على جلدها

فثاروا: جهلتَ! فقلتُ: اخسأوا فيوماً تزجون في نارها

وفوق الغلاف كذا غادة وقد سخِرتْ مِن هُدى ربها

وأخرى بـ (ماريوتَ) رقصاتها وأخرى تدلي لهم جيدها

وفي فتنةٍ عشت يا جمعنا وأحزابكم أيدت عارها

وأشجاننا وزعتْ بيننا كما تحتوي الدوحُ أغنامها

نأت راية الحق عن دارنا وغنتْ غرابيبُ إبليسها

ويأتي الغواة يقولون: لا لدين هو الحل في كربها

ولو قلت توحيدنا منتفٍ وأوضاعنا طبّقوا غيرها

لقالوا: حياتك في سَكرةٍ وأنت أسيرُ متاهاتها

ألا إنني عاتبٌ دائماً وأسألُ داري وإنسانها

لصالح مَن فِتنة يا ترى تعالت وقد فاض إشعالها؟

ونار كهذي تبيد الورى لصالح مِن في الدنا وهجها؟

أشواق وراء المجهول

(إنني لا أميل أبداً إلى كتابة ما سوى القصيدة العمودية الخليلية. وأبعد ما أكون إذ نقشت إحدى قصائدي على كل ما يخالف أشعار العرب الأصيلة التي قوانينها وعروضها وأوزانها وأسسها وقواعدها ونحوها وصرفها ولفظها وصورتها عندي توقيفية كالعبادات! فلا سبيل إلى الخروج عنها قيد أنملة ولا أقل من ذلك. شأنها في ذلك شأن اللغة العربية ذاتها. ولكنني في قصيدتي (أشواق وراء المجهول) ركنتُ الشئ القليل إلى ذلك التجديد في الشكل: (نظام السطر العروضي والقافية المنوعة التي تعتمد ازدواجية المعنى وثنائية العرض فتكون الفكرة الجزئية في بيتين وهكذا!) وهذا على كل حال من شعري القليل الذي لا يمثل القاعدة. وشجعني على هذا الاتجاه قراءتي لكتاب صغير المبنى عظيم المعنى والمغزى لأستاذي الدكتور عدنان النحوي ، ألا وهو كتاب: (لماذا اللغة العربية اليوم؟) وأراه دافع دفاع المستميت عن حتمية الانتصار للغة الضاد ، وأن الحاجة إليها اليوم أصبحت مُلِحّة أكثر من أي زمان مضى. وأضيف إلى هذا الكتاب كتاباً آخر لم يكن لي شرف الاطلاع عليه ، وبذلت جهدي المرير في الحصول عليه ولم أفلح. إلا أنني قرأت تحقيقاً مستفيضاً عنه ، ومدح الكتاب غير ما ثقة وحجة من الأساتذة ، ألا وهو كتاب: (جناية الشعر الحر على اللغة العربية) للدكتور أحمد فرح العقيلان. وأعترف بأنني سعدت بهذين الرجلين: النحوي والعُقيلان ، وأسعدني إصرارهما على المواجهة. وأعتذر هذه المرة عن القصيدة العمودية. والحقيقة أن كثيراً من الناس منتهى آمالهم وطموحاتهم أن يُحصّلوا المال ويشتروا الطين ويبتنوا الدور ، مثلهم في ذلك مثل أكثر أهل الدنيا وعبيدها من المرتزقة! على حين نرى بعض الأقوام لهم من الطموحات والآمال والتطلعات ما تعجز عن وصفه الأقلام وتضيق عن تصوره الأفهام. وساعة يصطدم المرء بما لا يمكنه من تحقيق آماله وطموحاته من العقابيل والعراقيل فإنه يستعرض سر أشواقه التي تختبئ وراء المجهول والغيب المخبوء! داعياً ربه أن يزيل هذه العراقيل ، ويزيح تلك العقابيل ، ويحطم هذه الحواجز ، ويدمر هاتيك الموانع حتى يرى آماله تتحقق! وأعلم أنني التزمت خمس تفعيلاتٍ من الكامل ، ولم ألتزم التفعيلات الست (تاماً)! ذلك أنني لو فعلت لما كان لمصطلح السطر الشعري أن يكون سائغاً ، ولا حتى لو استخدمت التفعيلات الأربع (مجزوءاً). وإن هي إلا اجتهادات ورؤى! ومحاولات في طريق التجديد والمحافظة على الأصل! هذا للعلم!)

يـــــا شـــــوق أنـــــت ســـــحابة فـــــي موكـــــب الليـــــل الحـــــزين تشـــــوقني

وعذوبـــــة فـــــي مطمـــــح الأمـــــل البئـــــيس علـــــى الشـــــفاه تروقنـــــي

****

يـــــا شـــــوق أنـــــت كرامـــــة خجلـــــى تمـــــرق مـــــن ترائبهـــــا الـــــدمُ

وأبـــــى المذلـــــة والإهانـــــة والضـــــياع لهـــــا اليـــــراع الأعجـــــمُ

****

يـــــا شـــــوق كـــــم فـــــي الـــــنفس مـــــن ألـــــم يـــــذوب لـــــه الكثيـــــب ، ويزفـــــرُ!

والـــــــروح باكيـــــــة تخبـــــــئ وجْـــــــدها بالصـــــــمت ، هـــــــا هـــــــي تنظـــــــرُ

****

يـــــا شـــــوق أنـــــت الحـــــب يمـــــلأ مهجتـــــي ، فـــــارحم فـــــؤاداً طيّعـــــا

إن الخطـــــوب تـــــؤزّ عطـــــر قريحتـــــي وشـــــبيبتي والمنبعـــــا

****

يـــــا شـــــوق أنـــــت أزاهـــــرُ الأحـــــلام والأنســـــام فـــــي غسَـــــق الـــــدجى

ضـــــمّدْ بكفـــــك آهتـــــي ، ودع الجفـــــاء ، ولا تكـــــنْ متحرجـــــا

****

يـــــا شـــــوق فيـــــك توشّـــــحت بالصـــــبر كـــــل خـــــواطري ومشـــــاعري

وتجمّلـــــت بـــــالعز فـــــي ظـــــل المهابـــــة والإبـــــاء ســـــرائري

****

يـــــا شـــــوق يـــــا عطـــــر الحيـــــاة ونـــــورَ قلـــــب فـــــي الترفـــــع صـــــامتِ

لكنمـــــا الأحـــــداث تطحـــــن مَـــــن تمسّـــــك بـــــاليقين الثابـــــتِ

****

يـــــا شـــــوق يـــــا نجـــــوى المحـــــب وأنســـــه وأريـــــج نفســـــي الحـــــائرة

أبـــــداً تـــــداعبُ وحـــــدتي وكـــــآبتي بالأمنيـــــات الســـــاحرة

****

يـــــا شـــــوق يـــــا شمســـــاً تنيـــــر دروبنـــــا وبقاعنـــــا لا تخمـــــدُ

إنـــــي ســـــهرت الليـــــل مـــــن ألـــــم الجـــــوى ولقـــــد جفـــــاني المرقـــــد

****

يـــــا شـــــوق فاكســـــرْ بالعزيمـــــة غيهبـــــي فـــــوق الرمـــــالْ

وامســـــح دمـــــوع الـــــوهم والآلام والأحـــــزان فـــــي عـــــين الجَمـــــالْ

****

يـــــا شـــــوق فـــــكّ القيـــــدَ والأغـــــلالَ عـــــن أيـــــدي الشـــــفقْ

لا تســـــأل الأصـــــحاب عونـــــاً واحتمـــــالاً ، إنمـــــا الصـــــدق اختنـــــقْ

****

يـــــا شـــــوق واســـــمُ إلـــــى العُـــــلا ، وانظـــــر إلـــــى مـــــا فـــــوق أنـــــوار النجـــــومْ

واصـــــــــمدْ لكـــــــــل خيانـــــــــةٍ ، ودع التعلـــــــــل والوجـــــــــومْ

****

يـــــا شـــــوق إنـــــي حـــــافظ حـــــق الإخـــــاء ، وعـــــاذلي قتـــــل الحفـــــاظ

إن العـــــواذل فـــــي الـــــدروب كمـــــا الـــــدمى ، عجبـــــاً لأوبـــــاش غِـــــلاظ

****

يـــــا شـــــوق غيـــــري - فـــــي الـــــدغاول - هِـــــرة ، ونـــــراه فـــــي كنـــــف العـــــدو

وعـــــلا بخســـــته العميـــــلُ وحزبـــــه ، والنـــــاسُ يُـــــذهلها الغلـــــو

****

يـــــا شـــــوق إنـــــا - فـــــي المصـــــائب - وحـــــدنا ، فمتـــــى نتـــــوق إلـــــى العُـــــلا؟

ومتـــــى سنكشـــــف للأنـــــام حقيقـــــة يـــــا شـــــوق مـــــا فعـــــل المَـــــلا؟

****

يـــــا شـــــوق أيـــــامُ الفتـــــى معـــــدودة ، ولكـــــل داءٍ مَكمـــــنُ

تعـــــب اليـــــراعُ مِـــــن المِـــــداد المُكْفهـــــر ، وغـــــاض فيـــــه المطعـــــن

****

يـــــا شـــــوق فـــــارحم مـــــن عـــــذابك عزمتـــــي ، تعـــــب الضـــــميرُ المـــــذنبُ

وتعثـــــــرتْ قـــــــدمي فبُـــــــؤتُ بخيبتـــــــي ، وطـــــــوى إبـــــــائي الغيهـــــــبُ

****

يـــــا شـــــوق آذتنـــــي الجـــــراح ، وبـــــات شـــــعري فـــــي المـــــدى يـــــتلجلجُ

والغـــــدر لـــــم يـــــرحم صـــــمودَ مشـــــرّدٍ ممـــــا يـــــرى يتحـــــرّج

****

يـــــا شـــــوق والأفـــــراحُ ولـــــت والصـــــدى ، حتـــــى تـــــرانيم الهـــــوى

لـــــم يبـــــق إلا الشـــــوكُ فـــــي درب الفتـــــى ، وكـــــذا أخاديـــــدُ الجـــــوى

****

يـــــا شـــــوق والأوغـــــاد بـــــاعوا صـــــحبتي ، وتـــــرى اللظـــــى يتـــــوقحُ

وتفصّـــــل الأوهـــــامُ مـــــن شِـــــعري المُـــــدى ، وأنـــــا بهـــــا أتجـــــرحُ

****

يـــــا شـــــوق صـــــعبٌ فـــــي العـــــذاب تصـــــبّري ، أكـــــذاك يشـــــقى المخلـــــصُ؟

أكـــــذاك تركلـــــه المصـــــائب والـــــدغاول ، والمـــــدى يتـــــربصُ؟

****

يـــــا شـــــوق والإســـــلام مســـــلوبُ الحِمـــــى ، ويضـــــيعُ بـــــين طوائـــــفِ

وتمـــــوت ريـــــحُ القـــــوم فـــــي جـــــدل يـــــدور علـــــى هشـــــيم مواقـــــفِ

****

يـــــا شـــــوق والتوحيـــــد دام بـــــات تبكيـــــه المَـــــدامعُ والهمـــــومْ

وقـــــد اكفهـــــر الخطـــــب ، وانتحـــــرتْ علـــــى الهـــــدي الكواكـــــب والنجـــــومْ

****

يـــــا شـــــوق إن علـــــو قـــــومي فـــــي البرايـــــا رغـــــم هـــــذا معجـــــزة

ولربمـــــا الأوهـــــام تـــــزرع - فـــــي ربانـــــا - الأمنيـــــات المنجـــــزة

****

يـــــا شـــــوق أرجحَنـــــا الغمـــــوض ، وبـــــدد الإحســـــاسَ - فـــــي دمنـــــا - الشـــــطط

وكـــــذاك أطمـــــعَ مَـــــن يُعادينـــــا - علـــــى الأرض - التمـــــزق والغلـــــط

****

يـــــا شـــــوق مـــــاذا خلـــــف هـــــذي الســـــحْب والغـــــيم المظلـــــل بـــــالطنسْ؟

والبيـــــد مـــــاذا قـــــد تخبـــــأ عبْرهـــــا فـــــي مَعقـــــل الـــــذل الـــــتعسْ؟

****

يـــــا شـــــوق هـــــذي البيـــــد خانـــــت عهـــــدها وتراثهـــــا الزاكـــــيْ النقـــــي

وتظـــــاهرت بالهَـــــدي والإحســـــان فـــــي أجـــــواء عالمهـــــا الشـــــقي

****

يـــــا شـــــوق هـــــذي البيـــــد كانـــــت ضـــــيعتي رغـــــم الحُـــــدود المُخزيـــــة

واليـــــوم هـــــذي البيـــــدُ سِـــــجنُ كرامتـــــي وشـــــهامتي المترديـــــة

****

يـــــا شـــــوق خِلـــــي فـــــي الكـــــروب قريحتـــــي والمطمـــــحُ المتلطـــــفُ

ويراعتـــــي وقـــــريضُ قلبـــــي وانفعـــــالي الثابـــــتُ المتعفـــــفُ

****

يـــــا شـــــوق إنـــــي قـــــد بـــــذلت مشـــــاعري ، وهنـــــاك غيـــــري قـــــد قـــــبضْ

وســــــعى ليُخـــــرب بيتنـــــا وحياتنـــــا ، وتـــــراه لمّـــــا يمـــــتعضْ

****

يـــــا شـــــوق أخبرْنـــــي وأعلمنـــــي إلـــــى أيـــــن انـــــدفاع القافلـــــة؟

أولـــــيس يومـــــاً تنتهـــــي بالنـــــاس للأخـــــلاق هـــــذي الســـــابلة؟

****

يـــــا شـــــوق كفكـــــفْ دمعـــــة تجتـــــاح بســـــمة مَـــــن تعثـــــر فـــــي الطريـــــقْ

ويعـــــيش - بـــــين النـــــاس - مُلتاعـــــاً كمـــــا يســـــعى إلـــــى الشـــــط الغريـــــق

****

يـــــا شـــــوق لملـــــمْ حســـــرتي ، فـــــيم البكـــــاءُ علـــــى الطيـــــوف الواهمـــــة؟

إن الحيـــــاة قصـــــيرة ورخيصـــــة ، ولســـــوف تـــــأتي الخاتمـــــة

****

يـــــا شـــــوق إن الحُـــــر فـــــي هـــــذي الـــــدنا أبـــــداً يـــــئن ويكتـــــوي

وتـــــراه خلـــــف ســـــراب ظـــــل العمـــــر يُمســـــك بالرمـــــاد وينـــــزوي

****

يـــــا شـــــوق رفقـــــا ، إن هـــــذا الحـــــر يأمـــــل أن تـــــزول المعركـــــة

وكمـــــا تـــــرى انـــــدكتْ رمـــــاحُ الغـــــدر فـــــي أحشـــــائه والصعلكـــــة!

****

يـــــا شـــــوق عذبـــــه الجـــــوى والجـــــوع ، ثـــــم لغيـــــره اللحـــــمُ الحنيـــــذ

ويصـــــب مـــــاء العـــــيش فـــــي آلامـــــه ، وســـــواه يلعـــــب بالنبيـــــذ

****

يـــــا شـــــوق هـــــذا الحُـــــر يســـــعى للعُـــــلا ، وكمـــــا تـــــرى يتقطـــــعُ

وســــــــواه يقـــــــــتحم الحـــــــــرام ، ولا يبـــــــــالي ، كالبهيمـــــــــة يرتـــــــــعُ

****

يـــــــا شـــــــوق والآلام تأكـــــــل قوتـــــــه ، وتســـــــربل الأمـــــــل الوضـــــــئْ

والحُـــــــر يمعـــــــن فـــــــي الـــــــذهاب ، ولـــــــيس يـــــــدري بعـــــــدهُ كيـــــــف المجـــــــئْ

****

يـــــــا شـــــــوق هـــــــذا الحُـــــــر يســـــــعى وحـــــــده متســـــــامياً وسْـــــــط العبيـــــــدْ

فامنحـــــــه يـــــــا شـــــــوقَ الكرامـــــــةِ والشـــــــهامةِ ـ فـــــــي الـــــــورى ـ الـــــــرأيَ الســـــــديدْ

****

يـــــــا شـــــــوق هـــــــذا الحـــــــر كـــــــم عـــــــانى! وكـــــــم قاســـــــى عقابيـــــــل الـــــــدجونْ!

فـــــــي بحـــــــرك اللجّـــــــي فـــــــارحم ضـــــــعفه ، وأعـــــــره يـــــــا شـــــــوق الســـــــفينْ

****

يـــــــا شـــــــوق هـــــــذا الحـــــــر عـــــــان دائمـــــــاً ، وســـــــواه هـــــــا هـــــــو يكنـــــــزُ

ولقـــــــد يخـــــــوض المُعضـــــــلاتِ غضـــــــنفراً ، وســـــــواه عنهـــــــا يعجـــــــز

****

يـــــــا شـــــــوق فيـــــــك الخيـــــــرُ فـــــــاجبر كســـــــره ، وارفـــــــق بـــــــذل العاطفـــــــة

إن المنايـــــــا فـــــــوق رأس الحـــــــر هـــــــذا كـــــــالجيوش الزاحفـــــــة

****

يـــــــا شـــــــوق إن فـــــــؤاده مترفـــــــعٌ مثـــــــل الغمـــــــام الصـــــــيبِ

يعطـــــــي بـــــــلا مَـــــــنّ ، وتســـــــمو روحُـــــــه ـ بـــــــين الـــــــورى ـ كالكوكـــــــبِ

****

يـــــا شـــــوق والآمـــــال تجـــــرح عزمـــــه ، فيُطيـــــل فـــــي الغـــــيم الســـــفرْ

وتـــــــراه فـــــــوق رفاقـــــــه وخصـــــــومه متعاليـــــــاً مثـــــــل القمـــــــرْ

****

يـــــا شـــــوق والـــــدنيا تقطـــــع لحمـــــه ، ويُبـــــاع بيـــــع التجزئـــــة

ويســـــيل مـــــن دمـــــه التعفـــــف والإبـــــاء علـــــى تـــــراب التهنئـــــة

****

يـــــا شـــــوق والعـــــين اســـــتجارت بالمليـــــك مـــــن التقـــــرح والـــــدموعْ

يهتـــــاج فيهـــــا الطيـــــفُ عـــــذبا مثلمـــــا يبكـــــي وينتحـــــب الرضـــــيعْ

****

يـــــا شـــــوق والأصـــــحاب - خلـــــف معاشـــــهم وفلوســـــهم - مثـــــل الطلـــــولْ

وإذا رأوْا فـــــي الســـــاح راقصـــــة يـــــدقون المزاهـــــر والطبـــــولْ

****

يـــــا شـــــوق والخـــــلان فـــــرّوا فـــــي البـــــراري عنـــــدما حمـــــيَ الـــــوطيسْ

وتنكـــــروا للحـــــق والتوحيـــــد مثـــــل تنكـــــر المـــــرء الخســـــيسْ

****

يـــــا شـــــوق واجهـــــتُ الكـــــوارث دونهـــــم ، وكـــــذا الخطـــــوب الشـــــائهة

وإذا بهـــــم يـــــوم التجـــــأتُ لنصـــــرهم مثـــــل الحميـــــر التائهـــــة

****

يـــــا شـــــوق كـــــلٌ فـــــي المعـــــامع أرنـــــبٌ ، تعســـــتْ عقـــــولٌ فارغـــــة

وإذا تكلـــــم واحـــــد مـــــنهم تخـــــال حروفـــــه كالنابغـــــة

****

يـــــا شـــــوق عـــــذبني خليـــــلٌ - ذات يـــــوم - كـــــان فينـــــا المســـــتنيرْ

وهـــــو الأصـــــم عـــــن الحقيقـــــة والمغيّـــــب عـــــن مَغبَّـــــات الأمـــــورْ

****

يـــــا شـــــوق وهْـــــو مصـــــيبة فـــــي صـــــمته وكلامـــــه المترهـــــلِ

لكنمـــــا عصـــــرٌ يُـــــدنّي مـــــن عـــــلا ، ويُقيـــــل عثـــــرة مبطـــــلِ

****

يـــــا شـــــوق والعزمـــــات والهمـــــم الرفيعـــــة قـــــد تعقبهـــــا الغـــــبشْ

فأحالهـــــا خـــــوَراً يُصـــــفق خلـــــف طبّـــــال الضـــــلال المنـــــتفشْ

****

يـــــا شـــــوق والمجهـــــول وحـــــشٌ كاســـــرٌ ، يحتـــــال خلـــــف الرهبنـــــة

وســـــياطه فـــــوق الظهـــــور كمـــــا اللظـــــى ، ويُجيـــــد حبـــــك الشـــــيطنة

****

يـــــا شـــــوق والإنســـــان مـــــذبوحُ النهـــــى ، وقويُـــــه أكـــــل الضـــــعيفْ

وتمـــــرّق الإحســـــاسُ منـــــه فـــــلا حيـــــا ، ويســـــيل مـــــن فمـــــه الحفيـــــفْ

****

يـــــا شـــــوق ثـــــم تـــــراه يُزجـــــي للطواغيـــــت الثنـــــا تلـــــو المـــــديحْ

عـــــارٌ عليـــــه الصـــــدق فـــــي هـــــي الـــــدنا ، يـــــا ذلـــــة العقـــــل القبـــــيحْ

****

يا صاح كُف عن الهُراء!

(إن جمهرة كبيرة من الكُتاب لا يحلو لهم أن يكتبوا إلا في الذي يُعجب مَن جعلوهم كُتاباً! وهم لذلك يجتهدون كل الاجتهاد في تثبيت كراسي أسيادهم. وهذا أحدهم يسخر من القيم والأخلاقيات ، ويستهزئ بالتوحيد وأهله ، وعندما قمتُ بمطالعة ما كتب رحتُ أقول له: إن القيم هي القيم ، وكذلك الأخلاقيات ، فيا هذا كُفّ عن الهراء فلن تضر إلا نفسك! وسيبقى الحق وأهله في مأمن من كيدكم وحقدكم وطعنكم. (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض). وآثرت أن تكون هذه القصيدة ـ التي هي أقرب إلى المقطوعة منها إلى القصيدة ـ على البحر السريع!)

يـــا صـــاح مـــا ســـعدتْ بـــك الكتـــبُ ... بـــل واعتـــرى أقوالـــك العطـــبُ

عُـــد الأغـــاليط التـــي انحـــدرتْ ... مـــن ســـاقط الأقـــوال تلتهـــب

هـــذا بريـــق الزيـــف فـــي قلـــم ... والزيـــف فـــي الأوراق يكتئـــب

فـــالغش مـــا صـــاغت يـــدٌ كـــذبتْ ... والقِـــرد مـــن مَـــوْز لـــه طـــرب

مادمـــت مِجهـــالاً تـــرى قـــذراً ... فـــيم الأذى والحـــربُ والنـــوب؟

مـــا حـــاربوا أمثـــالكم أبـــداً ... بـــل حاربونـــا ، فـــانبرى الســـغب

هـــذي كتـــائبكم تُـــرى عَـــدماً ... فالجهـــلُ منهـــاجٌ لهـــا خـــرب

مـــاذا علـــيكم لـــو نـــرى كُتبـــاً ... فـــي ســـاحها الأنبـــاءُ تصـــطحب؟

يومـــاً يعـــود الحـــق يـــا خشُـــباً! ... يومـــاً ينـــوح الزيـــف والشـــغب!

مـــن أجـــل مَـــن صـــغتم جهـــالتكم؟ ... فـــي ديـــن مَـــن خضـــتم أيـــا خشـــب؟

فـــي عُـــرف مَـــن تعلـــو حقـــارتكم؟ ... والحقـــدُ بالأشـــرار يعتصـــب

مـــن أجـــل مَـــن أقلامُكـــم كتبـــتْ؟ ... مِـــن أجـــل مَـــن ثـــرتم أيـــا جَـــرَب؟

لـــولا أفـــانينُ الهـــوى لعبـــتْ ... مـــا كـــان يعلـــو حقـــدَكم أرب

لـــولا تلافيـــفُ الأســـى صـــرختْ ... مـــا كـــان ـ فـــي يـــوم ـ لكـــم كُتـــب

من وحي العيد

(إن موقف سحرة فرعون الذين كانوا في أول النهار كفرة فجرة أتوا للانتصار لمجد فرعون الزائف الزائل ، وأتوا لدحر الحق الذي مع موسى وهارون – عليهما الصلاة والسلام – نعم أتوا لنصرة الباطل على الحق قائلين: (بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) ، إن موقفهم بعد خوض المناظرة ورؤية البرهان الموسوي العظيم ، وإيمانهم اللحظي الذي لم يكن قد استغرق كبير وقت ولا كبير جهد ، إن موقفهم لأعظم بكثير من موقف المرتزقة الذين يأكلون على كل مائدة اليوم ، وهم يطوعون الدين كتاباً وسُنة للظالمين. باذلين في ذلك الغالي والنفيس ، كي يضفوا الشرعية على انحراف الطواغيت وظهور الجاهلية! وأعود إلى يوم العيد. إنه يوم الزينة الذي وعده موسى نبي الله وكليمه عليه السلام فرعون عدو الله عليه اللعنة: (فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سُوى ، قال: موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى)! وانتصر الحق ولله الحمد! وصدق الأستاذ علي نايف الشحود إذ قال: (إن الناس يقيسون بفترة قصيرة من الزمان ، وحيز محدود من المكان. وهي مقاييس بشرية صغيرة. فأما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان ، ولا يضع الحدود بين عصر وعصر ، ولا بين مكان ومكان. ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك. وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها. فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها. وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم ويبرزوها! والناس كذلك يُقصِرون معنى النصر على صور معينة معهودة لهم ، قريبة الرؤية لأعينهم).هـ. وهي معادلة حقيقية تعني انتصار الحق في جميع الأحوال!)

أواه ، أواه ممـــــا فيـــــك يـــــا عيـــــدُ ... تزهـــو الحواضـــرُ - فـــي الزينـــات - والبيـــدُ

ويُحشـــــر النـــــاس مـــــن رهـــــو وباديـــــةٍ ... ويُهـــدَرُ اليـــومَ – فـــي الآفـــاق - توحيـــد

يُمســـي الجميـــع علـــى مَغنـــىً وتصـــديةٍ ... وأنـــت – فـــي ثقـــةٍ – تختـــال يـــا عيـــد

تعبـــئ الخمـــر فـــي أفـــواه مَـــن ســـكروا ... وتـــرقص – الآن – فيـــك الخـــرّد الغِيـــد

وفـــوق وجهـــك مســـحُ الجـــوخ ملحمـــة ... وسُـــوقُ شـــعر ، كـــذا فلتشـــمخ الجيـــد

مـــن كـــل مُرتـــزق – بالمـــدح - مُلتحـــفٍ ... فـــي موكـــب الـــدعر تســـعى خلفـــه الخـــود

أيـــام هـــزل – علـــى التضـــليل – قـــد طبعـــتْ ... والحـــق نـــاءتْ بـــه أيامُـــه الســـود

كـــذاك فرعـــون فـــي أجنـــاده ألـــقٌ ... تعطيـــه قوّتـــه أجنـــاذُه الصـــيد

أمـــا الكلـــيمُ فـــلا ذِكـــرٌ ولا خبـــرٌ ... بـــين الطغـــام ، ومـــن يُســـلمْ فمفقـــود!

والنـــاس قـــد حُشـــروا فـــي ســـاحةٍ عظمـــتْ ... أكـــلٌ وشـــربٌ وأنغـــامٌ وتغريـــد

على حساب الفراعين الذين طغوا ... سِحرٌ ومَكرمة ، ما ذلك الجود؟!

سَادتْ شوارعَهم أنوارُ فرحتهم ... حتى الأفاعي سعى مِن خلفها الدود

يُحاربون الهُدى في عُقر دارهمُ ... صرعى الضلال بها كأنهم هُود

تجمّع الكل ، والآمالُ ترقبُهم ... وقال موسى: ألا عن دينكم ذودوا

ألقوْا حِبالهُمُ حتى إذا انتفشتْ ... خاف الكليم ، وبأسُ الله موجود

لا تخش ما فعلوا ، فإنهم بشرٌ ... ألق العصا ، لا تخفْ ، فالنصرُ معقود

حتى إذا ألقيتْ طاشتْ بما صنعوا ... وأكبرَ الكل ، والفرعونُ جلمود

والسحر قد سجدتْ أربابه طمعاً ... في رحمة الله ، إن النور مولود

فصاح فرعون في الأرحاب منفعلاً ... يقول: قد مكروا ، والكيد عنقود

سأذبح الكل ، لن أرضى بكم أبداً ... عندي السكاكين ، بل عندي الأخاديد

فأعلن الحق أن الهدْي منتصرٌ ... تزول دنياك والجندُ الصناديد

ويدخل الجنة الزهراءَ مؤمننا ... ويدخل النار كُفارٌ مناكيد

تأملِ الخلق: مَن تابوا ومَن كفروا ... تلق الجميع مضوْا ، والكل موعود

تزول أنت وأحفادٌ – بنا - مكروا ... يُحْيُون ذكراك في الدنيا رعاديد

كأنهم ورثوا ما قلت ، وامتثلوا ... مِيعادَ عيدك ، والدنيا مواعيد

دنياهمُ غادة ، في العشق غادية ... فيها الحنين ، ويُزْكِي حُسنها العود

يوماً تموتُ ، وعِيدُ الذل منتحرٌ ... فلا تكون لكم فيه التحاميد

فالحمد لله: رب الكون خالقنا ... تبارك الله ، فوق العرش معبود

والموعد الحشْرُ ، والمبعوث شاهدنا ... واليوم يوم الجزا ، واللهِ مشهود

بين الغموض والبيان

(كثير من الشعراء يَعمَدون ساعة يكتبون إلى حزمة من الغموض والألغاز والإبهامات والإيهامات يحشون بها أشعارهم. وأسأل: لماذا؟ إن الشعر له لغته السامية نعم. ولكن ليس للحد الذي لا تفهم معه فكرة الشاعر وماذا يريد أن يوصّل للقارئ. أذكر أنني في إحدى القوافي كنت أريد أن أضع أهل الحداثة في صورتهم فقلت في ذيل قافية من قصيدتي: (في كل بالوعة صرصار). وكان في نفسي شئ ، وشئ كبير ، من التذييل والتقفية بـ (صرصار) مع أنها كلمة تناسبهم. ولكن أستاذي سالم النوبي أنكر بشدة ما قلت. وأردف قائلاً: (إن للشعر لغته السامية). إن الشعر مخلوق طليق حر ، ويجب أن يكون طليقاً حراً إلى الأبد. وأعني بالحرية هنا حرية الصياغة وفق الحنيفية السمحة. وما أجمل الشعر عندما تحكمه العقيدة ويصاغ للخير! وقديماً قال أستاذنا محمد الخضر حسين: (ترتاح النفس لصور من المعاني يصنعها الخيال ، أو تخرج في ثوب قشيب من حسن البيان ، ذلك الارتياح لذة الشعر الذي هو صنع الألمعية المتلألئة ، والتخيّل الواسع ، والذوق الصحيح. ولا أظن أن في الناس من لا يلذ الشعر البديع متى أحسّ معانيه ، ووقعت في ذهنه بادية الوجوه كما كانت في ذهن مصوّرها. وإنما المشاهد أن الناس يتفاوتون في الارتياح للشعر على قدر تفاوتهم في صفاء الذوق ، وتقدير ما في معانيه من غرابة وحسن التنام ، أو تقدير ما في ألفاظه من حسن السبك وجودة التركيب. فإذا رأيت الرجل يسمع الشعر البارع ، ولا تلوح عليه أمارة الارتياح لسماعه فلأنه لم يحس ما فيه من إبداع وجودة صنعة. وكثيراً ما يعيب الناقد صورة معنى خيالي حيث لا يحس الناحية التي فعل فيها الخيال البارع فعلته).هـ. رحم الله الخضر حسين فلقد كان أديباً ألمعياً واسع الأفق!)

دامـــــع الـــــذكرى ، يداجيـــــه الغمـــــوضُ ... نهـــــض الكـــــل ، وأضـــــناه النهـــــوضُ

بـــــذل الخيـــــر بأرحـــــاب الســـــكارى ... فـــــإذا البـــــرق تغشـــــاه الـــــوميض

عـــــرف الكـــــل مـــــع التيســـــير داري ... لـــــم يُعرقـــــلْ بســـــمتي الوغـــــدُ البغـــــيض

وإذا الكـــــل رفيقـــــي وصـــــديقي ... وإذا الفرحـــــة يُزجيهـــــا القـــــريض

وإذا داري - بأصـــــحابي - تســـــامت ... لـــــم يُعكـــــر خلـــــوتي يومـــــاً غمـــــوض

كنـــــت فـــــي القـــــوم نـــــذيراً مســـــتبيناً ... سِـــــلعتي فـــــيهم هـــــي النصـــــحُ العـــــريض

عـــــن مســـــاويهم ضـــــربتُ الـــــذكر صـــــفحاً ... كـــــان لـــــي طـــــرفٌ عـــــن الســـــوآى غضـــــيض

جابـــــه الطـــــاغوتَ قلبـــــي ، لـــــم ينـــــافق ... إنمـــــا يســـــتكتم الحـــــق المـــــريض

فعـــــلا - فـــــي النـــــاس - حقـــــي وبيـــــاني ... وســـــما التوحيـــــدُ ، حتـــــى والفـــــروض

وتخـــــذتُ الشـــــعر طِرســـــاً وحُســـــاماً ... عنـــــدما لـــــم تفلـــــح - اليـــــوم - القضـــــيض

واشـــــتكى الشـــــعر رمـــــوزاً وغموضـــــاً ... وأراد الجهـــــــرَ والصـــــــدعَ العـــــــروض

قلـــتُ: قـــد أفصـــحتُ عـــن كـــل النوايـــا ... فـــإذا بـــالنور فـــي قـــومي فضـــيض

ونثـــــرتُ الحـــــق فـــــي الـــــدنيا عطيـــــراً ... فـــــاكتوى مـــــن ذلـــــك النـــــور الحضـــــيض

وغرســـــتُ البـــــذرة النجلـــــى وحيـــــداً ... فأمـــــات النبتـــــة الـــــوادي الحمـــــيض

لامنـــــي صـــــحبي ، وقـــــالوا: لا تـــــذكّرْ! ... وي كـــــأن القـــــوم فـــــي الـــــدنيا بعـــــوض!

قطعـــــتْ إرهاصـــــتي فـــــي مهـــــد صـــــوتي ... شـــــفرة فـــــي حزهـــــا صـــــدقاً رمـــــيض

وإذا التبيـــــانُ فـــــي قلبـــــي يُعـــــاني ... ولـــــه طعـــــمٌ – بأعمـــــاقي - قبـــــيض

ويراعـــــي فـــــي يمينـــــي دون مـــــأوى ... غـــــار فـــــي أحشـــــائه الحبـــــرُ النضـــــيض

واســـــتراح الكـــــل واحـــــتجّ فـــــؤادي ... وإذا بالحـــــال مكـــــروبٌ جـــــريض

وكتبـــــتُ الشـــــعر فـــــي القِرطـــــاس حُزنـــــاً! ... صـــــامتُ النبـــــرة مخنـــــوقٌ حـــــريض

وإذا الأبيـــــات دمـــــعٌ وانتحـــــابٌ! ... ناقـــــة ألفاظهـــــا كلمـــــى جهـــــيض

فـــــارق الـــــدر بطـــــون الشـــــعر حتـــــى ... مَلـــــه المَغنـــــى ، وعافـــــاه (الغـــــريض)

زينـــــة الـــــدنيا قـــــريضٌ فيـــــه صـــــدقٌ ... لـــــيس فيـــــه الـــــرأيُ والـــــرأيُ النقـــــيض

إنمـــــا يســـــمو بحَبْـــــك الصـــــدق ثوبـــــاً ... وبهـــــذا الصـــــدق تنســـــاب الغـــــروض

إن عـــــز الشـــــعر فـــــي الأخـــــلاق فعـــــلاً! ... غابـــــة بـــــالزيف أو مُلـــــكٌ عَضـــــوض

قـــــد تنزهـــــتُ عـــــن الـــــزور شـــــعاراً! ... ثابـــــتٌ مهمـــــا تحـــــدتني العُـــــروض

مرضـــــي فـــــي النـــــاس صـــــدقي وإبـــــائي ... إنمـــــا العـــــزمُ لأســـــقامي النفـــــوض

قعـــــد الصـــــرعى علـــــى بـــــاب الطـــــواغي ... وأنـــــا لله أحيـــــاني الركـــــوض

أنســـــجُ الخيـــــراتِ شـــــعراً وشـــــعوراً ... وقريضـــــي بســـــنا التقـــــوى يَفـــــيض

غربة الحق

(إن الحق – اليوم – يعيش في غربة شديدة يحس بها كل من دان بالحق ، وعاش به وتحرك في دائرته. وإذا كان ابن عباس – رضي الله عنهما – كواحد من الجيل المفضل الخير والرعيل الأول ، ينكر على بعض أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – مسألة الإفراد والقران في الحج ، فغلّبت طائفة ما كان أبو بكر وعمر يريان ، فيقول لهمُ ابن عباس: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء! أقول لكم يقول رسول الله وتقولون يقول أبو بكر وعمر). وأيضاً ابن مسعود – رضي الله عنه – ينكر على أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم أمراً ويُسكتهم قائلاً لهم: (أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سَمتاً وهدياً ، غير أني لا أدري هل تعبدون العجل أم لا؟!) مشبّهاً إياهم ببني إسرائيل في تنطعهم واختلافهم على أنبيائهم. إن الحق الأعزل لا ينتصر ، على حين ينتصر الباطل الذي تترس بالعتاد والرجال. فالنظرية بلا رجال لا تنتصر. وإنما النصر يأتي بالعقيدة إلى جوار الرجال. والمرء كلما طالع في السيرة العطرة موقف أبي البختري بن هشام في غزوة بدر ، تعجب كثيراً. ذلك أنه ومعه صديق له جُنادة بن مُليحة ، لقيا المُجَذر بن زياد البلوي – رضي الله عنه – فقال له المجذر: منعنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن نتعرض لك ، فقال أبو البختري: وصديقي هذا؟ فقال المجذر: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منعنا منك وحدك. فقال أبو البختري: نعيش معاً أو نموت معاً! ثم قاتل المجذر فقتله المجذر. إنها الصداقة الحقيقية التي نفتقدها اليوم في كثير من أصحاب الحق ، والذين نرى الواحد منهم يبيع أخاه ويوشي عليه ويفتري عليه الأكاذيب ويلفق عنه التهم ويروّج عنه الأباطيل لعرَض من الدنيا قليل. فهلا أخذ هؤلاء العملاء الخونة الدرس من أبي البختري بن هشام المشرك عابد الأصنام؟! يقول الدكتور مصطفى محمود: "الرحمة أعمق من الحب وأصفى وأطهر ، فيها الحب ، وفيها التضحية ، وفيها إنكار الذات ، وفيها التسامح ، وفيها العطف ، وفيها العفو ، وفيها الكرم ، وكلنا قادرون على الحب بحكم الجبلة البشرية ، وقليل منا هم القادرون على الرحمة". ويقول المثل التركي: "تعلم التضحية واقتفِ خطاها تذكَر بالخير حياً وميتاً." ويقول الشيرازي: "كن كشجرة الصندل تعطر الفاس التي تقطعها." وتقول مدام دو ستايل: "أول عناوين الفضيلة التضحية بالنفس". ويقول عبد الحميد بن باديس: "التضحية أول شروط الرئاسة". ويقول ديموستين: "الدم هو عرَق الأبطال". ويقول رابليه: "لا يعيش الحب إلا بالتضحية." ويقول شاتوبريان: "البطولة حتى الفداء واجبٌ يؤدى في الأيام المشهودة." ويقول شيلر: "بئس الرجل يفر من الاستشهاد ، إنه كالذي يفر من الخلود إلى الفناء." وهكذا تضافرت أقوال الأحرار بقطع النظر عن دياناتهم – أن التضحية أمر إنساني بحت! ألا إن الشهامات والمروءات والتضحيات ومناقب الرجال لا تشترى بالمال ولا وطن لها ولا دين!)

أمِـــن تقـــاعس أهـــل الحـــق تنـــزعجُ؟ يـــا أيهـــا القلـــب كـــم أودتْ بـــك اللجـــجُ!

قـــارورة الـــوهم هـــذي كيـــف تسْـــكُنها؟ أمَـــا لفجـــر الهنـــا يـــا قلـــبُ منـــبلج؟

طـــال انتظـــاري لـــه ، والعـــينُ دامعـــة والـــروحُ - فـــي كربهـــا - تبكـــي وتـــرتعج

والـــنفس تشـــكو إلـــى الـــرحمن خالقهـــا فِـــدا الحقيقـــة يـــا أقوامنـــا المُهَـــج

أمـــا الضـــمير ففـــي نيـــران غيْرتـــه يُحـــرّق العـــزمَ - فـــي تأنيبـــه - الـــوهَج

أمّـــا اليـــراعُ ففـــي أحزانـــه أبـــداً ... يبكـــي - علـــى حالـــه - التحنـــانُ والـــبَهَج

تغـــرّب الحـــق ، بـــات النـــاس فـــي عمـــهٍ ... وعـــمّ أهـــل الـــدنا التضـــليلُ والخمَـــج

وعربـــدَ الطـــيشُ فـــي الأرجـــاء مزدهيـــاً ... وللمعاصـــي كـــذا قـــد صَـــفق الهمَـــج

والنـــور ولـــى ، وعـــاش القـــومُ فـــي ظلَـــم ... والباطـــلُ المُـــر بالتـــدمير ينـــدمج

والـــدارُ جرّدهـــا مـــن هـــديها خشُـــبٌ ... والحـــال فـــي أرضـــها بـــالله مُعـــتلج

أنـــى اتجهـــت تـــرى غيـــداً وأغربـــة ... تؤيّـــد الهـــزل ، يســـعى نحوهـــا الـــدلج

وأصـــبح الحـــق فـــي الأغـــلال متهمـــاً ... علـــى الجبـــين لظـــى ، والقلـــب مخـــتلج

وعِـــزة الحـــق فـــي الأوحـــال بائـــدة ... ومَـــن لـــه القتـــلُ والتصـــليبُ يبـــتهج!

وزمـــرة الحـــق لـــم نلحـــظ لهـــا أثـــراً ... يُزغـــرد الكـــل ، لكـــنْ تلـــك تخـــتلج

طليعـــة الحـــق فـــي التســـفيه غارقـــة ... تُرَقـــع الـــزور ، يُزْكِـــي نارَهـــا الهـــوَج

وتـــدفن الغِـــل فـــي أعمـــاق غفوتهـــا ... ليثـــأر الكيـــدُ والتضـــليلُ والحِجـــج

توحّـــد الكفـــرُ ، لكـــنْ تلـــك مـــا اتحـــدتْ! ... لـــهُ طريـــقٌ ، وهـــذي شَـــجّها العِـــوَج

وعُصـــبة الشـــر فـــي عـــز وفـــي ظفـــر ... وعُصـــبة النـــور بالخســـران تمتـــزج

وجوقـــة الزيـــف فـــي تـــزييفهم ولجـــوا! ... وفرقـــة الخيـــر مِـــن أنـــوارهم خرجـــوا!

وكـــربُ أهـــل الخنـــا - فـــي النـــاس - منفـــرجٌ ... وكـــربُ أهـــل المعـــالي لـــيس ينفـــرج

وصـــف أهـــل الهـــوى - فـــي القـــوم - متحـــدٌ ... وصـــف أهـــل الهُـــدى - فـــي النـــاس - يعـــتلج

مِـــن أيـــن يـــأتي الهُـــدى نصـــرٌ وتبصـــرة؟ ... وكيـــف يـــأتي الرخـــا والعـــز والفـــرج؟

أعمالٌ ونيّات

(يذكر غير واحد من أهل الأصول أن ديننا الحنيف قام على أحاديث ثلاثة للنبي – صلى الله عليه وسلم -: (إنما الأعمال بالنيات – الحلال بيّن والحرام بين – من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). والأحاديث الثلاثة والحمد لله صحيحة. واليوم أصدّر قصيدتي هذي بثلث ما يقوم عليه الإسلام: حديث (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه). وإذن فأعمالنا وأقوالنا تنعقد بنيّاتنا. ويكون الأجر عليها عند الله إن كانت صالحة ، أو العقاب عليها إن كانت غير ذلك. وأوجّه هذه القصيدة لأم أولادي عازماً معها على تحمّل الحق وتبعاته وأثقاله ما استطعت إلى ذلك سبيلاً. يذكر لنا الأصمعي عن أبّان بن ثعلبة أنه قال: مررتُ بامرأة بأعلى الأرض ، وبين يديها ابن لها يريد سفراً ، وهي توصيه فتقول: (اجلسْ أمنحْك وصيتي ، وبالله توفيقك ، وإنه لقليلٌ إجدائه عليك أنفعُ من كثير عقلك: إياك والتمائم فإنها تزرع الضغائن ، ولا تجعل نفسك يوماً غرضاً للرماة ، فإن الهدف إذا رمي لم يلبث أن ينثلم ، ومثل نفسك مثالاً ، فما استحسنته من غيرك فاعمل به ، وما كرهته فدعه واجتنبه ، ومن كانت مودته بشره كان كالريح في تصرّفها. ثم نظرتْ فيّ وقالت: كأنك يا عراقي أعجبت بكلام البدو؟ ثم قالت تكمل وصيّتها لابنها: يا بُني إذا هززت فهز كريماً ، فإن الكريم يهتز لهزتك ، وإياك واللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ، وإياك والغدر فإنه أقبح ما توصّل إليه وأحقر ما تعومل به ، وعليك بالوفاء ففيه النماء ، وكن بمالك جواداً ، وكن بدينك شحيحاً).هـ. فتأثرتُ بالوصية ، وندمت أنني أحسنت الظن بالذئاب البشرية والحيتان الآدمية حتى رُمِيت في العراء دونما مأوى ، وبعد ذلك عزمت على ألا أحسن الظن بأحد - بدت علامات غدره وخسته ونذالته - إلا بعد تجربة وتمحيص! يقول أستاذنا محمد الخضر حسين تحت عنوان: (صدق العزيمة) ما نصه: (يخطر في النفس أمرٌ فتثق بأنه حق أو نافع ، فتحرص على حصوله ، فإذا أضافت إلى هذا الحرصِ النظرَ في وسيلة بلوغها إياه ، وبدا لها أنه في حدود استطاعتها ، فسرعَان ما تقبل عليه ، وتبذل سعيها للوصول إليه ، وذلك ما نسميه بالعزم أو الإرادة. فما يخطر في النفس مما تعتقد حقيته أو نفعه ، وتود أن يكون حاصلاً لديها ثم لا تسعى له سعيه ، ولا تضع لبلوغه خُطَّةً ، فإنما هو التمني الذي لا يفرق بين المحال والمستطاع ، والذي يخطر في نفوس القاعدين كما يخطر في نفوس المجاهدين ، وما مثله إلا كمثل الشرر الذي يلمع حول النار ثم يتصاعد هباءً. وإذا تحدثنا في هذا المقال عن قوة الإرادة وذهبنا في حديثها مذهب خصال الحمد ، فإنما نعني الإرادة المتوجهة إلى ما هو خير. ومن أفضل ما يُمدح به الرجل أن يتوجه بعزمه القاطع إلى إظهار حق ، أو إقامة مصلحة. وتنشأ قوة الإرادة من التجارب ، فمن تعلق همه بأمر كان قد عُرف بطريق التجربة أنه ميسور وأن عاقبته سلامة ونجاح ، انقلب همه في الحال عزماً صادقاً).هـ. رحمك الله ، وأعاننا على العمل بوصيتك يا شيخنا الخضر ، آمين!)

سـوف أكسـر القيـود والسـدودْ يـا حليلتـي ، بشـرط أن أعـودْ

سـوف يكتـبُ الزمـان أنني قـد ولـدتُ – فـي الـديار – مـن جديـد

سـوف يسـمع الأنـام عزمتـي مسـتقيمة تحطـم القيـود

سـوف يعلـم الجميـع نيتـي ... بـل ، ودونهـم صـرامة القصـيد

سـوف يشـهد العـدو أنني ... لـم أعـد إذن لنـاره الوقـود

بـل ومـن حبـا وليـدنا الأذى ... ثـم عـذب الجنـين والوليـد

ثـم شـوّه الإخـاء والوفـا ... بـل وباعنـا بالـدرهم الزهيـد

صَـدّقي يراعتـي ونـورَ ثـورتي ... بثأرنـا سـيأخذ الحفيـد

نيـة علـى الجبـين سُـطرتْ ... ثـم فـي الفـؤاد بأسُـها يزيـد

أن يكـون بيتنـا مُحـرراً ... مـن زيـارة الخـؤون والحقـود

أن نعـيش وفـق شـرع ربنـا ... لا يهزنـا الجـوى أو الرعـود

أن نـودّع الكـرى حقيقـة ... لا تغرّنـا يُنوعـة الوعـود

بـل عبـادة المليـك أولاً ... بعـدها كـذا إطالـة السـجود

لـن يُريبنـا تراجـعُ الـورى ... نحـن مِـرقمٌ عـن الهُـدى يـذود

لـن يُخيفنـا توعّـدُ الـورى ... لـن يَروعَنـا تقهقـرٌ شـديد

لـن يُضـيرنا تخـاذلُ الـورى ... سـعيُنا بـدونهم هـو السـعيد

إنهـم بـدربنا متاهـة ... ترتـوي مـن القريـب والبعيـد

قطعهـا مكلـفٌ ومُجهـدٌ ... والـذي يحـب عيشـه يحيـد

فـاعلمي بأنهـا تريـدنا ... ثـم هـذه لهـا الـذي تريـد

يـا حليلتـي وزورقـي مضـى ... فـي شـعابها ترينـه الوحيـد

والصـحابُ حولـه جنـادلٌ ... لـم تـذق طـلاوة تلـي النشـيد

اعتراف قلب قاس

(يقول الله - عز وجل -: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون). وإذن فكثرة ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار وكثرة قراءة القرآن وكثرة الخطا إلى القبور وكثرة مسح المؤمن على رأس يتيم وكثرة مدارسة العلم وكثرة المشي في حاجات المسلمين (قضيت أو لم تقض) وكثرة التأمل في آيات الله في الكتاب الكوني المفتوح وكتاب الله المتلو القرآن ، كل هذه الأعمال تساعد على رقة القلب ومحو قسوته وإبعاد غلظته وإزهاق جفائه ، كما تساعد على دحر المحن والبلايا التي تكاد تحيق بالإنسان لولا رحمة ربه! والحقيقة أن المحن والإحن والمصائب والرزايا جديرة في حد ذاتها بأن ترقق القلب إن جأر صاحبها إلى الله وتضرع له وبكى بين يديه وسأله صرفها عنه وتطهيره من ذنوبه! وعندما يخرج المؤمن الموحد القانت من محنة إلى محنة ، ومن ابتلاء إلى ابتلاء ، ومن امتحان إلى امتحان ، ومن فتنة إلى فتنة ، ويجأر إلى الله ويفر إليه ويلجأ إلى جنابه ويأوي إلى ركنه الشديد ، فإنه من الطبيعي أن يرق قلبه ويلين ويتذكر ويتبصر ويعتبر. ولكن عندما يستأثر به شيطانه فيصور له أنه فاشل فاسل ، وأنه لا فائدة من أخذ العبرة والدرس والعظة فإن القلب ساعتئذ يقسو ويضطرب. والقلب إن وصل إلى هذي المرحلة ولم تتداركه رحمة ربه البر الرحيم ضاع صاحب هذا القلب العطيب! وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب). وإذن فالقلب أساس الصلاح والفساد ، نسأل الله القلب السليم (الخالي من الشرك) في الدنيا والآخرة ، (إلا من أتى الله بقلب سليم) ، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وعموماً أمور القلوب كما وصفه النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ وصفها بقوله: (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. إن الخراب إذا حصل والفِرار إذا نزل ، يكون مرْجع ذلك كله إلى هذه القلوب إذا كانت خاوية ، يقول الله عز وجل: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً). فينظر كيف تعملون! وهذه التحركات والتصرفات محسوبةٌ علينا ، وسنبعث ونرجع جميعاً إلى الله عز وجل: (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). ما مدة لبثنا في هذه الدنيا ؛ وما طول مقامنا فيها؟ لا شيء بالنسبة لما سيأتي بعد الموت من الحياة الدائمة الخالدة المستقرة في الدار الآخرة ، ولذلك لا بد أن نُري الله تعالى من أنفسنا خيراً ، ولا بد أن نأخذ للأمر أهبته ، وللميدان عدته حتى تتحد القلوب في مواجهة الشر والكفر ، وليكون المسلمون يداً واحدة أمام عدوهم. وإن تحركات المسلم ليست طائشة ، ولا هوجاء ؛ لأنها يجب أن تكون منضبطةً بنور هذه الشريعة ، وينبغي أن يكون نور الوحيين هو الذي يعمل عمله وفعله في قلوب الناس في أوقات الشدائد ، وإذا كان للجوارح أعمالٌ كالصلاة والحج والجهاد ، فإن للقلوب أعمالاً أعظم من ذلك بكثير ؛ لأن عمل القلب ينبني عليه صلاح عمل الجوارح أو فسادها. ولذلك فينبغي للمسلم أن يهتم بقلبه جداً في أوقات المحن - ونحن نمرُ ولا شك بمحنة - وإن الحوادث من حولنا تُوجب علينا أن نكون أكثر بصيرةً من ذي قبل ، وينبغي أن تكون قلوب المسلمين حية ؛ لأن القلب الميت لا خير في صاحبه. قال الله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ). وإذا كان ذلك كذلك فإن كل مسلم قانت لا بد وأن يتعهد قلبه ويقفه على حدود طاعة ربه والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه. ذلك أن القلب إما أن يرفعه في أعلى عليين إذا أخلص دينه لله ، كما

يمكن أن يجعل صاحبه في أسفل السافلين إذا خبث وفسد!! فليتفقد كل مسلم قلبه وليتعهده بالخير! وليحاول المسلم مراراً وتكراراً أن يأخذ بأسباب تزكية القلب ، ويبتعد عن أسباب تدسيته حتى لا يقسو!)

إيـــه يـــا قلبـــاً فـــي الســـراب تمـــادى ... كيـــف تلقِـــي – فـــوق اليقـــين – الرمـــادا؟

اتـــركِ الإفـــلاس المريـــر ، وجاهـــدْ ... يـــا عزيـــزي: دع عنـــك هـــذا الســـوادا

قـــد زللنـــا يـــا قلـــب بـــين البرايـــا ... لـــم تعظنـــي بـــل صـــرتَ فـــيّ جمـــادا

كـــم دهتنـــا – بـــين الأنـــام - خطـــوبٌ ... كنـــت لـــي فيهـــا واعظـــاً وعِمـــادا

فلمـــاذا القلـــب الســـليم صـــموتٌ؟ ... أتـــلُ - يـــا قلبـــي - النصـــحَ والإرشـــادا!

أيـــن يـــا قلبـــي البـــذلُ منـــك؟ أجبنـــي! ... كيـــف قلبـــي - فـــي الموبقـــات - تمـــادى؟

فأجـــاب القلـــب الكئيـــب: ترفـــقْ ... رغـــم أنفـــي أضـــنى اكتئـــابي المِـــدادا

فـــإذا بـــي فـــي الحـــزن والضـــنك وحـــدي ... أشـــربُ الحـــزن ، وأستســـيغ الحِـــدادا

آه مـــن قيـــد الـــوزر ، جـــافٍ وعـــاتِ ... ولقـــد عـــانى الصـــبرُ عنـــدي النفـــادا

قـــد وَنـــى فـــيّ العـــزمُ ، فاســـع وحيـــداً ... زال عطفـــي ، إذ لا أطيـــق العِبـــادا

عضـــلتْ بـــي - فـــي الجـــد - آلامُ حزنـــي ... فـــانزوى عزمـــي ، والتحفـــتُ الرقـــادا

ودخلـــتُ الحـــربَ الرهيبـــة ميْتـــاً ... وترانـــي فيهـــا خـــذلتُ الجيـــادا

مُضـــغة خـــارت - فـــي جواهـــا - قواهـــا ... ثـــم أمســـتْ لا تســـتبين السَـــدادا

قلـــتُ: يـــا قلبـــي خفـــف اللـــوم هـــذا ... أتظـــن مـــا فاتنـــا أن يُعـــادا؟

كيـــف ترضـــى عيشـــاً يُعـــاني قروحـــاً؟ ... كيـــف تهـــوى فـــي العائـــدات الحِيـــادا؟

إننـــي بالقلـــب الجـــريح سأمضـــي ... إنـــه أضـــحى - فـــي نائبـــاتي - عَتـــادا

كيـــف أســـعى - بـــين الـــورى - دون قلـــب؟ ... إن مِـــن حســـن المـــرء هـــذا الفـــؤادا

ابتهال (اللهم إليك أشكو)

(يقول الله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) ويقول: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) ويقول: (وقال ربكمُ ادعوني أستجب لكم) ويقول: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء). وروى البخاري من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني). وروى ابن حبان والحاكم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (لا تعجزوا في الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد). وخرّج أبو يعلى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدرّ لكم أرزاقكم؟ تدعون الله في ليلكم ونهاركم ، فإن الدعاء سلاح المؤمن). وخرّج الترمذي أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: (الدعاء هو العبادة). وفي رواية أخرى: (الدعاء مخ العبادة). وروى الحاكم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن الله رحيم كريم يستحيي من عبده أن يرفع يديه ثم لا يضع فيهما خيراً). ومن هذا المنطلق كان للدعاء شأنه ومنزلته في إسلامنا. وإنه عندما يرى موحد قانت مخبت حرمات الله تنتهك وشعائر الله يستهان بها ، وأولياء الله منفيين أو مأسورين أو مقتولين أو مضطهدين ، وأعداء الله مقربين منعمين ، وحدود الله معطلة مغيبة ، ويرى نفسه ومن هو على شاكلته من أهل التوحيد أذل من الشاة وأقل قدراً في المجتمع بين الناس من الأمَة ، وأحط وأدنى من الذباب ، ولا حول ولا قوة ولا منعة ولا ظهور ولا أمان ولا عز لأهل الحق والخير ، فإنه والحال هكذا يتألم الألم الشديد ، ويكاد قلبه يذوب كما يذوب الملح في الماء. ذلك أنه يرقب الأمل الداني في أهل الخير من الذين يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، فإذا به يجدهم إلا من رحم الله أعداء يضرب بعضهم رقاب بعض ، ويبيع بعضهم بعضاً للشيطان من أجل عرض من الدنيا قليل ، فهم بذلك في أحبابهم وأصفيائهم من الزاهدين ، هنا يتسرب اليأس إلى قلبه لولا الأمل في الله تبارك وتعالى ، ومن هنا يضرع إلى الله ويبتهل ويشكو ما يعاني ، فعسى الله أن يصرف عنا سيئ الأحوال والأوضاع! لا يصرف عنا سيئها إلا هو سبحانه! وعلى هذا الأساس فإنه لا ينبغي لليأس أن يكسر على المؤمن القانت أسوار نفسه المنيعة ، لعلمه اليقيني أن الله يسمع ويرى ، ولإيمانه بمبدأ: (ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون)! إن هناك فرقاً كبيراً جداً بين مؤمن يعيش على الأمل في تحقيق موعود الله وسنته في الظالمين ، ومؤمن آخر يردد: (لا فائدة!) وقد أخذ منه اليأس والقنوط مأخذاً عظيماً! تقول الأستاذة سلوى العضيدان في بحثها العظيم: (هكذا هزموا اليأس!) ما نصه: (اليأس قيد ثقيل يمنع صاحبه من حرية الحركة ، فيقبع في مكانه غير قادر على العمل والاجتهاد لتغيير واقعه ؛ بسبب سيطرة اليأس على نفسه ، وتشاؤمه من كل ما هو قادم ، قد ساء ظنه بربه ، وضعف توكله عليه ، وانقطع رجاؤه عن تحقيق مراده ، إنه عنصر نفسي سيء ، لأنه يقعد بالهمم عن العمل ، ويشتت القلب بالقلق والألم ، ويقتل فيه روح الأمل. إن العبد المؤمن لا يتمكن اليأس من نفسه أبداً ، فكيف يتطرق اليأس إلى النفس وهي تطالع قوله تعالى: (وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ). أم كيف يتمكن منها الإحباط وهي تعلم أن كل شيء في هذا الكون إنما هو بقدر الله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ). فإذا أيقن بهذا فكيف ييأس؟ إنه عندئذ يتلقى الأمور بإرادة قوية ورضا تام ، وعزم صادق على الأخذ بأسباب النجاح).هـ. وجزا الله خيراً الأستاذة سلوى

العضيدان على هذه الفكرة! وعسى الله أن ينفع بها وبكتاباتها وأبحاثها الجيدة المفيدة! إنها تضرب دائماً على وتر التفاؤل ونبذ التشاؤم ، وتحث مراراً وتكراراً على إحسان الظن بالله تعالى!)

يـــــا إلهـــــي أشـــــكو إليـــــك هـــــواني ... فـــــي ديـــــار تنعـــــي ضـــــياع الأمـــــانِ

كـــــم رأيـــــتُ الحـــــر التقـــــيَ صـــــريعاً ... ورأيـــــتُ الشـــــهم الكـــــريم يعـــــاني!

رب أدركْ مَـــــن آمنـــــوا واســـــتقاموا ... لا تـــــدعْهم فـــــي غربـــــةٍ وهـــــوان

رب عامِلنـــــا بالـــــذي أنـــــت أهلـــــهُ! ... لا تـــــدعْنا نســـــعى لعطـــــف فـــــلان

مَـــــن ســـــوى الله المســـــتعان ســـــأدعو؟ ... ولمَـــــن – بالآهـــــات – يلغـــــو لســـــاني؟

إيـــــه يـــــا نفســـــي ، هـــــل تتـــــوبين حقـــــاً؟ ... شـــــاب رأســـــي يـــــا نفـــــس قبـــــل الأوان!

كيـــــف زال العـــــزم القـــــوي؟ أجيبـــــي! ... ضـــــحكتْ يـــــا نفســـــي - عليـــــك - الأمـــــاني

هكـــــذا الـــــوهمُ المســـــتريبُ طوانـــــا ... فـــــإذا بـــــي – فـــــي النـــــاس – أبكـــــي بيـــــاني

شـــــعرُ غيـــــري فـــــي كـــــل صُـــــقع ينـــــاغي ... ثـــــم شـــــعري – صـــــدقاً – أســـــيرُ جنـــــاني

أصـــــطلي بالنـــــار الرهيبـــــة حُزنـــــاً ... ثـــــم يشـــــوي الأشـــــعارَ لفـــــحُ الـــــدخان

دمعتـــــي – خلـــــف الجُـــــرح – لا تتـــــوارى ... حيـــــث ذابـــــت فـــــي مُقلتـــــي وكِيـــــاني

إنهـــــا تبكـــــي الهـــــدى ســـــراً وجهـــــراً ... ليتنـــــي مـــــا عشـــــت فـــــي ذا الزمـــــان

ســـــكن الشـــــرعُ الطـــــاهرُ الكتْـــــبَ دهـــــراً ... أعليـــــه ينســـــاب دمـــــعُ الجبـــــان؟

إنمـــــا يبكـــــي الشـــــرعَ كـــــل عظـــــيم ... طـــــامع فـــــي نيـــــل الرضـــــا والجنـــــان

مـــــؤمن بـــــالله العظـــــيم ، ويكفـــــي! ... لـــــم يعـــــد - بـــــين النـــــاس - لـــــي مـــــن مكـــــان

وعلـــــى الـــــذنب المُـــــر هـــــذي دمـــــوعي ... وعلـــــى قلبـــــي انفـــــلَّ ســـــيلُ الطعـــــان

يـــــا إلهـــــي أنـــــت البصـــــير بحـــــالي ... وعلـــــيمٌ مـــــاذا وراء المعـــــاني؟

فـــــأجرْني مِـــــن تُرّهـــــات شـــــقائي ... لـــــم يكـــــن فيمـــــا قـــــد جـــــرى لـــــي يـــــدان

رسالة مودة للشاعر سالم النوبي

(رحل عني ذلك الصديق الفذ ، وترك في النفس أثراً كبيراً. ولم يكن عنوانه عندي. فلما مُنِيتُ به كتبت أصِله شعراً! ولا أنسى ما حييت ذكرياتِه الجميلة ، وهو يستضيفني في بيته ويستمع لي وأنا أقرأ من شعري ، وأستمع له يقرأ من شعره! هنا في عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة. إن هذه الروح افتقدتها بعد رحيله! ولا أزكيه على الله وأحسبه هكذا والله حسيبه. وجزاه الله عني خيراً! ولربما له عذره ، فلقد قرر الرحيل في عُجالة من أمره ، ولم يُرتب للأمر ، ولم يأخذ أهبته!)

فـــــاض كربـــــي ، واهتاجـــــتِ الأشـــــجانُ ... واســـــــتبدَّتْ بالخـــــــاطر الأحـــــــزانُ

واســـــتكانتْ تشـــكو الفـــراق دمـــوعي ... وقلانـــــي - فـــــي نـــــوبتي - النســـــيان

دمَعـــــاتي - فـــــي وجنتـــــيّ - ثكـــــالى ... والمآســـــي فـــــي مُهجتـــــي بركـــــان

ونحيـــــبُ الفـــــؤاد يجتـــــرّ وَخـــــزاً ... ونشـــــيجُ النجـــــوى بـــــه هتـــــان

(ســـالمَ) الخيـــر قـــد رحلـــت ، فهـــلا ... كـــان عنـــدي – يـــا صـــاحبي – العنـــوان؟

لـــم يكـــن بعـــد (ســـالم) مـــن عـــزاءٍ ... عـــز عنـــه – وربنـــا - الســـلوان

كيـــف أنســـى خِـــلاً كريمـــاً وفيـــاً ... لـــم يُعـــوّضْ فراغـــه الخـــلان؟

كنـــتُ بحـــاراً فـــي ســـفينة شـــعري ... فـــي خضـــم ، والســـالمُ الربـــان

فنـــأى عنـــي ، ثـــم صـــرتُ وحيـــداً ... يحتـــويني - فـــي مِحنتـــي - الميـــدان

أكتـــوي بالخـــذلان مـــن جُـــل صـــحبي ... تعـــسَ الخـــاذلون والخـــذلان!

وأعـــاني مـــن نـــار كـــل عميـــل ... فمتـــى – قـــل لـــي – تنطفـــي النيـــران؟

ثـــم تشـــوي أحقـــادُهم نبـــتَ شـــعري ... والقـــريضُ تدكّـــه الأضـــغان

يـــا صـــديقي أرســـلْ إلـــيّ كتابـــاً ... فعســـى أن يسترشـــد الوجـــدان

قـــمْ وســـطرْ ، فالشـــوقُ هـــز فـــؤادي ... ودمـــوعي – علـــى الجـــوى - بُرهـــان

وتحيـــاتي يـــا أعـــز صـــديق ... زادُهـــن الإخـــلاصُ والإيمـــان

اتركوني مع من أحببت في الله!

(لبعض الخلافات البسيطة يصر أهل تلك الزوجة على أن يُطلِقوها من زوجها. وكأنهم يوم قبلوه لها زوجاً كانوا قد استكثروها عليه. وكأنهم يضمنون لها زواجاً مباركاً ميموناً عند غيره إذا هي طلقت من الأول! وتعددت محاولاتهم الخبيثة الماكرة في محاولة اقتناص الفرص والإيقاع بين الرجل وأهله والتخبيب الرخيص المكشوف الدنئ. وأعدوا للأمر عدته ، وراحوا يمكرون ، ويُشْهرون سيوفهم ، وكأنها الهيجاء التي يحرزون فيها النصر على الأعداء. وكلٌ يدلي فيها بدلوه. إلى أن حسمت أمرها بنفسها هذه الزوجة الحكيمة المشترية لزوجها ولبيتها ولنفسها ولأولادها ولكرامتها وأنسها وراحتها. وأيقنت أنها المؤامرة والمساومة على العقيدة ، والرهان على هدم هذه الأسرة المنكوبة بلا مبرر! فقالت واثقة من نصر الله سبحانه وتعالى - لها ، ثقة هاجر زوج الخليل إبراهيم – عليه السلام – يوم تركها وولدها الرضيع إسماعيل – عليه وعلى أبيه الصلاة والسلام – في واد غير ذي زرع عند بيته المحرم ، فقالت هاجر – رضي الله عنها -: لمن تتركنا يا إبراهيم؟ آالله أمرك بهذا؟ فقال: نعم. فردتْ: إذن اذهب فلن يُضيّعنا الله. وثقة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – عندما نزل الوحي على النبي – صلى الله عليه وسلم – فأقسمتْ بالله تهدئ من رَوْعه تقول: (والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتكسب الكل وتعين على نوائب الدهر!) وثقة امرأة جليبيب الصحابي الجليل عندما جلت عن أبويها وهي الفتاة الأنصارية ذات الحسب والنسب والجاه والغنى ، يوم رفضه زوجاً لها أبواها لأنه كان عبداً وقصيراً ودميماً وفقيراً! فقالت في ثقة المؤمنة وإيمان الواثقة: ما هذا يا أبتاه ما هذا يا أماه أوتردان على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمره؟ لقد قبلتُ زواجه امتثالاً لأمر نبي الله – صلى الله عليه وسلم -! فحييتُ تلك الزوجة التي خطط أهلها لتطليقها من زوجها لخلافات بينهما! وبدلاً من أن يسعوا للصلح والوفاق سعوا للشقاق والطلاق! فأبت تلك الزوجة وفوَّتت عليهمُ الفرصة ، وأفشلتْ كل محاولاتهمُ الدنيئة ، مؤثرة رضاه كزوج على رضا أهلها ، آمرة بالحق وصادعة به ، قائلة لهم: اتركوني مع رجل أحببته وتزوجته وارتبطت به في الله ورسوله! واعتزت بتقواها زاهدة في الدنيا وزخرفها متمسكة بزوجها! قال الشافعي: من لم تُعِزُّهُ التقوى فلا عِز له. وقال المناوي في كتابه فيض القدير ج4/ص290: "ينبغي للعالم أن لا يشين علمه وتعليمه بالطمع ولو ممن يعلمه بنحو مال أو خدمة وإن قل ولو على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لم يهدها وقد حث الأئمة على أن لا يدنس العلم بالأطماع ولا يذل بالذهاب إلى غير أهله من أبناء الدنيا بلا ضرورة ولا إلى من يتعلمه منه وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه. فعلى العالم تناول ما يحتاجه من الدنيا على الوجه المعتدل ولا يبالي بفوتها فإنه أعلم الناس بخِستها وقلة غنائها).هـ.)

اتركـــــوني ومَـــــن أحـــــب فـــــؤادي ... لســـــتُ مـــــنكم يـــــا جوقـــــة الأوغـــــادِ

كـــــم قتلـــــتم - بالترهـــــات – وصـــــالاً! ... وســـــــفكتم دمـــــــاء كـــــــل وداد

وقهـــــــرتم بالشـــــــائعات إبـــــــاءً ... ورميـــــــتم بـــــــالغيّ كـــــــل رشـــــــاد

وافتـــــريتم - علـــــى البـــــرئ - كثيـــــراً ... بعـــــد أن أرســـــى أعـــــذب الأمجـــــاد

ونـــــــويتم تشـــــــتيت زوج وبيـــــــتٍ ... بعـــــــد هـــــــدم الأركـــــــان والأولاد

لـــم تضـــحّوا مـــن أجـــل إحقـــاق حـــق ... لـــــم تقومـــــوا بواجـــــب الإرشـــــاد

لـــــم تكونـــــوا ردءًا ودرعـــــاً ونـــــوراً ... فـــــي ديـــــاجير العائـــــدات الشـــــداد

حصـــحصَ الحـــقُ ، فـــاتركوني وشـــأني ... ورجـــوعي عـــن بـــاطلي خيـــرُ زاد

كـــم خســـرتُ بهـــزلكم كـــل خيـــر! ... وفضِـــحتُ بالكيـــد فـــي كـــل نـــاد!

وتخلفـــتُ عـــن بلـــوغ الأمـــاني ... وطعنـــتُ فـــي كـــل شِـــعب وواد

وافتـــرى عنـــي الوالغـــون بعِرضـــي ... كـــل زيـــفٍ أصـــابني بالســـهاد

وجُعلـــتُ – للحاقـــدين - متاعـــاً ... وعلـــيّ الأنـــذال بالمرصـــاد

فـــارحموني يـــا أهـــلُ ممـــا فعلـــتم ... وذرونـــي لمَـــن عليـــه اعتمـــادي

حســـبيَ الله ، لا أقـــول سِـــواها ... ورضـــا ربـــي مَطمحـــي ومُـــرادي

وهْـــو بينـــي وبـــين مَـــن ظلمـــوني ... لـــيس يُجـــدي تلـــوّمي وعِنـــادي

واجتـــرأتم علـــى تحـــدي شـــريفٍ ... هـــو ســـلوى مشـــاعري وفـــؤادي

وكـــذبتم لتكســـبوا كـــل ودٍ ... واســـتبحتم يـــا أهـــلُ خيـــر العِبـــاد

وهتكـــتم – بـــالظن - عِرضـــاً عفيفـــاً ... بيننـــا يحيـــا طيّـــب الإعتقـــاد

والتقيـــتم علـــى التشـــفي جهـــاراً ... دون حـــق ، كـــلّ بحربـــة عـــاد!

أنســـيتم تحـــذير خيـــر البرايـــا ... مـــن وبـــال التخبيـــب والإفســـاد؟

صـــارحوني ، مـــاذا أردتـــم بهـــذا؟ ... إنمـــا الأشـــقى والأضـــل البـــادي!

كـــان أولـــى أن تنصـــحوا وتـــداووا ... وتـــردوا مَـــن بـــالطلاق يُنـــادي!

وتراعـــوا الجبـــار فـــي كـــل أمـــر ... وتخـــافوا مـــن هـــول يـــوم التنـــاد!

غريب الدار

(أحسستُ ذات يوم أنني غريب عن داري وأهلي وعشيرتي! غريب بفكرتي وتصوري وعقيدتي ، فرحتُ أصوّر هذا الحال ، وما أظن شعوراً كهذا إلا وهو مكرور عند كل من أحس بعزة ما هو عليه من توحيد وعقيدة ، ويخلو عن ذلك من استبدل العقيدة والتوحيد بالدرهم والدينار والأرض والطين والوحل. والجنة جائزة العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص. ومن السهل اليسير على العبد المؤمن الموحد أن يؤخذ من دنياه ولا تمس عقيدته بسوء! إن قصيدة (غريب الدار) كتبت عام 1986م ، وهي على هذا من قديم ما كتبت ، ولربما وجد عليها القارئ بعض آثار الضعف الفني فمن هنا ألتمس منه المعذرة! وعنوانها (غريب الدار) قد ابتذل كثيراً في عالم الأغاني والمسرحيات واللغة الإعلامية الهابطة المعاصرة! ولكن ما كان لي من بُد في اختياره! روي عن أبي الدرداء أنه قال: لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة. قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم؟ قال عيسى بن يونس: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان؟ وعن أم الدرداء قالت: دخل أبو الدراداء وهو غضبان ، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً. وعن أنس بن مالك قال: ما أعرف منكم ما كنت أعهده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير قولكم: لا إله إلا الله. قلنا: بلى يا أبا حمزة. قال: قد صليتم حتى تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! وعن أنس قال: (لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ، ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً. قال: ووضع يده على خده ، ثم قال: إلا هذه الصلاة). إنها غربة الإسلام! وإذا كان هذا يقال عن القرن الأول فكيف بزماننا؟!)

غريبُ الدار حتى وسط أهلي ... رفيقُ الكرب ، والآلام خلي

نديمُ الوهم ، أمسي بل ويومي ... شِراءُ الحب تِرحالي وحِلي

ولكن مَن يبيع الحب قلبي؟ ... ومن يشري من الأحزان عقلي؟

كرهتُ العيش ، بل شوقي وعمري ... وللأسباب قد أشهرتُ غلي

صديقُ اليأس ، والأغلالُ صحبي ... ربيبُ الوجد ، والأسبابُ أهلي

تلافيفُ الشقاء هنا رفاقي ... وقال الوهم: مهلاً ، واستمعْ لي

إذا رمت الهناء فكن شجاعاً ... فليس السعد مفتاحي وظلي

وأحقادُ الورى فاضت وهاجت ... وبات الأسر في الغبن المُطِل

فمن ذا يشتريني من عدوي؟ ... وأين المال؟ يا إنسانُ قل لي؟!

التاريخ الجريح

(إن الإسلام دائماً شباب وإن شاخ بعض أتباعه من المسلمين! فلا يهرم ذلك الدين بل هو دائماً في ريعان الشباب ، وإن أحب له أعداؤه أن يشيخ ويهرم ويموت ويوارى في التراب! وها هو يتحدى ويقصم من عانده وحاربه وناواه! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن تتداعي عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ ، قال: بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهَن ، قالوا: وما الوهَن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت). خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعه أبو عبيدة ، فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة ، فقال أبو عبيدة ، يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك فقال عمر: أواه لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله. وإذن فيبقى الإسلام شباباً في نفوس من اعتنقوه بصدق واعتزوا به بإخلاص! والتاريخ الجريح يأسى لما يعتور المسلمين من أحوال سيئة وظروف عاتية! والحقيقة أنني هممت بتمزيق هذه المقطوعة عدة مرات ، إذ يعود تاريخ كتابها لصيف 1987م! فالضعف الفني طابعُها! وأنا إذ أكتب هذا فمن باب الأمانة وليس ليكون هذا الاعتراف سيفاً عليّ يوماً!)

أيها الإسلام هيا ... وامسح ذاك الكفر هيا

قد كفانا نوم قوم ... أزهقوا القرآن طيا

ليس يغني العيش أنا ... نقتفي الزيف الجليا

هؤلاء القوم ضلوا ... واشتروا بالدين غيا

قد رأوا في الجُبن سِلماً ... وامتطوْا فسقاً عتيا

يا رفاق الدرب سيروا ... وامحقوا الجبن الخفيا

فوق هام الجور ثوروا ... واحْطِموا الترياق حيا

كبِّدوا الأعداء خسراناً مريعاً ... سرمديا

مُذ متى والنفس تعطي ... شعر قلب نرجسيا؟

هل يعيد الحق شعري؟ ... خبِّروا القلب السويا!

إلى صديق حزين

(هذه القصيدة نقشتها وعمري أربع وعشرون سنة. وأستميح القارئ عذراً إن هو لم يلمس فيها من الجودة ما كان يأمل ويتوقع. والكتابة إلى الأصدقاء أو عنهم تجعلني في حيرة من أمري خاصة إن كنت أواسيهم في حزن قد ألمّ بهم. وهذا أحدهم صديق حزين كئيب قلما رأيته يضحك أو يبتسم ، ومن هنا رحت أواسيه ، وعند مواساتي أدركتُ أن الجميع في حزن ، فهي إذن قضية عامة! ومما يظهر الأمر ما ابتلي الله به عباده في الدنيا من السراء والضراء ، قال سبحانه: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول: ربي أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول: ربي أهانن! كلا). يقول الله سبحانه ليس الأمر كذلك! ليس إذا ما ابتلاه فأكرمه ونعّمه يكون ذلك إكراماً مطلقاً ، وليس إذا ما قدر عليه رزقه يكون ذلك إهانة ، بل هو ابتلاء في الموضعين وهو الاختبار والامتحان! فإن شكر الله على الرخاء وصبر على الشدة ، كان كل واحد من الحالين خيراً له كما قال النبي: (لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له! وإن لم يشكر ولم يصبر كان كل واحد من الحالين شراً له)! فإلى كل صديق براه الحزن ، وألجمه الوجد وأخذ منه الألم مأخذه ، وأكل على أناته العذاب وشرب أهدي هذه القصيدة.)

طـــــــــال ليـــــــــلُ المـــــــــرارْ ... والأســـــــــى والشـــــــــجارْ

غـــــــــاب نـــــــــورُ الضـــــــــحى ... فـــــــــي جحـــــــــيم النهـــــــــار

مـــــــــات فـــــــــيضُ الهـــــــــوى ... فـــــــــي دجـــــــــى الانكســـــــــار

فـــــــــي هجيـــــــــر الجـــــــــوى ... هـــــــــاج وحـــــــــشُ الســـــــــعار

حـــــــــار منـــــــــي الـــــــــرؤى ... فـــــــــي بريـــــــــق القـــــــــرار

ذاب فـــــــــيّ الأســـــــــى ... واحتـــــــــواني المَـــــــــرار

عَبرتـــــــــي جرّحـــــــــتْ ... وجنتـــــــــي والإزار

قـــــــــد أنـــــــــاخ الصـــــــــدى ... قـــــــــيحُ هـــــــــذا الـــــــــدوار

مُزقـــــــــتْ بســـــــــمتي ... فـــــــــي أســـــــــى الانتحـــــــــار

صـــــــــرتُ مـــــــــن عثرتـــــــــي ... طـــــــــاويَ الإنفطـــــــــار

فاســـــــــعدي شِـــــــــقوتي ... إننـــــــــي فـــــــــي انتظـــــــــار

فـــــــــي حريـــــــــق الضـــــــــنا ... واخـــــــــتلاج الصـــــــــغار

وابتسمْ شامِتي قد جفا الانتصار

عبْر هذا اللظى وانتهاء المَزار

دمّري يا روؤى صُحبتي والجدار

فرقيني شجىً زادُه الانحدار

إن دمعي غفا وكفاني انتظار

يا رياض الأنينْ والشقاء المبينْ

كفكفي عَبرتي والجبين الحزين

واسكبيني دماً في المساء الضنين

واتركي مَضجعي والضمير السجين

واحضني صرختي والبكاء القرين

إنني تائهٌ غاب عنه الحنين

إنني غارقٌ ليس يدري السفين

إنني مذنبٌ موته هل يحين؟

قد كفاني هروب في كهوف السنين

من يريد الخداعْ لن يرى الارتفاعْ

عمره عمره في أتون الضياع

بعد طول النوى واحتراق القِلاع

بعد موت الهوى واللحون الجياع

هل يُرَجّى عُلا؟ أو يرجّى انتفاع؟

هل تضاء الربا أو ترق البقاع؟

هـــــــــل يعيـــــــــد الرجـــــــــا ... مـــــــــا تنـــــــــاءى وضـــــــــاع؟

أو يعيـــــــــــــد الســـــــــــنا ... مـــــــــا يـــــــــراه النـــــــــزاع؟

هـــــــــل تميـــــــــت الـــــــــدجى ... زفـــــــــرة مـــــــــن شـــــــــعاع؟

أو يـــــــــــــذوق العـــــــــــلا ... مـــــــــن يـــــــــروم المتـــــــــاع؟

يـــــــا لطـــــــول العـــــــذابْ ... وانحـــــــدار الشـــــــبابْ

فـــــــي وِهـــــــاد الكـــــــرى ... فـــــــي ديـــــــار الـــــــذئاب

فـــــــي قفـــــــار الخنـــــــا ... والمـــــــرار المـــــــذاب

فـــــــي خـــــــدور الأســـــــى ... فـــــــي نبـــــــاح الكـــــــلاب

شـــــــــــهوة أججـــــــــــتْ ... والهُـــــــدى فـــــــي اغتـــــــراب

أفقـــــــــــدتْ قومنـــــــــا ... ديـــــــــــنهم والكتـــــــــاب

واصـــــــــــطناعُ اللظـــــــــى ... مهلـــــــــــك وانتحـــــــــاب

عشـــــــت يـــــــا جيلنـــــــا ... للفنـــــــــون العِـــــــذاب

مـــــــات فيـــــــك الحيـــــــا ... فـــــــي الضـــــــياع المـــــــذاب

رحـــــــت تبغـــــــي العـــــــلا ... فـــــــي مهـــــــاوي الخـــــــراب

فـــــــي بحـــــــار الأســـــــى ... قـــــــد مخـــــــرت العُبـــــــاب

فـــــــي فيـــــــافي الزنـــــــا ... قـــــــد صـــــــرعت الســـــــحاب

ذاك لغـــــــــز البقـــــــــا ... فـــــــي جحـــــــيم الضـــــــباب

مواساة عصفور

(ما أحيلى أن يحس الشاعر بآلام الآخرين من حوله ، ولو كانوا من فصيلة الطيور! إذ الطيور تغرّد كما يغرّد الشاعر ، وتحزن كما يحزن الشاعر. وكم من شعراء أنشدوا مع الطير. وهذا عصفور حزين اعتاد أن يقف أمام نافذة حجرتي ، وكان يشبه الطيف الذي يمر ثم يغيب. وكنت قد شعرت أن هذا العصفور يعيش وحيدا فلا حبيبة ولا صديق تقريباً. وكانت هذه المواساة الشعرية تعبيرا عن مشاركتي إياه في معاناته وكربه. وإن كانت هذه القصيدة من شعري القديم الذي يعود تحديداً لسنة 1980م ، حيث كان عمري سبعة عشر عاماً! إلا أنني أحبها رغم الركاكة والضعف! وأراها تمثل مرحلة من مراحل بداياتي مع الشعر! وكنت قد آثرت أن أضعها كما هي بلا تعديل! وذلك كما أسلفت لأنني أحب أن أضع سجل حياتي - نصب عيني وأمام القراء - على طبيعته! وليس على عادة بعض الشعراء في الرقي بشعرها القديم تنقيحاً ، فيبدو وكأنه كتب شعره في يوم واحد! القديم والجديد صارا بمستوى واحد ، بل أردت للقارئ أن يدرك معي التطور والارتقاء!)

يـــــا ســـــامعاً نـــــوح المحـــــبْ ... عانيـــــت خلـــــي مـــــن تعـــــبْ

صـــــبّرت قلبـــــي بـــــالتقى ... قـــــال المخاطـــــب: قـــــد كُتِـــــب

يـــــا صـــــاحبي فيـــــك الوفـــــا ... فـــــانظر إلينـــــا عـــــن كثـــــب

قـــــد زرتنـــــي ، فصـــــحبتني ... واليـــــوم أضـــــناني العجـــــب

عـــــوّدتني أنـــــي أرى ... فيـــــك الصـــــدى وكـــــذا الأدب

أنـــــت المصـــــير الشـــــهم لـــــم ... ألحـــــظ مثيلـــــك ينتحـــــب

عصـــــفوريَ المســـــكين ، قـــــل ... إنـــــي اعتـــــرى قلبـــــي النصـــــب

مـــــا هـــــل عســـــى أرجـــــو إذن ... مـــــاذا تقـــــول: كفـــــى تعـــــب!

يـــــا صـــــاح آهـــــات الجـــــوى ... تـــــردي فـــــؤادك بالشـــــهب

عصـــــفوريَ المكـــــروب هـــــل ... تبكـــــي هـــــواك المغتـــــرب؟

دعنـــــي هنـــــا وعزيمتـــــي ... إنـــــي هنـــــا أحيـــــا بحـــــب

حـــــب المهـــــيمن والهُـــــدى ... حـــــب الشـــــريعة والكتـــــب

وهواجســـــي ودَّعتهـــــا ... كـــــم ذقـــــتُ منهـــــا مـــــن كُـــــرَب!

حتى يسود الحق

(في الصف الثالث من المرحلة الإعدادية ، وتحديداً في نهاية العام الدراسي كانت هذه المقطوعة التفاؤلية! وذلك في عام 1979م. والحقيقة أنني لم أرتب قصائد ديواني حسب تواريخ تأليفها بقدر ما أتت المسألة عشوائية. وأبوح للقارئ هنا بسر هو أنني أحب له جداً أن يقف بنفسه على مواطن الإجادة ومواطن الخلل مستصحباً زمن كتابة القصيدة في كل مرة! إن كل عقيدة صحيحة كانت أم باطلة تتألف من نظرية ورجال ومنهج في التطبيق. فأما النظرية فالعلم النظري المحض المدون في الكتب. وأما الرجال فهمُ القوة التي بها تسود هذه النظرية في عالم الواقع المشهود. ومع الرجال بالطبع عتادهم الذي يمثل سلاح المواجهة مع أصحاب النظريات المعادية الأخرى! وأما منهج التطبيق فهو السبيل الذي لا بد منه لهذه النظرية وهؤلاء الرجال ليكون طريقاً لتحقيق الهدف. وإلا يكن ذلك كذلك فلن تسود نظرية أو عقيدة ما على الإطلاق في عالم الغاب الذي نعيش ، ذلك العالم الذي لا يدرك ولا يفهم ولا يعرف إلا منطق القوة والجبروت. وتبقى النظريات العزلاء التي لا رجال يطبقونها ويحمونها أفكاراً في بطون الأسفار والكتب ، يتهارج أصحابها تهارج الحمر! قال الدكتور فيصل بن علي البعداني تحت عنوان: (التفاؤل) ما نصه: (قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ، وقال سبحانه: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) ، وغيرها من النصوص الدالة على هيمنة الشريعة في الإسلام على حياة الإنسان كلها: حلوها ومرها ، جدها وهزلها ، صغيرها وكبيرها. والترويح هو جانب من المحيا والممات في حياة المسلم ، وبالتالي فالعبد مطالب بأن يجعل منه (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) ، وذلك حين ينوي به خيراً ، ويتخذه وسيلة لعمل صالح يثاب عليه ، ويفارقه حين يكون عملاً فاسداً قررت الشريعة النهي عنه ، كما قرر ذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله: (وفي بُضع أحدكم صدقة ، قالوا: يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! فقال: أرأيتم لو وضعها في الحرام ، أليس كان يكون عليه وزر؟! قالوا: بلى. قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال له الأجر). ولله در معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ حين قال: (إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي). فمتى يزول الغبش عن البعض ، فيجعلون من ترويحهم عبودية لله تعالى؟).هـ. ومن هنا كان تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للعبادة تعريفاً جامعاً مانعاً ماتعاً رائعاً! قال: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة! فلم يستثن شيئاً في الحياة!)

لا بـــــد فينـــــا ذات يـــــوم (خالـــــدُ) يمحـــــو بعـــــون الله كـــــل هـــــوانِ

لكنمـــــا هـــــي فتـــــرة ، الله قـــــ ـــــدرها وشـــــاء الخيـــــر فـــــي الأزمـــــان

هـــــي عـــــزة التوحيـــــد نحـــــن فـــــداؤها وبهـــــا تقـــــام شـــــرائع الفرقـــــان

ليســـــت تنـــــال بذلـــــةٍ وعمالـــــةٍ بـــــل بالـــــدماء تـــــراق فـــــي الميـــــدان

حتـــــى يســـــود الحـــــق والتوحيـــــد فـــــي أرض عـــــلا فيهـــــا هـــــوى الشـــــيطان

حتـــــى يعـــــم الخيـــــر أرجـــــاء الـــــدنا ويشـــــع نـــــور الهـــــدي فـــــي الأوطـــــان

شهيد حب

(إن لكلمة (شهيد) في قرآننا من الآيات وفي سنة نبينا من الأحاديث ما يجعلها ذات شأن عظيم للغاية. الشهيد ذلك اللفظ العظيم الذي نيل منه في زماننا للحد الذي لا وصف له! فمن شهيد الغناء إلى شهيد العشق الإلهي والعياذ بالله إلى شهيد الملاعب إلى شهيد الموسيقى إلى شهيد المسرح. (يقولون مثلاً: لفظ أنفاسه الأخيرة فوق خشبة مسرح ماسبيرو ، أو وافته المنية في دار الأوبرا!) وكذلك في عالم الشهيدات يقولون: شهيدة العشق الإلهي أو شهيدة الغرام الرباني أو شهيدة الباليه المائي ، ويقولون: اغتالتها المنية تحت عُباب الماء! إن التعريف الحق للشهيد أنه من أشهد الله تعالى ثم الناس أجمعين أن شريعة الله أغلى عنده من حياته ، لذلك جاد بروحه تلك رخيصة في سبيل شريعة الله الغالية لينال بذلك سلعة الله الغالية (الجنة). وهذا التعريف للشهيد تعريف حي نابض حققه صاحبه. فكان كما وصف بكل إخلاص ، إن صاحب المعالم والظلال يوم سيق إلى مقصلة الشهادة في سبيل العقيدة يسأله أحد جنود فرعون في استهزاء وتهكم وسخرية: ما معنى شهيد؟ فأجاب بذات التعريف الذي صدّرنا به التعريف الحق للشهيد! إن الشهادة من أعظم الرتب وأعلاها ، وأنفس المقامات وأحسنها وأبهاها ، ذلك لما لأهلها عند الله تعالى من الأجر العظيم والثواب الجزيل ، والدرجة العالية. وشهيد الميدان على ثلاثة أقسام: الأول: شهيد الدنيا والآخرة ، والثاني: شهيد الدنيا ، والثالث: شهيد الآخرة. فشهيد الدنيا والآخرة: هو الذي يقتل في قتال مع الكفار مقبلاً غير مدبر ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، دون غرض من أغراض الدنيا. جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مستفهماً: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). أما شهيد الدنيا فهو من قتل في قتال مع الكفار وقد غل في الغنيمة أو قاتل رياءً أو عصبية عن قومه ، أو لأي غرض من أغراض الدنيا ولم يكن قصده إعلاء كلمة الله فهذا وإن طبقت عليه أحكام الشهيد في الظاهر من دفنه في ثيابه ونحو ذلك لكنه ليس له في الآخرة من خلاق ، ونحن نعامل الناس على حسب الظاهر في الدنيا ، والله الذي يعلم الحقائق وهو الذي يتولى حسابهم يوم القيامة. وإنني كلما تذكرت لفظ (الشهيد) في حقيقته التوحيدية وفي كنهه العقدي أدركت كيف جنت على رونقه الجاهلية القائمة الحاضرة: إلى أن أصبح اللفظ ممسوخاً اليوم يدخل تحته ظلماً وعدواناً وإفكاً وافتراءً من ليسوا من أهله بالمرة. وما ذاك إلا عن سوء نية من العلمنة الجاهلية المعاصرة لإزهاق روح الشهادة الحقيقية ، وكان هنالك شهداء مزعومون زجّت بهمُ الجاهلية في عِداد قائمة الشهادة في غير حقيقة الشهادة: كالذي مات فداء للمحبوب ، والذي تنفس من تحت الماء والشهيد في محراب الفن ومحراب الفلسفة ، والشهيد في محراب الطين والأرض والوحل ، وما إلى ذلك من هذه المحاريب التي محراب الشهادة في سبيل الله يبرأ منها براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليه وعلى أبيه صلوات الله وتسليماته. وإنما الشهيد من مات لتكون كلمة الله هي العليا مقبلاً على الله غير مدبر. وهو عندي شهيد حب! ومحبوبه الذي مات في سبيله هو الله سبحانه وتعالى! نسأل الله عيش السعداء وميتة الشهداء!)

رُب حـــــــب أودى بـــــــروح حبيـــــــبِ وعشـــــــيق يحيـــــا بجـــــرح اللهيـــــبِ

وفـــــــؤادٍ فـــــــي حبـــــــه يتلظـــــــى وشـــــــعور أدمـــــــاه لفـــــــحُ الخطـــــــوب

وأليـــــفٍ يشـــــتاق – للإلـــــف - دومـــــاً ... ويُعـــــاني مـــــن صـــــد خـــــل رتيـــــب

كلهـــم يحيـــا - فـــي الســـراب - ويشـــقى ... يقتفـــي شـــيطان الهـــوى المســـتريب

وإذا مـــــات الغِـــــر عُـــــد شـــــهيداً ... إيـــــه يـــــا ألفـــــاظ الشـــــهادة ذوبـــــي

أشـــــهيدٌ مـــــن كـــــان – للزيـــــف - يحيـــــا؟ ... أشـــــهيدٌ مـــــن كـــــان بئـــــر ذنـــــوب؟!

أشـــــهيدٌ مـــــن عـــــاش للفـــــن عمـــــراً؟ ... أشـــــهيدٌ مـــــن كـــــان أصـــــل العيـــــوب؟

إنمـــــا الاستشـــــهاد أمســـــى رخيصـــــاً ... لـــــيس هـــــذا - مـــــن قومنـــــا - بالغريـــــب

والشـــــهيد الحـــــق الـــــذي كـــــان يحيـــــا ... فـــــي ســـــنا الشـــــرع المســـــتنير الرطيـــــب

إنـــــه بـــــالروح الكريمـــــة ضـــــحّى ... لـــــم يكـــــن فـــــي استشـــــهاده بالكـــــذوب

فـــــي ســـــبيل الله ارتضـــــى بقضـــــاه ... لـــــم يكـــــن فـــــي اســـــترجاع مجـــــد ســـــليب

إنـــــه الصـــــدق المســـــتطابُ لقلـــــب ... مـــــا بـــــه مـــــن حـــــب الـــــدنا مـــــن نصـــــيب

إنمـــــا حـــــب الله والشـــــرع صـــــدقاً ... مخلـــــص فـــــي حـــــب القريـــــب المجيـــــب

صـــــدقوني ، يـــــا قـــــوم لـــــيس شـــــهيداً ... مـــــن تمـــــادى فـــــي الغـــــي غيـــــر لبيـــــب

هـــــل شـــــهيد مـــــن عـــــاش يعبـــــد دنيـــــا ... ونـــــراه لـــــم يعتبـــــرْ بمشـــــيب؟

قـــــابعٌ فـــــي الزيـــــف المريـــــر عجـــــوزاً ... لـــــم يتـــــب هـــــذا المعتـــــدي مـــــن قريـــــب

ســـــادرٌ فـــــي تيـــــه الحيـــــاة وحيـــــداً ... وعليـــــه ســـــالت دمـــــوع الشـــــعوب

حطمـــــوا زوراً مـــــا لـــــه مـــــن مثيـــــل ... إنمـــــا الاستشـــــهاد غيـــــر مَعيـــــب

عيـــــبكم أنـــــتم ، بـــــل ولـــــيس ســـــواكم ... لـــــيس فـــــيكم يـــــا قومنـــــا مـــــن أديـــــب!

عتمة الدنيا

(الوقار في الرجال والنساء مطلوب. ولكنه في النساء أشد طلباً. إذ ليست امرأة حية محترمة من فقدت الحياء. والاحتشام كما هو في الثياب يجب أن يكون في الكلام. والأدب والأخلاق عند حديث المرأة إلى أجنبي أو حتى غير أجنبي عنها أمر مطلوب مرغوب محبب إلى النفوس. ولولا الحياء والقيم والأدب والوقار لاستحالت الحياة مستنقعات. وهذه امرأة فاقت العقد الرابع من عمرها أخذت تراود رجلاً عن نفسه عبر الهاتف ، وتقول أريد الأنس بالحديث معك والاستمتاع بنبرة صوتك ، وعرض مشكلتي عليك! فقال: اعرضي ما شئت الآن ، فعقبت: إن الذي بي لا يرى ولا يحكى ، فرد: أنا لست قابلة ، واستعصم لأنه لا موضوع ابتداء كما أنها ترفض ضوابط الشريعة وشروطها في أمر كهذا ، والحياء من الإيمان وما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. إن المرأة إذا تحدثت بإسفاف للرجال - غاض ماء وجهها ، وقل حياؤها ، وسقطت من عين الله تعالى ، وسقطت من أعين الناس ، وعملها هذا دليل على جهلها وضعف إيمانها ونقص كبير في شخصيتها! بل هو بداية الضياع والسقوط لها ، وهي بحديثها الساقط هذا تنحدر بنفسها إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان الذي كرمه الله وأنعم عليه بفطرة حب الأدب والخلق والصيانة ، ثم إن الوقاحة في الكلام ليست دليلاً على التحضر والتحرر كما يزعم أعداء الإسلام ودعاة الضلالة!)

صـــــارحيني ، مـــــاذا تريـــــدين منـــــي؟ (عتمـــــة) حلّـــــتْ فـــــي ســـــراب التمنـــــي!

أيهـــــا الثكلـــــى ، لا تقـــــولي: وداعـــــاً حـــــدِّثي قلبـــــي مـــــا وراء التجنـــــي؟

أعلـــــى أمثـــــالي تمـــــوّهُ أفعـــــى وتنـــــاغي فـــــي صـــــوتها ، وتغنـــــي؟

تـــــدّعين الأخـــــلاق ، قـــــولاً وفعـــــلاً غيـــــر أنـــــي فـــــي التـــــو مـــــا خـــــاب ظنـــــي

(عتمـــــة) فيهـــــا مـــــن ســـــواد نوايـــــا فارفعيهـــــا يـــــا حيزبونـــــة عنـــــي

وانشـــــدي فـــــيمن ضـــــلَّ غيـــــري عشـــــيقاً أصـــــدقيني ، مـــــاذا تريـــــدين منـــــي؟

أتظنـــــين القلـــــب يهفـــــو لهـــــزل إنمـــــا الهـــــزلُ متاهـــــة وتـــــدني

عقـــــدُك الرابـــــع مـــــن سِـــــنيّك آتٍ ســـــن هـــــذي اللغنـــــة أضـــــعافُ ســـــني!

غرّهـــــا حِلمـــــي فـــــي الحـــــوار وعطفـــــي نســـــيتْ حزمـــــي فـــــي التحـــــدي وطعنـــــي

أو تناســـــتْ - فـــــي الحـــــق - بأســـــي وصـــــدعي فتمـــــادتْ فـــــي كيـــــد إنـــــس وجـــــن

(عتمـــــة الـــــدنيا) فـــــي ضـــــميرك فاضـــــت فاحـــــذريها ، فـــــالنور زادي وفنـــــي!

تدبر الكتاب

(كثيرون هؤلاء الذين يبخلون على الكِتاب بأموالهم. فلا يشترون الكتب. كما أن هناك أكثر منهم من يبخلون على الكتاب بأوقاتهم فلا يطلعون على الكتاب وقد أهدى إليهم وآل إليهم من غير كد ولا جهد ولا دفع مال. فما القضية إذن؟ هل هي الحاجة أم الانشغال بما هو أهم؟ والحقيقة المُرة أن اليهود والنصارى والهندوس والمنافقين نجحوا نجاحاً كبيراً في صرف السفهاء عن الكتاب بالتلفاز. وكنت يوماً في سوق تباع فيه الكتب ، وأدركت في جمهور من يشترون الكتب عادة مكرورة: وهي الإقبال على غير القيّم من المعروض من الكتب (إلا من رحم الله). وحتى عند تصفح الكتب فإنهم يقلبونها فقط دون تدبرها ، وأعجب من قوم تمكنوا من إزالة جهلهم بشراء الكتب وآثروا الطين والدور عليها ، ألا إنها الارتكاسة أن ينتسب أقوام وفئام غفيرة من الناس إلى دين ليس يحسن كثير من خواصهم فضلاً عن عوامهم مجرد تعريفه! من أجل ذلك كله كتبت مقطوعة (تدبر الكتاب)! والحثّ على طلب العِلم يتراوح ما بين فرض عين وفرض كفايةٍ أي أنّه لا بُد من طلب العِلم في الإسلام ، وقد حثّ ورغّب الإسلام في طلب العِلم والسّعي وراء الحِكمة والمعرفة ، فهي ضالّة المؤمن التي يبحث عنها ، وقد جاء في أقوال الأقدمين: "اطلبوا العِلم ولو في الصِّين". والطريق إلى العلم هو المعلم والكتاب! وتدبر الكتاب فريضة ، وأول آية (اقرأ)! فالعِلم غاية النُّفوس المُحبّة للمعرفة والتَّنوير ، فبالعِلم يُعرف الخالق جلّ وعلا وبه يُعبد ويُعظّم ، والعِلم النّافع أداةٌ طيعةٌ في يدّ الإنسان يذلل بها صِعاب الحياة ، وتعينه على تقليل الوقت والمجهود. ولكي يُشجع الإسلام النّاس على طلب العِلم فقد نصّت العديد من الآيات في القرآن الكريم على فضل العِلم ، ومكانة العلماء وفضلهم على سائر النّاس قال تعالى: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون". أمّا فضل السّعي لطلب العِلم والسّفر لأجله من بلدٍ لآخر أنّ الطُرقات التي يسلكها المتعلِّم تصل به في الدُّنيا إلى مُراده العِلمي ، وفي الآخرة هذه الطُرقات هي دربه للجنّة ، قال صلى الله عليه وسلم: "مَن سلك طريقًا يلتَمِس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنّة". وأحب أن أحيط القارئ علماً بأن هذه القصيدة من شعري القديم إذ يرجع تاريخ كتابتها إلى عام 1978م!)

تـــــدبّر الكتـــــاب ، يـــــا مـــــن تجهـــــلُ ... عســـــاك تشـــــتريه يـــــا مســـــتثقلُ

يبثـــــك الكتـــــاب علمـــــاً وافـــــراً ... وهجـــــرُك الكتـــــابَ هـــــذا أرذل

يزيـــــدك الكتـــــاب نـــــوراً ســـــاطعاً ... صـــــداقة الكتـــــاب حقـــــاً أجمـــــل

تـــــدبر الكتـــــاب أســـــمى غايـــــة ... لمـــــن يحـــــب علمـــــه لا يعجـــــل

تصـــــفحُ الكتـــــاب جهـــــدٌ بـــــالغ ... لمـــــن لشـــــأفة الهـــــوى يستأصـــــل

حقيقـــــة الكتـــــاب فـــــي موضـــــوعه ... إذن فهـــــل علمـــــت يـــــا مـــــن تجهـــــل؟

في سماء الهداية

(إن هذه القصيدة تعتبر الأولى في مجال الدفاع عن التائبين العائدين إلى سفينة الإيمان وقافلة التوحيد من أهل الفن. وأحاول فيها – على ضعف كبير في الأداء الفني والصياغي – أن أذود عن هؤلاء وأصد معهم هذه الهجمة الضارية الشرسة من جانب العلمانيين المفسدين المنحلين الضالين من تجار الشهوات وبائعي العُهر ومروجي الدعر وقارعي الطبول ونافخي المزامير وحارقي البخور بين يدي كل متكبر جبار لا يؤمن بيوم الحساب. إن قصيدة (في سماء الهداية) قد يشفع لها عند القارئ سمو الغاية التي كتبت من أجلها ونبل الهدف الذي صيغت له. إنني سوف أتبنى هذه القضية في مستقبل أيامي إن شاء الله لي وقدر. ويعود تأليف هذه القصيدة إلى عام 1982م تقريبا! وتركتها كما هي! إنني أرحب بالعائدين التائبين والتائبات العائدات من أهل الفن. وأبتهل إلى الله تعالى أن يلحق بهؤلاء من كانوا إخوة لهم وأخوات على طريق الفن ودرب السفول. حتى يدرك هؤلاء الفرق بين هذا والحق. ألا إن الوقوع في مهاوي الرذيلة أمر طبيعي ، والتوبة من كل باطل كذلك أمر طبيعي. ولكن التمادي في مهاوي الرذيلة وكذا سراديب الباطل هو الأمر الشاذ غير الطبيعي. وصدق من قال: (لما كانت التوبة إلى الله تعالى هي منتهى أمل العبد وأقصى غايته وغاية النهاية ، لأن التوبة مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المريدين ، ومفتاح استقامة المائلين ، ومطلع الاصطفاء ، والاجتباء للمقربين ، ومنزل التوبة أول المنازل ، وأوسطها وآخرها ، فلا يفارقها العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ، ونزل به ، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته ، والتوبةُ لها فضلٌ عظيم وأجرٌ جسيم فهي نعمة كبرى ، ومنحة عظمى ، شأنها عظيم ، ونفعها عميم ، لها فضائل لا تحصى وثمرات لا تعد ، ولها أهمية كبرى ، وثمرات جليلة ، وفضائل عظيمة ، وأسرار بديعة ، وهي طريق النجاة ، وسلم الوصول ، ومطلب العارفين ومطية الصالحين ، وهي من أشرف العبادات و أجلّ الطاعات ، فالتوبة من الذنوب بالرجوع إلى ستّار العيوب ، وعلاّم الغيوب يقول الله جل وعلا: (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). ويقول الله عز وجل: (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ). ويقول تعالى حاثاً على التوبة والرجوع والأوبة: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). وثبت في صحيح مسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ قال: إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.).هـ. وأنا أسطر هذه الرسالة الشعرية لامرأة كان هذا سمتها ، ثم أسلمتْ على حد قولها عن نفسها. تقول وقد سألها المذيع عن الفارق الجوهري لحياتك اليوم وحياتك قبل اعتزال الفن: أسلمت وتركتُ حياة الجاهلية ، وفاصلتُ أهلها وأعيش اليوم لديني وشريعتي. ونحن نسأل الله تعالى أن يكون ذلك كذلك ، وأن يتقبل الله من كل تائب توبته ومن كل مقبل عليه إسلامه. ولمّا كان ذلك من شمس البارودي كتبت أهنئها على هذه النقلة البعيدة ، وأواسيها على ما سوف يلحقها من غير الموحدين من الذين لا خلاق لهم والعياذ بالله من ذلك. ووالله إن الباعث على هذه القصيدة هو مدى تأثري بقصة شمس وهي تنشر في مجلة (الكواكب) الجاهلية في مطلع الثمانينات من القرن الماضي. فكانت القصيدة ترجمة لإحساسي هذا! ومرة أخيرة أعتذر عن الضعف الفني!)

نـــــوحي أيـــــا أخـــــلاق مـــــن أفعالنـــــا جُـــــرّي حبـــــال اليـــــأس مـــــن أنقاضـــــنا

أو دثـــــري فـــــي الثـــــوب أجســـــاد البلـــــى والثـــــوب لـــــو تـــــدرين مـــــن أعرابنـــــا

إنـــــي أرانـــــا للـــــورا نعـــــدو ، ومـــــا مـــــن ناصـــــح يُبـــــدي لنـــــا أخطاءنـــــا

بـــــل كلنـــــا ســـــرنا نحـــــاكي الغـــــرب مـــــا مـــــن عـــــودة يومـــــاً إلـــــى إســـــلامنا

يـــــا قـــــومي مـــــا هـــــذي المهـــــاوي والـــــردى؟ مـــــا عنـــــدنا يغـــــري بنـــــا أعـــــداءنا

إنـــــي علـــــى جمـــــر أعـــــاني صـــــارخاً داري تبـــــددت لـــــي ســـــراباً آســـــنا

إنـــــي أرانـــــا فـــــي انحـــــدار جـــــارف وأرى التقـــــدم قـــــد غـــــزا جيراننـــــا

بـــــالله خبرنـــــي أخـــــي هـــــل قـــــد فقـــــد نـــــا دربنـــــا؟ أم يـــــا تـــــرى عنواننـــــا؟

مـــــاذا جـــــرى؟ هـــــذا فســـــادٌ بـــــائنٌ! فســـــقٌ وجـــــوْرٌ ، دُمـــــرتْ أخلاقنـــــا

مـــــاذا جـــــرى؟ هـــــذي رزايـــــا جمـــــة ورمـــــاح عُهـــــر بـــــددتْ أفراحنـــــا

ضـــــاعت خطانـــــا فـــــي متاهـــــات الجـــــوى زادت علـــــى البلـــــوى مهـــــاوي دائنـــــا

يـــــا لائمـــــي إنـــــي أخـــــو حـــــق ، فـــــلا يزعجْـــــك أنـــــي ناقـــــدٌ آراءنـــــا

يـــــا عـــــاذلي إنـــــي أخ فـــــي الله ، لا أرجـــــو مناخـــــاً مســـــترياً آســـــنا

لكننـــــي قـــــد هـــــالني منهاجنـــــا نـــــار تلظـــــى فـــــي دجـــــى أعمارنـــــا

إنـــــي الأبـــــي الثـــــائر المقـــــدام قـــــد جـــــارت علـــــى آمالـــــه أهواؤنـــــا

لكنمـــــا هـــــزل التحلـــــل والخنـــــا أودى بـــــدار كـــــم حـــــوت أعرابنـــــا!

والســـــاقطون علـــــى الـــــدروب كمـــــا الثـــــرى مـــــن خبـــــثهن أتـــــين عـــــن أيماننـــــا

هـــــل بائعـــــات العِـــــرض مـــــن فتياتنـــــا؟ والـــــرقص هـــــل والعهـــــر مـــــن أخلاقنـــــا؟

أيـــــن العوابـــــدُ - فـــــي الـــــديار - كمـــــا الســـــنا مـــــن داعـــــراتٍ جُـــــبن فـــــي أمصـــــارنا؟

بـــــل أيـــــن مـــــن يبكـــــين تمزيـــــق الهـــــدى مـــــن عـــــاهراتٍ عشـــــن فـــــي تلفازنـــــا؟

أيـــــن التـــــي كانـــــت تقـــــول: (تواريـــــا) مـــــن بائعـــــاتِ العِـــــرض فـــــي أيامنـــــا؟

أيـــــن الحَيـــــا؟ أيـــــن الحِجـــــا؟ والعاريـــــا تُ مـــــع العُـــــراة زهـــــت بهـــــم شـــــطآننا!

والمـــــاء مـــــاء البحـــــر يهمـــــس قـــــائلاً: كفـــــوا مجونـــــاً وانســـــلاخاً طاعنـــــا

والبعـــــل فـــــيهم بـــــاردٌ لـــــم يـــــذكرْ إذ لا يُعـــــدّ – اليـــــوم – مـــــن أفـــــذاذنا

تـــيس المخـــازي ، كـــف عـــن هـــذا الخنـــا إن تـــرج فـــوزاً كـــف عـــن إيـــذائنا

يـــا أيهـــا التلفـــاز حطمـــت الـــدنا وأضـــعت فـــي دنيـــا الـــورى منوالنـــا

مـــأوى المخـــازي والخنـــا فـــي دارنـــا وحضـــيض مـــن يهـــوى الضـــلال الكامنـــا

يـــا شـــمس خيـــرٌ مـــا صـــنعت وربنـــا وتقبّـــل المـــولى رجوعـــا زائنـــا

أبـــداً هُـــديتِ إلـــى الســـعادة والعـــلا وســـموتِ إذ رمـــت الرشـــاد الآمنـــا

يـــا فـــرح شـــمس أســـلمتْ فـــي عـــزة نالـــت بـــذلك فـــي الـــورى إعجابنـــا

هيـــا اغفـــروا زلاتهـــا يـــا قومنـــا وتعقبـــوا التلفـــاز ثـــم الســـادنا

يـــا شـــمس لا تستصـــرخي أخلاقهـــم فكبيـــرُهم أمســـى عتيـــاً شـــاطنا

فالصـــبر فـــيضٌ ، والســـبيل طويلـــة لـــيس العـــديم الصـــبر مـــن إخواننـــا

شمســـاه لـــيس النـــور يُمحـــى بالـــدجى إخـــراج مـــا أســـررت مـــن غاياتنـــا

ليـــت الـــورى كـــل الـــورى أن يعلمـــوا مـــا قـــد حســـرت الآن عـــن أقلامنـــا

أرســـلت أرجـــو تـــأذنين فلـــم أجـــد منـــك الحمـــاس المســـتهام الســـاخنا

هـــم يعلنـــون الأخـــذ منـــك ، ولـــم يضـــ ـــرك بأســـهم ، بـــل بـــات حقـــداً ســـاكنا

وترعـــرع الإيمـــان يـــا شـــمس الهـــدى يـــا نـــور شـــمس نـــورت أرحابنـــا

وتفـــور فـــي قلبـــي شـــآبيب الوفـــا إذ إن شمســـاً عطـــرت أشـــعارنا

من وحي المولد

(المولد ، وما أدراك ما المولد وما يجري فيه ومن يحضره. مأوى القوّادين ومهبط الهازلين الفارغين من القيم والضالين المنحرفين عن جادة الحق والصواب. حيث يختلط الحابل بالنابل ، والحق بالباطل ، والرشاد بالغي ، والخير بالشر ، والهدى بالضلال! والحق الذي أعني ، والرشاد الذي أقصد ، والخير الذي ذكرت يتمثل في الصورة التي يظهر بها المولد وأهله من بعض الأشعار الجميلة التي تتناول فيما تتناول مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسيرته العطرة! وأيضاً بعض مظاهر الترحيب بالقادمين ومراسيم إطعام الطعام وبذل العطاء للمساكين والفقراء والمحتاجين. وحزنتُ حزناً شديداً وأنا أجد بعض العامة والذين يعز عليّ حبي لهم أن أراهم في هذه الموالد ، ينالون من الدين باسم الدين. إن للشيطان دوراً كبيراً في جعل هؤلاء ينساقون إلى هاوية التردي السحيقة. وكأني بالمولد وقد غدا كتاباً كبيراً يصف لي الذي يجري فيه من انحرافات ومخالفات. وكنا ننظر إلى المولد ونحن صغار في أوائل السبعينات في القرى والنجوع المجاورة ، وكنا لا نستريح بفطرتنا إليها ولا إلى أهلها ، بل نشمئز منها بالحس الطفولي البرئ ، وكنا نشعر أن مثل هذه الممارسات المريضة لا يقرها دين شرعه الله لعباده قط. كما أننا كنا لا نرى فيها الصالحين من أصحاب الكلمة الحقة والفقه في الدين والعطاء له ولأهله ، بل نرى فيها أهل المعاصي والموبقات من تاركي الصلاة ، ومن الذين يسبون الدين ويتبرأون من أهله. والحمد لله أن كل الناس اليوم إلا من أضل الله يعلمون حقيقة الموالد. إنني لأكتب هذه القصيدة لأبين إلى أي مدى انحرفت العقائد التي يدين بها هؤلاء الحمقى والمغفلون الذين ركبوا أهواءهم فضلوا وأضلوا غيرهم من العامة والدهماء. ولقد قادني استطلاعي إلى أرض أحد الموالد ، حيث إنني كان مبلغ علمي أن الذي قرأته عن الموالد وأهلها وما يباشر فيها قد بولغ فيه كثيراً! فلمست كل الحقيقة وأصبت كبدها ووقفت عليها بعيني وعقلي ورصدت أحوال أهل البدع والضلالة ، وأخذت على عاتقي أن أحول الذي رأته عيناي إلى قصيدة عصماء حتى ينتفع غيري بما وقفت عليه وخاصة أنني ذكرت قطوفاً من بعض النقاشات التي دارت بيني وبين أهل الضلال في المولد لو كانوا يعلمون أنها ستصبح يوماً قصيدة فلربما تورعوا عنها! وفي سؤال هو: هل صحيح أن التكلم في أهل البدع يقسِّي القلب؟ فأجاب الأستاذ المحدث أبو إسحق الحويني بقوله: (لا بل التكلم في أهل البدع واجب ؛ لكنه يحتاج إلى ذكاء ، فهناك بعض الناس لا يراعون مصلحة الكلام في أهل البدع ، وأئمةِ السنة مثل الإمام أحمد والإمام مالك وهؤلاء الثلة ، كانوا يوجبون الكلام في أهل البدع ، ويحذرون من أهل البدع. ولكن المسألة أن واقع الإمام أحمد يختلف عن واقعنا. فشعبة بن الحجاج رحمه الله قال لـيزيد الرقاشي: لو حدثتَ بهذه الأحاديث لأستعدِيَن السلطان عليك. سأذهب إلى السلطان وأقول له: إن ثَمَّ رجلاً يروي حديثاً موضوعاً ، فيسجنك. فكان بدلاً من الإمام أحمد ألف أحمد ، وبدلاً من مالك ألف مالك. فالبيئة تختلف ، فهناك في بعض الأماكن بيئةٌ المبتدعةُ لهم فيها ظهور ، ولهم صولة كبيرة ، ولو وقف هذا الرجل السني في مقابل هؤلاء وجابههم لقطعوا لسانه ، وضيعوا حلقته ، وأخذوا منه مسجده ، فهل هذه حكمة أن يقف في مقابلهم ، فيأخذون منه المسجد ويمنعونه من الكلام ، ويحظرون عليه؟! هذا ليس من الحكمة ، بل الصواب: أن يستمر هذا الرجل ويحاول بلطف وذكاء أن يطيل عمر دعوته ، لا سيما إذا كان فرداً واحداً ، وكان له تأثير وكان مباركاً).هـ. وجزا الله خيراً أستاذنا الحويني على هذا الجواب! والمهم أن الإنكار على أهل البدع وبيان بدعهم للناس واجب شرعي وفريضة على كل آمر بالمعروف وناه عن المنكر أن يلتزمها

مع أهل البدع ، ولا يخاف في الله لومة لائم! حتى يقوى سلطان السنة والدين ويضمحل سلطان البدعة!
وإن كنتُ أنسى فلا أنسى قول كبيرهم لي وأنا أنهاه عن المولد: أنتم أهل الشريعة ونحن أهل الحقيقة!)

فـــــي (المَولِـــــدِ) كـــــم نِيـــــل الإســـــلامْ! فمعالمُـــــــــــــــهُ دون الأقـــــــــــــــدامْ!

أنســـــــام الفســـــــق هنـــــــا ســـــــادت وريـــــــاح الشـــــــرك مـــــــع الأنســـــــام

إنـــــــي محتـــــــارٌ فـــــــي قـــــــومي أودت بالنـــــــاس هنـــــــا الأوهـــــــام

فالمولـــــــــد ديـــــــــدنُ أكثـــــــرهم والمولـــــــــدُ بوتقـــــــــة الآثـــــــام

والمولـــــــــد مذبحـــــــــة التقـــــــوى والمولـــــــــدُ مهلكـــــــــة الأفهـــــــام

والمولـــــــــد يُـــــــــورثُ مهزلـــــــــة فـــــــي الـــــــروح يصـــــــاحبها الإجـــــــرام

والمولـــــــــد ملحمـــــــــة الصـــــــــرعى كـــــم حطـــــم فـــــي الهلكـــــى الأرقـــــام!

هـــــــــذي رايـــــــــاتُ تـــــــــردِّيهم هـــــــذي شـــــــاراتُ أســـــــى الأســـــــقام

(مـــــــــددٌ) تنطقهـــــــــا أفـــــــــواهٌ شـــــــركٌ فـــــــي القـــــــوم لـــــــه إظـــــــلام

أوضـــــــــاعُ مجاذيـــــــــب تنبـــــــــي عـــــــن فســـــــق واضـــــــمحلال تـــــــام

(أختـــــــي فـــــــي الله) أيـــــــا صـــــــرعى هـــــــل قلـــــــتم مـــــــا يُرضـــــــي العـــــــلام؟

ويـــــــد تمتـــــــد إلـــــــى جيـــــــدٍ هـــــــل هـــــــذا مـــــــن شـــــــرع الإســـــــلام؟

وفلـــــــوس تنفـــــــق فـــــــي بـــــــدع وعبيـــــــد ترتـــــــع كالأغنـــــــام

وطبـــــــول يقرعهـــــــا الحمقـــــــى ومزاهـــــــر فـــــــي أيـــــــدي الأنعـــــــام

وأمـــــــور يأنفهـــــــا قلمـــــــي فـــــــي جـــــــور قـــــــد خنـــــــق الأقـــــــلام

ديّـــــــوثٌ يرقـــــــب غانيـــــــة وصـــــــريع متســـــــخ الهنـــــــدام

ورقيـــــــع ينشـــــــد أغنيـــــــة ويرجّـــــــع مـــــــرذول الأنغـــــــام

وعشـــــــيق تلهبـــــــه النجـــــــوى ويكابـــــــد فـــــــي دنيـــــــا اللـــــــوام

وســـــــفيه يـــــــنفخ فـــــــي نـــــــاي كـــــي يلهـــــب فـــــي الحمقـــــى الإضـــــرام

ودعـــــــــيٌ لفظتـــــــــه الـــــــــدنيا ... يقـــــــــري المرتزقـــــــــة كالخـــــــــدام

وزنـــــــــيم لا يعـــــــــرف شـــــــــيئاً ... قـــــــــد حمـــــــــل البيـــــــــرق والأعـــــــــلام

وعتـــــــــل يتمايـــــــــل طربـــــــــاً ... وأثـــــــــيم بثيـــــــــاب الإحـــــــــرام

وكـــــــــؤوسٌ يحملهـــــــــا ســـــــــمِجٌ ... وخليـــــــــع - خلـــــــــف الخيمـــــــــة - حـــــــــام

وعـــــــــذارى فـــــــــي الخيمـــــــــة هـــــــــذي ... يلهـــــــــثن جميعـــــــــاً خلـــــــــف غـــــــــلام

كـــــــــم مـــــــــن حُبلـــــــــى تـــــــــأتي شـــــــــوقاً ... لتنـــــــــال البركـــــــــة والإكـــــــــرام

ومطلقـــــــــة تســـــــــعى لهفـــــــــى ... تختـــــــــار خلـــــــــيلاً دون كـــــــــلام

ولهـــــــــا فـــــــــي الـــــــــدرب سماســـــــــرة ... وهـــــــــمُ البُلهـــــــــا بـــــــــين الأقـــــــــوام

ويبـــــــــاع الســـــــــحْر بـــــــــلا حـــــــــرج ... ولمـــــــــن جـــــــــادل فهْـــــــــو الإفحـــــــــام

فتبـــــــــاع (التِوَلـــــــــة) للصـــــــــرعى ... ويبـــــــــاع الحِـــــــــرز بـــــــــلا إيهـــــــــام

وتمـــــــــائمُ فـــــــــي المولـــــــــد شـــــــــتى ... يحملهـــــــــا الـــــــــدلال الهـــــــــدّام

ونـــــــــذورٌ جُمعـــــــــتْ لضـــــــــلال ... ويوزعهـــــــــا رأس الخـــــــــوام

إيـــــــــوان الشـــــــــرك ، ولا عجـــــــــب ... مـــــــــأوى إبلـــــــــيس كمـــــــــا الحمّـــــــــام

وتأصّـــــــــل فـــــــــي ديـــــــــن الحمقـــــــــى ... فســـــــــق الضـــــــــلال ، فـــــــــلا إبهـــــــــام

وضـــــــــريح أعلـــــــــى مئذنـــــــــةٍ ... مـــــــــن مســـــــــجدهم ، يـــــــــا للإجـــــــــرام!

ووعيـــــــــتم قـــــــــرآن المـــــــــولى ... وتخصصـــــــــكم ديـــــــــنُ العـــــــــلام

وملأتـــــــــم - بالكتـــــــــب - بيوتـــــــــاً ... وزرعـــــــــتم - فـــــــــي الـــــــــدرب - الآكـــــــــام

وإذا نوقشـــــــــتم أنكـــــــــرتم ... وتصـــــــــنعتم كـــــــــل الإيـــــــــلام

أعلينـــــــــا هـــــــــذا يـــــــــا هلكـــــــــى ... إنـــــــــا نعـــــــــرفكم يـــــــــا أقـــــــــزام

آه لـــــــــو أملـــــــــك آســـــــــاداً ... لأزحـــــــــت الشـــــــــرك علـــــــــى الأيـــــــــام

ومحقـــــــــت دغـــــــــاولكم هـــــــــذي ... وكـــــــذا مـــــــا فيهـــــــا مـــــــن (أفـــــــلام)

لـــــــــو أســـــــــلم جمـــــــــع أراذلكـــــــــم ... لـــــــــم يهـــــــــزل أبـــــــــداً أو ينضـــــــــام

لكـــــــــن يرضـــــــــى بجحـــــــــود ، لا ... يعلـــــــــي أو يســـــــــمو بـــــــــالأحلام

اللامعقـــــــــول هنـــــــــا يغـــــــــدو ... معقـــــــــولاً ، بـــــــــل يغـــــــــزو الأفهـــــــــام

ونفـــــــــوس فـــــــــي الفســـــــــق تلظـــــــــت ... وتحـــــــــب البدعـــــــــة والأوهـــــــــام

ابتـــــــــدعت فـــــــــي الـــــــــدين كثيـــــــــراً ... واســـــــــتهدت بضـــــــــلال الحاخـــــــــام

وتصـــــــــلي وكـــــــــذاك تزكـــــــــي ... والباطـــــــــل فـــــــــي منهجهـــــــــا هـــــــــام

تســـــــــتمطر مـــــــــدداً مـــــــــن بشـــــــــر ... وتخـــــــــالف عـــــــــن هـــــــــدي الإســـــــــلام

ولهـــــــــم فـــــــــي الباطـــــــــل تجربـــــــــة ... ووفـــــــــاق ومقـــــــــال ومـــــــــرام

ودهاقنـــــــــة فـــــــــيهم ســـــــــفهٌ ... وعقـــــــــول تفتقـــــــــد الأفهـــــــــام

والعاقـــــــــل فـــــــــيهم مبتـــــــــذلٌ ... وعـــــــــن الفرقـــــــــان لهـــــــــم إحجـــــــــام

وســـــــــفيه يُقســـــــــم دون حيـــــــــا ... أنْ مولـــــــــدُ فـــــــــي الســـــــــاحات يقـــــــــام

مـــــــن نصـــــــف القـــــــرن ولا مولـــــــدْ! ... تحريـــــــف كالترياـــــــاق الســـــــام

أوتقســـــــم بـــــــالمولى كـــــــذباً؟ ... أم أن الحـــــــق لـــــــديك حـــــــرام؟

تعـــــــس الـــــــدينار وعابـــــــده ... وعبيـــــــد الـــــــدرهم شـــــــر أنـــــــام!

أتـــــــدافع عـــــــن صـــــــنم البُلهـــــــا ... وتحـــــــاجج عـــــــن خشُـــــــب ولئـــــــام؟

تحتـــــــال علـــــــى الشـــــــرع وتهـــــــذي ... وتؤصّـــــــل أوراد الأصـــــــنام

أتـــــــزوّر فـــــــي الحـــــــق وتلهـــــــو؟ ... أتشـــــــوّه يـــــــاقوت الأحكـــــــام؟

زفراتُ أسير

(إن الإحساس بالقهر جديرٌ بأن يفجر طاقات الشاعر المبدع. وكلما كبر سن الشاعر خبر الشعر وحبكه. إنني أنقش هذه القصيدة على لسان أسير. ويعود تاريخها إلى سنة 1986م. ومعنى هذا أن عمري يوم كتابتها كان يجاوز العقدين بقليل! وأعتذر للقارئ عن ضعف قد يلمسه في بعض أبياتها. والصبر بلسم شاف لكل أسير موحد ، ريثما تتكسر القيود. وعلى كل أسير أن يوقن أن الابتلاء سنة ماضية لا تتخلف ، وأن المرء يبتلى على قدر دينه. وليتذكر كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، أينما رحت فهي معي ، إن حبسوني فحبسي خلوة ، وإن أخرجوني من بلدي فخروجي سياحة ، وإنْ قتلوني فقتلي شهادة في سبيل الله.) إن هذه الكلمة العظيمة لتصبّر كل من يسير على درب الحق. وإنّ مكاناً تسلب فيه إرادة الإنسان وثقته بنفسه وبالآخرين ، ليعتبر بحق سجناً وقضباناً يتطلع من ورائها إلى العالم المحجوب المخبوء. وحتى إن قلنا أن المكث في مكان هذا وصفه للحظات أو لثوان: فلسوف تمر هذه اللحظات أعواماً ودهوراً. ولكن لو أقحمت النفس عليه إقحاماً فليس أمامها إلا الصبر والاحتساب ، وساعتها يعلم المرء أن لا ملجأ من الله إلا إليه. ثم يعبّر بقلمه عن الزفرات والعبرات والآهات التي يتعرض لها في الأسر. وأنى للأسير أن يلهو ويلعب ويفرح ويمرح؟! يقول ابن الأثير: (ليس شيء من اللهو إلا في ثلاث ، أي: ليس منه مباح إلا هذه ؛ لأن كل واحدة منها إذا تأملتها وجدتها معينة على حق وذريعة إليه). ويقول إبراهيم الحلبي: (واللعب قد يقصد منه فائدة نفسانية لا نفع لها ، واللهو مثله إلا أن فيه زيادة حث للنفس بحيث تشتغل به عما يهمها ، والكل حرام إلا ما استثنى الشارع لخاصية فيه تميزه عن نوعه. قال - صلى الله عليه وسلم -: (كل شيء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاثة: رميك بقوسك ، وتأديبك فرسك ، وملاعبتك أهلك ، فإنها من الحق). ويميل الإمام القرطبي إلى حرمة اللهو فيما سوى هذه الثلاثة ، إذ يقول - رحمه الله تعالى- عقب إيراده حديث عقبة - رضي الله عنه-: (ومعنى هذا والله أعلم: أن كل ما يتلهى به الرجل لا يقيده في العاجل ولا في الآجل فائدة ، فإنه باطل ، والإعراض عنه أولى). وأنا هنا أطلب إلى الأسير أن يحاول أن يلهو ويعيش شيئاً من المرح ليثبت لنفسه قبل آسره أنه أهل للحياة والأمل والتفاؤل!)

يمينـــــاً لقيـــــتُ الشـــــقاء المـــــذلْ ... وذقـــــتُ العـــــذاب الطويـــــل الأجـــــلْ

لقـــــد أصـــــبح الـــــوهم أنشـــــودتي ... وذل الهـــــوان بقلبـــــي انفعـــــل

فسِـــــيّان عنـــــدي انـــــدحارُ الوفـــــا ... حيـــــاتي بـــــوادٍ وعيشـــــي بـــــدغل

وســـــيان عمـــــري ببُحبوحـــــة ... أفـــــي واحـــــة كنـــــت أم فـــــي جبـــــل؟

حيـــــاة بغيـــــر الهُـــــدى غابـــــة ... وصـــــرحٌ بغيـــــر المعـــــالي طلـــــل

وأرض بـــــدون التقـــــى ظلمـــــة ... وإن البـــــوار بهـــــا يشـــــتعل

وقـــــومٌ بـــــدون الهـــــدى جوقـــــة ... تـــــردّتْ ، ويعلـــــو بـــــذاك المثـــــل

وعـــيشٌ علـــى الـــزور هـــذا العمـــى ... يخـــالف درب الهُـــدى والرســـل

حيـــاة علـــى الهـــزل حقـــاً أذى ... وإن الأمـــان بهـــا يضـــمحل

لقيـــتُ الأمَـــرّين مـــن صـــحبةٍ ... فكـــم جرّعتنـــي كـــؤوس العِلـــل!

وإنـــي نصـــحتُ الـــورى علهـــم ... يفيئـــوا لحـــق غـــدا المبتـــذل

ومـــا مـــن غيـــور يجيـــب النِـــدا ... يصـــد الرزايـــا ، ومـــا مـــن بطـــل!

فـــلا لا تظنـــوا بعقلـــي هـــوىً ... ولا لا تقولـــوا يحـــب الجـــدل

فمـــا بـــي جنـــون ، ومـــا بـــي هـــوى ... ولا نظرتـــي يعتريهـــا الخبـــل

وإن فـــؤادي يحـــب الهُـــدى ... ولـــي - فـــي المغبـــات - كـــل الثقـــل

وإنـــي أحـــب حيـــاة التقـــى ... وأبغـــض كـــل صـــنوف الـــدجل

ولكـــنْ أســـيرٌ بأغلالـــه ... يعرقلـــه فـــي الأنـــام الوجـــل

وكـــم ذا يعـــاني ، ولا منقـــذ! ... وعاذلـــه قـــد أجـــاد الزجـــل

ومـــا مـــن صـــديق ، ومـــا مـــن أخ ... وليســـت هنـــاك بقايـــا أمـــل

وأرض الإخـــاء براهـــا الجـــوى ... وسُـــقيا لعهـــد الوفـــاء الهطِـــل

وحتـــى إذا غمِـــرتْ بالهنـــا ... فلـــن يبعـــث الـــروح فيهـــا البلـــل

أيـــا نفـــس قـــولي: أهـــذي خطـــا؟ ... ألا إن حبـــي لعيشـــي رحـــل

أمـــن ظلـــم ذاتـــي لـــذاتي إذن؟ ... أم الـــوهم أورث فـــيّ الكســـل؟

كـــروبَ النـــوى كفكفـــي عبرتـــي ... فمـــا عـــاد قلبـــي لهـــا يحتمـــل

ريـــاحَ الصـــبا هـــل طـــواك الأذى؟ ... ألا إن دمعـــي عليـــك انهمـــل

بحـــارَ الجـــوى إن شـــعري خبـــا ... أيرضـــيك يـــا شـــعر مـــا قـــد حصـــل؟

شِـــباكَ الأســـى لملمـــي آهتـــي ... فـــإن الحيـــاة دمـــارٌ وذل

وصـــــوت أتـــــى مـــــن قـــــروح الأســـــى ... (كفـــــى) فالصـــــباحُ الأغـــــر اكتحـــــل

وداعـــــاً أيـــــا مـــــن طـــــواك اللظـــــى ... وداعـــــاً أيـــــا مـــــن حقـــــرت العمـــــل

وداعـــــاً أيـــــا مـــــن أطعـــــت الهـــــوى ... وداعـــــاً أيـــــا مـــــن طوتـــــك العلـــــل

أمـــــا قلـــــت يومـــــاً: قـــــويٌ أنـــــا ... وإنـــــي الصـــــبور أفـــــوق الجمـــــل!

فـــــأين اصـــــطبارك؟ أيـــــن التقـــــى؟ ... وأيـــــن الأغاريـــــد يـــــا منفعـــــل؟

لقـــــد نـــــام فيـــــك حمـــــاسُ الصـــــبا ... وعربـــــد فـــــي ســـــاعديك الخلـــــل

وبـــــت أســـــيراً بـــــلا عزمـــــةٍ ... وعشـــــت ضـــــعيفاً ، ولا تحتمـــــل

وإنـــــي أبثـــــك مِـــــن دربتـــــي ... وأقـــــذف - فـــــي ناظريـــــك - الأمـــــل

وإنـــــي أبشّـــــرّكم بالهنـــــا ... ســـــينهطل الحـــــظ فـــــوق الرجـــــل

ويومـــــاً تمـــــوت الأفـــــاعي هنـــــا ... وتحيـــــا العصـــــافير فـــــوق الأثـــــل

وتمضـــــي الغرابيـــــب لا عـــــودة ... وتشـــــدو الشـــــحارير تحـــــت الظلـــــل

قناديـــــلُ عزمـــــك فيهـــــا الضـــــيا ... ســـــتطرح عنـــــك بقايـــــا الكســـــل

ويومـــــاً ســـــتنأى الـــــذئاب التـــــي ... تطـــــارد فـــــي الـــــنفس روح الغـــــزل

فيـــــا خـــــل رفقـــــاً ، وكـــــن عـــــادلاً ... وطيّـــــبْ هـــــواك ، كفـــــى مـــــا حصـــــل

ومنـــــي إليـــــك التحايـــــا أخـــــي ... ومنـــــي إليـــــك رطيـــــب الأمـــــل

وصـــــابرْ وأجمـــــلْ ، وكـــــن مؤمنـــــاً ... لكـــــيلا تكـــــون الفتـــــى المبتـــــذل

وعلـــــمْ فـــــؤادك حـــــب الهـــــدى ... ألا واتبـــــع ديـــــن خيـــــر الرســـــل

الأفعى

(عندما ينفخ المال أصحابه فيصيرون كالبالونات المنفوخة التي يملأها الهواء تكون كارثة كبرى فوق رؤوس هؤلاء المساكين. وعندما يتناول معدم موحد مخلص إبرة ويثقب جدار إحدى هذه البالونات فتنفجر في التو وتدرك ساعتئذ أنها لم تكن قط شيئاً مذكوراً ولا تساوي شيئاً البتة ، بل كانت هواءً في هواء ، وأفعى قصيدتنا بالونة من هذه النوعية الخاوية. كان لها معي في أحد الأيام موقف نقشت جدارها على إثره بإبرة التوحيد ومنقاش العقيدة ، فأسفرت البالونة عن أفعى تتلوى ولا تهلك صدقاً إلا نفسها. وتحت عنوان: (الغرور وعواقبه) يقول الأستاذ جابر عبدالله ، ما نصه: (بعض الرجال يصيبهم الغرور ، فرغم زواجهم بزوجات حقا رائعات ، إلا أن الغرور يصيبهم فيبحث أحدهم عن أخرى ، وبعض النساء يرفضن الرجال بسبب الغرور والمقارنة ، والبعض تسوّغ له نفسه الخيانة لأنه يرى أنه لا يحصل على ما يريده من الطرف الآخر. هذه الخطيئة وهذا الانخداع هو الغرور بعينه ، فالغرور لا ينشأ إلا حيث تكون النفس الشقية موجودة ، والنفس الشقية لا تظهر إلا في بيئة مليئة بالشهوات والأهواء. والإنسان المغرور إنسان بلا وعي ، فهو لا يرى الاستحقاق إلا له ، وينظر إلى ما عند غيره ويراه حقاً يجب استرداده ، وهو لا يقر بأحقية الحياة إلا له وحده ، ويحسد غيره ويتمنى زوال النعمة عنه. كم من الناس غرّهم المنصب! وكم من الناس غرّهم المال! وكم من الناس غرّهم الحسب والنسب! وكم من الرجال غرّتهم القوة! وكم من النساء غرّر بهن الشيطان في أشكالهن وجمالهن! فهل يدرك هؤلاء أنهم في جاهلية؟ وهل يدرك هؤلاء أنهم ينتهجون نهج الشيطان حين خرج عن أمر ربه ، وقال جملة واحدة: «أنا خيرٌ منه»؟ إن الإنسان لا يدرك مغبة أقواله وأفعاله الناتجة عن كلمات يختزنها عقله الباطن ، والتي سبق أن خزنتها النفس الشقية فيه ، لا يدرك أن كلمة واحدة بها شيء من الغرور قد تلقي به في نار جهنم سبعين خريفاً ، ولا يدرك أن كلمة قالها إبليس جعلته في الدرك الأسفل ، فلقد تحدى ربه في غرور وقال لأغوينهم أجمعين ، هذه هي النفس وهذا هو الغرور الذي تتوق إليه النفس الخبيثة).هـ.)

إيـــــهِ يـــــا أفعـــــى غلـــــتْ خلجـــــاتُ ... شـــــاهداتٌ - بالخنـــــا - الربـــــواتُ

أنـــــتِ دبّـــــرتِ المكائـــــد شـــــتى ... ثـــــم خانـــــت كيـــــدَك العزمـــــات

وزعمـــــتِ المـــــال يُعمـــــي تقيـــــاً ... هـــــل بمـــــال تشـــــترى المُهَجـــــات؟

وإذا الإغـــــراءُ منـــــكِ رقيـــــعٌ ... وإذا - مـــــن حولـــــكِ - النكبـــــات

وإذا التـــــدليلُ أزهـــــق نفســـــاً ... وإذا - فـــــي قلبـــــكِ - الخفقـــــات

إنمـــــا الـــــدينارُ ينضـــــح كِبْـــــراً ... ثـــــم تقلـــــو المُقلـــــة العَبَـــــرات

وإذا الـــــدينار جمـــــرٌ صـــــهيرٌ ... فـــــي دجـــــاه تحـــــرَق البركـــــات

وإذا بالإنســـــان بعـــــضُ هـــــواء ... تحتـــــوي أخلاقـــــه الخطـــــرات

إنـــــــه بالونـــــــة تتهـــــــادى ... قتلتهـــــا - فـــــي الـــــورى - الأنـــــات

إيـــــهِ يـــــا أفعـــــى لفظتـــــك صـــــدقاً ... فلمـــــــاذا هـــــذه الغمـــــزات؟

ولمـــــــاذا تـــــزرعين البلايـــــا؟ ... أحرقتنـــــــا هـــــذه النزغـــــات

إننـــــي نجـــــمٌ تـــــلألأ شـــــوقاً ... شـــــوّقته الحـــــورُ والجنـــــات

ثـــــم عُـــــدنا - بعـــــد ذلـــــك - نـــــوراً ... ولنـــــا - فـــــي غيرنـــــا - شـــــذرات

فـــــي دُجـــــاكِ كـــــم رأيـــــتُ سُـــــعاراً ... وكـــــذا - فـــــي الملتقـــــى – ســـــطوات!

آهِ مـــــن عِشـــــق – بقلبـــــكِ - يســـــعى ... ولـــــه - فـــــي ناظريْـــــكِ - فـــــرات

ودلالٌ فـــــي الضـــــمير ينـــــاغي ... وإذا فـــــي صـــــمته حركـــــات

وخضـــــوع فـــــي الكـــــلام وهمـــــسٌ ... وحَـــــرامٌ هـــــذه الهمســـــات

كلمـــــا طـــــفّ الأوارُ ، وأرغـــــى ... أشـــــعلتْ نـــــاراً بـــــه اللفتـــــات

قالـــــت الأفعـــــى: هلـــــمّ إلينـــــا ... وبصـــــوتٍ حشـــــوُه نبـــــرات

اركـــــب الناقـــــة ، ذاك جميـــــلٌ ... ولهـــــا فـــــي عَرضـــــها نظـــــرات

نـــــاقتي رهـــــن الإشـــــارة ، فاســـــمعْ ... وأنـــــا الجمّـــــال لـــــي شـــــرُفات

ثـــــم قالـــــت: قـــــد حججـــــتُ ثلاثـــــاً ... شـــــاهدي فـــــي دعـــــوتي عرفـــــات

قلـــــتُ: قـــــد فاقتـــــكِ (أم جميـــــل) ... فلهـــــا فـــــي الكعبـــــة البصـــــمات

إنمـــــا التوحيـــــد أصـــــلٌ أصـــــيلٌ ... ثـــــم تـــــأتي بعـــــده الصـــــلوات

قـــــاطعتني بالجـــــدال ، وثـــــارت ... ثـــــم قالـــــت: هـــــذه طعنـــــات

قلـــــت: كـــــلا ، شـــــرعُ ربـــــك هـــــذا ... إنمـــــا غصّـــــت بـــــك الخطـــــوات

صـــــارحيني مـــــا وراءكِ حقـــــاً ... كيـــــف قـــــد زلـــــت بـــــك الشـــــهوات؟

كيـــــف هـــــذي الـــــنفس أمســـــت حضيضـــــاً ... للمخـــــازي؟ إنهـــــا النـــــزوات!

فأجابت إننا في زمان ... تنمحي في نوره الظلمات

حُررتْ حواءُ فيه ، وعاشت ... بعد وأدٍ ليس فيه حياة

ثم تأتي ما تريد فتاة ... ليس - في قاموسنا - حُرُمات

قطعَ العشقُ الوريد فضِعنا ... ليس في سِكّينه رَحَمَات

فارحم القلب المُضمّخ عشقاً ... عذبتْ عُشاقنا الكرُبات

خفِفِ الوعظ ، وأطفئ غرامي ... قلتُ: كلا ، إنها الشُبُهات

إنما الشيطان زخرفَ هذا ... حُرّمتْ في الدين ذي الخلوات

إنما سيارة كجحيم ... ناقة ذي ، والسائسُ العثرات

فرأيت الغِل أمسك رمحاً ... ثم تجري – خلفه - الآهات

إيه يا أفعى مَرارٌ شقائي ... وشقاءٌ ذا دونه شفرات

إن قتِلتِ في فلاتك أولى ... مِن مُرادات بعدها الدركات

فاكْبتي هذا الفحيحَ ، وقرّي ... فعساها ترديك ذي الزفرات

كيف تغتالين صقراً تسامى؟ ... ليت شعري ، والهوى قسَمات

ليس يهوى - من ثرائكِ - فلساً ... وله في لهو المترفين عِظات

كيف تغتالين نجماً تسامى ... وله في أصقاعكم نفحات؟

كفكفي دُعر الغرور ، وتوبي ... ذبّحتْ أوتارَك الصرخات

كيف أفعى تختال زهواً وتِيها؟ ... جرّحتْ إذلالك الكلمات

خمسة كنا رجالاً كِراماً ... في ديار حولها الأكمات

وذووكِ كيف طابت قراهم؟ ... أخبريني ، إنها هفوات

ثم هذا التيس زوجك يشدو ... وتشي أشجانه النغمات

إيـــــــه يـــــــا أفعـــــــى كفـــــــاكِ دلالاً ... فرّخـــــــتْ - فـــــــي دربـــــــكِ - الســـــــقطات

والمنايـــــــا - حـــــــول قـــــــدّكِ - شـــــــتى ... فاســـــــتفيقي ، أمطـــــــرتْ حســـــــرات

إنمـــــــا أنـــــــتِ الدمامـــــــة فعـــــــلاً ... شـــــــوّهتْ أخلاقـــــــك الـــــــزلات

إن فـــــــي المـــــــرآة تلقـــــــين صـــــــدقي ... حيـــــــة تسْـــــــتعدي ، لهـــــــا لـــــــدغات!

وشـــــــعورٌ - فـــــــي الهـــــــواء - تـــــــدلتْ ... مثـــــــل ذيـــــــل الجـــــــدي مُنتثـــــــرات

ثـــــــم ظهـــــــرٌ - للـــــــوراء - مُســـــــجّىً ... مثـــــــل عُرجـــــــون بـــــــه حفـــــــرات

ثـــــــم جيـــــــدٌ - كالفتيـــــــل - وئيـــــــدٌ ... وإذا فـــــــي عِطفـــــــه الفلتـــــــات

وعـــــــروقٌ - فـــــــي ذراعـــــــكِ - عجفـــــــا ... ثـــــــم فـــــــي الســـــــاقين كـــــــم عثـــــــرات!

وانتفـــــــاخ فـــــــي الشـــــــفاه بغـــــــيضٌ ... وشـــــــقوقٌ فـــــــي الكفـــــــوف مئـــــــات

ثـــــــم فـــــــي الأســـــــنان بعـــــــضُ طعـــــــام ... وكـــــــذا فـــــــي العـــــــين كـــــــم وصـــــــمات!

ثـــــــم أنـــــــفٌ مثـــــــل رجـــــــل غـــــــراب ... ونـــــــدوبٌ – تـــــــزري بـــــــه - نخِـــــــرات

وقـــــــوامٌ مـــــــا لـــــــه عطفـــــــاتٌ ... كجيـــــــادٍ مـــــــا لهـــــــا صـــــــهوات

ثـــــــم وجـــــــهٌ شـــــــاحبٌ مســـــــتطيلٌ ... وخـــــــدودٌ كلهـــــــا غبـــــــرات

وفـــــــمٌ مثـــــــل المفـــــــازة يبـــــــدو ... سَـــــــوّد الأنيـــــــابَ فيـــــــه القـــــــات

ورضـــــــابٌ مســـــــتقذرٌ وكريـــــــهٌ ... وإهـــــــابٌ مـــــــن تحتـــــــه الفقـــــــرات

لـــــــيس تغـــــــري فقـــــــد قلاهـــــــا التصـــــــابي ... برئـــــــتْ مـــــــن هـــــــذه الحِلـــــــوات

مِشـــــــية مثـــــــل الغـــــــراب وأدنـــــــى ... ولهـــــــا فـــــــي عَـــــــدْوها ســـــــرقات

وحنايـــــــا بـــــــرغم عطـــــــر تدسّـــــــتْ ... ليتهـــــــا مـــــــن عطرهـــــــا تفـــــــلات

وأظـــــــافيرٌ كمخلـــــــب وحـــــــش ... قـــــــد علتهـــــــا للـــــــورى الزينـــــــات

وكفـــــــوفٌ شـــــــذت كـــــــريش هَـــــــزار ... بـــــــرزتْ مـــــــن جلـــــــدها العظمـــــــات

لا أرى أنثـــــــى ، ولكـــــــنْ بقايـــــا ... لـــــيس مـــــن حـــــواءَ فيهـــــا سِـــــمات

أنـــــتِ - فـــــي الـــــدنيا - شـــــعورٌ تـــــدنى ... ثـــــم فـــــي إحساســـــك الثغـــــرات

تشـــــــــربين الإذلال دون كـــــــــلام ... ثـــــم أذللـــــــتِ الـــــذي يقتـــــات

آهٍ مـــــن كِبـــــر يُســـــربل حمقـــــا ... ولـــــه - فـــــي عقلهـــــا - ضـــــربات

فـــــيم لـــــبسٌ للعبـــــاءة؟ قـــــولي! ... فصـــــلتْ مـــــن تحتهـــــا العـــــورات

عـــــادة هـــــذي ، وليســـــتْ لـــــدين ... سَـــــوّدتْ أزيـــــاءك العـــــادات

عربـــــد الماســـــونُ فيـــــك ، ومـــــاجوا ... فـــــانبرتْ - فـــــي قومـــــكِ - النعـــــرات

أكـــــل الأوغـــــاد منـــــك وعبّـــــوا ... فأحـــــاطتهم هنـــــا الشـــــطحات

ثـــــم أهـــــل الفـــــن فيـــــك تســـــلوْا ... ســـــقطتْ - فـــــي الموبقـــــاتِ - فتـــــاة

أهلـــــك الـــــرقصُ المـــــدمّرُ أنثـــــى ... سَـــــعرتْ إحساسَـــــك القـــــبُلات

فرأيـــــتِ المطربـــــات نجومـــــاً! ... بـــــل بـــــدورٌ فـــــي الـــــدنا ملكـــــات

إيـــــه يـــــا أفعـــــى شـــــردتِ بعيـــــداً ... كـــــم دعـــــاكِ - إلـــــى الرشـــــاد – دعـــــاة!

جيـــــلُ هـــــذي فـــــي الرذيلـــــة جـــــاثٍ ... كيـــــف تجـــــدي – عنـــــده - الـــــدعوات؟

واعتـــــــدادٌ بـــــــالفلوس حقيـــــــرٌ ... كيـــــف فـــــي هـــــذا الســـــعير حيـــــاة؟

إنمـــــا الأخـــــلاق عنـــــدك ضـــــاعت ... ســـــوف لا يبكـــــي عليـــــك نعـــــاة

وإذا مـــــنكن ماتـــــت ألـــــوفٌ ... ســـــوف لا يرثـــــي هنـــــاك حُـــــداة

أنـــــت بكمـــــا فـــــي الحـــــديث وعجلـــــى ... وكـــــذا النبـــــرات منهزمـــــات

وكـــــذا الألفـــــاظ منـــــكِ تعـــــاني ... ســـــوف لـــــن يأســـــى عليـــــك نعـــــاة

لســـــت أرضـــــى مثـــــل هـــــذي ببتـــــي ... وكـــــذا لا يرتضـــــيك هُـــــداة

إننـــــي غـــــضُ الهدايـــــة آبـــــى ... وكـــــذا لا يرتضـــــيك أبـــــاة

وكـــــذا غيـــــرُ الموحّـــــد يـــــأبى ... جوقـــــة – فـــــي المغريـــــات - سُـــــعاة

باحـــــث عـــــن كـــــل مُغـــــر بـــــأنثى ... يعبـــــدون الغِيـــــد حقـــــاً بُغـــــات

لـــــيس فيـــــكِ اليـــــومَ أيّ جمـــــال ... إنمـــــا ذاك الجمـــــال هِبـــــات

وزنُ هـــــذي مثـــــل مهـــــد رضـــــيع ... والفـــــؤادُ وزنـــــه ريشـــــات

فظـــــة التعبيـــــر لســـــت بخجلـــــى ... ككتـــــاب مـــــا لـــــه صـــــفحات

ولبـــــاس شـــــف عـــــن جســـــم أفعـــــى ... ذهبـــــتْ أعطافـــــكِ النضـــــرات

واصـــــطناع الحســـــن داء يـــــدنّي ... رحـــــل الحســـــنُ ، فـــــلا فتيـــــات!

لملمـــــي ثوبـــــاً لا يغطـــــي ، وجـــــدّي! ... تعســـــتْ فـــــي فيـــــك ذي الضـــــحكات

إيـــــه يـــــا أفعـــــى سُـــــمومكِ ذابـــــت ... مـــــا لهـــــا فـــــي جمعنـــــا ثمـــــرات

إننـــــي وحـــــدي أذيقـــــك مُـــــراً ... ثـــــم أبيـــــاتي كمـــــا الجمـــــرات

أســـــكبُ الأشـــــعار جمـــــراً صـــــهيراً ... فـــــوق رأس كلـــــه غبـــــوات

لا أبـــــالي منـــــك ، أنـــــت ســـــرابٌ ... مـــــا - علـــــى أشـــــعارنا - تبعـــــات

يـــــا غـــــرابَ البـــــين لا تتعـــــالي ... ربمـــــا أردتـــــك ذي الرعشـــــات

كـــــم - علـــــى الإفـــــلاس - نفـــــسٌ تـــــردتْ! ... كـــــم أبـــــادت حيـــــة همســـــات!

فاســـــتفيقي ، إن شِـــــعري حســـــامٌ ... قاصـــــلٌ فـــــي غمـــــده طلقـــــات

فلمـــــن أصـــــباغ وجهـــــكِ؟ قـــــولي! ... أعلينـــــا هـــــذه الســـــكرات؟!

صـــــدّقيني إن عُهـــــرك بـــــادٍ ... ثـــــم عـــــارٌ هـــــذه الفعـــــلات

إيـــــه يـــــا أفعـــــى كشـــــفتك عمـــــداً ... ثـــــم زال الســـــم والـــــدفقات

وإذا بالـــــدينار باعـــــك جهـــــراً ... بيـــــعُ هـــــذي كلـــــه قرُبـــــات

ألـــــف أفعـــــى تشـــــترى بجنيـــــهٍ ... وإذا يُقـــــتلن فالحســـــنات

إنمـــــا الأفعـــــى تفوقـــــك حســـــناً ... لـــــم تنـــــافقْ ، مـــــا لهـــــا بســـــمات

إنمـــــا كيـــــدٌ جهيـــــرٌ تبـــــدّى ... وعليهـــــا لا تفـــــتن الطرقـــــات

والتلـــــوي فـــــي الأفـــــاعي جمـــــالٌ ... ثـــــم فيـــــكِ دمامـــــة ومـــــوات

والتعـــــري فـــــي الأفـــــاعي سَـــــتيرٌ ... لـــــيس - فـــــي دنيـــــا الأفـــــاعي - لات!

لا تحلـــــي أي أفعـــــى صـــــداها ... بـــــل فحـــــيحٌ حولنـــــا وخـــــوات

مـــــا لهـــــا بالمغريـــــات ســـــبيلٌ ... مـــــا لهـــــا بـــــالمجرمين صِـــــلات

إن نـــــاموس الأفـــــاعي صـــــريحٌ ... ولـــــه - فـــــي العـــــالمين - ثبـــــات

ليســـــت الأفعـــــى تبيـــــع حياهـــــا ... إنمـــــا بيـــــع الحيـــــاء ممـــــات

لا تبيـــــع العِـــــرض أفعـــــى ، محـــــالٌ ... برغيـــــفٍ ، بـــــئس تلـــــك صـــــفات!

لا تـــــداجي حيّـــــة ، أو تحـــــابي ... إن هـــــذا طعنهـــــا وشِـــــمات

لـــــيس ترضـــــى حيّـــــة بخـــــداع ... زادُهـــــا بـــــين الأنـــــام فتـــــات

إيـــــه يـــــا أفعـــــى فجـــــرْتِ كثيـــــراً ... وقلتـــــكِ الأنفـــــسُ النكـــــرات

عـــــالمُ الثعبـــــان منـــــك بـــــرئٌ ... فعســـــى أن يعتريـــــك فـــــوات

مثـــــل هـــــذي فـــــي الحيـــــاة شـــــذوذ ... ثـــــم قـــــبحٌ شـــــوّهته نِكـــــات

وكـــــذا حـــــواءُ تبـــــرأ منهـــــا ... إن هـــــذي فـــــي النســـــاء شـــــتات

رب فـــــارزق بالهدايـــــة هـــــذي ... أو فخـــــذها ، لـــــن تفيـــــد عِظـــــات

مـــــات قلـــــبُ المســـــتهينة هـــــذي ... ليتهـــــا - بـــــين الأنـــــام - رُفـــــات

إنهـــــا دُعـــــرٌ يـــــروح ويغـــــدو ... ودُجـــــىً لا يعتريـــــه سُـــــكات

فـــــارحم اللهـــــم منهـــــا البرايـــــا ... قـــــد أذلـــــتهم بقهـــــر بـــــاتوا

رسالة إلى المرتزقة

(عندما لا يجد الداعي الحق إلا العقيدة ليُضحّي بها حتى يأكل ، فقد وجبتْ له المسألة. إذ العقيدة لا يؤكل بها ولا يساوم عليها! وعندما يقف الطعام والشراب حائلاً دون قول كلمة الحق ، وصنماً تبذل عند قاعدته العقيدة الحقة والتوحيد الخالص ، ووثناً يتقرب إليه الدعاة ، فيحرقون القرآن والسنة ليشعلوا البخور لسدنته ، فليضح الداعي الموحد القانت المؤمن بروحه وماله وولده وقوته والدنيا بأسرها في سبيل عقيدته. ولا يُحتج بالمرتزقة الذين يأكلون على كل مائدة ، ويعرفون من أين تؤكل الكتف المسمومة. ولكن أيها المرتزقة ، هذه الكتف مسمومة ، وتوشك أن تذهب بلاحقكم كما ذهبت بسابقكم. ويوشك لهيب نار فتنتها أن يذهب بآخركم كما ذهب بأولكم. أيها المرتزقة ، ما قيمة الأموال إن أنفق الإنسان في سبيلها آدميته ونفسه وضميره وذاته وكل ما يملك؟ إن عبودية الله لا تعدلها عبودية. وإن الذل له – سبحانه – عِزٌ لا يدرك حقيقته إلا أهل التوحيد والعقيدة. فتوبوا إلى الله ، واتقوه واستغفروه ، وعودوا إليه يغفر لكم ما قد سلف. وإنني أكتب هذه القصيدة لجوقة من المرتزقة أتباع كل ناعق وذيول كل طاغ وسدنة كل متفرعن وخدم كل متجبر لا يؤمن بيوم الحساب! نعم جوقة من المرتزقة: إن حضروا فلا هم في العِير ولا هم في النفير ، فليس يؤبه بهم قط ، وإن غابوا فليسوا يفتقدون ، ويصدق فيهم قول الشاعر:

إذا ذهـــــب الحمـــــار بـــــأم عمـــــرو فـــــلا رجعـــــتْ ، ولا رجـــــع الحمـــــار!

ذلك أنهم حفنة من قارعي الطبول وحارقي البخور وهتافة التهريج وقارئي الكفوف وضاربي الرمل ومقلبي القواقع والأصداف والودع. والذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، حِفنة من القطيع السادر في الغي ، ممن يلبسون للناس مسوح الضأن وعباءات الرهبان ، وقلوبهم أمرّ من الصبر ، وألسنتهم أحلى من العسل! يلقاك أحدهم بوجه أبي ذر ، وحياء عثمان ، وحكمة علي ، وفقه معاذ بن جبل ، ولين أبي بكر ، وقلب أبي لهب ، ونفاق ابن سلول ، وغدر عتبة وشيبة ، وجدل الوليد بن المغيرة ، وبأس الحجاج بن يوسف! لا همّ لأحدهم إلا جمع الأموال وشراء المتاع الزائل الزائف فقط. لم يروا الدجال ، وإنما يمهدون لمَقدِمِه. وفتنتهم به قبل ظهوره ليست ببعيدة. فإلى دهاقنة الارتزاق ، ودجاجلة الكلالة ، من الذين يُضفون الشرعية على انحراف الطواغيت ويؤخرون الدعوة إلى الله ، أهدي هذه الصورة الشعرية ، عسى الله أن يتوب عليهم ليتوبوا عن العمالة والخيانة والارتزاق بالحق! ومن هنا فإن ترك موالاة من بدت عليه مظاهر النفاق وصدرت عنه أعمال المنافقين وأقوالهم واجبٌ شرعي. والله تعالى يقول: (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا * ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله). ومقاطعة المنافقين واجتناب مجالسهم التي يخوضون فيها فيما لا يرضي الله عز وجل أيضاً واجبٌ شرعي! قال تعالى: (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة؟ فإن العزة لله جميعا * وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً).)

أيهـــــا الجُهـــــالُ أنـــــتم فـــــي لجـــــاجِ وســـــيأتيكم مصـــــيرٌ لا يُـــــداجي

كلمـــــا ناصـــــحتكم قلـــــتم شـــــبعنا وتـــــوغلتم كثيـــــراً فـــــي اللبـــــاج

إنمـــــا الأمـــــوالُ حقـــــاً شـــــوّهتكم ... وســـــعيتم خلفهـــــا ســـــعيَ الـــــدجاج

فـــي ســـبيل الفِلـــس بعـــتم كـــل غـــال ... وســـلكتم دونـــه كـــل الفِجـــاج

لعنـــة الـــدينار فعـــلاً أحـــرقتكم ... عيشُـــكم فيهـــا كمـــا الملـــح الأجـــاج

ورضـــيتم بـــالهوان المُـــرّ قوتـــاً ... ثـــم أطفـــأتم كـــذا ضـــوء الســـراج

كـــل آمـــال الفتـــى مـــنكم نقـــودٌ ... أو بيـــوتٌ بعـــدها مَهـــرُ الـــزواج

هـــذه العِيشـــة ذلٌ وصـــغارٌ ... مَوتـــة الإنســـان فـــي العـــيش الخِـــداج

وكـــذا الأعـــراض قـــد هتكتموهـــا ... فالنســـاء اليـــوم فـــي قـــيح العَجـــاج

قـــد مُحقـــن اليـــوم فـــي سِـــرب الضـــواري ... بعـــد أن كـــن عـــذارى كالزجـــاج

ثـــم بيـــع الهـــدْي جهـــراً دون خـــوفٍ ... ولكـــم - فـــي النـــاس - عـــيش الإزدواج!

أنـــتمُ الأحبـــار والرهبـــان فـــيهم ... وإذا الفرقـــان يتلـــى فـــي ابتهـــاج

وإذا الـــدنيا رشـــادٌ وتحايـــا ... وإذا الخطبـــة طبقـــاً للمِـــزاج

وإذا الهـــدْي احتفـــالاتٌ وغـــنمٌ ... وإذا الحـــق أســـيرٌ فـــي اللجـــاج

ثـــم أنـــتم بعـــدُ مِنشـــارٌ وجَيـــبٌ ... وأراكـــم - فـــي الـــورى - مثـــل الـــدجاج

لـــيس يغنـــيكم ســـوى أكـــل وشـــرب ... وفلـــوس وارتـــزاق فـــي انفـــراج

إن هـــذا الارتـــزاق اليـــومَ عـــارٌ ... مـــا لـــه والحـــال هـــذا مـــن عِـــلاج

أيهـــا الأوبـــاشُ آهٍ لـــو فقهـــتم ... مـــا ارتضـــيتم أن تكونـــوا كالنعـــاج

ســـاقها الطـــاغوت نحـــو النـــار جهـــراً ... دون جبـــر أو عـــذاب أو هيـــاج

فضـــلت نيرانـــه عـــن نيـــل خلـــدٍ ... ثـــم جـــدّت فـــي تفاصـــيل الـــرواج

علمـــوا فـــي كـــل هـــزل مُنتهـــاهُ ... ثـــم فـــي توحيـــد ربـــي فالتـــداجي!

أعبُـــدٌ فـــي التيـــه نـــاموا واســـتكانوا ... واســـتحلوا دونمـــا أدنـــى احتجـــاج

مَطمـــــحُ الواحـــــد مـــــنهم جمـــــعُ مـــــال ... بـــئس مـــا رامـــوا بـــذي البيـــد السِـــماج!

عيشـــــهم فـــــي القـــــوم ســـــهلٌ مســـــتريحٌ ... والتقـــــيّ البـــــر يحيـــــا فـــــي اخـــــتلاج

أمِنـــــوا فـــــي النـــــاس لـــــيلاً ونهـــــاراً ... واســـــــتراحوا دونمـــــــا أي انزعـــــــاج

بينمـــــا قـــــد خـــــاف فينـــــا مَـــــن تســـــامى ... ثـــــم مـــــلّ الفجـــــرُ مِـــــن أدنـــــى انـــــبلاج!

وأراهـــــــم عرفـــــــوا الحـــــــق ، وحـــــــادوا ... وتمـــــــــادَوْا كـــــــــدهاقين الأحـــــــــاجي

وكـــــذا لـــــم يـــــدفعوا مَكـــــس الطـــــواغي ... وعلـــــــى الأبـــــــرار تســـــــديدُ الخـــــراج!

سَـــــهُل العـــــيش علـــــيهم ، فاســـــتعزوا ... لـــــم يـــــذوقوا مِـــــن أســـــاهُ مِـــــن شِـــــماج

أكلـــــوا لحمـــــاً حنيـــــذاً ، واســـــتزادوا ... وطعـــــامُ الحـــــر مِـــــن خبـــــز مُجـــــاج

وأجـــــــادوا للطواغيـــــــت التـــــــدني ... بُحّـــــتِ الأصـــــوات مِـــــن فـــــرط النبـــــاج

ثـــــم ســـــاروا فـــــي دروب الفســـــق طوعـــــاً ... شُـــــلتِ الأقـــــدام مِـــــن ســـــير هجـــــاج

ولهـــــم أبـــــيض ثـــــوب فـــــي البرايـــــا ... ثـــــم قلـــــبُ الـــــذئب مـــــن فـــــرط الســـــناج

ثـــــم مـــــأوى الحـــــر كهـــــفٌ فـــــي البـــــراري ... ولهـــــم مـــــذخورُ فـــــرش فـــــي الســـــياج

قلـــــبَ الميـــــزانُ ، بـــــات الحُـــــر عبـــــداً ... ثـــــم لا يـــــدري المُعنـــــى مَـــــن ينـــــاجي

ســـــدت الآفـــــاق والأمصـــــار صـــــدقاً ... أحكِـــــم الغلـــــق بفـــــولاذ الرتـــــاج

أزمـــــة بـــــالنفس طالـــــت يـــــا ضـــــميري ... ليـــــت قلبـــــي مـــــن أســـــى الآلام نـــــاج!

إنمـــــا بالقلـــــب أتـــــراحٌ وبلـــــوى ... وعلـــــى الأبـــــواب يـــــا كـــــم مـــــن زلاج!

إننـــــي أرفـــــع كفـــــي لإلهـــــي ... أســـــأل الله كثيـــــر الإنفـــــراج

إنمـــــا المـــــولى مجيـــــبٌ مَـــــن دعـــــاهُ ... إن هـــــذا الحـــــال يـــــا ربـــــاه داج

سؤالٌ وجواب

(تصفحتُ أشعاري فوجدتُ نبرة حزينة تكاد تكون قاسماً مشتركاً بين جُل قصائدي. فقلتُ في نفسي: ربما كان ذلك مني لأن الواقع الذي أنا جزء منه وأتناوله في جُل الذي أكتب من الشعر واقعٌ شئ لا يبعث على الأمل ولا التفاؤل ولا البشارة! فالحرب بين المسلمين بعضهم والبعض الآخر تملأ الأصقاع والأرحاب وتصم الآذان أخبارها. فضلاً عن الحرب الدائرة بين المسلمين وأعدائهم. وبيت المقدس والمسجد الأقصى في أيدي يهود. والدجالون أدعياء النبوة وأدعياء العلم والفقه لا تزال أخبارهم تفجأنا صباح مساء. وأسند الأمر إلى غير أهله في شتى البقاع. والأمانة قد رفعت من القلوب والضمائر إلا من رحم الله وعصم. وتطاول الحُفاة العُراة العالة رعاء الشاة في البنيان. وقل العلم وكثر الجهل. وعم الفجور ، وطم الفسق. ونزعتِ البركة من الوقت ، ومحقت البركة من الزمن. ونطق الرويبضة التافه الحقير الجاهل في أمر الأمة والعامة. وتسلط الأعداء على اختلاف عقائدهم ونحلهم ، وضل وخاب من ينساق وراءهم. ونقضت عرى الإسلام عروة عروة ، وكان أولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة! وإن كانت الصلوات لا يزال النذر اليسير من المسلمين يؤديها على الوجه الأكمل! ولكن التاركين لها اليوم والمتقاعسين عن أدائها والمؤدين لها كنقر الغراب يمثلون السواد الأعظم للأسف. فهل نعيش لليوم الذي نكبّر على الصلاة فيه أربعاً كبرناهن من قبل على الحكم؟! ومضى الصالحون ، وغلب الطالحون. وبات العلم في أصاغر هذه الأمة. وتعلم وتفقه لغير الله تعالى. وتكلف في تجويد القرآن ، وتقعر في تلاوته ، وقرئ على الأموات بزعم أن يسهل لهمُ الموت! ولم يعد الكثيرون يأبهون من حلال أكلوا أم من حرام. وتبرجت النساء تبرجاً أعتى من تبرج الجاهلية الأولى. وجُلد المستضعفون بغير حق. وكثرت الزلازل والبراكين والفيضانات والخسوف والكسوف. وتباهى الناس في المساجد بعد أن تأنقوا في بنائها. وأكِل الربا وانتشر الزنا وعُشِق الغنا. وكثرت المعاصي وجُوهر اللهُ بها ، وشربت الخمور وسُميت بغير أسمائها. وظهرت الفتن ، وتفنن الناس في ركوبها. وأريقت الدماء فلا يدري القاتل لماذا قتل ولا يدري المقتول فيم قتل. وظهر أعوان الظلمة والجبابرة يساعدونهم ويمدونهم بكل ألوان الدعم ليوطدوا مُلكهم. واتبعت سنن الأمم الماضية المنحرفة عن سواء السبيل. واستحِل الحِر والحرير والخمر والمعازف بجميع أنواعها ومسمياتها. وسَلم الخاصة على من يعرفون وفشت التجارة حلالها وحرامها ، حتى التجارة في النساء والغلمان وأعضاء الجسم! وقطعت الأرحام ، وكثرت شهادات الزور. وتقارب الزمان ، وتمنى الرجل أن لو كان مكان الميّت. وصدقت رؤى كثير من المؤمنين. وأصبح أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع ، أي العبد اللئيم الفاجر المجاهر بمعصية الله تعالى. وتداعت الأمم على أمة الإسلام كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، وأصبحت دولة الخلافة والأمة المسلمة أمماً شتى ودويلات متناحرة متشاكسة! والشعر انعكاس لما يعيشه الشاعر! ومن هنا يأتي الصدق والمصداقية! والأصل أن الشِعر الصادق يصل إلى القلوب ، وتستجيب له النفوس ، وتنفعل له الأرواح ، وتحتفي به الضمائر! والشاعر الصادق هو الذي يصور الواقع من حوله ، ولا يصنع من الفسيخ شربات على حد قول العوام! وليس كالصدق مزية ولا شيمة! بل إنني أكاد أجزم بأنه قاعدة وأساس كل فضيلة. وحين سُئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما إذا كان مقبولاً أن يكون المؤمن جبانًا أو بخيلاً أجاب بنعم ، على ما في الصفتين من نقصانٍ لا يليق بمَن أسلم وجهه لمَن إليه يرجع الأمر كله سبحانه وتعالى ، وحين سُئل عمَّا إذا كان من الممكن أن يكون المؤمن كذَّابًا قال: لا ؛ لأن الكذب ـ والعياذ بالله ـ بوابة كل الشرور والمهالك ، وهو من أبعد الصفات عن المسلم المؤمن الموحّد الذي يرجو الله واليوم الآخر ، ناهيك عن بُعدها عن الإنسان

السوي الكريم ، وصدق مَن قال إن الصدق هو الفضيلة الأساسية للحياة الإنسانية ، وهو أصل سائر أعمال البر. والصدق عزيز ، حث عليه ربنا بقوله: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين). والصدق كما قال النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – يهدي إلى البرّ ، والبر يهدي إلى الجنة. ومن هذا المنطلق عندما سألني أحدهم: لماذا هذه النزعة الحزينة الموجودة في شِعرك؟ ولماذا هذه الألفاظ الواجمة والتراكيب الملتاعة والأجراس الباكية والصور المفجعة والإيقاعات الدامعة والإيحاءات المستكينة والقوافي الدامية؟ فكانت إجابتي مُصدّرة بسؤالي له: وما الذي يُسعد في عالمنا؟ لقد ضاع الحق ، ومات الهدى ، وشرّد الخير وأهله ، ودمرت القيم ، وانتحرت الفضائل ، وأهدر التوحيد من واقع الحياة ، وسفكت الدماء ، وانتهكت الأعراض ، وارتكبت الكبائر ، واستهين جهراً بالعقيدة ، وتفقه لغير الله ، وعُبد الدرهم والدينار ، وباع الكثيرون آخرتهم بدنيا غيرهم ، وانفلتت العجماوات الآدمية من عقال الحق وإسار العقيدة ورباط التوحيد. فما الذي يسعد النفس ويُفرحها؟ فلم يحر جواباً! وإذن فالشاعر ينفعل بما يجري حوله ، ومن هنا بات شعره يعكس ما يعيشه هو وما تعيشه أمته من مِحَن وإحَن! فأنشدت:)

يـــا فـــؤادي أدمـــى خطـــاكَ اللهيـــبُ ... ليـــت شـــعري ، والحـــزنُ لـــيس يغيـــبُ

ونصـــبنا - بـــين الأنـــام - كثيـــراً ... والأمـــاني قـــد أثقلتهـــا الـــذنوب

وشـــموسُ الشِـــعر المعـــذب ماتـــت ... واســـتكانت ، أدمـــى ضـــياها الغـــروب

ســـألوني: إن القـــريض حـــزينٌ ... فلمـــاذا لـــم تنـــأ عنـــه الكـــروب؟

ولمـــاذا شـــعرٌ يـــذوب مَـــراراً؟ ... ولمـــاذا دمـــعٌ يُـــرى ووجيـــب؟

ولمـــاذا قلـــبٌ طوتـــه الـــدواهي؟ ... ولمـــاذا هـــذا الشـــعور الرتيـــب؟

ولمـــاذا ألفـــاظ شِـــعرك ثكلـــى؟ ... ولمـــاذا دومـــاً تطـــولُ النـــدوب؟

ولمـــاذا يمضـــي الشـــبابُ بعيـــداً؟ ... ولمـــاذا يطـــوي القـــريضَ المشـــيب؟

ولمـــاذا وجـــدٌ يقطـــع روحـــاً؟ ... ولمـــاذا حـــزنٌ يـــؤز عصـــيبٌ؟

ولمـــاذا قـــرّاء شِـــعرك تـــاهوا؟ ... ولمـــاذا يُبكـــي النفـــوسَ الأديـــب؟

ولمـــاذا فـــي كـــل بيـــت سُـــهادٌ؟ ... ولمـــاذا يكـــوي صـــداك النحيـــب؟

ولمـــاذا تبكـــي الوفـــاء طـــويلاً؟ ... ولمـــاذا ذاك المـــذاقُ الســـليب؟

كيـــف تمضـــي بالمُوجعـــات وحيـــداً؟ ... كيـــف عـــيشٌ فـــي النائبـــات يطيـــب؟

كيـــف تســـعى والقلـــب فيـــه شـــقاءٌ؟ كيـــف تمشـــي فـــي دارنـــا وتجـــوب؟

كيـــف تحيـــا والجُـــرحُ فـــي الـــنفس عـــاتٍ؟ ولمـــاذا يـــا صـــاح لســـت تجيـــب؟

قلـــتُ: صـــبراً ، إن الفـــؤاد كســـيرٌ يـــا رفـــاقي ، مـــات الإبـــاءُ الرطيـــب!

صـــدّقوني ، والأمـــرُ أضـــحى جليّـــاً نحـــن ضـــعنا ، قـــد حطمتنـــا الخطـــوب

رايـــة ضـــاعت يـــا رفـــاقي ودارٌ صـــارحوني ، مـــا ضـــاع كيـــف يـــؤوب؟

وكِـــرامُ الأقـــوام شـــطوا وذلـــوا وســـما فـــي أرحابنـــا المســـتريب

لـــم تعـــد تحنـــو الأمنيـــاتُ علينـــا وتخبـــي تـــدميرَ قـــومي الغيـــوب

إننـــي دومـــاً أشـــتكي وأعـــاني ثـــم يغلـــي فـــي مُقلتـــيّ اللهيـــب

وســـؤالي يـــا قـــوم مـــاذا يُســـلي؟ هـــل غيـــابُ التوحيـــد فيـــه طـــروب؟

هـــل تـــردّي أقوامنـــا اليـــوم يُعْلـــي ودمـــاء التقـــوى طوتهـــا الحـــروب؟

حقنـــا ضـــاعت أرضـــه وذويـــهِ وانمحـــت يـــا خـــلانَ قلبـــي الـــدروب

مـــا الـــذي يغـــري العـــينَ هـــذي بقـــومي؟ أتحفونـــا بـــالرد ، قلـــتُ أجيبـــوا

ذهـــب العـــز الســـامق المتعـــالي ومضـــى رغـــم الأنـــف بـــأسٌ مهيـــب

إنمـــا المجـــدُ المســـتنيفُ تـــولى ثـــم غـــاب المـــأوى ، وغـــاب الرقيـــب

وغرقنـــا فـــي الموبقـــات ، وضـــعنا صـــادقاً بـــين النـــاس أمســـى الكـــذوب

ورضـــينا بالـــذل قوتـــاً ومَثـــوى لـــيس يرضـــى مـــا قـــد رضـــينا اللبيـــب

شـــغلتنا عـــن ديننـــا ترّهـــاتٌ وطيـــوفٌ تتـــرى وقصـــرٌ قشـــيب

وشـــغِلنا عـــن ســـيفنا بوعيـــدٍ ليـــت شـــعري ، إن الكـــلام عجيـــب

وأراكـــم فـــوق البطـــاح خزايـــا قـــد ســـألتم: فـــيم البكـــاء العطيـــب؟

إنمـــا هـــذا دمـــعُ شِـــعر يُقاســـي لـــم يشـــقه اليـــوم العشـــيقُ الحبيـــب

لـــم يـــذق وَجـــداً فـــي هـــوى غانيـــاتٍ ... لـــم يعـــد تســـتهوي صـــداه الطيـــوب

وكـــذا أوزان القـــريض تعـــاني ... أحرقـــتْ ألفـــاظ القـــريض الجـــدوب

وأمـــاط الحـــزن المســـجى عـــذابي ... كيـــف مـــن هـــذا الحـــال يومـــاً هـــروب؟

مـــا لنفســـي أبكـــي ، ولكـــن لـــداري ... بـــين قـــومي أحيـــا ، وإنـــي الغريـــب

ودمـــوعي الشـــعرُ المســـربل ظلمـــاً ... وريـــاحُ الشـــعر احتواهـــا الهبـــوب

لـــم أداهـــن ـ كـــلا ـ ولســـت أداجـــي ... إننـــي فـــي ذل الجميـــع الأريـــب

لـــم أهـــادن مـــن رامنـــي مســـتهيناً ... لـــم أنـــافق ، إن النفـــاق مريـــب

ثـــم شـــعري لا يحتـــوي غيـــر صـــدقي ... ويقينـــي أن الشـــقاء نصـــيب

واصـــطباري رغـــم العـــذاب عظـــيم ... واحتســـابي بالأمنيـــات مَشـــوب

كـــم ســـألتم: فـــيم التـــرانيم كلمـــى؟ ... ولمـــاذا يبكـــي القـــريض الرهيـــب؟

وتقولـــون: الشـــعر أدمـــاه دمعـــي ... وشـــجوني فـــي جـــوف شـــعري تـــذوب

ليـــت شـــعري حتـــى العنـــاوينُ لهفـــى ... عـــاجلتني حتـــى علاهـــا الوجيـــب

إننـــي أفصـــحتُ الكثيـــر ، ولكـــنْ ... يـــا رفـــاقي الشـــعرُ هـــذا طبيـــب

لـــيس ذنبـــي ، فالـــذنبُ ذنـــبُ ظروفـــي ... كـــم تباكـــتْ مـــن نـــوح قلبـــي قلـــوب!

فعســـى دمـــعٌ يســـتثير ضـــميراً ... وعســـى تصـــحو يـــا صِـــحابي الشـــعوب!

إنمـــا الشـــعر الصـــادق الحـــق زادٌ ... وكـــذا شِـــعر العـــابثين ضـــروب

ربمـــا أحيـــا الشـــعرُ فـــي النـــاس حقـــاً ... صـــدّقوني ، إن القـــريض خصـــيب

فاســـتجبْ يـــا رب الخلائـــق قـــولي ... أنـــت يـــا بـــاري الخلـــق ربٌ قريـــب

الأخوة الزائفة (سُداسيات شعرية)

(بعد أن سعى عاماً في خراب بيت شقيقه ، وصاحبَ الأعداء ، وقام بصياغة الحبكة القصصية والتمثيلية الهزلية ، زاعماً أن الحقيقة يمكن أن تموت بمرور الأيام ، ولم يكن فيه مَعلمٌ من معالم الأخوة التي كان عليها عتبة وشيبة ولدا ربيعة ، فضلاً عن معالم الأخوة في التصور العقدي ، حيث يزعم هذا الجاني أنه من أهله. وقد أرسل شفعاءه ليحقق مبدأ يتوافق عليه كثير من المغالطين هو:

مـــــــــن اليـــــــــوم تعارفنـــــــــا وننســـــــــى مـــــــا جـــــــرى منـــــــا

ولا كـــــــــــان ، ولا صـــــــــــار ولا قلـــــــــــــتم ، ولا قلنـــــــــــــا

وإذا به يبتسم لشقيقه ابتسامة البُله والسذج والمنافقين ، واهماً أن الابتسامة يمكن أن تعيد الأخوة المزعومة المفتراة المدعاة ، ونسي أو تناسى بيتاً من الشعر يصف تنافر القلوب فيقول:

إن القلـــــــــوب إذا تنـــــــــافر ودّهـــــــا مثـــــــل الزجاجـــــــة كسْـــــــرُها لا يُشـــــــعَبَ

ومن هنا كانت القصيدة ترجمة لهذا الموقف الأليم المزري من الشقيق الزائف الذي لا يُشرّف. يقول الأستاذ عبد الرحمن الكيلاني عن الأخوة الحقيقية ما نصه: (لا شك أن مفهوم الأخوة في الإسلام يتعلق بالإيمان نفسه وهو قائم على العلاقة في الله ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول في الحديث الصحيح: "أوثقُ عُرى الإيمانِ الحُبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ". وفي الحديث الآخر: "من أحبَّ في الله وأبغضَ في الله فقدِ استكملَ الإيمانَ" لأن الحب من عمل القلب متعلق به. وكذلك البغض ، وهما ـ أي الحب والبغض ـ يجب أن يكونا عند المؤمن في الله ولله. فالمؤمن يحب ما أحب الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يبغض ما أبغض الله ورسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ. لذلك ، فإن عمل قلب المؤمن ـ من حب أو بغض ـ إنما متعلق بأمر الله تعالى وأمر دينه! لا بهوى النفس وحظوظها ، لأن النفس في ذاتها قد تحب ما يبغض الله ـ والعياذ بالله ـ وبالعكس ، فإنها قد تبغض ما يحب الله تعالى. وهذا ـ بلا شك ـ نقص وشرخ في إيمان المرء. لذلك ، فإن مفهوم الحب في الله والبغض فيه ـ سبحانه ـ له موازين تحكمه. يقول المولى عز وجل: (والعَصْرِ. إنَّ الإنْسانَ لفي خُسْرٍ. إلاّ الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ وتَواصَوْا بِالحَقِّ وتواصَوْا بالصَّبْرِ). روى الطبري في تفسيره جامع البيان بسنده عن مجاهد: "(إن الإنسان لفي خسر) إلا من آمن (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يقول: إلاّ الذين صدقوا الله ووحدوه ، وأمروا له بالوحدانية والطاعة ، وعملوا الصالحات ، وأدوا ما لزمهم من فرائضه ، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه ، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان ، لأن الإنسان بمعنى الجمع ، لا بمعنى واحد". وقال الطبري: "وقوله: (وتواصوا بالحق) يقول: وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه من أمره واجتناب ما نهى عنه فيه. وقد جاء عن الحسن (وتواصوا بالحق) يعني: كتاب الله. قوله: (وتواصوا بالصبر) "يقول: وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على العمل بطاعة الله. وهذا مروي عن قتادة بن دعامة السدوسي. قال: (وتواصوا بالصبر) الصبر: طاعة الله. وكذلك قال الحسن البصري رحمهم الله تعالى"اهـ. وجاء عن الشافعي قوله: "إن الناس أو أكثرهم في غفلة عن تدبر هذه السورة". ونقل ابن كثير في تفسيره قول الشافعي ـ رحمه الله ـ: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم". وقال ابن كثير عند قوله تعالى: (وتواصوا بالحق): "وهو أداء الطاعات ، وترك

المحرمات. (وتواصوا بالصبر) أي على المصائب والأكدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر").هـ. روى الإمام مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه عن بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً". وعنده عن النعمان بن البشير مرفوعاً: "مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى". وفي رواية عنه قال صلى الله عليه وسلم: "المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينُه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه").هـ. الأخوة أكسير الحياة بعد التوحيد! ولكن أية أخوة؟ إها الأخوة الحقيقية الصادقة! والآن لنطالع القصيدة! وأعتذر عن طول المقدمة ، فلقد كان هدفي أن أبين الفارق الجوهري بين الأخوة الزائفة والأخوة الحقيقية!)

خبّـــــئ البســـــمة ، هـــــذا أوقـــــعُ ... واذبـــــح الفرحـــــة ، أنـــــت الأرفـــــعُ

واقتـــــل الترحيـــــب ، لا تنطـــــق بـــــه ... وانســـــفِ التجميـــــلَ ، هـــــذا أروع

واقطـــــع الـــــود الـــــذي أودى بنـــــا ... إنمـــــا ســـــيفُ التجنـــــي أقطـــــع

انتهـــــى عهـــــدٌ تـــــولى بيننـــــا ... إنمـــــا مـــــات الإخـــــاء الطيـــــع

وعلـــــى الماضـــــي أقـــــم لـــــي مأتمـــــاً ... إنمـــــا هـــــذا مصـــــابٌ مُفجـــــع

إننـــــي أردتُ فـــــؤادي نـــــارُكم ... والتعـــــالي منـــــك هـــــذا أفظـــــع

****************** ... ******************

لســـــت والله تســـــاوي حيرتـــــي ... أنـــــت غِـــــرٌ لا تســـــاوي صـــــرختي

إنمـــــا أنـــــت الشـــــقيق المفتـــــري ... وأنـــــا وحـــــدي أعـــــاني حُرقتـــــي

نســـــبٌ قـــــد رخصـــــتْ أثمانـــــه ... لـــــيس والله يُســـــاوي دمعتـــــي

كـــــم مـــــن الأعمـــــاق قـــــد أعطيتـــــه ... كـــــي يُربـــــى فـــــي مغـــــاني لـــــوعتي!

وكظمـــــتُ الغـــــيظ أرعـــــى ودهُ ... ليـــــت شـــــعري ، كـــــم طـــــوتني ثـــــورتي!

كنـــــت أزجـــــي كـــــل خيـــــر ، أبتغـــــي ... رفـــــع قـــــومي والهُـــــدى والشـــــرعة

****************** ... ******************

يـــــا شـــــقيق الغِـــــل أنـــــت المنـــــتنُ ... وضـــــياع الـــــود مـــــنكم هـــــيّنُ

قـــد ســـبكت الـــدور ، خفـــفْ نبـــرة ... فلكـــل الزيـــف أنـــت المـــتقن

غيّـــر الحبكـــة هـــذي ، إنهـــا ... كُشـــفت ، وانجـــاب فيهـــا المطعـــن

لســـت منـــي لحظـــة ، يـــا مفتـــر ... داركـــم مـــا عـــاد فيهـــا مـــأمن

إن مـــاء العمـــر فيهـــا ذاهـــبٌ ... وعـــذابَ الـــروح فيهـــا مـــزمن

وهـــلاكَ المـــرء فيهـــا محـــدقٌ ... وســـرابَ الـــوهم فيهـــا يكمـــن

****

إن صـــدق الـــنفس شـــمسٌ تشـــرقُ ... وعطـــاءَ الـــذات خيـــرٌ يعبـــقُ

وشـــقيقَ المـــرء مـــن يســـمو بـــه ... وحبيـــبَ الـــروح خـــلٌ يصـــدق

لـــيس يوشـــي لفظـــة عـــن خِلـــه ... وعلـــى المحبـــوب دومـــاً يُشـــفق

لـــيس يســـعى خلـــف دينـــار ، ولا ... يرتضـــي الشـــح ، فـــدوماً يُنفـــق

يعبـــد المـــولى ، ويرضـــى حكمـــه ... وهْـــو – بـــين العـــالمين - البيـــرق

شـــامة تحيـــا بهـــدْي وتقـــىً ... وبكـــل العـــدل دومـــاً تنطـــق

****

أيـــن مـــن دنيـــاي خـــلٌ مســـلمُ ... شـــامخ العـــزة ، فيهـــا هيـــثمُ؟

يبـــذل المعـــروف دومـــاً ، والهُـــدى ... وإذا حُوربـــتُ ثـــار الضـــيغم

ضـــاحكُ الثغـــر شـــقيقٌ وأخ ... ينصـــح الصـــحب علـــيهم يحلـــم

راشـــد الـــرأي ، صـــريحٌ فـــي المَضـــا ... ولـــه وسْـــط البرايـــا مَعلـــم

ينثـــر النـــور علـــى عمـــر الفتـــى ... ويبيـــد الشـــر لا يستســـلم

رب فارزقنـــا صـــديقاً مؤمنـــاً ... وفـــداه الـــروحُ ، صـــدقاً والـــدم

لا يا من كنت شقيقي!

(الرجولة سابقة على الأخوة ، وليست لاحقة عليها. والأخ الموحد أفضل الناس بإطلاق ، وإذا كان ولا بد من متاركة التوحيد وهجر العقيدة ، فلا مرحباً بأي علاقة كانت! وهنا تبقى الرحم شكلاً دون معنى ، ورسماً دون مضمون ، واسماً دون حقيقة ، وصورة دون واقع ، وظلاً دون أصل! وأنثوية موحدة خير من رجولة جاهلية. ورجولة جاهلية خير من أنثوية جاهلية. وعندما يستغني الشقيق بكل حمية الجاهلية وظنها وغرورها ويتعالى على شقيقه ، فإنها اللعنة تصيب القلوب والضمائر والأحاسيس والتصورات. وعندما يجعل الشقيق من لسانه أداة للتشويش على شقيقه وبوقاً للمجرمين ، فعندئذ تكون العلاقة بينهما قد وصلت إلى أدنى مستوى تكون فيه. ورب أخ لك لم تلده أمك ، وإنما المؤمنون إخوة ، والمسلم أخو المسلم. وفي القصيدة أصور هذا كله! وصدق من قال: المرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه ، الواحد منا لوحده لا يقوى أبداً على مواجهة الحياة وظروفها ومشاكلها ، والعقبات التي تكون في طريقه ، فالمشاكل كثيرة جداً ، والهموم عظيمة ، والمهمات صعبة ، فالمسلم مكلف بمهمات ، وستواجهه عقبات على طول الطريق ، إذا لم يكن يعيش وسْط إخوة له في الله عز وجل فستذوب شخصيته في هذه الحياة الدنيا الفانية ، وستنهال عليه المصائب من كل جانب ، وما من معين . وتظهر أهمية الأخوة في الله بدلائل كبيرة عندما يكون المسلمون في حالة ضعفٍ واضطهاد ، وعندما يكون الإسلام متأخراً في النفوس. فإلى كل شقيق خذول نذل أقول:)

مَـــــــلَّ القـــــــريضُ كآبـــــــة الأوزانِ ... وتضـــــــمَّخ التعبيـــــــر بـــــــالألوانِ

والشـــــوق ذاب كمـــــا الجليـــــد صـــــبابة ... والـــــدمعُ يشـــــكو غربـــــة الإخـــــوان

والشـــــعر عشـــــعش ـ فـــــي ســـــرائره ـ الجـــــوى ... وطغـــــت عليـــــه ســـــحائبُ الأحـــــزان

وئِـــــد الحنـــــين ، فـــــلا إخـــــاء ولا وفـــــا ... وكـــــذا اســـــتكانت عزمـــــة التحنـــــان

خلـــــتِ القلـــــوبُ عـــــن المحبـــــة والصـــــفا ... والشـــــهمُ تحـــــت مطـــــارق العـــــدوان

ودمُ الشـــــــقيق فمُهـــــــدَرٌ ومُبعثـــــــرٌ ... فـــــوق الـــــدروب ضـــــحية النســـــوان

وبضـــــاعة الـــــوحي الكـــــريم رخيصـــــة ... وعلـــــى الـــــرؤوس بضـــــاعة الكفـــــران

وأخـــــوة مَســـــحَ الهـــــوانُ أريجهـــــا ... فغـــــدت هُـــــراءاتٍ بغيـــــر معـــــاني

ومكلِـــــفُ المـــــرذول ضـــــد فعالـــــه ... أبـــــداً يبـــــوء بصـــــدمة الـــــبُطلان

إن الأخـــــوة إن تمـــــرّق ودّهـــــا ... يـــــأتي الشـــــقيقُ نكـــــارة الثعبـــــان

وأراك تـــــزعم يـــــا دعـــــيّ أخـــــوتي ... ولـــــنحن مِـــــن بـــــين الـــــورى أخـــــوان

أخـــوان مـــن حيـــث التســـمي والـــدما ... لكنمـــــا أخـــــوان مفترقـــــان

أخـــوان فـــرّق بـــين كـــلٍ منهمـــا ... هـــديُ الرســـول وشـــرعة الـــرحمن

حتـــى العروبـــة أنـــت عنهـــا حائـــدٌ ... وعـــن الرجولـــة جِـــدت والأوطـــان

ولأنـــت فـــي درك الحضـــيض ومنـــه يبـــ ... ـــرأ عُتبـــة ، وكـــذا الشـــقيق الثـــاني

وأراك تجتـــر الـــدراهم والغنـــى ... آلافهـــا تســـعٌ بـــلا نقصـــان

ولأنـــت ترفـــل فـــي النعـــيم وفـــي الرخـــا ... وتعـــيش فـــي عـــز رفيـــع الشـــان

وأخـــوك يغســـل فـــي بيوتـــات الـــورى ... ويعـــيش فـــي قـــيح الهـــوان يُعـــاني

وينـــال منـــه مُعربـــدٌ ورقيعـــة ... وتنـــال منـــه عَـــواهرٌ وزوان

مـــن كـــل ســـاقطةٍ تزيـــل حيـــاءه ... وتريـــد أن تحتـــال للقربـــان

ويـــدوس - فـــوق إبائـــه - مســـتكبرٌ ... ويـــذوق طعـــم الـــذل مـــن خـــوّان

وتمـــوت - مـــن فـــرط المذلـــة - روحـــه ... ويـــذوب ممـــا قـــد تـــرى العينـــان

ويُـــراوَد المســـكين عـــن توحيـــده ... والأمـــرُ فـــي ســـر وفـــي إعـــلان

يتجـــرع الســـم الزعـــاف لحاجـــةٍ ... يـــا فرحـــة الأعـــداء والأقـــران

أأمنـــت حقـــاً بـــين قطعـــان الغثـــا؟ ... وأخـــوك خـــاف تجبّـــر الـــدهقان

وأكلـــت مـــا طالـــت يـــداك أطايبـــاً ... وأخـــوك ذاق مـــرارة الحرمـــان

وشـــربت حتـــى قـــد رويـــت مـــن الظمـــا ... وأخـــوك ويـــح أخيـــك مـــن ظمـــآن!

وكُســـيت بـــين القـــوم أنـــدى حلـــةٍ ... وأخـــوك ويـــح أخيـــك مـــن عُريـــان!

وبنيـــت داراً فـــي ديـــارك غضـــة ... وكأنهـــا فـــي الحســـن كـــالإيوان

وأخـــوك لا مـــأوى لـــه بـــين الـــورى ... لكنمـــا هـــو فـــي دجـــى الكثبـــان

وقـــد ادخـــرت المـــال تخشـــى مـــن غـــدٍ ... وأخـــوك مُحتـــاج إلـــى الأكفـــان

أيـــــن الأخـــــوة يـــــوم حـــــق عطاؤهـــــا؟ أيـــــن الأخـــــوة فـــــي دنـــــا الـــــذؤبان؟

أيـــــن الأخـــــوة يـــــا ابـــــن أم وأب؟ أيـــــن الأخـــــوة يـــــا أخـــــا الشـــــيطان؟

أيـــــن الأخـــــوة فـــــي علاقتنـــــا إذن؟ عقـــــد الأخـــــوة موغـــــل الـــــبطلان!

إذ لـــــيس يـــــأتي مـــــا أتيـــــت موحـــــدٌ فالخـــــذلُ ممقـــــوتٌ لـــــدى الـــــديان

وكـــــذاك لا يأتيـــــه مـــــن يتنســـــكو ن علـــــى ضـــــلال فـــــي دجـــــى الصـــــلبان

أنـــا لســـت أحقـــد يـــا ســـفيه علـــى الـــذي كســـبتْ يـــداك مـــن المتـــاع الفـــاني

لكـــــنْ أبـــــيّن أن كـــــل مـــــروءةٍ تـــــأبى الـــــذي تأتيـــــه مـــــن بُهتـــــان

وكـــــذا أبـــــيّن أن كـــــل أخـــــوةٍ حـــــقٌ عليهـــــا البـــــذلُ فـــــي إمعـــــان

أتقـــول أنـــي قـــد فضـــحتك فـــي الـــدنا؟ كـــل الـــذي قـــال الكـــذوب أتـــاني

فصّـــلتَ مـــن قـــيح التـــدني حُلـــة وفجَـــرتْ قِيعانـــاً مـــن الخـــذلان

وبنيـــت آفاقـــاً لكـــل نقيصـــةٍ وزرعـــتَ آمـــاداً مـــن النكـــران

يـــا أيهـــا المـــرذول: قلبـــاً والنهـــى حتـــى متـــى تختـــال فـــي الخســـران؟

وإلـــى متـــى كِبـــرٌ يـــروح ويغتـــدي؟ وإلـــى متـــى تنـــأى عـــن الإيمـــان؟

أولســـت تـــذكر يـــوم جئـــت معزيّـــاً وتطيـــل فـــي ترنيمـــة الســـلوان؟

وأراك مغتبطـــاً بمـــا قـــد نـــالني وســـبكتَ عنـــدي رجفـــة العرفـــان

فهنـــاك فـــي المَشـــفى أتيـــت تزورنـــي تزجـــي التـــأثر مثلمـــا الكهّـــان

ودفعـــت بـــالمئتين مـــن يـــد شـــامتٍ والعـــذلُ أثقـــلَ كِفـــة الميـــزان

فـــرددتُ مالـــك ، قلـــت: لا! وحلفـــت لـــي! ولـــذا احترمـــت جلالـــة الأيمـــان

لـــولا يمينـــك مـــا أخـــذت دُريهمـــا وأخـــوك يشـــهد بيننـــا يـــا جـــاني

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم كنـــتُ بحاجـــةٍ؟ خـــذلانكم مـــا كـــان فـــي الحُســـبان

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم طـــالبني الـــورى ... بـــديونهم وجُرفـــتُ فـــي الطوفـــان؟

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم غسّـــلتُ الأذى ... بيـــديّ للعِربيـــد والســـكران؟!

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم زالـــت هيبتـــي ... ووصِـــفتُ عنـــد النـــاس بالنقصـــان؟

وفقـــدتُ - عنـــد النـــاس - عِـــزة مـــؤمن ... ومضـــتْ مكانـــة ثـــائر صَـــيّان

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم أقرضـــني الغريـــ ... ـــب وصـــانني؟ قـــد بـــات مـــن أعـــواني

أيـــن الرجولـــة يـــوم غابـــت شـــرعة؟ ... وكـــذا المـــروءة أيـــن يـــا إخـــواني؟

أيـــن الأخـــوة يـــوم أعطـــاني الـــورى ... حـــق الإخـــا وأخَـــيّ مـــا أعطـــاني؟

أنـــا لســـتُ أبغـــي منـــك مـــالاً والـــذي ... رفـــع الســـما ، فـــالله قـــد أغنـــاني!

لكـــنْ أبـــرهن أن فضـــلك مُـــنمح ... وأراك فـــي مســـتنقع الأدران

فـــادفنْ غـــرورك فـــي ســـراديب الهـــوى ... واقمـــع رماحَـــك فـــي أســـى الطغيـــان

واكبـــتْ نفاقـــك ، لا تقـــل: هـــذا أخـــي ... ودع التظـــاهر داخـــل الأجفـــان

واكـــبحْ ريـــاءك ، مـــا عليـــك ملامـــة ... أألـــوم ظـــلاً مـــا لـــه مـــن شـــان؟

وامحـــقْ تقاعســـك الحقيـــر ، فإنـــه ... أبـــداً يُشـــوّه رونـــق الإنســـان

واحـــرقْ تكبّـــر مُفلـــس مُتملـــق ... هـــذا التكبـــرُ ثـــروة الأوثـــان

أنـــت الـــدعيّ ، ولـــيس عنـــدي ريبـــة ... لكنمـــا هـــي قِســـمة الـــديان

والله عنـــدي همـــة وعزيمـــة ... نبراسُـــها دُررٌ مـــن الفرقـــان

أنـــا ثابـــتٌ رغـــم الخطـــوب ، وقـــانعٌ ... وكمـــا تراني لســـتُ بـــالحيران

وأخـــي كتـــاب الله فيـــه كرامتـــي ... أنعـــم بهـــذا الـــذكر والتبيـــان!

فـــإذا تنكـــر لـــي الصـــحاب ، فصـــاحبي ... أبـــداً كـــلامُ الله فـــي القـــرآن

لا تبكِ يا صديق الأمس!

(الصداقة نعمة عظيمة وهبة من الله جليلة. ولكن لا بد من مادة اشتقت منها لتجعلها حقيقية وهي الصدق. وأيما صداقة قامت على غير الصدق فهي صداقة زائفة سرعان ما تتلاشى وتنتهي! يقول الإمام بن القيم رحمه الله: (الصدق ثلاثة أقسام: 1- صدق في الأقوال. 2- وصدق في الأعمال. 3 – وصدق في الأخوة). أيها الصديق الموفق الصالح: سل نفسك ما الذي يجعلك تخالف الصواب في قولك وفعلك أحياناً؟ وكم مرّة تقع في ذلك يومياً؟ وهل تذكرت آية المنافق (إذا حدّث كذب)؟ وهل أخذت على نفسك عهداً ألا تقع في دائرة الكذب مهما كانت الظروف ، ومهما أضرّ بك الصدق ، وليس بفاعل؟ وصدق من نصح صديقه فقال له: اصدق القول والفعل والعمل تفز برضوان الله تعالى ، ولا يضيرك ما يقول الناس عنك أنه لا بد من المجاملات الكاذبة كي نتربع على قلوب الناس على حساب دخولنا في دائرة الوعيد! افتح صفحة صدق بيضاء نقية ليس من الغد ، بل من هذه اللحظة ، وارفع شعار الصدق في كل حين حتى تلقى ربك به ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً ، وأنت صدّيق. إن أعظم ما في الصدق أنه يقود صاحبه إلى الجنة ، وهذا هو الفوز العظيم قال – صلى الله عليه وسلم -: (أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً) ، فهذا هو الرّبح الأوفر لأهل الصدق. وصدق من قال: (وأي ربح أعظم من الجنة لكن يبقى أن تسأل نفسك: ما هو نصيبك من هذا الخير العظيم؟ فإنه ما زاد نصيب الرجل في الصدق إلا وقلّ نصيبه من الكذب ، والعكس كذلك ، وقد قالوا: قد يكذب الصدوق ـ أي نادراً ولكن لا يصدق الكذوب). هذا وللأصدقاء الحقيقيين وللصالحين والفضلاء في الصدق أقوال جميلة عذبة ، وفرائد يشرف المؤمن بسماعها ودراستها ، وعبارات سديدة أزخرف مقدمة هذه القصيدة ببعضها! قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه ـ (عليك بالصدق وإن قتلك) ، وقال أيضاً: (لأن يضعني الصدق ـ وقلّ ما يفعل ـ أحب إلى أن من أن يرفعني الكذب وقلّ ما يفعل) ، وقال أيضا: (قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر). وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: "ما كذبت مذ علمت أن الكذب يشين صاحبه". وقال الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ: "والله لو نادى منادٍ من السماء أن الكذب حلال ما كذبت". وقال يوسف بن أسباط ـ رحمه الله ـ: "لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إلى من أن أضرب بسيفي في سبيل الله" ، وقال الشعبي: "عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك ، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك". وقال عبد الملك بن مروان لمعلم ولده: "علمهم الصدق كما تعلمهم القران". ويقول الشاعر آمراً أحد أصحابه مبيناً قيمة الصدق وعذوبته مبيناً أن الأمر بالمجاهدة ، كما أن العلم بالتعلم والحلم بالتحلم:

عـــوّدْ لســـانك قـــول الصـــدق تحـــظ بـــه إن اللســـــان لمَـــا عـــــوّدت معتـــــادُ

ومن هذا المنطلق كان للصادقين وافر الأجر عند الله تعالى. إذ الصدق خلق جميل وخصلة طيبة. وما عانيت في حياتي كلها مثلما عانيت من أناس أخلصت لهم وأحببتهم في الله فإذا هم خونة! وأهدي هذه القصيدة لهم جميعاً بالتبعية ، ولهذا الصديق الغاش على وجه الخصوص!)

ألا يـــا صـــديقي إنمـــا الحـــال يُخبـــرُ ألا فـــاحرق الزيـــف الـــذي لـــيس يثمـــرُ

ولا تفتكـــر فـــي ودنـــا ، إنـــه مضـــى وبـــات جلـــيّ الأمـــر مـــا كنـــت تضـــمِر

خـــــدِعتُ كثيـــــراً ، واحترقـــــتُ بنـــــاركم ... وأمـــــرٌ كهـــــذا كنـــــتُ منـــــه أحَـــــذر

وفقـــــتَ الأعـــــادي ، فانبريـــــتَ لحربنـــــا ... وهـــــذا الـــــذي مـــــا كـــــان بالبـــــال يخطـــــر

وقـــــد كنـــــت أرجـــــو - مـــــن ورائـــــكَ - نصـــــرة ... ولكـــــنْ خـــــذلتَ القلـــــب ، والخـــــذلُ أبتـــــر

وشـــــهّرتَ بـــــي فـــــي كـــــل نـــــادٍ ومجلـــــس ... وأخرجـــــتَ - للأقـــــوام - مـــــا كنـــــت تســـــتر

وحطمـــــتَ قلبـــــي بالوشـــــاية والهـــــوى ... وقلـــــتَ كلامـــــاً جُلـــــه الآن منكـــــر

وأســـــمعتَ بـــــي مـــــن لـــــيس يســـــمعُ أو يـــــرى ... وأشـــــعرتَ بـــــي يـــــا صـــــاح مـــــن لـــــيس يشـــــعر

تماديـــــتَ فـــــي الغـــــي البغـــــيض ، وبعتنـــــي ... وأرخصـــــتَ أثمـــــان الصـــــفا يـــــا مُقتّـــــر

وأطلقـــــتَ للـــــزور العنـــــان ، فنـــــالني ... وبـــــت تخلـــــي تـــــارة ، وتـــــؤخر

وإن الصـــــديق الحـــــق مَـــــن يـــــزرع الإخـــــا ... ويُعطـــــي كثيـــــراً مَـــــن أحـــــب ، ويصـــــبر

ويغفـــــر جمّـــــاً عنـــــدما يُخطـــــئ الـــــورى ... ويصـــــفح ، إن الصـــــفح للمـــــرء جـــــوهر

ويبـــــذل نصـــــحاً إن رأى الشـــــر مُحـــــدقاً ... ويعفـــــو عـــــن الـــــزلات ، لا يتضـــــجّر

يُشـــــع ضـــــياء عنـــــد لقيـــــا صـــــديقه ... ويحـــــزن إن غـــــاب الصـــــديق المبصّـــــر

ويغمـــــر خيـــــراً مـــــن صـــــفا لـــــوداده ... وإن خاصـــــم الخـــــلان لا ، لـــــيس يفجُـــــر

يـــــردّ عـــــن الأصـــــحاب نـــــذلاً وشـــــامتاً ... وعـــــن نصـــــرة الخـــــلان لا ، لـــــيس يَفتُـــــر

لـــــه إن أطـــــل الشـــــر قلـــــبٌ ملطـــــف ... وإن أشـــــرفَ الأعـــــداءُ شـــــهمٌ غضـــــنفر

وإن الصـــــديق اليـــــوم أنـــــدر عُملـــــةٍ ... فـــــإن الحيـــــاة اليـــــوم بيـــــدٌ وأنسُـــــر

وصـــــدقُ الضـــــمير اليـــــوم غـــــارت شموسُـــــه ... وقـــــد ســـــاد - فـــــي دنيـــــا الرفـــــاق - التنكّـــــر

تـــــوارى عـــــن الأنظـــــار صـــــدقٌ وصـــــادقٌ ... فكـــــل كـــــذوب بالغوايـــــة يفخـــــر

وتـــــدمع عينـــــا مخلـــــص رغـــــم صـــــدقه ... ويبكـــــي فـــــؤادٌ مخبـــــتٌ متفكّـــــر

ويُكْبـــــتُ - فـــــي الغوغـــــاء - عبـــــدٌ موحّـــــدٌ ... ويرتـــــعُ فـــــي دنيـــــاه وغـــــدٌ مُحَقـــــر

وتعمـــى - عـــن الأخـــلاق - أدمغـــة الغثـــا ... ويبصـــر بـــين النـــاس مـــن لـــيس يبصـــر

ويُقمـــعُ حُـــرٌ رغـــم ديـــن وعـــزةٍ ... ويـــأمن بـــين النـــاس مـــن هـــو أغـــدر

حـــرامٌ علـــى الأقـــوام أن يتواضـــعوا ... وعـــينُ حـــلال أن يســـود التكبّـــر

ألا يـــا صـــديقاً سِـــعرُه اليـــوم كاســـدٌ ... لقـــد كنـــت زادي ، غرنـــي فيـــك مظهـــر

وكنـــت صـــفياً للفـــؤاد وللنهـــى ... وكنـــت بـــدين الحـــق دومـــاً تـــذكّر

وكنـــت الســـمير الشـــهم تشـــرح خـــاطري ... ويغبطنـــا فـــي الحـــال مـــن كـــان ينظـــر

وقـــد كنـــتَ بـــين النـــاس بأســـي وحربتـــي ... وإن غبـــت عـــن قلبـــي فكـــم أتـــأثر!

وأهـــديتك الســـر المـــوارى بمُهجتـــي ... ولـــم أفتكـــر يومـــاً بغـــدر يُـــدمّر

وأحببتـــك الحـــب الرفيـــع ، ولـــم أخـــن ... وكنـــتُ أبـــاهي بالصـــديق ، وأفخـــر

وأخفيـــتُ - عـــن كـــل الأنـــام - طـــويتي ... وأصـــبحتَ فيهـــا ســـالمَ الـــنفس تبحـــر

وعاديـــتُ فيـــك الأهـــل والـــنفس والهـــوى ... وعانيـــتُ فـــي ذودي ، ومـــا كنـــتُ أســـتر

وكـــم أرهـــق الإخـــلاصُ قلبـــي وعزمتـــي! ... وأنـــت ســـعيد القلـــب ، إذ لســـت تشـــعر

وحاربـــتُ قـــومي فـــي ودادك فتـــرة ... وكـــم ذدت عنـــك القـــوم! هـــل تتـــذكّر؟

أراك هنـــا تبكـــي ذهـــاب صـــداقةٍ ... ألا إنمـــا الأحـــوالُ هـــذي تسَـــطر

بأنـــك خنـــت العهـــد والوجهـــة التـــي ... ظللنـــا عليهـــا فتـــرة ، هـــل تبَـــرّر؟

وداعـــاً ، ورب الكـــون يفصِـــل بيننـــا ... لـــه الخلـــق والتـــدبير ربـــي المقـــدر

الرجولة الموءودة

(الأخوة عندي بذلٌ وتضحية وفداء ونصيحة وجود. وأما الأخوة الباهتة الهزيلة الأنانية فلا تصلح أن تكون صحبة أو معرفة. وحقيقة ما استحق أن يكون أخاً شقيقاً من سولت له نفسه يوماً ، وسمح له ضميره الميت ، وقبلت له شخصيته ، وأذنت له أخوته أن يُهان شقيقه إهانة بلغت المنتهى وهو يعلم. ولا أراه شقيقاً أبداً من كان يسعى في النيل من أخيه ، في غربة كلاهما في أشد الحاجة لأخيه أو لشقيقه المزعوم. وصدق الشاعر أبو فراس الحمداني إذ يقول معاتباً! ولقد أجدى عتابه لأن أهله كانوا على مستوى الأهلية:-

أيـــا قومنـــا لا تشـــعلوا الحـــرب بيننـــا أيـــا قومنـــا لا تقطعـــوا اليـــد باليـــدِ

فجـــرح ذوي القربـــى أشـــد مَضاضـــة علـــى الـــنفس مـــن وقـــع الحُســـام المُهنـــد

إن الأخوة هي المفتاح السحري للتعامل مع الأحداث ، ومن هنا كانت للأخ وللشقيق مكانتهما في هذه الحياة. ولا يدرك ما أقول إلا رجل فقد الشقيق الموحد أو الأخ في الله. وساعة يكون الشقيق على عقيدة وتوحيد يكون شقيقه محظوظاً منظوراً من قبل الآخرين! ولكن عندما توأد الرجولة ويسمح الشقيق بأن يرى شقيقه مهاناً بعد كرامة وذليلاً بعد عزة ، فليس ثمة علاقة ولا خلة ولا شفاعة ، ولا يتمسّحَن شقيق هذا وصفه بشقيقه. وصدق إيهاب عبد الجليل إذ قال: (للرجولةِ قيمتُها ومنزلتها عند أربابِ العقول ، ويَدَّعيْها مَن ليسَ من أهلِ الاستئنانِ بها من الصغار ، ويَرنو إلى المِدحةِ بها الأكابرُ ، فيُمدَح الشخص بأنه: رجلٌ ، ومن قومٍ رِجال ، وفيهِ رُجولةٌ ، وقد يَصِلُ الحالُ أن تُمْدَح المرأةُ بأنها: مُسْتَرْجلةٌ ، لنُدرَةِ الرجولة بين الناسِ). قال تعالى: (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ) ، وقال تعالى: (رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَاء ٱلزَّكَـوٰةِ يَخَـٰفُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلأَبْصَـٰرُ). إن بين الله وبين المؤمنين بيعة ، مفادها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ). المشتري هو الله ، والبائع فيها هو المؤمن ، والسلعة هي الأنفس والأموال ، والثمن هو الجنة.)

إنمـــا نـــورُ المكرمـــات ســـبيلُ والهُـــدى - بـــين المُكْـــرَمين - رســـولُ

لكـــنِ الكيـــد المســـتريب طوانـــا وعلـــى أشـــلاء الإخـــاء طلـــول

بيننـــا آبـــارٌ تـــؤجّج نـــاراً وعـــذاباتٌ فـــي دُجاهـــا الفلـــول

ونجـــوم الـــود الشـــريف تنـــاءت وأبـــاد الإشـــراق فيهـــا الأفـــول

وإخـــاءٌ – عبـــر الـــدُجُنّات - عـــانى ثـــم أردى الأطيـــاف فيـــه الـــذبول

ليـــت شـــعري ، كيـــف الرجـــولاتُ ماتـــت ثـــم ســـادت - بـــين الأنـــام - الـــذيول

واســـتبيح العِـــرض الكـــريم غِلابـــاً وعـــلا – بـــين الخلـــق – نـــذلٌ عميـــل

لا تســـــــلني كيـــــف الـــــوداد تـــــولى؟ لا تســـــــلني ، إن الجـــــــواب يطـــــول

لا تســـــــلني ، أنســـــــابنا لا تســـــاوي ودمانـــــا – بـــــين البرايـــــا - تســـــيل

لا تســـــــلني ، هـــــذي الـــــدماء تـــــرابٌ وإبـــــــاءُ الأرواح فيهـــــا قتيـــــل

لا تســـــــلني عمّـــــا كتبـــــتُ بشـــــعري قـــــد تنـــــاءى عنـــــي وعنـــــك الســـــبيل

لا تســـــــلني ، كيـــــف الأخـــــوة زالـــــت؟ ولمـــــاذا هـــــذا الشـــــقاء يطـــــول؟

ولمـــــاذا بينـــــي وبينـــــك بُعـــــدٌ؟ ولمـــــاذا الشـــــكوى؟ ومـــــاذا الـــــدليل؟

ولمـــــاذا لا نرتضـــــي الوصـــــل زاداً؟ ولمـــــاذا يُـــــردي الإخـــــاءَ عـــــذول؟

قلـــــتُ: كـــــلا ، أنـــــت الوئيـــــدُ تمهّـــــلْ وجبـــــانٌ – فـــــي المَكرُمـــــات - رذيـــــل

ومصـــــابٌ بالخـــــذل قلبـــــاً وعقـــــلاً ووضـــــيعٌ فـــــي النائبـــــات خـــــذول

ولكـــــم عانيـــــتَ الرقـــــاد طـــــويلاً! وشـــــحيحٌ – فـــــي التضـــــحيات - بخيـــــل

أنـــــت أخـــــزى مـــــن قـــــد عرفـــــتُ ، وربـــــي وبطـــــيءٌ عنـــــد المصـــــاب كســـــول

وعـــــديم الأخـــــلاق قـــــولاً وفعـــــلاً وغلـــــيظ - عنـــــد الإبـــــاء - كليـــــل

لـــــم تكـــــن يومـــــاً مســـــلماً وحنيفـــــاً ثابتـــــاً فـــــي أخـــــذ الهُـــــدى لا تميـــــل

حيـــــث لـــــو أنـــــت المُتقـــــي مـــــا ذللنـــــا لا ، ولـــــم يَخمِـــــش خافقينـــــا العُجـــــول

لـــــم تكـــــن تـــــدري مـــــا الرجولـــــة حقـــــاً إنمـــــا أنـــــت المســـــتهين العليـــــل

إنمـــــا لـــــو كنـــــت الكـــــريم المُعَلـــــى لـــــم يكـــــن لـــــي ذاك المقـــــامُ الـــــذليل

لـــــم أكـــــن – بـــــين الخلـــــق – يومـــــاً مُهانـــــاً لـــــم يكِـــــدْ لـــــي – بـــــين البرايـــــا - الـــــدخيل

فـــــادفن الأخـــــلاق التـــــي لـــــم تصـــــنها فعســـــاني يحنـــــو علـــــيّ خليـــــل

وعســـــاني ألقـــــى رجـــــالاً بقـــــومي وعســـــاني يطـــــوي اســـــتيائي الرحيـــــل

شقيقان فرقهما الهوى

(صدق الإمام الجليل الفذ علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - في أبياتٍ نسبتْ إليه ولا يبعد أن تكون له:-

فمـــا أكثـــر الإخـــوان حـــين تعـــدهم لكـــــنهم فـــــي النائبـــــات قليـــــلَ

ولا خيـــــر فـــــي ود امـــــرئ متلـــــون إذا الـــــريح مالـــــت مـــــال حيـــــث تميـــــل

جـــوادٌ إذا اســـتغنيت عـــن أخـــذ مالـــه لكنـــه عنـــد احتمـــال الفقـــر عنـــك بخيـــل

والحقيقة لا ولن تموت أبداً مهما طال الزمان ، ومهما زخرف كل صاحب إفكٍ إفكه! والتمثيلية محبوكة ومكشوفة لكل عاقل. وما هو إذ يطالع أولها ويعاينه حتى ينبيك عن الأحداث والخاتمة. ولقد تآمر شقيق مزعوم مع شياطين الإنس على خراب بيت شقيقه ، وكافأه الشياطين بالتوسط له عند أشباههم ليصبح هذا الجاني في مكانة يجمع فيها المال ، فبات منشاراً من المناشير التي لا ترحم ، وصار مرتزقاً من المرتزقة الذين يأكلون على حساب القيم والفضائل ، وقام الشقيق المجني عليه بالمواجهة في بيت الشقيق الغادر ، وذلك بحضور شقيق الاثنين مع اثنين آخرين من شياطين الإنس أعداء المؤمنين. وكان الاعتراف الصارخ والشقيقان يستمعان بكل هدوء وسكينة ، وكأن الشقيق المجني عليه ليس لأي منهما بشقيق ، مما يدل على تورطهما في التمثيلية الغثة ومشاركتهما في المسرحية الهزلية وتواطؤ كل منهما مع الغادرين ، وإذا بالأشقاء على طرفي نقيض! وصبرتُ واحتسبتُ ، ولقاء الجميع عند الله الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. وحكم الله في القيامة حكم عدل لا مجاملة فيه ولا ظلم فيه ولا تحيز! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! فإذا فات الانتصار لحق مظلوم وأخذه من الظالمين في الدنيا ، فلن يفوت في الآخرة! والأيام بيننا!)

أيهـــــا التائـــــه تهفـــــو مشـــــرئبا ليـــت شـــعري ، أتظـــن الوصـــل عـــذبا؟

أتظـــــن الخـــــذل يُعْلـــــي مســـــتخفاً؟ إن قلبـــــي غـــــصّ – بـــــالتبيين - شـــــجبا

أتظـــــن الـــــروح تهفـــــو لهـــــواكم؟ أتظـــــن القلـــــب بالأشـــــواق رحبـــــا؟

أنـــت مـــا كنـــت رفيقـــي ، أو صـــديقي أنـــت نـــذلٌ - فـــوق هـــذي الأرض - دبـــا

أنـــت مـــا كنـــت خليلـــي ذات يـــوم أنـــت منشـــارٌ علـــى الفلـــس أكبـــا

أنـــت شـــاة بـــين كـــل النـــاس تلهـــو همّهـــا فـــي القـــوم أن تقتـــات عُشـــبا

أتظـــــن الوجـــــد يســـــري فـــــي دمانـــــا؟ إنمـــــا الأفـــــواه عانـــــت منـــــك نـــــدبا

تصـــــل الأعـــــدا ، وتجتـــــرّ الوصـــــايا وبهـــــم يـــــا مُفتـــــر تصـــــنع حِزبـــــا

وبهـــــم تشـــــهر ســـــيفاً فـــــي قرانـــــا وبهـــــم يـــــا معتـــــدٍ تعلـــــن حربـــــا

ثـــم تـــأتي تـــدّعي اليـــوم إخـــاءً ... لســـتُ أرضـــى منـــك تـــدجيلاً وكِـــذبا

إنمـــا أنـــت ســـرابٌ ، لا شـــقيقٌ ... أنـــت وهـــمٌ وخيـــالٌ فيـــه شـــبا

أنـــت قـــيحٌ فـــي حيـــاتي ودروبـــي ... وضـــلالٌ فـــي مَعـــين العمـــر صُـــبا

قـــد خـــذلت الهـــدي جهـــراً دون عـــذر ... يـــا شـــقيقي ، ومـــلأت القلـــب رعبـــا

أنـــت قـــد دمّـــرت بيتـــاً وضـــحايا ... أنـــت يـــا أفـــاك قـــد حطمـــت دربـــا

وردمـــت البئـــر ، بـــددت الأمـــاني ... لســـتُ أرجـــو - مـــن معـــين البئـــر - شـــربا

واســـتبحت العِـــرض عمـــداً والقضـــايا ... وضـــربت الحـــق يـــا ســـفاحُ ضـــربا

عنـــدما واجهـــتُ أعـــدائي وقـــالوا ... قـــد فعلنـــا ، لـــم نخـــفْ فـــي الكيـــد ربـــا

وأمـــام اثنـــين كـــلّ قـــد تعـــامى ... وتناســـى لـــم يُعِـــر ســـمعاً وقلبـــا

أأخ فـــي الله صـــدقاً مثـــل هـــذا؟ ... أأخ مـــن كـــان للطـــاغوت جيبـــا؟

أشـــقيقٌ مـــن يبيـــع الـــود بخســـا؟ ... أشـــقيقٌ مـــن يَزيـــد الخطـــب خطبـــا؟

ويَزيـــد الطـــين مـــاءً دون جهـــل؟ ... ويَزيـــد الكـــرب بالخـــذلان كربـــا؟

لـــم تحـــرّك ســـاكناً للقـــوم ، كـــلا ... إنمـــا أمـــر التجنـــي كـــان غصـــبا

واتفقـــتم ومكـــرتم ، يـــا خزايـــا ... وســـبكتم ، كـــان هـــذا المكـــر غيبـــا

ثـــم فـــي الملهـــاة كنـــتم كالمطايـــا ... ونصـــرتم - فـــي اللقـــا - صِـــلاً وذئبـــا

وشـــربتم - فـــي المعانـــاة - دِمانـــا ... ونســـجتم - فـــوق هـــذا الغـــل - رهبـــا

ثـــم قـــدمتم أخـــاكم للـــدواهي ... كنتمـــا فـــي الشـــر ثعبانـــاً وضـــبا

لكمـــا فـــي الحقـــد ســـيفٌ وحِـــرابٌ ... تســـلبان النـــور فـــي المصـــباح ســـلبا

أشـــقيقٌ مـــن يـــرد الحـــق عمـــداً ... وعلـــى أشـــلائنا يأكـــل حَبـــا؟

يحـــرق الســـمعة فـــي كـــل البـــوادي ... ثـــم يحســـو مـــن دمـــاء الطفـــل شـــوبا

همـــــس الغـــــادر فـــــأذنْ لـــــي بـــــذبح ... قلـــــت: فافعـــــلْ لا تخـــــف خـــــذلاً وريبـــــا!

إنمـــــا الغـــــادرُ أعطـــــاك الهـــــدايا ... حيـــــث قـــــد نصّـــــبْتَ أســـــتاذاً وأبّـــــا

لـــــتمجّ الســـــم لـــــلأولاد مجـــــاً ... وتزيـــــد الحَـــــوب - تلـــــو الحـــــوب - حوبـــــا

مثلمـــــا يحتـــــال شـــــمّاسٌ وقـــــسٌ ... مـــــا عليـــــك اليـــــوم يـــــا دهقـــــان عُتبـــــى

فـــــادرس التلمـــــود والموضـــــات حتـــــى ... لا يكـــــون الـــــدرس ملغـــــوزاً وصـــــعبا

واســـــأل الحاخـــــام عـــــن كـــــل غريـــــب ... نـــــاقش البابـــــا ، فهـــــذا لـــــيس عيبـــــا

لتبـــــث الصـــــلب فـــــي كـــــل الزوايـــــا ... ثـــــم تعلـــــي - فـــــوق بـــــأس الحـــــق - سُـــــحْبا

أيهـــــا الســـــادر فـــــي قـــــيح المخـــــازي ... الـــــتمسْ فـــــي القـــــوم أصـــــحاباً ورَكبـــــا

لـــــم أعـــــد أهـــــواك ، أنـــــت – الآن - عـــــارٌ ... وشـــــنارٌ ، بـــــات وصـــــلُ الوغـــــد ذنبـــــا

لا تقـــــلْ يومـــــاً شـــــقيقي غـــــاب عنـــــي ... إننـــــي اليـــــوم غريـــــبٌ ، بـــــت نهبـــــا

إننـــــي ســـــطرتُ – للتـــــاريخ - شِـــــعري ... لا لتلقـــــى فيـــــه إشـــــفاءً وسَـــــبا

لا لتلقـــــى فيـــــه أفعـــــاك التشـــــفى ... إن فـــــوق الكـــــل يـــــا مـــــأفون ربـــــا

هـــــذه الأفعـــــى جهـــــاراً فرّقتنـــــا ... وطوتنـــــا ، فلهـــــا الخـــــذلانُ عُقبـــــى

زوجـــــة - فـــــي الكيـــــد - غالـــــتْ واســـــتطالتْ ... دعـــــك منهـــــا ، والـــــتمسْ - فـــــي الـــــوزر - توبـــــا

إيـــــهِ يـــــا بالونـــــة ثكلـــــى أفيقـــــي ... إن فـــــي إفلاســـــك المنفـــــوخ ثقبـــــا

أنـــــت فـــــي دنيـــــا الغـــــواني بعـــــضُ ظِـــــل ... خنفســـــاءٌ فـــــي حضـــــيض الأرض جـــــدبا

أيهـــــا الممقوتـــــة الشـــــوها كفانـــــا ... أنـــــتِ فـــــي الألـــــوان والتضـــــليل حِربـــــا

لـــــم تســـــاو الشـــــعر يزجيـــــه يراعـــــي ... صـــــدقيني هِـــــرة بـــــالله حَـــــدْبا

أخبرينـــــي: هـــــل لـــــك اليـــــوم حليـــــلٌ ... ليـــــت شـــــعري ، أنـــــت بـــــين الغيـــــد عزبـــــا!

وأراكَ - اليـــــوم - مزهـــــواً بهـــــذي ... فـــــي انفعـــــال ، قـــــد قتلـــــت الـــــنفس عُجبـــــا

وافترضـــــت الخيـــــر فيهـــــا والســـــجايا ... وادعيـــــت الحســـــن فيهـــــا ، وهْـــــي جربـــــا

إننـــــي ســـــطرتُ شـــــعري للبرايـــــا ... كاشـــــفاً للمفتـــــري شـــــرقاً وغربـــــا

منطـــــقُ التـــــاريخ عـــــاتٍ لا يحـــــابي ... قلـــــتُ رأيـــــي ، لـــــم أراع اليـــــوم قربـــــا

أيـــــن مـــــن روحـــــي شـــــقيقٌ فيـــــه تقـــــوى ... وثبـــــات ، لـــــيس بـــــين النـــــاس عطبـــــا؟

يشـــــتريني مـــــن هجيـــــر الظلـــــم هـــــذا ... قـــــد عـــــدمتُ اليـــــوم خلانـــــاً وصـــــحبا

ولـــــه نصـــــحٌ وعـــــز وعطـــــاءٌ ... وإذا الأمـــــراض ســـــادت كـــــان طِبـــــا

وإذا القلـــــب يعـــــاني كـــــان ســـــلوى ... وإذا الـــــروح قلتنـــــي كـــــان قربـــــى

يمـــــلأ الـــــنفس ســـــروراً وبهـــــاءً ... وجمـــــالاً يُفعِـــــم الإحســـــاسَ حُبـــــا

إنْ قلانـــــي النـــــاس دهـــــراً ، ورمَـــــوْني ... كـــــان فـــــي حزنـــــي شـــــقيقاً مســـــتحبا

وإذا خيّـــــر بينـــــي والمنايـــــا ... قـــــال: أفديـــــه بروحـــــي ، وتـــــأبّى

طـــــاهر الفطـــــرة مقـــــدامٌ حلـــــيمٌ ... وعلـــــى التوحيـــــد – صـــــدقاً – قـــــد تربـــــى

وإذا طالبتـــــه يومـــــاً بشـــــئ ... قـــــال: هـــــذا ، وإذا بالشـــــهم لبّـــــى

لـــــيس هـــــذا بمحـــــال يـــــا فـــــؤادي ... فلمـــــاذا الـــــنفس يـــــا قلبـــــاه غضـــــبى؟

ولمـــــاذا يلعـــــق البلـــــوى شـــــعوري؟ ... ولمـــــاذا تســـــكن الآمـــــالُ جُبـــــا؟

ولمـــــاذا لا يـــــرى النـــــور إبـــــائي؟ ... ولمـــــاذا تنشـــــد الأشـــــعارُ شِـــــعبا؟

أيهـــــا الســـــائر فـــــي الغـــــي تـــــداجي ... إننـــــي واجهـــــتُ - بعـــــد النـــــوب - نوبـــــا

بـــــاعني الخـــــلان للطـــــاغوت صـــــدقاً! ... أحرامـــــاً أصـــــبح العـــــونُ ، وعيبـــــا؟

ثـــــم بـــــات الظلـــــم فنـــــاً واحترافـــــاً ... ثـــــم أضـــــحى النـــــذل مغـــــواراً وقطبـــــا

لـــــم يخـــــف رب البرايـــــا مـــــن رمَـــــوني ... لـــــيس يـــــدري جـــــائرُ الخـــــلان أوبـــــا

وترانـــــي رغـــــم هـــــذا فـــــي نعـــــيم ... رغـــــم أنـــــي قـــــد قتلـــــت الـــــنفس نحبـــــا

وإذا بـــــي فـــــي نشـــــاطٍ واجتهـــــادٍ ... وثبـــاتي - رغـــم هـــذا - بـــات صـــلبا

آه لـــــو أنـــــك فـــــي مثـــــل مكـــــاني ... لـــــم تطـــــق عيشـــــاً ، وإن مُلّئـــــتَ إربـــــا

غيـــــرَ أنـــــي أحمـــــد الله تعـــــالى ... أننـــــي فـــــي الجـــــد لا أعـــــرف لِعْبـــــا

أحمـــــل الـــــنفس علـــــى الصـــــبر مِـــــراراً ... لســـــتُ أخشـــــى - فـــــي مســـــير العمـــــر - غبـــــا

ومضـــــــائي مثـــــــل ســـــــدٍ مســـــــتنيفٍ ... لا تـــــرى فـــــي عُـــــرض هـــــذا الســـــد نقبـــــا

عزمتـــــي فـــــي البـــــأس لا ترضـــــى هـــــواني ... وكـــــذا العِـــــزة فـــــي الآلام شـــــهبا

هِمّتـــــي - فـــــوق الثريـــــا - لا تبـــــالي ... وصـــــمودي بالرزايـــــا صـــــار خصـــــبا

وشـــــباب العمـــــر دومـــــاً فـــــي ازدهـــــار ... لـــــيس يـــــدري رغـــــم غِـــــل القيـــــد شـــــيبا

وســـــأحيا أكتـــــب الشـــــعر ، وأشـــــدو ... رغـــــم كـــــون الجيـــــل - بالتـــــذكار - جـــــدبا

وســـــتروي كتـــــب التـــــاريخ شـــــعري ... عنـــــدما أصـــــبح - فـــــي الأجـــــداث - تربـــــا

أيهـــــا المغـــــرورُ لا يغـــــرُرْك حِلمـــــي ... إن - فـــــي الأبيـــــات خلـــــف الـــــرمح - خِلبـــــا

ســـــوف أصـــــلِي بلهيـــــب الشـــــعر وغـــــداً ... ســـــكب الغـــــدر - علـــــى الأشـــــلاء - ســـــكبا

ســـــوف لـــــن تســـــعد بـــــالعيش طـــــويلاً ... ســـــوف يغـــــدو الـــــذل - للمغـــــرور - كســـــبا

إن تكـــــن فحـــــلاً أجـــــبْ بالشـــــعر شـــــعري ... وإذا العُجـــــب تمـــــادى فاســـــتطبا

ثـــــم صـــــدّقْ أنـــــت لـــــم تـــــذهب بعيـــــداً ... منـــــك إنـــــي قـــــد رأيـــــت اليـــــوم شـــــعبا!

ولـــــيَ الـــــرحمنُ ، لا أبغـــــي ســـــواهُ ... يرقـــــبُ الغـــــوث فـــــؤادي مُشـــــرئبا

فـــــأجرْ يـــــا رب عبـــــداً فـــــي مصـــــاب ... واجعـــــل اللهـــــم لـــــي فـــــي النـــــاس حِبـــــا

شرودٌ وضياع

(إن الشرود والضياع في متاهات الجاهلية المحضة التي نعيش فيها ، هما نهاية كل جيل يلعب بالنار إذا عاش يرضعُ لبان الجاهلية. وكم بُحّت أصوات الدعاة وهم يبشرون من أطاع الله بالجنة وينذرون من عصاه بالنار. وإن الجيل الذي تتاح له الفرصة لأن يمحو جاهلية علقت بتصوره ، ويزيل عُجمة أصابت توحيده وعقيدته ، وعلى الرغم من أن سبل الهدى قد تيسرت هي الأخرى أمامه: مقروءة ومسموعة ومرئية ، ثم هذا الجيل عينه لا يذعن للهدى والاطلاع في روافد الهداية والرشاد ، إن مثل هذا الجيل لجيل منكود من أجيال بني البشر. ألا وما أشقاه من جيل يسير في دروب الهوى ووسط أمواج التيه وعبر سبل الغواية. إنه الشرود نحو الضياع وكذلك هو الضياع الناتج عن الشرود: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال: ربي لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى). وكنت قد تعلق قلبي بأحد أفراد ذلك الجيل وهمست في أذنيه أن يجيب داعي الله ويذعن لوحيه ، ولكنه يؤثر ألا يستفيق عامداً متعمداً مع سبق الإصرار والترصد ، وإنني لأدعو الله لي وله الهداية. وصدق من قال: (إن الألم المكبوت يتحول إلى غضب. وإن هذا الغضب يساعدك في التعبير عن ألمك عن طريق شحن طاقتك كي تحمي نفسك. وعندما تكبح آلامك ، فإنك تعيد توجيه غضبك نحو ذاتك ، إن مثل هذا الغضب الداخلي يُسمى الإحساس بالذنب. إنه غضب لا غاية منه ولا هدف سوى توجيه تفكيرك نحو الانتقام وشحذ رأسك بأفكار سيئة ، وزعزعة ثقتك في ذاتك ، حيث تبدأ في الشك في مدى صلاحك. إنه الغضب الوحيد الذي ينطوي على معنى لا يزال مرتبطاً بالألم لأذى الذي تسبب فيه).هـ. والغضب الإيجابي هو الذي يعقبه حساب للنفس ومراجعة تؤتي ثمارها بالبدء من جديد!)

أيهـــا الشـــاردُ ـ خلـــف الـــوهم ـ فـــردا ... فـــي بحـــار التيـــه عُـــد ، فـــالعوْد أجـــدى

إن مـــوج الغـــي عـــاتٍ والأمـــاني ... وظـــلام الجهـــل والتضـــليل أكـــدى

بعُـــد الشـــاطئ ، فـــارجعْ يـــا عنيـــداً ... كيـــف تطفـــو – فـــوق ســـطح المـــاء – فـــردا؟

ســـرق الشـــيطانُ مِجـــدافَ التحـــدي ... ومـــن الحكمـــة أنْ لا تتحـــدى

أيهـــا التائـــهُ فـــي وهـــج الـــدياجي ... ثـــم فـــي درك المخـــازي يتـــردى

كيـــف تحبـــو ، وإليـــك المـــوت يعـــدو ... ولمـــن يبغيـــك ميتـــاً تتصـــدى؟

وهـــزيمُ الرعـــد – فـــوق الكـــل ـ ســـيفٌ ... وأزيـــز الحيـــف يطـــوي الحـــق عمـــدا

وضـــبابُ الجـــوْر يُعمـــي كـــل عـــين ... وعلـــى لحـــم الضـــحايا يتغـــدى

وســـرابُ الفســـق أردى كـــل وادٍ ... ليـــت شـــعري ، وكـــذاك القهـــر أردي!

وبـــــراكينُ اللظـــــى مـــــدتْ لســـــاناً ... فـــــاض بالتـــــدمير والإهـــــدار وقـــــدا

وعصـــــا الماســـــون طالـــــت كـــــل ظهـــــر ... وأبـــــادت مـــــن حِيـــــاض الطهـــــر مجـــــدا

وأزالـــــت مـــــن رُبانـــــا كـــــل نـــــور ... وأمـــــدتْ جيلنـــــا - بالـــــدعر - مـــــدا

ورِبـــــا (شـــــايلوك) غـــــذى كـــــل جســـــم ... وخنـــــا (مـــــارلين) زادَ القـــــوم بُعـــــدا

وغِنـــــا (جانيـــــت) لـــــم يتـــــركْ فـــــؤاداً ... مثلمـــــا (ديمـــــيس) شـــــدّ الجيـــــل شـــــدا

أيهـــــا الســـــائر فـــــي درب المنايـــــا ... إن نـــــور الـــــوحي أمســـــى لـــــك رفـــــدا

يسّـــــر المـــــولى الهُـــــدى ، فـــــاقرأ كتابـــــاً ... واتبعنـــــي ، دعـــــك مـــــن رضـــــوى وسُـــــعدى

إنمـــــا الهـــــدي ينـــــادي كـــــل حـــــي ... فـــــاترك الأوهـــــام ، تـــــب فـــــالتوب أهـــــدى

لـــــيس للمعـــــرض عـــــذرٌ يـــــا جهـــــولاً ... يـــــا خؤونـــــاً ، أنـــــت مـــــن قـــــد خنـــــت عهـــــدا

إنمـــــا اســـــتكبرت عـــــن هـــــدي قـــــويم ... وحفـــــرت الآن يـــــا مغـــــرور لحـــــدا

لـــــم تمـــــت يومـــــاً شـــــريفاً أو عفيفـــــاً ... إنمـــــا الواحـــــد مـــــنكم مـــــات وغـــــدا

إنمـــــا الفتنـــــة هـــــذي داهمتنـــــا ... وطوتنـــــا فـــــي حضـــــيض الأرض حقـــــدا

لـــــم تصِـــــب مـــــن ســـــببوها أو حمَوْهـــــا ... إنمـــــا قـــــد روّعـــــتْ – بـــــالله - أسْـــــدا

ناصـــــحوا ، واستصـــــرخوا كـــــل البرايـــــا ... غيـــــر أن القـــــوم لا يبغـــــون رُشـــــدا

أيهـــــا الراكـــــب فـــــي العُجـــــب وحيـــــداً ... مـــــا كفـــــاك الآن - فـــــي الأوحـــــال - كـــــدا؟!

حـــــرّق الباطـــــلُ – نصـــــب العـــــين - جـــــيلاً ... فاســـــتمع مـــــن بالجميـــــل العـــــذب أســـــدى

احمـــــل الـــــنفس علـــــى التقـــــوى مليـــــاً ... فـــــاز مـــــن – طوعـــــاً - تزكّـــــى واســـــتعدا

إنمـــــا العمـــــر قصـــــيرٌ ، يـــــا رفيقـــــي ... فـــــافتكرْ للـــــنفس فيمـــــا قـــــد أعِـــــدا

ســـــوف تعطـــــى مـــــرتين الأجـــــرَ صـــــدقاً ... طـــــاب ذاك الأجـــــرُ يـــــا محظـــــوظ حصـــــدا

مـــــرة أن قـــــد أطـــــاع العبـــــد ربـــــاً ... جعـــــل المـــــولى لـــــذاك العبـــــد ودا

ثـــم والأخـــرى اتبـــاع الغيـــر حبـــاً ... إنمـــا البُشـــرى لمـــن أحســـن قصـــدا

يـــا عزيـــزي ، إنمـــا المـــالُ ســـرابٌ ... لـــيس يغشـــى قلـــب عبـــدٍ رام ســـعدا

لـــم تكـــن مـــن قبـــل هـــذا أشـــعبياً ... إنمـــا كنـــت تزيـــد الحمـــد حمـــدا

تـــزدري (قـــارون والفرعـــون) دومـــاً ... فلمـــاذا - اليـــوم – عـــنهم قلـــت وِردا؟!

كـــم نقـــدت الظلـــم عنـــدي والطـــواغي ... فلمـــاذا – اليـــوم – لا ترضـــاه نقـــدا؟

ولمـــاذا – اليـــوم – ترضـــى بالـــدنايا؟ ... ولمـــاذا - فـــي الخطايـــا - ذبـــت وجـــدا؟

ألأن القـــــوم أعطـــــوك العطايـــــا ... والهـــــدايا ، ولـــــذا قـــــد ذدت ذودا؟

ألأن الـــــدار بالمجـــــان أيضـــــاً؟ ... إن هـــذا الأمـــر شـــق الـــروح هـــدا

أيهـــا الموغـــل فـــي الشـــك كثيـــراً ... أنـــت فجـــرَ الأمـــس قـــد أعطيـــت وعـــدا

أن تـــرد القلـــب للحـــق ، وتســـمو ... ثـــم تحيـــا فـــي ضـــياء الـــوحي عبـــدا

ثـــم تعطـــي الغيـــر مـــن خيـــر الوصـــايا ... وتحيـــل الـــرين – فـــي الأرواح - شـــهدا

وتـــذر النـــور مـــن فـــوق الولايـــا ... وتغشـــي شـــهوة الإنفـــاق زهـــدا

وتقـــيم الهـــدي فـــي البيـــت ، وتعلـــو ... وتحيـــل الشـــوك – فـــي الأرحـــاب - وَردا

ثـــم تزجـــي حفنـــة الأولاد هـــدياً ... إن هـــذا كلـــه خيـــرٌ مـــردا

فلمـــاذا لـــم تنفـــذ منـــه حرفـــاً؟ ... ولمـــاذا لـــم نجـــد للســـؤل ردا؟

ولمـــاذا تـــؤثر – اليـــوم - ضـــياعاً ... وشـــروداً ، ثـــم لا تـــألوه جهـــدا؟

أيهـــا الشـــارد جمّـــلْ مـــا تبقـــى ... مِـــن ثـــواني العمـــر ، جـــدّ الســـير جـــدا

لمن أكتب الشعر؟

(لو أنني منذ أنعم الله سبحانه وتعالى عليّ بنعمة القريض أعرتُ أذني لسخرية الساخرين ، واستهزاء المستهزئين ، واستفزاز المستفزين ، وحقد الحاقدين ، وتشكيك المشككين ، وجهل الجاهلين ، واستطالة المستطيلين ، وتشاعر المتشاعرين ، وحسد الحاسدين ، وحماقة الحمقى والمغفلين ، واستهتار المستهترين ، واستشعار المستشعرين وما أكثرهم جميعاً ، لما كان لي منذ عام 1996م هنا في الإمارات ومصر والخليج بأسره ، سبعة دواوين هي: (نهاية الطريق – عزيز النفس – القوقعة الدامية – سويعات الغروب – ترنيمة على جدار الحب – الأمل الفواح – من وحي الذكريات)! إنني يا ناس أكتب الشعر شاهداً على هذا العصر ، مسجلاً من وقائع حياتي ما به أنفع من هم أهلي وعشيرتي ، وأبصرهم بالطريق ، كما أنفع أهل ملتي والناس أجمعين. مادتي القيم والأخلاق والمبادئ ، والأمر كما وصفه عباس محمود العقاد في كتابه (ساعات بين الكتب) وتحت عنوان: (أريحية الأمم) يقول العقاد ما نصه: (إن المفترض في بطولة العلم والفلسفة والشعر أن تكون فوق متناول الجماهير ، وأنها قد تسبق موقعها من الزمان فلا تلقى ما هي أهل له من الحفاوة والتقدير ، وكلما ارتفعت طبقة النابغة ، واحتاج تقديره إلى ارتفاع النظر وارتفاع الشعور ، وضح العذر ، وقلت الملامة ، وكان ذلك سبباً في تخفيف الوزر الذي تؤخذ به الجماهير ، إذا هي قصّرت في حقه وعجزت عن جزائه).هـ. وعندما تذكرت رأي العقاد الذي طالعته منذ عشرين سنة ولم أفهمه إلا الآن ، أدركت أن تقييم الشعر والشعراء ، وتقدير الأدب والأدباء ، وتقييم الكتابة والكُتاب ، يحتاج يقيناً إلى مستوى مرموق من الإمكانيات ، وقدر عميق من المؤهلات ، وقسط ثمين من الأدوات! ومن هنا علمت قيمة عملي! وإذن فأقدَرُ الناس على فهم الشعر وتقييمه وتقدير صاحبه هم العلماء والأدباء والمتذوقون! وفي هذا يقول الأستاذ محمد الخضر حسين ما نصه: (في العلماء من يأخذ الشعر البارع بمجامع قلبه ، ويجد في نفسه قوةً على نظمه ، فيضرب مع الشعراء بسهم ، ليزيّن عمله بهذا الفن الجميل. وسبْقُ الشعراء المتجردين للشعر وحده في هذه الحلبة لا يثني العلماء عن تعاطيه ؛ نظراً إلى أنه فن من فنون الأدب الجميلة ، وقد يتخذ وسيلة إلى جلب خير أو دفع أذى. والتاريخ يحدثنا أن في أعلام العربية من كانوا يجيدون صناعة القريض ، كابن دريد ، الذي كانوا يصفونه بأنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء. وأما فنون الشعر أعني الأغراض العامة التي توجه إليها الشاعر بالنظم ، نحو تهذيب النفوس ، وإصلاح الاجتماع ، والحماسة والفخر ، والمديح ، والهجاء ، والوصف ، والنسيب ، والاستعطاف ، والاعتذار ، فقد نظم فيها العرب كثيراً ، وسلكوا فيها طرقاً بديعة).هـ. ومن هنا احتاج هؤلاء النوابغ الأفذاذ إلى أناس ذوي قدرات خاصة ومواهب راقية ليقيّموهم ويقيّموا أعمالهم الفنية من قصة ورواية وشعر ومسرحية!)

كـــم كتبـــتُ الشـــعر إحساســـاً وطيفـــا! كـــان شـــعري – فـــي هجيـــر الخـــذل - كهفـــا

ثـــم صـــغتُ الحِـــس والإحســـاس شـــعراً ورشـــفتُ الشـــعر مـــن بلـــواي رشـــفا

فـــإذا الشـــعرُ صـــديقٌ يحتـــويني بـــات مـــا أكتـــب – فـــي دنيـــاي - إلفـــا

إنمـــا الشـــعر معانـــاة وفحـــوى قبـــل أن تلقـــاه تعبيـــراً وظرفـــا

وجـــراحٌ فـــي فـــؤادي وانفعـــالٌ وعـــذابٌ صُـــغته كمّـــاً وكيفـــا

ومعـــــان فـــــي حيـــــاتي وضـــــميري ... واخـــــتلاجٌ ينـــــزف الأنـــــاتِ نزفـــــا

واشـــتياق - فـــي ســـكون القلـــب - يشـــدو ... وابتهـــالٌ – فـــي معـــين العمـــر - دفـــا

وأنـــينٌ فـــي رواق - الـــروح - يرســـو ... وسُـــهادٌ حـــل – فـــي مـــأوايَ - ضـــيفا

إنمـــا الشـــعر شـــعورٌ وقضـــايا ... وجمـــالٌ بـــات – بالإيحـــاء - أصـــفى

تـــارة يلهـــو ، وأخـــرى فـــي شـــقاءٍ ... مـــا بـــه جـــنٌ ، ولـــيس المســـتخِفا

إننـــي ســـطرتُ - بالأشـــعار - دمعـــي ... بنحيبـــي ترســـم الدمعـــة حرفـــا

ثـــم إنـــي أســـأل الـــنفس ســـؤالاً ... يعـــزف الشـــكوى - بقلـــب اللفـــظ - عزفـــا

أكتـــب الشـــعر لمـــن؟ يـــا نفـــسُ قـــولي! ... هـــل صـــحيحٌ أننـــي أنشـــد طيفـــا؟

كيـــف جمـــعٌ متـــرفٌ يقـــرأ شـــعراً ... أورث الـــدينار فيـــه اليـــوم صـــرفا؟

لـــيس يـــدري مـــن ريـــاض الشـــعر روضـــاً! ... عـــن قطـــوف العلـــم قـــد أغمـــض طرفـــا

لا يشـــم العلـــم أزهـــاراً شـــذاها ... يخطـــف العـــين مـــن الوجـــه وأنفـــا!

ســـيهين الـــنفس إن يقـــرأ كتابـــاً ... صـــار جهـــل الحـــق – عنـــد الجمـــع - عُرفـــا

ينفـــق المـــال علـــى الطـــين ويلغـــو ... وعـــن الأســـفار قـــد أقصـــر كفـــا

ســـله عـــن كـــل ارتـــزاق وانبطـــاح ... إنـــه – بـــين الـــورى – يحمـــل ســـيفا

ويريـــد الشـــعر منـــي دون بـــذل ... أتريـــد الشـــعر يـــا دهقـــان وقفـــا؟

وإذا أهـــديت شـــعري للخزايـــا ... هـــل تـــراهم يفهمـــون الشـــعر عفـــا؟

إنمـــا يفهـــم شـــعري مـــن يعـــاني ... يقـــرأ الأشـــعار حتـــى يستشـــفا

لـــم أقـــلْ شـــعري لغِـــر لـــيس يســـمو ... أو لوَغـــدٍ ينســـجُ الغِيبـــة قـــذفا

أو لأفـــاكٍ جهـــول لـــيس يـــدري ... منـــه صـــاعُ الخُمـــق - فـــي دنيـــاي - طفـــا

أو لثرثـــار لـــه الـــدنيا تغنـــي ... وهْـــو – فـــي أرحابهـــا – يحمـــل دُفـــا

أو لعبد المال – كلا - صدقوني ... وإذا فات الغنى أحدث جرفا

أو لمن يخشى تهاويل البرايا ... وإذا هُدد يوماً مات خوفا

أو لمن - في النحو - لا يدرك بابا ... لا ، ولم يعرفْ لذاك النحو صرفا

أو لمن أخلد للأرض طويلاً ... فيه ماءُ الهدي والإيمان جفا

أو لمن تبكيه أو تلهيه (ليلى) ... ويراها – في الورى – شِعراً مقفى

أو لمن يرضى أراجيف الطواغي ... ويرى تضليلهم – للناس - عطفا

أو لمن يحتال للفلس مليا ... ثم يُرْبي في جيوب البنك ألفا

أو لمن يزهد في الدين ، ويطغى ... يخطف الدينار – بالحيلة - خطفا

أو لمن يأكل بالفرقان قوتاً ... ويحف الحق – في الخطبة - حفا

أو لمن يطمع في الدنيا ويزهو ... وإذا ووجه يوماً يتخفى

أو لمن يكره أهل الخير دوماً ... وإذا أوذوا سريعاً يتشفى

أو لمن دنياه أغلى من هُدانا ... يؤثر الطين على النور المصفى

كيف أعطي مثل هذا الصل شعري؟ ... كيف أوليه شعوري؟ قلتُ: كيفا؟!

مَن يُقضّي العمر مزهواً بقصر ... هل سيأسى أنني أسكن منفى؟

إنما أولي بشعري من يُقاسي ... كلما أنشد بيتاً صار أوفى

ويُقضّي – في المعالي – نصف عمر ... ويُقضّي – في بيان الحق - نصفا

وله قلبٌ قويٌ في المنايا ... وكذا - في البأس - لا يعرف ضعفا

يشتري العلم ، ويفدي من تسامى ... وله – في الجد – عزمٌ ليس يخفى

لا يُطفئ النارَ الرماد!

(إن نور اليقين في الله – عز وجل – لا يطفئه كيد الأوباش ولا حقد المرتزقة مهما طال الزمان. ومن هنا رحتُ أتحداهم وأتوعدهم مستعيناً عليهم بالله القوي الغالب – سبحانه وتعالى -.)

ابْلغـــوا – بالكيـــد – آمـــادَ الـــذرى ... واســـكُبوا الحقـــدَ علـــى ســـاح القـــرى

واهـــدموا دربـــاً ســـلكناهُ معـــاً ... واشـــحذوا حُمقـــاً – علـــى الأرض - جـــرى

وامـــلأوا النـــاسَ بكُرهـــي ، واقتلـــوا ... كـــل ودٍ فـــي الشـــرايين ســـرى

صـــدّقوني لـــن تنـــالوا همّتـــي ... ودمـــي لا لـــن يكـــون المُهـــدَرا

وفـــؤادي لـــيس يخبـــو نـــورُه ... وعطـــائي – اليـــوم – أضـــحى أوفـــرا

وطمـــوحي بـــالبلاءات ســـما ... واعتلـــى شـــعري بهـــنّ المِنبـــرا

واكتســـى بـــالتِبر ثوبـــاً زاهيـــاً ... وعلـــى الأبيـــات رشّ العنبـــرا

وســـعى - نحـــو المعـــالي - مُعلنـــاً ... أن يـــراه النـــاس شـــعراً نيـــرا

هجـــر الأوبـــاش حتـــى يعلمـــوا ... أنهـــم أخـــزى وأشـــقى مَعشـــرا

لـــم يكـــن يفخـــر - فـــي يـــوم - بهـــم ... هـــل يـــرى العاقـــلُ – فـــيهم – مَفخـــرا؟

إننـــي نـــارٌ ســـتكوي كيـــدَهم ... وأرى بأســـي كآســـاد الشـــرى

وبعزمـــي ســـوف أجتـــاحُ الغثـــا ... وبصـــبر المـــرء تشـــتدّ العُـــرى

هـــم رمـــادٌ لا يُســـاوي نفخـــه ... هـــل رمـــادُ النـــار يـــؤذي المِجمـــرا؟

هـــم ذبـــابٌ لـــيس يُخشـــى جيشـــه ... هـــل أســـودُ الغـــاب تخشـــى الجَيهـــرا؟

إنمـــا النيـــرانُ بـــالعلم زكـــتْ! ... لـــيس يُطفـــي النـــارَ أوبـــاشُ الـــورى؟

ولهيـــب النـــار مـــاح إفكَهـــم! ... صـــاح وهْـــج النـــار خيـــراً أثمـــرا

فاكتـــب الشِـــعرَ ، وزايـــلْ صـــفهم ... وامـــض فـــي الـــدرب ، ودع عنـــك الكـــرى!

تحية شعرية لسلاطين آل عثمان

(إنها تحية أنقشها شعراً للسلاطين المؤمنين الموحّدين المظلومين المفترى عليهم ، من أشاوس آل عثمان بن أرطغرل ، سادة الزمان وعماليق المكان! وذلك بعد أن استعرضتُ تاريخهم الحافل بالبطولات والمناقب. وأدركتُ كيف نال منهم المستشرقون والمنافقون والمرتزقة ، ولماذا وكيف ، ولكن بعد حين.)

رحـــــلَ الألـــــى تشـــــجيهمُ الهيجـــــاءُ ... فاستأســـــدتْ – فـــــوق البطـــــاح - الشـــــاءُ

يـــــا آل عثمـــــان أزفّ تحيتـــــي ... شـــــعراً بـــــه يتـــــرنم الأدبـــــاء

وأمـــــدّ كفـــــاً بالســـــلام مُرحّبـــــا ... وصـــــدى القـــــريض يُحبـــــه الشـــــهداء

رفقـــــاً (أدِرْنـــــة) ، فالأبـــــاة أمانـــــة ... وجهـــــادهم - فـــــي الخـــــافقين - ضـــــياء

أحيـــــاءُ - عنـــــد الله - يُـــــرزق جمعُهـــــم ... فـــــرحين ، والمـــــأوى ثـــــوا وجـــــزاء

مستبشـــــرين بمـــــن ســـــيلحق ركـــــبَهم ... ويضـــــم كُـــــلاً – فـــــي الجنـــــان - لقـــــاء

كـــــم شـــــيّدوا الأمجـــــادَ فـــــوق ربوعنـــــا! ... وبهـــــم أبيـــــدَتْ – فـــــي الـــــدنا - الظلمـــــاء

كـــــم أوقفـــــوا الكفـــــارَ عنـــــد حُـــــدودهم ... جبـــــراً ، ومـــــا ردّتهـــــمُ البأســـــاء!

كـــــم أدّبـــــوا الفجـــــارَ دون هـــــوادةٍ! ... فـــــإذا الكِفَـــــار مُجنـــــدلٌ وسِـــــباء

كـــــم قـــــاتلوا لتكـــــون كِلْمـــــة ربنـــــا ... عُليـــــا ، ومـــــا أضـــــنتهمُ الهيجـــــاء!

حتـــــى إذا رحلـــــوا اســـــتحالتْ دُورنـــــا ... رُقعـــــاً تـــــداعى - فوقهـــــا - الأعـــــداء

كـــــلٌ يريـــــد مِـــــن الفريســـــة حظـــــه ... والـــــدَوْرُ قسّـــــم ، لـــــيس فيـــــه خفـــــاء

وإذا بقـــــوم يكشـــــفون زيـــــوفهم ... وهـــــمُ – لـــــدين الله – نِعـــــم فـــــداء!

وعلـــــى النقـــــيض هنـــــاك قـــــومٌ نـــــافقوا ... وهـــــمُ - لمـــــن غصـــــب الـــــدنا - عُمـــــلاء

يـــــا آل عثمـــــان معـــــالمُ حُكمكـــــم ... ذهبـــــتْ ، وحـــــل محلكـــــم سُـــــفهاء

يـــــا رب فـــــارحم مـــــن أتـــــى لـــــك مؤمنـــــاً ... والطـــــفْ بنـــــا ، عـــــاتٍ علينـــــا الـــــداء!

(ترنيمة على جدار الحب)

(أساء كثيرون فهم عنوان هذه القصيدة ، والتي أخذ الديوان اسمه منها. فالعنوان كما هو واضح وبديهي يتناول (الحب) ومن هنا يأتي سوء الفهم! حيث يُظن أن الحب الذي أعني هو الحب على منهاج الجاهلية ، وليس الأمر كذلك ، بل هو الحب على كتاب الله تعالى ، وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -. والحقيقة أنني تنازلتُ عن شعر كتبته في جاهليتي (أعني قبل أن يمن الله عليّ بفهم حقيقة الإسلام والإيمان والإحسان). تنازلت عن هذا الشعر الجاهلي الذي لم يكن على كتاب الله وسنة رسوله. ولم يُبتغ به ابتداءً وجه الله وإعزاز دينه! ألا إن الحب عندما يكون كما شرع رب السماوات والأرض فهو الحب الحقيقي ، لأنه يستمد حياته من أنوار الوحي وإشراقات الرسالة ، ويأخذ صفة الخلود ويلبس لباس القيم. وإن كان الفراق نهايته كان وفق المنهج الرباني والسنة المحمدية. قيل للحسن: زوجت ابنتك من رجل صالح ، فما قولك في هذا؟ أو كيف ترى هذا؟ فأجاب: الرجل الصالح إن أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها ، فماذا تريد ابنتي أكثر من هذا وأعظم؟ وإن كان الحب كما شرعت المزابل الماسونية والزرائب الجاهلية العفنة والأطباق الطائرة التي فوق بيوتات الأقوام ، فليس هذا بالحب ، إنما هي البهيمية والعجماوية المنفلتة من عقال التوحيد وإسار الآدمية ورباط الحق. وقصيدتي هذي قصة حقيقية عشتها لحظة بلحظة ، وصاحبتها هي أم عبد الله ، (عزة مصطفى إبراهيم رزق) الفتاة ذات الثمانية عشر ربيعاً يوم تزوّجتها! تحابينا في الله ورسوله ووفق منهجه وشريعته ودينه ، وأثمر الحب في الله ، وكانت القصيدة تلك ترنيمة على جداره! وكان عُرسها عُرساً إسلامياً كما كانت الحياة معها على كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -. وكان لأبيها الحاج مصطفى أبو رزق مواقف مشرّفة في مستهل العقد عليها والبناء بها! وطبيعي أن يكون في القصيدة شئ من الركاكة والضعف الفني لحداثة التجربة وقلة الخبرة في الشعر ، فلقد كتبتها يوم الثلاثاء الموافق 18من شوال لسنة 1408هـ ، والذي يوافق 10 من نوفمبر لسنة 1987م ، وإذن فكان عمري 23 سنة بالتمام والكمال ، الأمر الذي يجعل لي عذري عند القراء. ويضاف إلى ذلك أنني تركتها - على طبيعتها - لتمثل المرحلة والتجربة معاً!)

أنـــا كـــم رجـــوتُ الله زوجـــاً مـــن كيـــاني ... فيهـــا ســـنا الإخـــلاص والإيمـــانِ!

ولكـــم بكيـــتُ أريـــدُها مُتضـــرعاً ... وبقيـــتُ وحـــدي كالكســـير العـــاني!

ودعَوْتـــه ، ربـــاه أكرمنـــي بهـــا ... وبأنســـها فـــي عـــالمي الحيـــران

لنقـــوم - فـــي الـــدنيا - علـــى أمـــر الهـــدى ... بـــين الـــورى بـــالمنهج الوســـنان

ولكـــم ســـهرتُ الليـــل أجـــأر بالبكـــا ... ويُريـــق دمعـــي - فـــي الحشـــا – شـــرياني!

وودتُ عمـــراً مســـتبيناً هادئـــا ... فيـــه انتصـــارُ الـــروح والوجـــدان

ودعـــوتُ ربـــي لانـــذاً متوســـلاً ... متمنيـــاً منـــه الأليـــفَ الحـــاني

وإذا أراد الله شـــــيئاً قـــــال: (كُـــــن!) سـبحان ربـــك مـــن عظـــيم الشـــان

قبـــلَ الجليـــلُ توسّـــلي وتـــذللي وانـــزاحَ كـــربُ العُزبـــة المُتـــداني

وهنـــاك - فـــي المجهـــول - نامـــت صـــرختي ومضـــى عويـــلُ القلـــب دون تـــوان

وتشـــوقني الـــذكرى بعـــذب تـــرنم لمّـــا رجـــوت اللهَ مِـــن وجـــداني

للهـــم هبنـــي زوجـــة تســـمو بهـــا أعمـــاقُ روح حزنهـــا أعمـــاني

حتـــى رزقـــتُ بـــ (عـــزةٍ) فشـــكرتُ ربّـــ ـــي مُخبتـــاً متـــأدبَ العِرفـــان

ونـــدمتُ أن لعـــب الهـــوى بالعقـــل دهـــ ـــراً ، وانبـــرى يهـــذي بغيـــر عنـــان

نظـــر الحيـــاة بحرقـــةٍ وبلوعـــةٍ ومضـــى يقـــول: ســـئمتُ يـــا إخـــواني

إذ لا أرى أثـــراً لتوحيـــدٍ علـــى حـــواءَ فـــي هـــذا الهجيـــر الفـــاني

قـــال الجميـــع تـــأنّ قـــل: ربـــاه فاهـــ ـــدِ القـــومَ للتوحيـــد والإحســـان

أنـــا يـــوم قلـــتُ: أريـــدُها قـــال الهـــوى: أكـــرمْ بهـــا يـــا صـــاح مِـــن خِـــلان!

يـــا ســـعد بيـــتٍ قـــد أقـــيم علـــى التقـــى يـــا عـــز قلـــب يغتـــذي بأمـــان

قـــال الجميـــع: تريـــدها ، هـــذي إذن أكذوبـــة ، أو فِريـــة الصِـــبيان

فنهـــرتهم ، وصـــرختُ فـــي جُهّـــالهم هِـــي وجهتـــي ، هـــذا إذن إعلانـــي

لمّـــا رُزقـــتُ بأنســـها نبتـــتْ هنـــا ك صـــبابتي وشـــبيبتي وحَنـــاني

قلبـــان - فـــي حـــب المليـــك - تلاقيـــا وتعانقـــا فـــي واحـــة القـــرآن

والقـــومُ بـــين مكـــذب ومُصـــدّق يتقاســـمون مشـــاعر الوَلهـــان

زعمـــوا القلـــوبَ بمـــالهم أن تشـــترى أو أن تبـــاع ضـــمائرُ الإنســـان

أنـــا يـــا أخيّـــة لســـتُ أعبـــأ بـــالأذى فـــالله هـــازم كـــل مـــن عـــاداني

لمّـــا تطـــاول جـــاهليّ ضـــجيجهم أن يأخـــذ الفضـــلى بمـــال دان

قالـــت بعـــز أبيـــةٍ: أنـــا لســـتُ أنـــ ـــصرُ - فـــي الـــورى - جهلـــي ولا شـــيطاني

لســـتُ التـــي تهـــوى حيـــاة عشـــعش الشـــ ـــيطانُ فـــي أرحابهـــا بتفـــان

مـــا قلـــتَ يـــا رعديـــد فـــي قـــدمي ثـــرىً علقـــتْ بـــه خفـــي علـــى هـــذيان

أنـــا قـــد علمـــتُ نهـــيقكم فـــي خلـــوتي يـــا مـــن تحـــاول أن تبيـــد صِـــياني

وأعـــيشُ - فـــي أهلـــي - هنـــا محبـــورة مـــن غيـــر مـــا صـــنم ولا شـــيطان

بـــل ديننـــا الإســـلامُ شِـــرعة ربنـــا نحيـــا بـــه ، ونعيشـــه بمعـــان

لا ديننـــا الأفـــلام أو فحـــش الكـــلا م علـــى عِبـــاد الواحـــدِ الـــديّان

أنـــا لـــيس تخـــدعني المظـــاهرُ ، إننـــي مـــن فـــيض ربّـــي أســـتقي تِبيـــاني

والعـــيش زيـــنٌ إن يكـــن فـــي طاعـــةٍ بعـــتُ الهـــوى والـــنفسَ بـــالغفران

والله قـــد أعطـــى فـــؤادي إلفـــه يمحـــو بـــه – حقـــاً – جـــوى الأشـــجان

كـــم ذا ينـــاجيني (دعينـــي أنصـــرفْ) وأنـــا أقـــول: (امكـــث ففيـــه أمـــاني)!

كـــم ردّد الآيـــات تطـــرب مَســـمعي وأنـــا أقـــول: اليـــومُ مَـــرّ ثـــواني!

كـــم قلـــتمُ عـــن شخصـــه كـــذباً وتضـــ ـــليلاً وألوانـــاً مـــن البُهتـــان!

قلـــتم: سيحبسُـــني ببيـــتٍ مُقفِـــر ويُـــذيقني دهـــراً أســـى الحِرمـــان

وأســـير تســـحبني يـــداه بذلـــةٍ مـــن خلفـــه كتخـــبّط العُميـــان

وســـيحرم الجســـمَ النحيـــلَ مـــن الهـــوى ويُمـــيط عـــن عينـــي ســـنا الألـــوان

وســـيمنع الأغـــرابَ مـــن رؤيـــايَ فـــي وحشـــيةٍ ، وســـيهدمنْ بُنيـــاني

وســـيحجب الوجـــه النضـــير عـــن الـــورى تحـــت النقـــاب بعزمـــة الكُفـــران!

وســـيغلق الأبـــواب دونـــي والـــدنا وســـيكبتُ الأهـــدابَ فـــي الخســـران

وأنـــا أقـــول: كفـــاكمُ حقـــداً وتمـــ ـــزيقاً ، فـــذلك لـــن يهـــدّ كيـــاني

أنـــا (عـــزة) مـــن عِـــزةٍ فـــي عِـــزةِ ... وإلـــى العزيـــز يعـــودُ عـــز مكـــاني

والآن فاســـمع يـــا عـــديمَ الســـمع عـــ ... ـــذب قريضـــه برويّـــةٍ وبيـــان

مـــا قـــال فـــي أشـــعاره هـــذي ســـوى ... نفحـــاتِ عطـــر ذاعهـــا بســـتاني

ســـيعيش يروينـــي قصـــيداً نابضـــاً ... ويلفنـــي فـــي أعـــذب الألحـــان

هـــيَ للعليـــل دواؤه ، كلماتهـــا ... وحروفهـــا تـــروي ظمـــا الظمـــآن

باتـــتْ منـــار الســـمع فـــي قدســـيةٍ ... برطيـــب شـــعر مُشـــرق فينـــان

هـــي (عِزتـــي) ، وأنـــا أتـــوق لأنســـها ... أكـــرمْ بهـــا ، هـــي منحـــة الـــرحمن

ولأن يمـــوتُ المـــرء أهـــونُ عنـــدنا ... مـــن عيشـــةٍ ملئـــت بـــذل قـــان

أعنـــي مذلـــة غربـــةٍ مرذولـــةٍ ... ليســـتْ يصـــورها مِـــداد بنـــاني

محبـــوبتي ، والله أعطاهـــا التقـــى ... زاد اعتـــزازاً قلبهـــا المتفـــاني

هـــي عـــزة فـــي عـــزةٍ رقراقـــة ... عـــز الـــذي أعطـــاكِ مِـــن منـــان

فـــالعز طابعُهـــا ، ومَحتِـــدُ أصـــلها ... وفصـــاحة فاقـــت صـــدى (سَـــحْبان)

واللهُ بـــارك فقههـــا وفهومهـــا ... إن التفقـــه حِليـــة الإحســـان

أنـــا لســـتُ أمـــدحُ فتنتـــي ، لكنهـــا ... فرضـــتْ - علـــى قلمـــي - عطـــا الـــديان

والجـــودُ فـــاعلم والحيـــاءُ خلالهـــا ... والـــروحُ روحُ بُليبـــل رنـــان

تتلـــو ، فتســـحَرُني بقـــرآن غـــدا ... مـــن ثغرهـــا فيضـــاً مـــن التحنـــان

ولـــذا أرى قلبـــي يـــرومُ وصـــالها ... فـــي الله ، بـــورك فـــي الـــدنا الوصـــلان!

وصْـــلُ الكتـــاب وسُـــنةٍ وهدايـــةٍ ... ووصـــالُ روح القلـــب وصـــلٌ ثـــان

وأنـــا أخـــذت العهـــد أن يُـــروى لهـــا ... مـــا قـــد رســـمتُ بريشـــة الفنـــان

للهـــم فاجعـــل فيـــك كـــل وصـــالنا ... واجعلـــه يـــا ربـــاه فـــي الميـــزان

واجعلـــــه نـــــوراً فـــــي ظـــــلام دروبنـــــا ... وأدمْـــــه فـــــي سِـــــر وفـــــي إعـــــلان

حتـــــى نـــــذرّ النـــــور فـــــي أصـــــقاعنا ... ونعطـــــــــر الأجـــــــــواء بالعرفـــــــــان

عرفـــــان حـــــق لـــــيس فيـــــه تـــــنقصٌ ... ونزينـــــــــه بحـــــــــلاوة الشـــــــــكران

يـــــا فتنتـــــي أنـــــتِ المَعـــــين لـــــدعوتي ... أنـــــتِ العطـــــا يـــــا زينـــــة النســـــوان

ربـــــاه فـــــاغمرْ بالســـــعادة قلبهـــــا ... وامـــــلأ إبـــــائي بالمضـــــا الربـــــاني

وأزلْ بـــــأنوار الهـــــدى ظلـــــم الهـــــوى ... وامحـــــقْ ديـــــار الظلـــــم والخـــــذلان

وأجُـــــرْ إلـــــه النـــــاس عبـــــداً تائبـــــاً ... وانفـــــع بهـــــا روحـــــي كـــــذا وجنـــــاني

حتـــــى يعـــــم الخيـــــر فـــــي أفيائنـــــا ... ربـــــاه واحفظنـــــا مـــــن العـــــدوان

واحفـــــظ (أميمـــــة) و (الخليـــــل) شـــــقيقها ... وانفـــــع بعـــــزة أمهـــــم والثـــــاني

لمّـــــا رأتهـــــم (عـــــزة) فرحـــــتْ بهـــــم! ... وأفـــــضْ - علـــــى ذي الـــــزوج - بالولـــــدان

مِـــــن عابـــــد الـــــرحمن ثـــــم بُنيّـــــة ... وتزيـــــد أو تـــــنقص فكـــــلٌ فـــــان

ترنيمـــــة هـــــذي علـــــى سِـــــفر الهـــــوى ... وعلـــــى سُـــــطور مَعينـــــه الفتـــــان

ترنيمـــــة تهفـــــو إلـــــى محبوبهـــــا ... وعلـــــى (جـــــدار الحـــــب) كالقربـــــان

ترنيمـــــة تحنـــــو علـــــى معشـــــوقها ... وتعبّـــــئ الأشـــــعارَ فـــــي الأوزان

ترنيمـــــة تســـــمو علـــــى دنيـــــا الـــــورى ... ياقوتـــــة مثـــــل الأريـــــج الحـــــاني

ترنيمـــــة تمحـــــو مـــــن الـــــنفس الأســـــى ... حمـــــراءُ مثـــــل نضـــــارة الرمـــــان

ترنيمـــــة أنشـــــدتها زمـــــن الصـــــبا ... تســـــتنطق الألبـــــاب كالعقبـــــان

ترنيمـــــة نـــــورُ الـــــوداد جمالهـــــا ... محشـــــوّة بالصـــــدق والرجحـــــان

ترنيمـــــة صـــــدقُ الوفـــــاء عبيرُهـــــا ... مـــــذخورة بســـــطاعة البرهـــــان

الفجر الضائع (خماسيات شعرية)

(كان من المتصور أن أعنون لهذي القصيدة الحلوة بـ (الفجر المرتقب). ولكنْ سها القلم فزل وصاغها: (الفجر الضائع). فرُحتُ أقول في نفسي: إن الناس ببُعدهم عن الحنيفية السمحة ومجاهرتهم رب السماء والأرض بالمعاصي يؤخرون الفجر والنصر معاً. ومن هنا فهو مرتقبٌ للفئة المؤمنة التي تصدق موعود الله بالنصر والتمكين للأمة المسلمة طال الزمان أو قصر! بعز عزيز أو بذل ذليل ، شاءت الجاهلية أم أبت ، علم الجبابرة أم لم يعلموا ، أذن الطواغيت أم لم يأذنوا. وهو فجر ضائعٌ للذين لا يحبون هذا الدين ولا يرجون نصرته ، ولا يداعبهم أمل واحد في أن تقوم له - في أرض الله ودنيا الناس - قائمة. فغلبت التسمية التي زل بها القلم وشط لغلبة الحال ولتمكن الجاهلية وأهلها اليوم في الأرض بغير الحق. وعسى الله أن يكبتهم ، ويأذن لفجر الإسلام أن يبزغ ، وتزول الغربة الثانية مثلما زالت الأولى. وما من أدنى شك في أن ليلنا قد طال ، وغاب الفجر حتى إن قال قائل: أنه لا فجر ، فليس هو في تصوري بالمبالغ! ذلك أن مسخاً مشوهاً يعيش وليس يُدرك لحظة لماذا يعيش ، وحنيفية مغيبة ولا ندري إلى متى ، وقيم منتهكة ولا ندري كيف قد سمح لها أهلها بذلك ، وأحرار يعرقل العبيد الأرقاء سيرهم نحو المعالي ، وعبيد يخبطون نحو الهاوية خبط عشواء ، وهمج رعاع بين كل من الأحرار ، والعبيد لا يلوون على شئ! إلى كل هؤلاء أكتب هذا التشخيص الشعري فعسى أن يبزغ الفجر الضائع! وينقل الدكتور فيصل البعداني عن آخرين تعريفاً للترويح عن النفس والتسرية عنها ، وهي تلفظ الفجر الضائع ، وتقبل على الفجر المرتقب ، فيقول ما نصه: (قال بسيوني: (الترويح هو طريق للحياة الإنسانية ، يتحقق بأداء أنشطة بدنية أو فنية أو عقلية تغاير نوع العمل ، ويتم وفق الرغبة الحرة وتحقيق النفع الشخصي أو العام ، في إطار الضوابط الخلقية والاجتماعية المنبثقة من الدين والعرف). ويذكر د. الخولي بأن الترويح: (إدخال السرور على النفس ، وتجديد نشاطها بوسائل اللهو والترفيه المباحة). ويذهب د.الوكيل إلى أن المراد بالترويح (إدخال السرور على النفس وإنعاشها بحالة ؛ لما تجده من الراحة في عمل أو قول تميل إليه). بينما يذكر د. الفعر بأن الترويح: (طلب راحة النفس ، وهو أمر عام لا يتحدد في شكل معين). ويعد د. السمالوطي الترويح (كل استمتاع مثمر ومشروع في وقت فراغ الإنسان ، بما يعود على الإنسان بالنفع وعلى المجتمع بالنمو والتقدم) ، وفي موضع آخر يذكر بأنه: (حسن استثمار وقت فراغ الإنسان ، بما يحقق له الانتعاش والسعادة وتجديد طاقته الفعلية والجسمية). ويعرفه د. فضالي بكل (نشاط ذو فائدةٍ ما يمارس اختياراً في أثناء الفراغ ، بدافع ذاتي من الرضى الشخصي الذي ينتج عنه ، ويعتبر ميداناً فسيحاً سعته سعة الإنسان ذاته). بينما ينحو د. باقادر إلى أنه (الجانب البناء من النشاط المحبب إلى النفس في ظل أحكام الشريعة الإسلامية الذي يضم جميع نشاطات الفرد العقلية والوجدانية والبدنية ، في سبيل تربية الفرد المسلم بما يوافق الدين والتقاليد الإسلامية). ويسلط د. درويش والخولي الضوء على نظرة بعض باحثي الترويح الغربيين ، فيقولان: (ينظر كل من كراوس وبرباراباتس إلى الترويح على أنه نشاط وخبرة وحالة انفعالية تطرأ على الفرد ؛ نتيجة لممارسته لأنشطةٍ من خلال واقع شخصي. كما يشيران أيضاً إلى أن الترويح قد يتكون من بعض الممارسات العابرة والوقتية أو الارتباط الجاد ببعض أنواع الممارسات طوال الحياة. ويرى بتلر أن الترويح هو نوع من أنواع النشاط التي تمارس في وقت الفراغ ، والتي يختارها الفرد لممارستها بدافعية ذاتية ، والتي يكون من نتائجها اكتساب الفرد لقيم بدنية وخلقية ومعرفية واجتماعية. ويصف تشارلز بيو تشو الترويح بأنه يرتبط بأوجه النشاط التي يمارسها الفرد في أوقات فراغه ، والتي

يكون من نتائجها الاسترخاء والرضى النفسي. أما تشارلزبرايتبل فإنه يشير إلى أن الترويح هو النشاط الذي يختاره الفرد ليمارسه في وقت فراغه ، مؤكداً على أهمية ودور هذه الممارسة في تنمية وتطوير شخصية الفرد).هـ. ولأنه لا بد من الترويح ، فلنعتبر قصيدتنا هذي مساهمة متواضعة في هذا الترويح!)

تمسكْ صامداً ببزوغ فجرٍ ... يسود العدلُ فيه ، ويحتوينا

تشبثْ يا أصيل بكل حق ... عسى الرحمن يُردي الظالمينا

فإنا والذي خلق البرايا ... تأخرَ فجرُنا في العالمينا

ونارُ الظلم شبّتْ في قرانا ... وإن تخمدْ فخيرٌ يصطفينا

بها الأوباشُ عاشوا بالتشفي ... ولو رُدعوا صفوْنا هانئينا

****

على بُعدٍ ترى عيني عُجابا ... أسوداً زلزلوا ، وغدَوْا ذبابا

وسار الغِر يهذي ، لا يُبالي ... وأسيادٌ له طفحوا عذابا

ومال الهر عن آساد صفٍ ... وهز الذيل ، واستغشى الضبابا

وألهه كل طاغيةٍ كفور! ... وهزلُ القوم قد بلغ السحابا

وقافلة العقيدة في ثباتٍ ... وإن قذف السفيهُ بها الحِرابا

****

وحرباً لو رفعتُ السيف فيها ... تهاوى كل رأس مالَ تيها

لكم ناشدتهم ، أبغي ائتلافاً! ... ولكنْ زفرتي مَن يشتريها؟

فجُلُ القوم من حولي لئامٌ ... فلم أر - بينهم - شهماً نبيها

وآمالٌ لهم - في الطين - صدقاً ... ويُعلون المُدنس والسفيها

وأحلامٌ بأوحال المخازي ... وأضحى الحق - في الهلكى - كريها

****

لقـــــد أعطيـــــتهم كـــــل اهتمـــــامي ... ومـــــا ضـــــنتْ يـــــدايَ بمـــــا أمـــــامي

وكـــــم أمتعـــــتهم بقـــــريض قلـــــب ... أحالتـــــه الخطـــــوبُ إلـــــى حُطـــــام!

ولكـــــنْ عـــــذبوا - فـــــي النـــــار - روحـــــي ... وفتـــــتْ بســـــمتي دون انصـــــرام

علـــــى الأحـــــرار أن يحْيَـــــوا كِرامـــــاً ... ومَـــــن بـــــالخير أولـــــى مـــــن كـــــرام؟!

يُـــــذِل الـــــروحَ أن تحيـــــا بقيـــــدٍ ... ويُشـــــجيها قليـــــلٌ مـــــن ســـــلام

****

وظـــــلُ الســـــلم يحرقـــــه عـــــذابي ... ونصـــــلُ الجـــــوْر يســـــلخ كـــــالحِرابِ

غـــــرابُ البـــــين زكّاهـــــا ، وولـــــى ... وصـــــار العـــــيشُ فـــــي قـــــبح الســـــراب

وناحـــــتْ صـــــولتي ، مَـــــن لـــــي بسُـــــكنى؟ ... وبـــــين الأهـــــل قـــــررتُ اغترابـــــي

ونـــــادى الصـــــوت أن بوركـــــتَ حقـــــاً ... وبُـــــحّ الصـــــوتُ مـــــن فـــــرط انتحـــــابي

هجـــــرتُ الأهـــــل والأحبـــــابَ لمّـــــا ... رأيـــــتُ الكـــــل يحيـــــا كالـــــذئاب

****

ومـــــاذا العـــــيش لـــــو ســـــادت أفـــــاع ... تبـــــث الســـــم فـــــي كـــــل البقـــــاعِ؟!

تميـــــتُ الأخضـــــرَ الرقـــــراقَ حقـــــداً ... وتســـــبي نـــــورَ دربـــــي فـــــي ارتيـــــاع

أيـــــا مَـــــن بـــــات مســـــروراً بـــــأفعى ... أمـــــا ينهـــــد تنـــــينُ الأفـــــاعي؟

تلـــــوكُ الســـــم تحـــــت النـــــاب غيظـــــاً ... أرى إبلـــــيس عـــــن قـــــرب يُراعـــــي

ينـــــاديني: كفـــــى وعظـــــاً ، فمـــــنكم ... صِـــــحابي ، صَـــــيحتي ، بـــــل وانطبـــــاعي

****

كفـــــى حقـــــداً ، كفـــــى غِـــــلاً وشـــــكوى ... كفـــــى ذبحـــــاً ، كفـــــى قـــــتلاً ونجـــــوى

فبالشـــــــكوى تـــــــردَّتْ أمنيـــــــاتٌ ... وبـــــــالنجوى ســـــــفكتم كـــــــل ســـــــلوى

وبالأحقـــــــــاد طالتنـــــــــا الأعـــــــادي ... وبـــــــالأغلال تشـــــــدو كـــــــل بلـــــــوى

أضـــــــعنا مجـــــــدنا بالتيـــــــه عمـــــــداً ... كـــــأن التيـــــه فـــــي الأقـــــوام عـــــدوى

أجـــــلْ! عـــــدوى تزخرفهـــــا الـــــدعاوى ... ولا زالـــــــت رؤوسُ القـــــــوم تهـــــــوى

********** **********

ومَـــــن يُضـــــنيه حزنـــــي وانفعـــــالي؟ ... وجُـــــل النـــــاس عنـــــي فـــــي تعـــــالي

فـــــلا خـــــلٌ يُعذبـــــه بكـــــائي ... ولا صـــــحبٌ تبـــــاكوْا لارتحـــــالي

ومـــــا كانـــــت صـــــحابي لـــــي عـــــداً ... ومـــــا كـــــان الأســـــى طبعـــــي وحـــــالي

ولكـــــنْ ضـــــقتُ بالـــــدنيا اصـــــطباراً ... وأســـــألكم: أيطـــــوى مـــــا بـــــدا لـــــي؟

عمومـــــــاً ذاك ترحـــــــالي وحِلـــــــي ... ولـــــــي روحٌ ، وقلـــــــبٌ لا يبـــــــالي

********** **********

ألا ينـــــزاح كربـــــي يـــــا رفـــــاقي؟ ... لقـــــد أودى بآمـــــالي شِـــــقاقي

شـــــقاقٌ شـــــجّه مـــــوتُ الضـــــحايا ... علـــــى أشـــــلائهم بكـــــتِ المـــــآقي

ضـــــحايا دُمّـــــروا مـــــن غيـــــر حـــــرب ... علـــــى تـــــدميرهم زاد احتراقـــــي

وفـــــي ســـــهراتهم كـــــم قلـــــتُ رأيـــــي! ... وفـــــي آذانهـــــم بُـــــح انطلاقـــــي

وتـــــأتي تـــــدّعي يـــــا يـــــأسُ أنـــــي ... ســـــعيدٌ هـــــانئٌ بعـــــد افتراقـــــي

********** **********

فمـــــن حـــــزن ومـــــن غـــــيظٍ أعـــــاني ... وأوأدُ تحـــــت هذرمـــــة الطِعـــــانِ

وديـــــنُ الله فـــــي القرطـــــاس عـــــان ... وحـــــزبُ الله - فـــــي المنفـــــى - يعـــــاني

وأمـــــا بائعـــــاتُ العِـــــرض هـــــزلاً ... فراجـــــتْ ســـــوقهن بمهرجـــــان

وقلبـــــي مـــــن خليـــــع القـــــوم بـــــاكٍ ... ويســـــعى فـــــي ســـــراديب الأمـــــاني

فمـــــا طعـــــمُ الحيـــــاة بغيـــــر هـــــدي؟ وهـــــل - بـــــالفن - للـــــدنيا معـــــاني؟

****

وفـــــن الفـــــن مـــــا فيـــــه الفرائـــــدْ فرائـــــدُه تغطيهـــــا المحامـــــدْ

ولـــــيس الفـــــنُ رقصـــــاً أو غِنـــــاءً ولـــــيس الفـــــن عُريـــــاً فـــــي الجرائـــــد

ولـــــيس الفـــــنُ تمثـــــيلاً وهـــــزلاً وحزنـــــاً فـــــي متاهـــــات الشـــــدائد

ولـــــيس الفـــــنُ دُعـــــراً وابتـــــذالاً قبـــــيحٌ كـــــل هـــــذا ، بـــــل وبائـــــد

ولـــــيس العـــــدلُ تكـــــريم البغايـــــا أرى تهميشـــــهن مـــــن الفوائـــــد

****

وقـــــال القـــــوم: دع عنـــــك التشـــــددْ وأفصـــــحْ عـــــن مُـــــرادِك ، ثـــــم حـــــددْ

فمـــــا طعـــــم الحيـــــاة بغيـــــر رقـــــص؟ نـــــرى بـــــالفن طعـــــم العـــــيش أرغـــــد!

فـــــدع عنـــــك التعصـــــبَ ، كـــــن مليحـــــاً فمـــــا فـــــي الـــــدين عُســـــرٌ أو تشـــــدد

وإن الـــــــدين يُســـــــرٌ ، فاتبعنـــــــا وعِـــــشْ معنـــــا ، فليـــــلُ الفـــــن مزبـــــد

فقلـــــتُ: وربّنـــــا خســـــرَ الخزايـــــا وأمـــــا منهجـــــي فالهَـــــديُ سُـــــودد

****

ألا والحَـــــــولُ زارتنـــــــا طقوسُـــــــهْ مُعتقـــــــةٌ مُضـــــــرّجة كؤوسُـــــــهْ

جديـــــدٌ فـــــي سُـــــويعات التخفـــــي قـــــديمٌ يســـــبق البلـــــوى عُبوسُـــــه

ويبقـــــى الـــــداءُ مـــــا بقـــــي الوبـــــاءُ ويســـــمو الحـــــق مـــــا بقيـــــتْ شموسُـــــه

وقـــــومٌ يَـــــذبحون العمـــــر عمـــــداً وكـــــلا لـــــم تغيّـــــرهم دروسُـــــه

وعيـــــدُ الحـــــول فـــــرحُ الـــــدار لمّـــــا يـــــزول الشـــــر ، أو تـــــردى رؤوســـــه

****

ألا بـــــالهزل عمـــــرُ المـــــرء ضـــــائعْ ... وبـــــالمغنى تبلـــــدتِ المســـــامعْ

وبالـــــدعر انتهـــــتِ شـــــمسُ الأمـــــاني ... وضـــــوء الحـــــق ولـــــى والشـــــرائع

ومـــــا عـــــادت ثمـــــار العلـــــم تجـــــدي ... ولا شِـــــعرٌ يُعـــــالج أو يُـــــدافع

وصـــــوتُ الفســـــق يغـــــزو كـــــل دار ... وأســـــمَوْا كـــــل رجـــــس بـــــالروائع

وعبْـــــر الجهـــــل يعلـــــو كـــــل زيـــــفٍ ... وفـــــي الإعـــــراض ألـــــوانُ الفظـــــائع

****

وفـــــي قـــــومي ديـــــاجيرٌ عتيـــــة ... وأصـــــنافٌ مـــــن الهلكـــــى عييـــــة

يريـــــد الـــــزورُ ضـــــربَ الهَـــــدي ، لكـــــنْ ... بحـــــرب لـــــيس فيهـــــا بندقيـــــة

أعـــــاد القـــــوم بالتقليـــــد نهجـــــاً ... بـــــدولتهم دعـــــاوى الجاهليـــــة

فضـــــاعوا فـــــي مهـــــاوي الزيـــــف دهـــــراً ... وضـــــلوا فـــــي مآســـــي المذهبيـــــة

وأربـــــابُ الخنـــــا ربحـــــوا كثيـــــراً ... وقـــــومٌ بالخنـــــا راحـــــوا ضـــــحية

****

كعصـــــفور رأتْ عينـــــي مُغنـــــى ... وأنّ الســـــربُ للخـــــل المُغنـــــى

علـــــى مـــــاذا بكـــــتْ ألمـــــاً طيـــــوري ... وكـــــان الســـــربُ مـــــن نجـــــم مُـــــدَنى

ويعلـــــو الســـــربُ فـــــي الجـــــوزاء حينـــــاً ... وللعليـــــاء – فـــــي الـــــدنيا - تمنـــــى

إذنْ للفـــــرح يســـــعى كـــــل طيـــــر ... ولـــــو للـــــزاد يحيـــــا مـــــا تغنـــــى

ولكـــــنْ زادُه حَـــــبٌ وحُـــــبٌ ... فمـــــا هـــــزلَ المُكـــــافح أو تجنـــــى

****

كـــــذاك نخيلنـــــا – فـــــي الـــــدار - ناجـــــتْ ... قلوبـــــاً مـــــن قـــــديم الـــــدهر ماتـــــتْ

هنـــــا الآفـــــاق ترمـــــي كـــــل صـــــخر ... لـــــه الأكمـــــامُ ذلـــــتْ واســـــتكانت

فيُلقي النخل للأوباش تمراً ... فواعجباً نرى الآي استبانت

وما عقلٌ تفكّر أو تغذى ... على حين ترى البطن استجارت

فيا قومي اعقلوا ، لا تظلموني ... أرى أشياعنا في الجهل نامت

****

شخوصٌ – في هزيع الليل - تسرقْ ... وأبدانٌ – من الأوزار - تعرقْ

ولا غِررٌ يُحِس بطعم حِل ... ولا عين ترى الأوضاع تشرق

ففي وضح النهار هنا ظلامٌ ... وجيلٌ – في حضيض الأرض - يغرق

فلا يدري – عن التوحيد - شيئاً ... وبالدنيا البغيضة قد تعلق

وأمسى يشرب السوآى كؤوساً ... وربي إن هذا الجيل أحمق

****

وتركُ الهدي قد هز المشاعرْ ... وفاض الدمع في كل المحاجرْ

فإن الدين شمسُ الكون حقاً ... ودينُ الله لا يُعطاه فاجر

إذا لم تخش في الإسلام رباً ... فمن تخشى إذن في الكون آخر؟

أتخشى مَن يلوك الدين حقداً ... أتغرق في مجاهيل الكبائر؟

ألا أبصرْ شبابُك قد تمضى ... فماذا بعدُ يا هذا المسافر؟

****

ولمّا قلتُ: كلا ، قيل: أذنبْ ... أيؤذى الحُر في قول مهذب؟

فواعجباً! يموت الحق ظلماً ... ويحيا الزور فيهم ، ويُقرّب

ولما جنّ ليلي قلتُ: صبراً ... على الحرمان يا قلبي المعذب

لماذا لا تحاولُ يا فؤادي؟ ... عجيبٌ ، بل وردّ السؤل أعجب!

رأيتـــــك قـــــد وعظـــــت القـــــوم عصـــــراً ... ولـــــيلاً أنـــــت بـــــالتقوى محبـــــب

****

وعـــــم الجـــــورُ أرحـــــاب الجزيـــــرة ... ومـــــد الهـــــزلُ أنيابـــــاً مريـــــرة

ومـــــن عجـــــب تـــــرى الشـــــيطان يعلـــــو ... ومـــــات الصـــــوت فـــــي الـــــنفس الحســـــيرة

علـــــى التوحيـــــد حزنـــــاً صـــــغتُ شـــــعري ... وعـــــم الـــــروع روحـــــي والســـــريرة

ومِـــــن ظلـــــم الـــــورى يبكـــــي قريضـــــي ... بكـــــاءَ الشـــــوق بـــــالعين الضـــــريرة

إلـــــى الإيمـــــان شـــــوقي وانتحـــــابي ... فـــــذاتي دونـــــه ذاتٌ فقيـــــرة

****

ألا بالصـــــــبر عزانـــــــي فـــــــؤادي ... وقـــــاني الصـــــبر مـــــن ســـــوء اعتقـــــادي

ومثلـــــــي لا تلـــــــين لـــــــه قنـــــــاة ... فـــــــوحي الله منهـــــــاجي وزادي

فغـــــامرْ مـــــا اســـــتطعت أيـــــا عـــــدوي ... وأشـــــعلْ جـــــام حربـــــك فـــــي البـــــوادي

فـــــإني - بالهدايـــــة - لـــــن أداجـــــي ... وإســـــلامي أبـــــى هجـــــرَ الرشـــــاد

وإن أهـــــــزمْ فلـــــــي ربٌ نصـــــــيرٌ ... وبالجبـــــــار أعلنـــــــتُ التحـــــــادي

****

ختامـــــاً تلـــــك عُقبـــــى مـــــن تصـــــبرْ ... وإنْ يومـــــاً غفلنـــــا ســـــوف نقبـــــرْ

فأصـــــلحْ مـــــا اســـــتطعت ، فأنـــــت مـــــاض ... وإن الله مـــــولى مَـــــن تبصّـــــر

حيـــــاة القبـــــر والأمـــــوات أعتـــــى! ... عـــــذابُ الله فـــــي الأخـــــرى مســـــطر

هنـــــاك الجســـــم لا يطـــــوى فيفنـــــى ... ولكـــــنْ فـــــي عـــــذاب ، فـــــي تحسّـــــر

جـــــزاءُ الخيـــــر خيـــــرٌ فـــــاتبعني ... وفـــــوق الكـــــل عـــــلامٌ يُـــــدبّر

الرحيل المرير

(في مدينة (الصالحية) وتحديداً في يوم 16-11-1986م ، حيث كنت أعيش أسوأ أيام العمر التي مرت كأن كل يوم منها قرناً! على أنها مجموعة لم تتجاوز الأسابيع الثلاثة! وتعيّن على رفيق لي عزيز أن يُفارقني فكان رحيلاً مريراً ، صغتُ فيه هذه القصيدة على الفور. وبدا على أبياتها أثر الفراق ولواعج الرحيل وضعف الحبكة الفنية وهزال الديباجة وقصور المعاني! ذلك أنني صغتها وعمري 23 سنة تقريباً. وإذا كان ذلك كذلك فلي عذري الذي يُدركه من له دراية بالشعر أو أدنى تذوق له. وصاحبي هذا كان طيب القلب محباً لأصحابه مخلصاً لهم ، ولا أزكيه على الله ، بل أحسبه هكذا والله حسيبه ووكيله. فلقد كنا نعيش معاً في مكان واحد ، نقرأ كتاب الله معاً ، ونصلي معاً ، ونتدارس العقيدة والتوحيد معاً. ونبكي على الحنيفية السمحة وأهلها وما آلت إليه أحوالها وأحوالهم معاً. وعندما همّ بالرحيل عشتُ لحظات مؤثرة جداً ، فترجمتُ شعوري شعراً. وأتمنى أن تصل هذه الزفرات إلى القلوب! وإلا فلقد كتبتُ الكثير وما روجعتُ إلا في القليل من هذا الكم! يقول الأستاذ عصام العطار: (قال لي مرّةً كاتب إسلاميّ كبير: أنا أكتب من أكثر من أربعين سنة ، وكأنني أصرخ في واد ، أو أمشي في صحراء خالية من الناس! نعم ، لي قراء كثيرون يحبّونني ؛ ولكنهم صامتون كأنّهم لا يقرأون! خُرْسٌ كأنهم لا يتكلّمون ، فلا يكاد أحدنا يجد عندهم صدىً لِما يكتب! كم تمنّيتُ أن أجد في قرائي المحبيّن من يقول أخطأتَ عندما أُخطئ ، أصبتَ عندما أُصيب ، أحسنتَ عندما أُحسن ، أسأتَ عندما أُسيء! إنَّ هذا التفاعل والتجاوب والتواصل ضرورةٌ لتنشيطنا وتشجيعنا وتقويمنا ، وسُلَّمٌ لارتقاءِ أدائنا ، وإغْناءِ عطائنا ، وعنصرٌ فعّال في بعث حيوّيتنا ، وتحريك حياتنا ، وأداء رسالتنا ، وتحقيق آمالنا المشتركة).هـ. ومن هنا عزيت قلبي على ما يلاقيه خاصة من الرفاق والأصحاب!)

هـــــوّنْ علـــــى القلـــــب الكســـــيرْ! والحـــــقَ قـــــل لـــــي يـــــا أميـــــرْ

هـــــل أنـــــت راض بالقضـــــا؟ طمـــــئنْ ســـــنا القـــــدر القريـــــر

هـــــوّنْ علـــــى الأجفـــــان مـــــن قـــــيح الـــــدموع المســـــتطير!

هـــــوّن علـــــى الأكبـــــاد مـــــن ذل العـــــذابات المريـــــر!

إذ يـــــوم أن فـــــارقتني عانيـــــتُ مـــــن قـــــيظ الهجيـــــر

ثـــــاو هنـــــا قلبـــــي أنـــــا والفـــــرحُ لـــــو تـــــدري قصـــــير

كـــــم ذا عبـــــدنا الله فـــــي أعطـــــاف وادينـــــا الكســـــير!

كـــــم ذا تلونـــــا مـــــن كتـــــا ب الله ذكـــــراً ، نســـــتنير!

كـــــم ذا قرأنـــــا واتعظـــــ ـــــنا مـــــن أحاديـــــث البشـــــير!

كـــــم ذا رمينـــــا الشـــــص فـــــي الـــــ ـــــحفرات أو مـــــاء الغـــــدير!

كـــــــــم ذا تمتعنـــــــــا بشـــــــــدْ ... و الطيـــــــر مـــــــن بعـــــــد الخريـــــــر!

كـــــــــم ذا تســـــــــلينا بصيـــــــــ ... ـــــــد (الصـــــــير) مـــــــن مـــــــاء عكيـــــــر!

والقـــــــــوم غطـــــــوا فـــــــي سُـــــــبا ... تٍ وانفعـــــــــــــــــــــالاتٍ ودُور

أعمـــــــــــارُهم وقـــــــــتٌ زهيـــــــــ ... ـــــــيدُ الســـــــعر بيعـــــــتْ بـــــــالحقير

إصـــــــــــباحُهم للنـــــــــوم ، بـــــــــل ... ومســـــــــــــــــاؤهم للنردشـــــــــــــــير

فرعـــــــــــوْنهم حلـــــــــــى لهـــــــــم ... تضـــــــــليلهم مـــــــــن غيـــــــــر نـــــــــور

وإذا تـــــــــــــــراهم خِلـــــــــــــتهم ... فـــــــــيهم فيوضـــــــــــاتُ النميـــــــــــر

والحـــــــــــق أن القـــــــــوم فـــــــــي ... عَمَـــــــــــهٍ وإعـــــــــــراض خطيـــــــــــر

هـــــــــم ألّهـــــــــوا طـــــــــاغوتهم ... وتنكبـــــــــوا هـــــــــديَ القـــــــــدير

عجبـــــــــاً لهـــــــــذا الجمـــــــــع مـــــــــن ... حمقـــــــــى ومِـــــــــن أردى عشـــــــــير!

تعســـــــــاً لهـــــــــم ولفعلهـــــــــم! ... والحمـــــــــــق يجتـــــــــاح الضـــــــــمير

فـــــــــــارقتني لجـــــــــــوارهم ... فحييـــــــــتُ وحـــــــــدي كالأســـــــــير

أنـــــــــت الـــــــــذي بإخائـــــــــه ... بعـــــــــد المهـــــــــيمن أســـــــــتجير

كـــــــــم كنـــــــــتُ أفخـــــــــر بالمحبـــــــــ ... ـــــــة هـــــــذه ، ولهـــــــا أطيـــــــر!

بعـــــــــد المصـــــــــير المُـــــــــر هـــــــــل ... تجـــــــــدي القصـــــــــائد والصـــــــــرير؟

كنـــــــــا معـــــــــاً إلفـــــــــين لـــــــــو ... مضـــــــــيا مضـــــــــى الخيـــــــــرُ الكثيـــــــــر

أخلاقنـــــــــا مـــــــــن هـــــــــدينا ... بالـــــــــدين ، مـــــــا أحلـــــــى المســـــــير!

عندما تعود

(في قراءة في بعض قصائدي لزوجي ، لامتني على ما لمست من النبرة الحزينة. فنقشتُ قصيدة (عندما تعود) وقد اجتهدتُ في إخراج أشعار تبشر وتسعد نسبياً فعاد الحزن فغلبني! إنني شاعرٌ ولست بساحر أو حاو معاذ الله! وليعلم الجميع هذا ، ومن هنا فأنا أصوّر الواقع. فمن أين يأتي الشعر الفرح؟ الأرحام قطعت ، والأعداء قد تكالبوا وتداعَوْا ، واستحلت المعازف ، واتبع أغلب الناس سنن اليهود والنصارى ، وقبض العلم بقبض العلماء ، وأكل المرتزقة بدين الله ، وقصدتِ المساجد في الغالب الأعم للدنيا ، وضعفَ الإيمانُ في القلوب ، وصدّق الكاذبُ وكُذب الصادق ، وخوّن الأمينُ واؤتمن الخائن ، وأعراضُ المسلمين هانتْ وانتهكتْ ، وأراضي المسلمين اغتصبت واحتلت واستبيحت ، والحرُمات قد انتهكت ، والدماء أريقت للسبب ولغير السبب ، والأرواح أزهقت ، ويتم الأطفال ورمّلت النساء! فكيف لي أن أفرح؟ وأنا هنا في هذه القصيدة أرد على زوجتي موضحاً السبب ومبيناً العِلة ومُفنداً الشبهة فأقول: إن المرء - الذي لا يستنطق واقعه والناس من حوله ، ويسأل الجميع عن نور الوحي الذي ينقصهم – لمطموس البصيرة والقلب معاً! إن الذي غيّب عنهم لعظيم ، والمقارنة بين حاضرهم الآسن وماضيهم المجيد لمقارنة جد عظيمة! فأين الحنيفية من الجاهلية ، وأين الثرى من الثريا ، وأين الظل من الحرور ، وأين الظلمات من النور ، وأين الحق من الباطل ، وأين العلم من الجهل ، وأين المنسم من السنام ، وأين النحيت من النضار ، وأين الخروع من النبع ، وأين الخوافي من القوادم ، وأين المغاني من المعالم ، وأين الثمد من الغدير ، وأين الجزر من المد ، وأين القبول من الرد ، وأين الوصل من الصد؟ إنها جدية الالتزام بالإسلام ، والصدق في العمل بهذا الدين ، والعزم على الانتصار للدين مهما كلف ذلك! يقول الأستاذ محمد المنجد: (بعض الناس يقولون: أنا التزم بالإسلام ، ومستعد أن التزم معك بالإسلام لكن إلى حدٍ معين ، وبعد هذا الحد أنا أتوقف لا طاقة لي لا أستطيع ، يعني: ترى رجلاً يعجبك مظهره ، وتعتقد بأنه من الملتزمين بالإسلام الذين يعملون للدين ، فإذا جئت معه مثلاً إلى جانب من جوانب التضحية ، فإذا قلت له: يا أخي إن الدين يحتاج إلى من ينصره ، ولا بد أن تدعو لهذا الدين ، وتعمل لهذا الدين ، قال لك: لا. هنا أقف ، ليس عندي استعداد لأن أقضي وقتاً طويلاً للعمل في الدين ، ورائي دراسة ، ورائي تجارة ، ورائي أعمال كثيرة أؤديها ، فيقول: ليس عندي استعداد لأن أعمل للدين ، ما عندي وقت أقضيه ، ما عندي ، يكفي والآن أقف هنا! أي نوعٍ من أنوع الالتزام هذا الالتزام؟ وآخر يلتزم بالعبادات ، لكنه غير مستعد أن يعمل للدين).هـ. وأشكر للمنجد هذه الغيرة! وأؤكد على أهمية الصدق وجدية الالتزام بأوامر الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – كل الجد! والمسلم الحق عليه أن يسدد وأن يقارب ، بين كل المهام المنوطة به في هذه الحياة!)

تســـــألين فـــــيم نـــــوْح دمعتـــــي؟ ثـــــم تســـــألين عـــــن كـــــآبتي؟

عنـــــدما تعـــــود شِـــــرعة الهـــــدى عنـــــدها تـــــرَين عطـــــر فرحتـــــي

ســـــوف يشـــــرق البهـــــاءُ والســـــنا ثـــــم يـــــزرعُ العبيـــــر بهجتـــــي

ســـــوف يصـــــبح الأريـــــجُ زادنـــــا ســـــوف يمحـــــق الرشـــــادُ لـــــوعتي

ســـــوف يغمـــــر النمـــــاءُ دارنـــــا لـــــن تنـــــال – بالســـــباب - سُـــــمعتي

صـــــــدّقي ســـــــيُطفأ اللظـــــــى هنـــــــا ... ســـــــوف يمحـــــــق الأمـــــــان حُرقتـــــــي

ســـــــوف يُشـــــــرق الســـــــلام بالـــــــدنا ... أجملـــــــي وأحســـــــني عزيزتـــــــي

إنمـــــــا حياتنـــــــا تثاقلـــــــتْ ... بـــــــل وزارتْ الهمـــــــوم خيمتـــــــي

عنـــــــدما تعـــــــاورتْ حتوفنـــــــا ... عنـــــــدما تغيّبـــــــتْ شـــــــريعتي

ســـــــوف يصـــــــرخ القـــــــرآنُ عـــــــابراً ... عبرهـــــــا يقـــــــول: أيـــــــن حُرمتـــــــي؟

كيـــــــف ضـــــــاعتِ الحـــــــدودُ والعُـــــــرَى؟ ... كيـــــــف عـــــــاش جمعكـــــــم بشِـــــــقوة؟

أيـــــــن بـــــــأسُ مَـــــــن مضـــــــوْا؟ تكلمـــــــوا! ... كيـــــــف حُطمـــــــتْ رمـــــــاحُ شـــــــرعتي؟

كيـــــــف بُـــــــددت معـــــــالم الضـــــــيا؟ ... كيـــــــف كُســـــــرتْ شِـــــــفارُ حَربتـــــــي؟

كيـــــــف يأكـــــــل القطيـــــــعُ بـــــــي إذن؟ ... كيـــــــف أزهقـــــــتْ بـــــــذاك صـــــــحوتي؟

مـــــــن مضـــــــى برونقـــــــي ومـــــــا درى؟ ... صـــــــرت آيـــــــة بـــــــذيل آيـــــــة!

قـــــــد وضـــــــعتُ فـــــــوق أرفـــــــف الثـــــــرى ... زخرفـــــــتْ رحـــــــى المِـــــــداد صـــــــفحتي

أســـــــقط القطيـــــــع مـــــــا حويتـــــــه ... بيـــــــع فـــــــي المـــــــزاد جُـــــــل حكمتـــــــي

قـــــــد قرئـــــــتُ فـــــــي القبـــــــور مكرهـــــــاً ... أكثـــــــر الجميـــــــع مـــــــن طبـــــــاعتي!

أهملـــــــوا هِدايـــــــة أبنتهـــــــا ... واكتفـــــــى الأنـــــــام بـــــــالقراءة!

قـــــــد جُعلـــــــت مغنمـــــــاً لقـــــــوتهم ... واكتفـــــــوْا بزخـــــــرف الكتابـــــــة

إننـــــــي أقـــــــول: يـــــــا عزيزتـــــــي ... بعـــــــد صـــــــرخة القـــــــرآن فـــــــاقتني

ســـــــوف يـــــــذهب النـــــــواح والأســـــــى ... عنـــــــدما تـــــــودّع الـــــــدموعَ مقلتـــــــي

الرجولة والشجاعة

(إن خِلال الرجولة والشجاعة والأخلاق الفاضلة لا تباع ولا تشترى. وإلا لاشتراها الأراذل والأوباش والخُثالة من الناس لكي يكون لهم مجد زائف وكرامة مُدّعاة مفتراة بين الناس! ولقد تعرفتُ على طبائع كثير من الناس ، فما وجدتُ أحلى ولا أنقى من الإخلاص والوفاء والبذل والجود بلا مقابل من أحد. ولكن ابتغاء وجه الله. فيا لله كم هي صفات جميلة كريمة وسجايا ترفع أصحابها في الحياة والممات تحت أطباق الثرى! ويظل أهل السفل من الأوباش ينفقون من آدميتهم ، ودينهم إن كان لهم دين ، وإنسانيتهم الكثير دون فائدة. ولو كانوا ناصحين واعين لِما ينتظرهم من الناس لما سلكوا دروب الخِسة والدناوة والسفالة. ولكن عندما تكون السفالة غريزة لا يستغني عنها أصحابها طرفة عين. فلا تسأل عن التردي والسفول. وهناك قصة حقيقية حكاها لي ثقة عدل ، فتأثرتُ بها ، وكتبت هذه الأبيات متناولاً بعض ظلالها الوارفة الحانية. والقصة تحكي عن طبيب جراح مُوحّد كان يقود سيارته ومعه زوجه ، وقد خبأ لهما القدر حادثاً مريعاً فظيعاً ، حيث انقلبت السيارة بين الشعاب وفوق الرمال ، فكانت النتيجة أن أثخنته الجراح والكدمات وكان صائماً. وأما زوجه فلقد انكسر العمود الفقري ، وراحت المسكينة في غيبوبة تامة ، ولما ذهِب بهما إلى المستشفى ، قال الأطباء لأستاذهم المصاب بأنه لا يستطيع أحد أن يجري جراحة هذه المرأة مثل زوجها لما لديه من خبرة وكفاءة! فطلب إليهم أن يُجْروا له بعض الإسعافات الأولية ، ويوقفوا النزيف الذي كان في ساعده الأيمن ، ودخل غرفة العمليات ليُجري لزوجه الجراحة العاجلة في العمود الفقري ، تلك الجراحة التي فاقت الساعات العشر ، ولما فرغ عاد فأدخل غرفة العمليات مريضاً لا جرّاحاً. وتمت عمليات جراحية له في أطرافه! وتمت كلها بنجاح والحمد لله. إنها الرجولة والشجاعة في وقت واحد. وأبياتي هذي دون الموقف بكثير ، ولكنه شرف المحاولة. روي أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - نزل الجحفة وهو شاكٍ ، فقال: إني لأشتهي حيتانًا. فالتمسوا له ، فلم يجدوا إلا حوتًا فأخذته امرأته ، فصنعته ، ثم قربته إليه ، فأتى مسكين بائس ، فقال ابن عمر - رضي الله عنهما -: خذه. فقال له أهله: سبحان الله ، قد عنيتنا ، وما معنا زاد نعطيه بديلاً عن هذا. فقال: إن عبد الله يحبه. وروي أن سائلًا وقف بباب الربيع بن خثيم ، فقال: أطعموه سُكرًا. فقالوا: نطعمه خبزًا أنفع له. فقال: ويحكم ، أطعموه سُكرًا ، فإن الربيع يحب السكر. وأتى سائل سفيان بن عيينة ، فلم يكن معه ما يعطيه ، فبكى ، فقيل: يا أبا محمد! ما الذي أبكاك؟ قال: أيُّ مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجلٌ خيرًا فلا يصيبه؟! وقصص السلف لا تنتهي ، ولكنني أكتفي بهذا!)

يَعجـــــز الشـــــعرُ واليـــــراعُ تمامـــــا ... بـــــل ، وتخبـــــو الألفـــــاظ لا تتســـــامى

عنـــــدما يـــــأتي بابهـــــا البـــــدرُ يومـــــاً ... يمـــــلأ الـــــدارَ بالســـــجايا غرامـــــا

عنـــــدما يُزكِـــــي الأمنيـــــات عبيـــــراً ... ويُنـــــاغي – عبـــــرَ المســـــاء - ســـــلاما

يعجـــــز الـــــنظمُ والعَـــــروضُ جميعـــــاً! ... والقـــــوافي – عنـــــد اللقـــــا - كاليتـــــامى

رجـــــلٌ هـــــز الـــــنفسَ حُبـــــاً وفخـــــراً ... يســـــتحق التكـــــريم ، بـــــل والوســـــاما

مـــــؤمنٌ بـــــالله القـــــدير ، ويكفـــــي ... يُكثـــــر الـــــذكر ، لا ينـــــي ، والصـــــياما

بـــــين كـــــل الأصـــــحاب كـــــان مثـــــالاً ... قولـــــه الفصـــــلُ ، كـــــان فـــــيهم حُســـــاما

ركـــــبَ الصـــــعبَ ، ثـــــم فـــــي الغيـــــب شـــــئٌ ... رفـــــرف الغيـــــبُ ، كـــــان هـــــذا حِمامـــــا

ســـــينام النـــــاسُ الـــــذين يـــــراهم ... لكـــــن الشـــــهمُ مِـــــن أســـــيً لـــــن ينامـــــا

مَـــــن يُـــــداوي الجرحـــــى يعـــــاني جراحـــــاً ... وعـــــذاباً – لا ينتهـــــي - وظلامـــــا

وصـــــريعُ المـــــوت الـــــزؤام وحيـــــدٌ ... حولـــــه مَـــــن يبكـــــي ومَـــــن يتعـــــامى

أيهـــــا المُمْســـــي فـــــي الـــــدماء تصـــــبّرْ ... لا تحـــــرّكْ فينـــــا الجـــــوى والضـــــراما

نحـــــن قـــــومٌ - عنـــــد المصـــــاب - فجعنـــــا ... صـــــاحبُ النـــــزع المشـــــتكي لـــــن يُضـــــاما

فلمـــــاذا العُتـــــبُ الأســـــيفُ؟ لمـــــاذا؟ ... ولمـــــاذا تجتـــــرّ فينـــــا الكلامـــــا؟

أنـــــت نبـــــراسٌ فـــــي ابتهـــــاج أتانـــــا ... قـــــد نفحـــــت الأخـــــلاق فينـــــا غمامـــــا

فقـــــت فـــــي الإيثـــــار الفريـــــد رجـــــالاً ... أمّـــــة فاقـــــت – فـــــي البرايـــــا - فنامـــــا

أيهـــــا الســـــامي حـــــارَ - فـــــي الجـــــود - فكـــــري ... آيـــــة هـــــذي ، كنـــــت فيهـــــا إمامـــــا

حُبّـــــك الفيّـــــاضُ البـــــرئُ نســـــيمٌ ... إنـــــه سُـــــوق – بعـــــدكم – لـــــن يُقامـــــا

إنـــــه الحـــــب - فـــــي الـــــورى - يتجلـــــى ... بقريضـــــي أمطـــــتُ عنـــــه اللثامـــــا

قـــــد أبنـــــتُ الطهـــــر الـــــذي فـــــي صـــــداهُ ... عـــــل شـــــعري يُحيـــــي القطيـــــع النيامـــــا

يـــــا ضـــــميراً مـــــن عطـــــره نتملـــــى ... لســـــتُ أنســـــى ، أضـــــحى علـــــيّ حرامـــــا

ذلـــــك الإيثـــــار الـــــذي لا يُبـــــارى ... يُعجـــــز الإيثـــــارُ الرفيـــــعُ الطغامـــــا

ســـــوف يمضـــــي - عنـــــد الأنـــــام - جميـــــلٌ ... إنـــــه عنـــــد الله ، لا ، لـــــن يُضـــــاما

(في كتاب: (نبوءات الرسول – صلى الله عليه وسلم – بفتن آخر الزمان) لمؤلفه: سعد يوسف محمود أبو عزيز ، ص 232 يتحدث المؤلف عن فتح القسطنطينية (عاصمة الدولة الرومانية الشرقية) وروما ، فيقول: (عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً؟ القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حِلق قال: فأخرج كتاباً منه ، فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نكتب (أي ندوّن الحديث) إذ سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: أي المدينتين تفتح أولاً؟ أقسطنطينية أو رومية؟ فقال: مدينة هرقل تفتح أولاً! يعني القسطنطينية. وقد تحقق ما أخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم -. فقد فتحت القسطنطينية ، وستفتح روما مصداقاً لقوله. وهذا الحديث رواه أحمد والحاكم وهو صحيح).هـ. فلئن صدق المؤلف في رؤياه ، فكأنه يشير إلى السلطان محمد الفاتح ابن السلطان مراد الثاني فاتح القسطنطينية. ومن هذا المنطلق أنحَتُ هذه القصيدة أحيّي فيها الفاتح. وإنها لرسالة شعرية أرسلها للقائد المظفر السلطان محمد الفاتح ، الذي فتح القسطنطسنية سنة 1453م وأسماها (إسلام بول) أي (مدينة الإسلام) ، والذي أدى النصيب الأكبر من تحقيق العزة للإسلام والمسلمين في زمانه ، وأوقف الصليبيين عند حدودهم صاغرين أذلة. والدافع لرسالتي هذي هو استصراخ الهمة وبكاء المجد السليب ، والحافز عليها مشاهدتي للفيلم الكارتوني المسمى بـ (الفاتح). والذي يشير إلى اسم السلطان محمد ولقبه بالفاتح بعد فتح القسطنطسنية ، ذلك الفيلم البديع الذي أنتجته مؤسسة قرطبة للإنتاج الفني والتوزيع. وما من شك في أن السلطان محمد الفاتح كان هماماً شجاعاً عبقرياً فذاً مقداماً في سِلمه وحَربه! وتحت عنوان: (الشجاعة في الإسلام) يقول الأستاذ محمد إقبال النائطي الندوي ما نصه: (الشجاعة خُلُق كريم ووصْف نبيل ، يَحمل النفس على التحلِّي بالفضائل ، ويَحرسها من الاتِّصاف بالرذائل ، وهي ينبوع الأخلاق الكريمة والخِصال الحميدة ، وهي من أعزِّ أخلاق الإسلام ، وأَفخر أخلاق العرب ، وهي الإقدام على المكاره ، وثَبات الجأش على المخاوف ، والاستهانة بالموت ، إنَّها سرُّ بقاء البشر واستمرار الحياة السليمة والعيشة الرضية على الأرض ، لأنَّها تَجعل الإنسان يُدافِع عن حياته ، فالشجاعة غريزة يَضعها الله فيمَن شاء من عباده ؛ يقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -: "إنَّ الشجاعة والجُبن غرائزُ في الرجال" ؛ سُنن الدار قطني. والعرب تقول: "إن الشجاعة وقاية ، والجُبن مَقتلةٌ" ، قال أحد الحكماء: "اعلَم أن كل كريهة تُرفَع أو مَكْرُمة تُكتَسب ، لا تتحقَّق إلا بالشجاعة ، ورؤوس الأخلاق الحسنة ، أوَّلها الصبر ؛ فإنَّه يَحمِل على الاحتمال وكظْم الغيظ وكفِّ الأذى ، ثم العِفَّة ، وهي تَجنُّب الرذائل والقبائح ، ثم الشجاعة ، وهي صفةٌ تَحمِل على عزَّة النفس وإيثار معالي الأخلاق ، ثم العدل ، فإنَّه يَحمِل على الاعتدال والتوسُّط ، وقال بعضهم: "الشجاعة صبر ساعة" ، وقال المناوي في "التوقيف على مهمات التعاريف": "الشجاعة: الإقدام الاختياري على مخاوف نافعة في غير مُبالاة"! وقال غيره: "الشجاعة هي الصبر والثبات والإقدام على الأمور النافعة تحصيلاً ، وعلى الأمور السيئة دفْعًا ، وقيل: هي جُرأة القلب وقوَّة النفس والعزيمة عند مواجهة الصعاب ، وقال أرسطو: "الشجاعة أُوْلى سماتِ البشر إذ تَجعلُ بقيَّة السمات مُمكنة").هـ. جعلنا الله من أهل المروءة!)

ألا يـــــا بريـــــد الشـــــوق هـــــذا ترنمـــــي أسَـــــــــطره بالخـــــــــاطر المتبسّـــــــــمِ

وأجعلـــــــه مثـــــــل الأريـــــــج مُعَتقـــــــاً أحبّـــــره – بالصـــــدق – طعمـــــة مرقمـــــي

وأجعـــــل أبيـــــاتَ القصـــــيد منـــــارة ... وأشـــــدو بـــــنظم الشـــــعر دون تلعـــــثم

ويصـــــفو فـــــؤادي بـــــالقريض ، وينتشـــــي ... وأفصـــــح عـــــن إحســـــاس قلـــــب مُتـــــيّم

أســـــلي بمـــــا صـــــاغ اليـــــراع مُســـــامِري ... وأخطـــــو - بشـــــعري - فـــــوق هـــــام الأنجـــــم

ويطفـــــو قصـــــيدي فـــــوق ذل قطيعنـــــا ... يُـــــذكّرهم بالفـــــارس المـــــتحمحم

ويُلقـــــي إلـــــيّ الشـــــعرُ أزكـــــى تحيـــــة ... معطـــــرة بـــــالجوهر المتهيـــــنم

فللفـــــاتح المغـــــوار كانـــــت قصـــــيدتي ... فـــــأنعم بـــــه مـــــن فـــــارس مـــــتكلم!

ويـــــا أيهـــــا التـــــاريخ سَـــــجّل مضـــــاءهُ ... وهـــــذي دمـــــائي إن ثـــــوى حبـــــرُ أرقمـــــي

قـــــؤولٌ فعـــــولٌ ، لـــــم يكـــــن متخرّصـــــاً ... لـــــه همـــــة الشـــــهم الجســـــور المُعَظـــــم

ألا يـــــا ســـــليلَ المجـــــد هـــــذي رســـــالتي ... تعبّـــــر عـــــن معنـــــى الوفـــــا والتكـــــرّم

وهـــــذا (بريـــــد الـــــذكريات) يشـــــوقني ... وفـــــي أنســـــه ينهـــــدّ جســـــرُ التـــــألم

وأرســـــل - عبـــــر الغيـــــوم - شـــــوقي وآهتـــــي ... وعطـــــر القـــــريض العـــــذب يُزْكـــــي تنغمـــــي

بريـــــدَ التصـــــابي مـــــا عليـــــك ملامـــــة ... وإنـــــي أرى القرطـــــاسَ غيـــــرَ مُلـــــوّم

وإن الرجـــــال الصِـــــيد مـــــاتوا جمـــــيعُهم ... ولـــــم يبـــــق إلا فاقـــــدُ العـــــزم والـــــدم

فيـــــا صـــــانعَ المجـــــد المنيـــــف تحيـــــة ... أقـــــدّمها بالقلـــــب والـــــروح والفـــــم

فإنـــــك بـــــدرٌ فـــــي ســـــما النصـــــر مُشـــــرقٌ ... لطيـــــف المحيـــــا كالســـــنا المتـــــرنم

وهـــــذا بريـــــد الشـــــوق يحمـــــل خـــــاطري ... يعبّـــــر عـــــن حبـــــي وشـــــوقي المُكَـــــرّم

عليـــــك ســـــلامُ الله يـــــا خيـــــرَ قائـــــدٍ ... إلـــــى الملتقـــــى فـــــي الموعـــــد المتحـــــتم

ورقة خريف

(من الأشياء التي أمرنا النبي – صلى الله عليه وسلم – بالمحافظة عليها وعدم التعرض لها بالإزالة (الشيب). فلقد قال – صلى الله عليه وسلم -: (لا تنتفوا الشيب!) كما أمرنا بتخضيبه إذ قال: (غيّروا هذا الشيب ، واضربوا عليه بالكتم وجنبوه السواد!) ذلك أن الشيب يذكّرنا بالرحيل والقرب من القبر والإقبال على الآخرة. ويكاد فصل الخريف أن يمثل مشيب العمر! ففي الخريف تشيب الأشجار ، فتتمرق أوراقها وتبقى فروعها وأغصانها جرداء لا أوراق ولا منظر جميل أخضر يانع. بل مشيب ناع في الأشجار. وتظل الأحوال على علتها حتى يحين الربيع فتورق الأشجار ، ليس هذا فقط ، بل تنتعش الحياة برُمتها. إن الإنسان العبقري هو الذي لا يمتد به حلمه ولا يسرح به خياله ولا يركب كل وهْم تفرّخ في رحم التفكير على غير ميعاد. بل ينتبه قبل أن يعض أصابع الندم ولات ساعة مندم! ولقد تأملتُ وجهي في المرآة ذات يوم ، فإذا ببعض الشيب ، فتذكرتُ أنني جاوزتُ شطر العمر تقريباً ، وبدأت عقدي الرابع ، فربطتُ بين سقوط أوراق الأشجار في فصل الخريف وبين الشيب الذي أصابني على غير توقع مني. وانتصاف العمر نذير قرب الرحيل وبشير السعد لمن حسُن عمله ، نسأل الله من فضله. وإن إنساناً يباغته حتفه ثم لا يستفيق لمطموس البصيرة شقي ، وإن إنساناً يدركه الشيب وهو على انتظار الرحيل وقد أعد لذلك الأمر عدته لذكيٌ عبقري. أما قولنا بأن بداية العقد الرابع تعني انتصاف العمر فاستلهمناه من حديث النبي – عليه الصلاة والسلام-: (أعمارُ أمتي بين الستين والسبعين ، وقليلٌ منهم من يُجاوز ذلك). إن من سنن الفطرة ترك الشيب وإبقاءه ، سواء كان في اللحية أم في الرأس ، والمرأة والرجل في ذلك سواء. ولحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم]. رواه الخمسة. وقد ورد ما يفيد كراهة الخضاب! ويظهر أن هذا مما يختلف باختلاف السن والعُرف والعادة. فقد روي عن بعض الصحابة أن ترك الخضاب أفضل! وروي عن بعضهم أن فعله أفضل! وكان بعضهم يخضب بالصفرة ، وبعضهم بالحناء والكتم وبعضهم بالزعفران وخضب جماعة منهم بالسواد. ذكر الجاحظ في الفتح عن ابن شهاب الزهري أنه قال: كنا نخضب بالسواد إذا كان الوجه حديداً ، فلما نفض الوجه والأسنان تركناه. وأما حديث جابر رضي الله عنه قال: جيء بأبي قحافة (والد أبي بكر) يوم الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأن رأسه ثغامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [اذهبوا به إلى بعض نسائه فلتغيّره بشيء وجنبوه السواد]. رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي. فإنه واقعة عين ووقائع الأعيان لا عموم لها. ثم إنه ليس لرجل كأبي قحافة وقد اشتعل رأسه شيباً أن يصبغ بالسواد فهذا لا يليق به! عموماً زيادة (وجنبوه السواد) ضعفها كثير من أهل العلم ، والأصل تجنب السواد من روايات أخرى!)

خريـــــفُ العمـــــر أعيتـــــه الجـــــراحُ فأضـــــحى – فـــــي الـــــديار – لـــــه نـــــواحُ

وقـــــد فاضـــــت دموعـــــاً مقلتـــــاهُ وولـــــى معرضـــــاً عنـــــه المِـــــراح

تأرجحـــــتِ الحيـــــاة ، فـــــلا ثبـــــاتٌ وحســـــنُ الوجـــــه تـــــذروه الريـــــاح

وصـــــفحُ القلـــــب فـــــارق دون عـــــودٍ وشـــــدوُ الـــــروح شـــــط بـــــه الكُســـــاح

وحـــــزنُ الـــــنفس عربـــــد فـــــي الحنايـــــا ونـــــورُ العـــــين أردتْـــــه الرمـــــاح

وإن الشـــــيب حـــــل ، فـــــلا اعتـــــذارٌ ... وحـــــربُ الشـــــيب عاتيـــــة رداح

فـــــلا عِلـــــلُ تفيـــــد ، ولا التيـــــاعٌ ... ولا دمـــــــعٌ يفيـــــد ولا صـــــياح

نـــــذيرٌ ذلـــــك الشـــــيبُ وذكـــــرى ... يـــــؤذن بالرحيـــــل ، فـــــلا ارتيـــــاح

وملحمـــــة المشـــــيب تشـــــن حربـــــاً ... ولـــــيس بهـــــذه الهيجـــــا ســـــلاح

ولكـــــن أخـــــذة للمـــــوت عجلـــــى ... ولـــــيس بنـــــافع إلا الصـــــلاح

خريـــــفٌ لـــــيس يعقبـــــه شـــــتاءٌ ... وظعـــــنٌ لـــــيس يعقبـــــه رواح

ويُلقـــــى المـــــرءُ – فـــــي القبـــــر - وحيـــــداً ... ويَرمـــــي الغيـــــب مـــــا ســـــتر الوشـــــاح

ويـــــذهب كـــــل خيـــــر ورخـــــاءٍ ... فيمضـــــي الـــــزادُ والمـــــاءُ القـــــراح

وتـــــذهب عنـــــك أمـــــوالٌ ودنيـــــا ... وأصـــــحابٌ وأوقـــــاتٌ وراح

وأولادٌ وزوجـــــاتٌ ويُســـــرٌ ... وغـــــاداتٌ رشـــــيقاتٌ مِـــــلاح

وشـــــطآنٌ بهـــــا مـــــا تشـــــتهيهِ ... وتفنـــــى الـــــدور ، حتـــــى والبطـــــاح

يـــــزول الكـــــل ، والـــــرحمن يبقـــــى ... فـــــلا يلعـــــبْ بـــــك الـــــوهمُ الصـــــراح

ومـــــن يهـــــزلْ فـــــلا تحـــــزنْ عليـــــهِ ... إذا أودى بـــــه الكفـــــرُ البَـــــواح

خريفـــــك - فـــــي ثنايـــــا العمـــــر - ولـــــى ... فـــــلا تعبـــــثْ بـــــك الحِيَـــــلُ القِبـــــاح

وإنـــــي قـــــد وعظتـــــك ، فـــــاتبعني ... رويـــــدك ، لا يغرنْـــــك المـــــزاح

وتقـــــوى الله خيـــــرُ الـــــزاد صـــــدقاً ... وإن لزومـــــك التقـــــوى فـــــلاح

فعجّـــــلْ بالمثوبـــــة ، عـــــل يومـــــاً ... يطـــــل عليـــــك لـــــيس لـــــه صـــــباح

صياغة معاصرة لمعلقة عمرو بن كلثوم

(ألا إن تأثر الشاعر بشعر الآخرين أمر وارد وطبيعي. فإن كان هؤلاء الآخرون ممن أبدعوا في الشعر! بل هم في الذروة من فحولة الشعراء ، فإن تأثر الشاعر بهم يكون أكبر وأعمق. وإعجابي بشعر الجاهلية كان مبكراً للغاية. ربما كان قد سبق كتابتي للشعر الجيد بسنوات. وإنني أجزم بأن هذا الإعجاب كان في عام 1978-1979م ، منذ كنت أدرس في الصف الأول الثانوي. وقررت الوزارة علينا في كتاب اللغة العربية ، وتحديداً في كتاب (النصوص الأدبية) أكثر من مقطوعة لأكثر من شاعر مثل زهير وعنترة والنابغة الذبياني وعمرو بن كلثوم والخنساء والسموأل وغيرهم. واعتدتُ أن أذهب إلى مكتبة المدرسة ، وهناك كان التعرف على القصائد كاملة وسير شعرائها. إلى أن تأثرتُ جداً بمعلقة عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي ، وكان لي ولع ولا يزال إلى يوم الناس هذا بشعر العرب في جاهليتهم ، حيث الجزالة والقوة من جهة وحسن السبك والتركيب من جهة أخرى. وكلما تذكرتُ سيرة عمرو بن كلثوم تأثرتُ أكثر. فلقد نشأ في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية ، ونشأ ذكياً نابغاً نابهاً ، حيث إنه ساد قومه وعمره لم يتجاوز الخامسة عشرة ، وكان على قيادة الجيوش ، وكان عمرو بن هند ملك الحيرة قد أصلح بين قبيلة تغلب وبين قبيلة بكر بن وائل بسبب حرب البسوس ، وذات يوم أنشد شاعر بكر (الحارث بن حِلزة اليشكري) قصيدته المشهورة ، وما أن فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك عمرو بن هند ملك الحيرة مع قبيلة بكر ، فانصرف عمر بن كلثوم وفي نفسه من الألم الشئ الكثير. وزاد الأمر غيظاً وكمداً أن عَمْراً بن هند أراد أن يُذل عَمْراً بن كلثوم أكثر من ذلك ، فدعاه وأمه ليلى بنت مُهلهل ، ثم أغرى أمه أن تستخدمها في قضاء أمر ما ، فصاحت ليلى قائلة: واذلاه ، فثار بعمرو بن كلثوم الغضب ، فقتل عمراً بن هند في مجلسه ، ولم يعبأ بكونه ملكاً. ثم رحل في الحال إلى بلاده بالجزيرة الفراتية ، وأنشد معلقته النونية هذه المعروفة. فتذكرتُ نخوة العرب وإباءهم وأنفتهم ، وقارنت ذلك بحالنا اليوم ، وعارضتُ قصيدة عمرو بن كلثوم بصياغة جديدة تناسب الحال المُزري الذي يندى له الجبين! وإذن فهذا شرف المحاولة يحدوني ، فأنا وإن لم أبلغ شأو ابن كلثوم ، فأراني قد أعدت صياغة قصيدته صياغة معاصرة ليس في قالب الوصف ولا الفخر! بل من باب المحاكاة ومحاولة المقارنة بين الحالين والظرفين: حال العزة وحال الانكسار! وبالطبع لا نجيز القتل بالصورة التي فعل عمرو بن كلثوم! وإنما الذي استهواني في قصيدته أنه رسم صورة للإباء والعز كان عليها الأولون ، وانحرف عنها الآخرون! وذلك رغم أن الله أعز الآخرين بما يعزهم ، بالإسلام!)

ألا لا يســـــــألنْ أحـــــــدٌ علينـــــــا ... فإنـــــا فـــــي انحـــــدار الجاهلينـــــا

تركنـــــا الـــــوحْيَ ـ خلـــف الظهـــر ـ عمـــداً ... وآذينـــــا الهُـــــداة المُهتـــــدينا

وحاربْنـــــا الهدايـــــة فـــــي مضـــــاءٍ ... وبتنـــــا للـــــدنايا معلنينـــــا

وغيّبنـــــا الشـــــريعة فـــــي قرانـــــا ... وضـــــيّعنا الحنيفـــــة والعرينـــــا

وبـــــدّدنا يواقيـــــت الأمـــــاني ... وحطمنـــــا ســـــيوف الفاتحينـــــا

ودمرنـــــا الحواضـــــر والبـــــوادي ... وأذهبنـــــا بـــــذا العـــــز المكينـــــا

(أبـــا هنـــدٍ فـــلا تعجـــلْ علينـــا وأنظرْنـــا نخبـــرْك اليقينـــا)

بأنـــا نأكـــل الـــذل اختيـــاراً ونأكـــل بعـــده القهـــر الغبينـــا

وأنـــا نشـــرب المأســـاة جهـــراً وبتنـــا للمخـــازي شـــاربينا

وأنـــا نســـتبيح الحـــق صـــدقاً ونكبتـــه لكـــيلا يســـتبينا

وأنـــا نســـتبد بكـــل رأي ولســـنا ننشـــد الـــرأي اليقينـــا

وأنـــا نقمـــع الأحـــرار منـــا وأنـــا نخـــذل الأبـــرار فينـــا

وأنـــا نحـــرق الأرحـــاب ظلمـــاً وأصـــبحنا عُتـــاة ظالمينـــا

وأنـــا نســـحق الأركـــان سَـــحقاً ونطـــرب أن غـــدونا فاتكينـــا

وأنـــا نهـــدم البنيـــان صـــدقاً ويبنـــي غيرنـــا المجـــد الحصـــينا

وأنـــا نـــذبح اليـــاقوت حقـــاً ونحتـــرم الضـــلال المســـتبينا

وأنـــا نســـفك الـــدمَ ، لا نبـــالي ومـــن إخلاصـــنا نكـــوي الأنينـــا

وأنـــا نقتـــل المظلـــوم فعـــلاً ونـــردي - فـــوق حفرتـــه - الجبينـــا

وأنـــا قـــد ملأنـــا الأرض عـــدلاً نحـــاكم – داخـــل الـــبطن – الجنينـــا!

وأنـــا المـــانعون لكـــل خيـــر وأنـــا القـــانطون إذا ابتلينـــا

وأنـــا الآمـــرون بكـــل شـــر ويـــأمر غيرنـــا بالقســـط حينـــا

وأنـــا فـــوق هـــذي الأرض أســـرى ويحيـــا غيرنـــا متحررينـــا

وأنـــا المُهْـــدرون لكـــل حـــق وبـــات النـــور منهزمـــاً ســـجينا

وأنـــا المـــاحقون لكـــل نصـــر وبـــات البـــذل فينـــا مســـتكينا

وأنـــا الهـــازلون إذا نشـــطنا وينشـــط غيرنـــا حتـــى بُلينـــا

أبـــا هنـــدٍ ، فأبشـــرْ نحـــن صـــرعى نـــذوب – علـــى موائـــدنا - حنينـــا

ولمّـــــا نفتكـــــرْ فـــــي هـــــدي ربـــــي ... فواعجبـــــــــاً لقـــــــوم هازلينـــــــا!

(وقـــــد علـــــم القبائـــــل مـــــن مَعَـــــدٍ) ... بأنـــــا قـــــد ضـــــللنا عابثينـــــا

رســـــمنا صـــــورة للزيـــــف ثكلـــــى ... وأمســـــى سُـــــحقنا فينـــــا كَنينـــــا

وقـــــدّمنا لعالمنـــــا الرزايـــــا ... وقـــــدّمنا لـــــه الحـــــال المَشـــــينا

وآيـــــاتٌ لنـــــا فـــــي الجـــــور شـــــتى ... وأمســـــى الـــــزور - فـــــي دمنـــــا - دفينـــــا

شـــــربنا - فـــــي الـــــدغاول - كـــــأس خِـــــزي ... وبتنـــــا – فـــــي الـــــورى - متســـــكعينا

وشـــــرّدنا الفضـــــيلة فـــــي الفيـــــافي ... ويـــــذرف جيلنـــــا الـــــدمعَ الســـــخينا

كـــــأن الحيـــــف مفـــــروضٌ علينـــــا ... وصـــــار العـــــيشُ مُسْـــــوداً دجينـــــا

نرقـــــع بالضـــــلال دجـــــى هوانـــــا ... ونـــــؤثر أن نضِـــــيع ، وإن نهينـــــا

(إذا بلـــــغ الرضـــــيعُ لنـــــا فِطامـــــاً) ... نعلمـــــه ضـــــلال المارقينـــــا

فـــــلا يـــــدري حـــــلالاً مـــــن حـــــرام ... ولا يـــــدري ســـــبيل المؤمنينـــــا

وينشـــــأ فـــــي دهـــــاليز الخطايـــــا ... فـــــلا يـــــدري منـــــار المخلصـــــينا

وعنـــــد شـــــبابه يغـــــدو ســـــراباً ... ويحيـــــا فـــــي تعلتـــــه رهينـــــا

ويصـــــبح - فـــــي ديـــــار - القـــــوم مَســـــخاً ... فـــــلا يرقـــــى لـــــدرب الخالـــــدينا

ولـــــم يعـــــرف لنـــــور الخيـــــر دربـــــاً ... وعـــــاش يـــــردد اللحـــــن الشـــــجينا

ولـــــم يشـــــعر بآهـــــات الثكـــــالى ... ولـــــم يحـــــزن لحـــــزن المســـــلمينا

كـــــذاك حكـــــى (ابـــــن كلثـــــوم) كلامـــــاً ... تـــــولى عهـــــده فـــــي البائـــــدينا

تحوّلـــــت الـــــديار إلـــــى وهـــــادٍ ... تـــــرد الحـــــق والهَـــــدي المبينـــــا

لهـــــا - فـــــي الهـــــزل - ألســـــنة حِـــــدادٌ ... وعنـــــد الجـــــد نصـــــبحُ صـــــامتينا

ألا هـــــل مبلـــــغ عنهـــــا (زهيـــــراً) ... بـــــأن لســـــانها أمســـــى طعينـــــا

لهـــــا فـــــي كـــــل منتجـــــع كـــــلامٌ ... يفصّـــــل عُجمـــــة ، ويفـــــيض طينـــــا

ألا والمـــــــوج منهمـــــــرٌ عليهـــــا ... ولا تـــــدري الســـــبيل أو الســـــفينا

أبـــــا هنـــــدٍ لقـــــد شـــــمت الأعـــــادي ... وســـــار القـــــوم خلـــــف المفلســـــينا

وتســـــقط قيمـــــة ، وتمـــــوت أخـــــرى ... وتنتحـــــر الفضـــــائل أجمعينـــــا

وأهـــــل الضـــــاد ســـــادوا ، ثـــــم ضـــــاعوا ... وصـــــاروا فـــــي عِـــــداد البائـــــدينا

وهـــــذي ضـــــادهم تشـــــكو ركـــــوداً ... تنـــــام علـــــى لهـــــاث الأرذلينـــــا

ويرتـــــزق الغفـــــاة بهـــــا كثيـــــراً ... ويقمعهـــــا الجهـــــولُ فلـــــن تبينـــــا

ويطعنهـــــا الجفـــــاة بكـــــل كيـــــدٍ ... إلـــــى أن شـــــوّهوا الســـــمط الثمينـــــا

أبـــــا هنـــــدٍ وحـــــل السِـــــلمُ هـــــدياً ... وأكـــــرمْ بالرشـــــاد المحـــــض دينـــــا!

وعـــــمّ القـــــومَ خيـــــرٌ لا يُبـــــارى ... وبـــــاتوا ســـــادة مترفعينـــــا

وفـــــي أيامنـــــا شـــــقيَ البرايـــــا ... وغـــــاب الســـــلم عـــــن دنيـــــا العمينـــــا

شـــــهامتكم أبـــــا هنـــــدٍ مَحَوْهـــــا ... وصـــــاغوا بعـــــدها مَســـــخاً مَشـــــينا

تفـــــرّق شـــــملهم فـــــي الأرض فعـــــلاً ... وبـــــاؤوا بالمذلـــــة خائبينـــــا

رضـــــوا بتخلـــــفٍ عـــــن كـــــل خيـــــر ... ومـــــا عاشـــــوا بمجـــــد الســـــابقينا

ســـــواهم - فـــــي ذرى العليـــــاء - يشـــــدو ... وهـــــم - فـــــي الوحـــــل - بـــــاتوا راتعينـــــا

فواعجبـــــاً تخلـــــف ركـــــبُ قـــــومي ... وخـــــالف - فـــــي الـــــورى - الـــــوحي الأمينـــــا

وخـــــالف عـــــن تقاليـــــد وعُـــــرفٍ ... وضـــــيّع بالأباطيـــــل المعينـــــا

يمـــــينَ الله أنكـــــرتُ كثيـــــراً ... أبـــــا هنـــــدٍ فصـــــدّق ذا اليمينـــــا

ولـــــم يعمـــــل بمـــــا أفصـــــحتُ أهلـــــي ... وضـــــاع الأجـــــرُ أجـــــر العاملينـــــا

فأقصـــــرْ يـــــا ابـــــن كلثـــــوم ، شـــــبعنا ... فلســـــنا - فـــــي ســـــماعك - راغبينـــــا

وخفف من علو الصوت هذا ... فلسنا نشتري من يفتدينا

عزمنا أن نموت بغير ذكرى ... وفي الهلكى ترانا الأولينا

ألا لا تخبرنْ أحداً علينا ... فلسنا في الهوان الآخرينا

سبقنا الكل في كل انحطاطٍ ... وسرنا في خِضمّ المُعرضينا

أبا هندٍ لقد ذهبتْ (قريشٌ) ... و (تغلبُ) قد مضتْ في الذاهبينا

وأعرافُ اليعارب زيفوها ... وعاش القوم كالمتغرّبينا

فلا هُمْ من (قريش) أو (غِفار) ... وليسوا بالمهيمن مؤمنينا

وليسوا من تقاليدٍ نسَوْها ... وليسوا من فريق الصالحينا

وقد أحرجتَ بالأشعار قومي ... بمدح العُرْب والمُستعربينا

فتحتَ الباب بالشعر افتخاراً ... لأمك قد ثأرتَ ، فكن معينا

دمَ الباغي سفكتَ ، ولم تؤجلْ ... محوْتَ العار من قلب أهينا

رفعت اسم (تغلبَ) في البرايا ... سحقتَ تعاظم المستكبرينا

فهلا تنظرنّ لذل قومي ... وقد سالت دماءُ المخبتينا؟

تمهلْ يا ابن كلثوم علينا ... ألا واكبح زيوف الزاعمينا

فليسوا – قط – منك ، ولست منهم ... مشيتم يَسرة ، ومشوْا يمينا

أعدتُ صياغة الشعر احتساباً ... معلقة تشوق المُنصفينا

طيف صديق

(يعود تاريخ كتابة هذه القصيدة إلى عام 1986م ، وهذا يعني أنها من شعري القديم. وأهديها للشاعر حامد سعيد الجمال ، وهو الشاعر الذي يكتب القصيدة العمودية من أبناء قرية (الطويلة) وهي من أعمال المنصورة – دقهلية. ويغار على شعر العرب. كما أن له طريقة في الصياغة ، وأسلوبية في الأداء ، والشعر في يده كأنه عجينة مرنة. ولا أزكيه على الله ، وكنا قد تعارفنا في ساحة كلية الآداب بالمنصورة ، وأهداني الرجل ديوانه الأول متوجاً بإهدائه الطيب بقلمه وذلك عام 1984م ، وكنت يوماً في السنة الثالثة من تعليمي الجامعي. على أن الرجل يدرس في كلية تربية المنصورة في قسم اللغة العربية ، وهي بعيدة نسبيا عن كليتي حيث كانتا في شارع الثانوية بالمنصورة ، ولكنْ لم تفرق بيننا المسافات. وأما عن ظروف كتابة هذه القصيدة ، فكانت انفعالي الذي ليس يخبو عن أحوال أمتنا. وفي سنوات كلية الآداب التي درست فيها الأدب الإنجليزي بالمنصورة ، وقفت على حقائق وغرائب لم يكن لي بها سابق معرفة ولا أثارةٍ من علم. وحدّث ولا حرج عن هول وفظاعة ما رأيت من سُفول وسُقوط وتردٍ وضياع وشرود. وهداني ربي إلى أن أخذت نفسي بكل أسباب الطاعة له سبحانه وتعالى. فمن مسجدٍ إلى ندوةٍ إلى مركز ثقافي إلى مكتبة حتى انتهت سِنِيُ التيه على خير ولله الحمد والفضل والمنة ومنه البركة والتوفيق والسداد. واعتدت أن أذهب إلى دار الكتب والهيئة المصرية العامة للكتاب ومكتبة الشامي بالسكة الجديدة بالمنصورة ، والمكتبة الأيوبية ومكتبة الجامعة ودار المعارف شارع البحر ، والمكتبة العامة هناك بعيداً عند مبنى المحافظة! أنشد الكتاب وأنهل من العلم. واعتاد حامد سعيد الجمّال أن يصنع الشئ ذاته ، ويكمل الرحلة كما كنت أكملها بالعودة في قطار الثانية ظهراً لينزل هو في بلدته (الطويلة) في أول الخط ، وأنزل أنا في (مركز كفر سعد). فكنا صاحبين جمعهما القريض ومشوار التعليم وطلب العلم وحب الكتاب والثقافة. فلما غبت عنه وجاءت ذكراه على خاطري ومر على وجداني خاطره ، كانت هذه القصيدة ترجمة لشعوري هذا! ولقد اعتاد الجمّال الشاعر أن يعلق على ما صغت شعراً بعد سماعه مني مباشرة! وأحياناً يعارضني أو يكتب رأيه فيّ شعراً. وكنا قد اتفقنا أن يكون كلامنا بالفصحى في كل مرة ، إحياء لهذه السنة التي ماتت في ذلك الزمان!)

جمّـــــــــالُ روحـــــــــي داميـــــــــة ... تبكـــــــــي الكـــــــــروبَ الداجيـــــــــة

لله أشـــــــــكو يـــــــــا صديـــــــــ ... ـــــــــق العمـــــــــر ذاتـــــــــي العانيـــــــــة

جمّـــــــــال كيـــــــــف الصـــــــــبر؟ قـــــــــل! ... والـــــــــذاتُ ذاتـــــــــي ثاويـــــــــة

جمّـــــــــال كيـــــــــف العـــــــــيش فـــــــــي ... هـــــــــذي الظـــــــــروف العاتيـــــــــة؟

جمّـــــــــال هـــــــــل لـــــــــي مـــــــــن دوا؟ ... هـــــــــل مـــــــــن حلـــــــــول هاديـــــــــة؟

جمّـــــــــال ماتـــــــــت أنجُمـــــــــي ... جمّـــــــــال قلهـــــــــا عاليـــــــــة

جمّـــــــــال خانـــــــــت صُـــــــــحبتي ... للعهـــــــــد ، أضـــــــــحت ناســـــــــية

خِـــــــلانِ ، ذاتـــــــي والهـــــــوى أبغـــــــي حلـــــــولاً آنيـــــــة

صـــــــبراً إذا حـــــــل القضـــــــا وطغـــــــت جنـــــــود الطاغيـــــــة

يـــــــا ويـــــــح قلـــــــب ثـــــــائر! نحـــــــو المنايـــــــا الجاســـــــية

لـــــــولا النـــــــوى ، لـــــــولا الجـــــــوى لـــــــولا القلـــــــوب القاســـــــية

لرأتـــــــك هـــــــذي العـــــــين ، يـــــــا ســـــــلوى العيـــــــون الطاويـــــــة

لـــــــولا أراجيـــــــفُ الهـــــــوى نطقـــــــتْ طلـــــــولٌ ضـــــــارية

أيـــــــن القِـــــــرى؟ أيـــــــن الصـــــــفا؟ أيـــــــن النفـــــــوس الحانيـــــــة؟

فـــــــي أنســـــــكم نـــــــام الصـــــــدى وصـــــــفت طيـــــــوفٌ باديـــــــة

مـــــــا لـــــــي هنـــــــا مـــــــن بعـــــــدكم غيـــــــر الشـــــــخوص اللاهيـــــــة

عـــــــن هـــــــديها وكتابهـــــــا أبـــــــداً تراهـــــــا غافيـــــــة

توحيـــــــدُهم عـــــــان بهـــــــم شـــــــجّته قـــــــوسٌ باليـــــــة

هـــــــم دمـــــــروا أركـــــــانهم عاشـــــــوا لـــــــدنيا فانيـــــــة

شـــــــيطانهم أنســـــــاهمُ نـــــــور الحيـــــــاة الباقيـــــــة

هـــــــذا فـــــــؤادي زغـــــــردتْ فيـــــــه الطيـــــــوفُ الشـــــــادية

والـــــــنفسُ فـــــــي تحنانهـــــــا والـــــــروحُ باتـــــــت آنيـــــــة

تصـــــــغي لأنـــــــاتي إذا نـــــــأت القلـــــــوب الواعيـــــــة

ســـــــار الهـــــــوينى مركبـــــــي مـــــــن فـــــــوق هـــــــذي الرابيـــــــة

نفســـــــي تـــــــوارى نورُهـــــــا صـــــــارت بحـــــــق واهيـــــــة

وهـــــــواجسٌ أوحـــــــت لهـــــــا لليـــــــأس كـــــــوني واعيـــــــة

أواه بعـــــــد الآه قـــــــا لتهـــــــا الضـــــــلوعُ الداميـــــــة

لكنمـــــــــا فـــــــــي أنفـــــــس ... شـــــــــمتْ وأرض خاليـــــــــــة

فـــــــالخيرُ ولـــــــى والهُـــــــدى ... حتـــــــى الطيـــــــورُ الحاديـــــــة

وتـــــــرى غـــــراب البـــــين يحـــــ ... ـــــيا عابثـــــاً فـــــي ضـــــاحية

كيـــــف الســـــكوتُ عـــــن العنـــــا ... عـــــن كيـــــد ذاتٍ غاليـــــــة؟

أحيـــــا أجـــــرّ اليـــــأس فـــــي ... أشـــــلاء نفســـــي العاتيـــــة

كـــــان التقـــــى ثوبـــــاً لهـــــا ... كانـــــت بحـــــق ســـــامية

لكـــــنْ تهـــــاوت مـــــن عـــــل ... ذاقـــــت ســـــموم الهاويـــــة

فـــــي داركـــــم ذقـــــتُ الهنـــــا ... عشـــــتُ الليـــــاليْ الصـــــافية

كـــــم صـــــغتَ فـــــيّ الشـــــعر كـــــم! ... فـــــي الأمســـــيات الغانيـــــة

فـــــي الروضـــــة الغنـــــاء كـــــم ... عشـــــنا! وكـــــم فـــــي الباديـــــة!

فـــــي الواحـــــة الســـــجواء كـــــم ... ذابـــــت طيـــــوفٌ ناديـــــة!

مـــــا لـــــي إلـــــى ذكـــــراك إلا ... بعـــــض نجـــــوى نائيـــــة

يـــــا ليـــــت شـــــعري ، إننـــــي ... عانيـــــت فقـــــدك ثانيـــــة

تحيـــــا هنـــــاك الآن فـــــي ... تلـــــك الـــــديار القاصـــــية

وأنـــــا هنـــــا فـــــي وحشـــــةٍ ... والـــــنفسُ باتـــــت باكيـــــة

أرجـــــوك ألا تنســـــني ... مـــــن دعـــــوةٍ متصـــــافية!

مجرد حقيقة

(كثيرة تلك المقالات التي تنال من الحنيفية السمحة. وإن الحق سبحانه وتعالى ناصر أوليائه وشرعه لا محالة. وكثيرون هؤلاء الذين يريدون من المنهج الرباني أن يكون مجرد مناسك فقط ، فتؤدى الصلوات ، وتؤتى الصدقات ، ويُصام الشهر ، ويُحج البيت على الاستطاعة وفقط! ومن هنا راح ذلك الفريق الماكر الخبيث ينتقد من يدعون إلى الشمولية والكلية في أن الدين كلٌ لا يتجزأ. وفي هذه القصيدة أردّ على هذا الفريق العلماني شعراً ، ولعلها المرة الأولى لي في مواجهة أهل التغريب والتخريب هؤلاء. وعن توحيد أهل الباطل قال ابن القيم في (الصواعق المرسلة) ما نصه: (إن توحيد أهل الباطل أربعة أنواع: * التوحيد الأول: توحيد الفلاسفة: فهو إنكار ماهية الرب الزائدة على وجوده وإنكار صفات كماله وأنه لا سمع له ولا بصر. ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة ولا كلام ولا وجه ولا يدين ، وقالوا: لأنه لو كان كذلك لكان مركبًا وكان جسيمًا مؤلفًا ، ولم يكن واحدًا من كل وجه ، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى ولا يميز منه جانب عن جانب. بل الجوهر الفرد يمكن وجوده ، وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده ، فلما اصطلحوا على هذا المعنى في التوحيد وسمعوا قوله: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) ، وقوله: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ). أنزلوا لفظ القرآن على هذا المعنى الاصطلاحي ، وقالوا كما قالوا عنه ـ سبحانه. فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطلحوا عليه ، فجعلوه أصلًا لدينه فلما رأوا أن ما جاءت به الرسل يعارضه قالوا: إذ تعارض العقل والنقل قدم العقل. * التوحيد الثاني: توحيد الجهمية: وهو مشتق من توحيد الفلاسفة. وهو نفي صفات الرب كعلمه وكلامه وسمعه وبصره وحياته. وعلوه على عرشه ، ونفي وجهه. ويديه. وقطب رحى هذا التوحيد جحد حقائق أسماء الله وصفاته. * التوحيد الثالث: توحيد القدرية والجبرية: وهو إخراج أفعال العباد أن تكون فعلًا لهم ، وأن تكون واقعة بإرادتهم وكسبهم ، بل هي نفس فعل الله تعالى. فهو الفاعل لها دونهم ، ونسبتها إليهم ، فعلوها ينافي التوحيد عندهم. * التوحيد الرابع: توحيد القائلين بوحدة الوجود: وأن الوجود عندهم واحد ، ليس عندهم وجودان. قديم وحادث. وخالق ومخلوق. وواجب وممكن. بل الوجود عندهم واحد بالعين. فهذه الأنواع الأربعة سماها أهل الباطل توحيدًا واعتصموا بالاسم من إنكار المسلمين عليهم وقالوا: نحن الموحدون. وسموا التوحيد الذي بعث الله به رسله: تركيبًا وتجسيمًا وتشبيهًا).هـ. وبالطبع لم يعش ابن القيم لزمان يُفصَل فيه الدين عن الحياة تماماً ، وتكون الحياة خاضعة للعلم والمدنية والحضارة والتنوير ، أما الدين فهو محصور في مناسك التعبد (من صلاة وزكاة وصيام وحج). إنني أضيف لأنواع التوحيد الأربعة الخاصة بأهل الباطل نوعًا خامساً لم يذكره ابن القيم ، وهو * توحيد العلمنة القائم على اختصار الدين في مناسك التعبد! والداعي إلى هذا الضلال والباعث عليه والمحفز له هو موجة التغريب التي تجتاح أمتنا لتنحرف عن دينها! والأستاذ أنور الجندي في كتاب له عن التغريب قال ما نصه: (هناك محاولة خطيرة تستهدف دائماً معارضة القول بأن هناك: ظاهرة تغريب ، وغزو ثقافي ، أو محاولة احتواء للفكر الإسلامي ، أو سيطرة فكر وافد. وتحاول هذه المحاولة أن تعتمد على أمرين: * الأمر الأول هو القول: "أين هذه المؤسسة التي تسمى التغريب؟" ذلك لأن هذه المؤسسة ليست بناءً مجسماً له دار ولافتة مكتوب عليها مدرسة التغريب أو مؤسسته! وذلك هو تساؤل السذج الأغرار قصيري النظر البسطاء الذين يعدهم التغريب أحسن أدواته وأكثرها نفعاً لأنهم يقومون بخدمته دون أجر ، وعلى حساب النوايا الطيبة. * والأمر الثاني: هو مداواة التابعين العملاء الذين هم كالحية الرقطاء يخادعون الناس ويخفون حقيقة ولاءهم. ومع الأسف أن الذين يشككون في التغريب هم

من النوع الأول: أولئك الحمقى الذين طبع الله على قلوبهم ، وأعمى أبصارهم. إن التغريب لم يعد بعد هذا الوقت الطويل موضع تساؤل أو تشكيك. وربما كان كذلك في الثلاثينيات حيث كان يغطي العالم الإسلامي والأمة العربية ظلام كثيف وكانت هناك حقائق كثيرة ما تزال محجوبة ، ولعل أهمها: بروتوكولات صهيون التي ظهرت في العالم كله عام 1902م حتى عام 1952م تقريباً وإلى ما بعد أن قامت إسرائيل في قلب الأمة العربية. ولقد كشف هذه الحقيقة دعاة التغريب أنفسهم ، ولعل أول وثيقة في هذا المجال هي كتاب (وجهة الإسلام) الذي ألفه هاملتون جب مع جماعة من المستشرقين ، وأعلن فيه صراحة أن هدف البحث هو معرفة: "إلى أي حد وصلت حركة تغريب الشرق وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب؟". وذلك للقضاء عليها. ويمكن لقارئ الكتاب أن يستكشف مناهج التغريب واضحة ، كالسهام تندفع في أعماق العيون الضالة والمضللة لتسقط عنها غشاوات الغباء والجهل. وجاء بعد ذلك كثيرون فأشاروا إلى ذلك وأوردوا المصادر والوثائق: من العرب الدكتوران عمر فروخ والخالدي في كتابهما "التبشير والاستعمار" ومن الغرب: المؤرخ العالمي توينبي في كتابه (العالم والغرب). وهناك عشرات الأدلة والوثائق التي تضع الحقيقة ناصعة أمام من يريدها. ولا يمالئ فيها خاصة لأقطاب التغريب ودعاة الجنس وعمالقة الغزو الثقافي).هـ. والله نسأل أن يخيب مساعيهم ويفشل خططهم ويمحق باطلهم ويوهن كيدهم ويبطل سحرهم!)

النعـــــرة الســـــكرى نفخـــــت أوارهـــــا ... أشـــعلت حربـــاً لســـت تـــدري نارهـــا

هاجمـــت صـــفوتنا التـــي كـــم علمـــتْ! ... ومضـــيت تهـــذي ، تســـتبيح دماءهـــا

يـــا ليـــت سُـــمّك للعِـــدا أشـــهرته ... أو ليـــت ثورتـــك انبـــرى تبيانهـــا

لكـــنْ بجهـــل قلـــت منكـــر قولـــةٍ ... جادلـــت شـــرذمة بـــدتْ أنوارهـــا

مـــلأتْ طِبـــاق الأرض علمـــاً ناصـــعاً ... فـــالعلمُ ديـــدنها ونـــور حياتهـــا

مـــاذا فعلـــتم يـــا منـــافق جوقـــة؟ ... عاديـــت شِـــرعتنا وعـــزم رجالهـــا

كيـــف انحـــدرت إلـــى المذلـــة هكـــذا؟ ... كيـــف اشـــتراك حقيقـــة حُقراؤهـــا؟

طبعـــوا علـــى كـــره الحنيفـــة ويحهـــم! ... كيـــف اســـتحلوا فـــي الـــورى أركانهـــا؟

إبليســـهم مـــن فـــوقهم متجبـــر ... ويـــؤز جوقتـــه ، يريـــد سُـــعارها

والله ناصـــر دينـــه وجنـــوده ... ومُـــديلُ نعـــرتكم وبعـــدُ أوارهـــا

ألا يا صريع المال

(عندما يصبح المال صنماً يُعبد ، ويدان له ويضحى بكل غال ونفيس في سبيله ، فحدّث ولا حرج عن البلايا التي تملأ المجتمع من عبيد المال. والقيم كما هي القيم مهما علا في الأرض بريق المال. إن النعل عندما يمتلئ بالمال لن يتحول إلى مصباح! بل سيبقى نعلاً كما هو. ولقد كان أحد الحمقى يتوق لأن يعمل مرتزقاً بالهدى ، وقد أصبح من الذكاء بدرجة ومن التدبير للحياة بدرجة ومن المهارة بدرجة أن يتنافس الأقوام على هذه المهن والحرف. ولم يعد يهم أحداً اليوم – إلا من عصم الله – أن يأكل من حلال أو من حرام. ولقد عاهد ذلك المرتزق ربه أنه إن تم له ما أراد ليزيلن هذه العُجمة التي علقتْ به في التوحيد والعقيدة ، فيأخذ في التعلم والإقبال على الكتاب ، ويُقعد حليلته التي تسعى مسفحة بصدرها بين يدي الرجال جرياً وراء القوت المُر ، وأخذت الأيام دورتها ، وتم للمرتزق ما كان يصبو إليه ويتمناه ، وذلك بعد أن احتال للارتزاق فأخذ له عُدته وعِدته ، وإذا بالحال كما هو ، فلم ينفذ من الذي نوى حرفاً ، وإذا العُجمة هي العُجمة ، وإذا المرأة هي المرأة. ألا إنها طبيعة الإنسان ساعة يختل عنده ميزان التوحيد ومؤشر العقيدة وترمومتر التصور والفهم. (ويحسبون أنهم مهتدون!) وينسى هؤلاء أو يتناسون أو هو عليهم عمى قول الله تعالى: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ، ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب؟) ولسوف ينتصر الله تعالى لشريعته من أمثال هؤلاء المرتزقة يوماً! وما ذلك على الله بعزيز. وليس عيباً أن يدبّر المرء حياته ويكسب القوت لمن يعول حتى لا يضيّعهم ، وليس عيباً أن يخطط المرء للمستقبل ويعمل حساباً ويأخذ احتياطا لتقلبات الأيام ، بل العيب كل العيب ، والخلل كل الخلل ، والخيبة كل الخيبة ، والضياع كل الضياع أن يصبح الدينار قِبلة والهوى معبوداً والدنيا غاية وجود! إن النبي – صلى الله عليه وسلم - يضرب لنا مثلًا لمن يأخذ المال على قدر حاجته وكذلك الذي يتحرى الحلال في أمواله-: «وإن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطًا أو يُلمه إلا آكلة الخضر». والمعنى: إلا دويبة الأرض ، هذه الدويبة تأكل على قدر حاجتها فقط ، تأكل حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ؛ لتهضم الطعام ، لتهضم ذلك العشب الذي في بطنها ، استقبلت الشمس فاجترت ، أي: تخرج شيئًا من بطنها تجتر فتهضم ، وتكثر في الهضم حتى يكون مفيدًا ، اجترت وثلطت وبالت ، ثم إذا جاءت بعد أن أخرجت فضلات هذا الطعام أكلت بعد ذلك ، فتأخذ الطعام على قدر حاجتها ، وهذه دويبة ذكية ، دويبة خلقها الله عز وجل ، وجعل لها مقدارًا في الأكل ، فلذلك هي تحيا ، وهي تسمن أكثر مما تحيا وتسمن تلك الدواب الأخرى. والمعنى المراد هو أخذ المال بقدر الحاجة وإنفاقه على الضروري فقط لتجنب الهلكة! والمال عموماً وسيلة لتحقيق غاية ، وليس غاية في ذاته! كما يتصوّر المعرضون المرتزقة عبيد المال الذين جعلوا من المال وثناً يعبد وصنماً يتقرب إليه وقِبلة يُتجه إليها!)

صـــــــريعَ المـــــــال فـــــــارقني مليـــــــا لقـــــــد أحـــــــدثتَ فـــــــي ســـــــمعي دويـــــــا

تنـــــــــافقُ بـــــــــالكلام ، ولا تبـــــــــالي وتطعـــــــــنُ بـــــــــالهُرا النـــــــــور الجليـــــــــا

تناســـــــيتَ العهـــــــود ، وكنـــــــت فظـــــــاً فبـــــــتّ الآن مضـــــــطرباً عييـــــــا

وخالفتَ النصوص بغير عُذر ... وخالفتَ المهيمن والنبيا

وأظهرتَ التنسك في البرايا ... وحطمت ادعاءك يا دعيا!

وخادعتَ الورى في كل قول ... ولم تكُ – لحظة – حُراً أبيا

لأن الحر لا يُرديه فِلسٌ ... ولستُ أراه في الدنيا دنيا

وليس يبيع - للدينار - عِرضاً ... ولا يحيا جهولاً جعظريا

ولا يرضى لزوج بامتهان ... ولا تلقاه ديوثاً شقيا

وليس بمُعرض عن كل علم ... وإن له لمجلسه مضيا

وعابدُ مالِهِ – في الناس - نذلٌ ... ولا تلقاه في الدنيا رضيا

ويحلم بالرياش وبالمطايا ... ويأملُ أن يعيش بها ثريا

ويصنع من بريق المال طيناً ... ومما عنده بيتاً خويا

له طمعٌ يفوق الوصف فعلاً ... ولا تلقاه إلا أشعبيا

صريعَ المال ، أين الوعد؟ قل لي! ... لقد أصبحت فينا سامريا

تزوّر في المقال وفي الوصايا ... أكنت على الذي تهوى وصيا؟

وقِبلة مثلك الدينارُ ، لكنْ ... سيفنى المالُ ، لن تحيا غنيا

ذكورٌ أنت ، تذكر كل شئ ... ولم نعرفك يا هذا نسيا

ألست تغار يا ديوث يوماً ... على قارورةٍ ، أمست بغيا؟

تسير مع الصباح إلى ضياع ... لتلتمس الشقاء الجاهليا

وتنظرها العيون ككل أنثى ... وتمعنُ في محاسنها مليا

وتسعى في سراديب الخطايا ... وتنشد في الورى الخل الحفيا!

وترجع بعد ساعاتٍ سرابا ... لتلقى بعلها تيساً طريا

وأدنـــــى مـــــن جنـــــاب التـــــيس شـــــأنا ... فلـــــيس التـــــيس يلـــــوي الحـــــق ليـــــا

يغـــــار التـــــيسُ ، لكـــــن لا تغـــــارُ! ... ولـــــيس التـــــيس خوانـــــاً غويّـــــا

ويهـــــوى التـــــيسُ أن يحيـــــا طليقـــــاً ... وهـــــذا بالمذلـــــة عـــــاش حيّـــــا

صـــــريعَ المـــــال لا تحلـــــم كثيـــــراً ... خيالـــــك بـــــات وهمـــــاً نرجســـــيّا

فـــــلا تشـــــكُ المقـــــادير طـــــويلاً ... فلســـــتُ أراك بالشـــــكوى حجيّـــــا

علـــــى مـــــن يـــــا تـــــرى تختـــــال زهـــــواً ... وتظهـــــر للـــــورى يأســـــاً خفيّـــــا

وتكـــــذب فـــــي الحـــــديث علـــــى البرايـــــا ... أراك اليـــــوم قـــــد آثـــــرت غيـــــا

أتشـــــكو الحـــــال يـــــا قـــــارون دومـــــاً ... وأنـــــت تجمّـــــع الرطـــــب الجنيـــــا؟!

وتأكـــــل كـــــل خيـــــر مُســـــتطاب ... وتقطـــــف جهـــــرة ثمـــــراً زكيـــــا

ويأكـــــل مـــــن تزكـــــى مـــــا تبقـــــى ... وأضـــــحى زادُه اليـــــوم الحتيـــــا

ويشـــــرب مـــــن نقيـــــع الســـــم كأســـــاً ... ومثلـــــك يشـــــرب المـــــاء النقيـــــا

ويعجـــــز أن يســـــد عليـــــه دينـــــاً ... وأمـــــا أنـــــت تطـــــوي المـــــال طيـــــا

ولـــــيّ الله مـــــات - اليـــــوم - جوعـــــاً ... ومثلـــــك يأكـــــل اليـــــوم الشـــــويا

وذو علـــــم لـــــه البيـــــداءُ مـــــأوى ... ومثلـــــك نـــــام محبـــــوراً عفيـــــا

علـــــى أبهـــــى فـــــراش نمـــــتَ عمـــــراً! ... وغيـــــرُك يُحـــــرم النـــــوم الشـــــهيا

ولـــــم تعلـــــم ، ولكـــــنْ عشـــــت نعـــــلاً ... بأقـــــدام الفـــــراعين غبيـــــا

ولـــــم تصـــــدقْ بعهـــــد الله ، كـــــلا ... ولكـــــنْ كنـــــت فـــــي العهـــــد عصـــــيا

يمينـــــاً ســـــوف تلحقـــــك المخـــــازي ... وتمســـــي فـــــي الضـــــلالة وحـــــدويا

الطوفان

(عرّجنا من قبل على حال المرتزقة عبيد الدراهم والدنانير. وذكرنا في مقدمة قصيدة سبقت أن الحذاء إذا امتلأ بالمال فلن يكون إلا حذاء! وكذلك أهل الارتزاق لن يصبحوا بالمال ولو كثر أناساً آخرين لهم شأن في عالم البشر. إن قصيدة (الطوفان) أنسجها أيضا للمرتزقة الذين لست منهم في شئ ، وليسوا مني في شئ. فنحن صدقاً على طرفي نقيض ، وشتان بين مشرّق ومغرّب. ومهما جاملَنا غير واحد منهم وتباكى على القيم وأحوال الناس ، فإن هذه المجاملة وذلك البكاء أو التباكي محض نفاق ورياء وخداع لا يرقى إلى مرتبة اليقين. إنني أعرف من أحوالهم ما لا يعرفون هم عن أنفسهم. ذلك أنني أزنهم بميزان العقيدة والتوحيد. بينما هم لا ميزان لهم إلا المال فقط. وميزان التوحيد والعقيدة يزن المال وأهله وعبيده. في حين لا يزن ميزان المال التوحيد والعقيدة. إنني في سعادة قلبية ومتعة نفسية وفرحة روحية وبهجة مشاعرية قد حرم الله منها الكثيرين من عبيد الدراهم. ولو علم أهل الدراهم عني فرحتي وبهجتي وسعادتي بالإيمان بالله تعالى لجالدوني عليها بالسيوف! فسبحان من جعل الإسلام علانية والإيمان في القلب. إنني أجتهد كلما سنحتْ فرصة في أن أتناول في شعري عبيد المال الذين ينفقون في سبيله كل شئ. ينفقون العِرض والنفس والدين والخلق والأهل والأرض وكل غال ونفيس يملكونه. المهم أن يكون الواحد منهم ذا مال. إن الحديث عنهم شيق لأنه يبيّن الحق للناس بكل حيدة موضوعية. وقد ابتليت بحفنة منهم بعد حفنة. وجمعتنا المقادير لحكمة يعلمها الله ودارت رحى الحرب والصراع. وعمدت إلى تجنبهم لقوة شوكتهم في أول الدرب ، ثم ما لبثت أن جادلتهم وتعاملت معهم فخسرت الكثير. ذلك أنهم حفنة من أهل التكسب والارتزاق بالقيم ، سعدوا كل السعادة عندما أصيب أصحاب القيم بالتنحية عن حراسة القيم والذود عن الفضائل. وباتوا يهنئ بعضهم بعضاً على هذه الكارثة. وداهية عظيمة أن يناصر أصحاب القيم أهل الارتزاق وعبيد الدنانير. وداهية أعظم منها أن يصبح أصحاب القيم سيوفاً يضرب بعضهم رقاب بعض. وداهية دهياء أن يصير أصحاب القيم كالقطط الوديعة على أهل التكسب والارتزاق وأعداء القيم وأهلها ، وهم يستمعون إلى قول الله تعالى: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكمُ الآيات إن كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكمُ الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، إن الله عليمٌ بذات الصدور). تحركت هذه الخلجات في فؤادٍ كله حزن على القيم وأهلها ، فكانت طوفاناً يأخذ في طريقه كل من واجهه ، والتقى ذلك الطوفان بطوفان قائم بالفعل يستأصل القيم وأصحابها ويبارك أهل الارتزاق والتكسب على حساب القيم وغلب طوفان الباطل طوفان الغيرة الحق الذي يلتهب في قلبي: (يا قوم لكمُ الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا؟) وعموماً يوماً سينتصر الحق لا محالة ويقال: (يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) ، (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر). وتلك سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير: يصطرع الحق والباطل وتكون جولات وجولات وينتصر الحق! إن الثقة بنصر الله ، وعونه ووعده الحق لمن جاهد في سبيله ، هي زاد الطريق ، ومفتاح الأمل ، ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفاق الرحلة ، وتبقى لحظة النصر وبشارة التمكين حية شاخصة في رؤى المسلمين ومشاعرهم! وإن من فقد هذه الثقة بالله ونصره ، فقد خسر خسراناً مبيناً ، ومن تشكك فيها لحظة ، فقد تأخر عليه

النصر على قدرها! وصدق الدكتور الحوالي عندما تناول النصر في محاضرته فقال: (إن النصر للإسلام ، وإن المستقبل لهذا الدين بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وإن الله قد وعد عباده المؤمنين بالنصر ، كما قال تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) ، وقال: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز) ، وقال: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ). فالنصر - بإذن الله - والمستقبل للإسلام ، وما هذه المحنة إلا حلقة من محن كثيرة ومصائب كبيرة يحفل بها تأريخنا الإسلامي ، فأي صفحة من تأريخنا ليس فيها وقائع ومعارك وأعداء يتكالبون؟! أي صفحة من تأريخنا ليس فيها دماء وفتن ومصائب؟! وهذا هو قدر هذه الأمة ، وهذا هو ما أراده الله تبارك وتعالى لها! وهذه سنة الله عز وجل فيها ، فيبلوها ويبتلي بها. فهذه هي إرادة الله في الدنيا كلها قال تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) ، وقال: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً).هـ. وإذن فلا يجب أن نقلق على مستقبل الإسلام والمسلمين بعد أن رسم الحوالي صورة النصر الحقيقية! لنعمل ونتعم وندعو ونصبر ونتواصى بالحق!)

أيها الجُهّالُ طاب السعدُ ... وحلا – للشامتين - الودُ

أطفِئَ القنديلُ ، هيا سيروا ... وانزوى التوحيد ، بان القصد

واقرأوا الأوراد فيمن ضلوا ... منذ فجر اليوم يحيا الوِرد!

واجهروا بالسوء في ناديكم ... جوقة حادت ، وساد القرد

واسخروا من كل غال سام ... أهدِر الميزانُ ، مات النقد

أعلِنوا الأفراحَ ، لا تستخفوا ... قلت: يا أنذال طاب السعد

وارفعوا الراياتِ في مأواكم ... وانتفخ يا هِر ، غاب الأسْد

واهرعوا عند الضريح المزوي ... ثم - في الأورادِ - زيدوا ، جددوا

وخذوا (نجوى) تسلي حفلاً ... ليس من هذي المهاوي بُد

واملأوا الدنيا هُراءً يطفو ... لا تقولوا: إن هذا زهد

وانفخوا في الهزل كي تقتاتوا ... لا تقولوا: إن هذا رُشد

وانثروا – فوق المخازي - وَرداً ... ضربة للحق ذاك الوَرد

وكلوا بالحق ، لا ترتابوا ... لقمة يُزجي قِراها الجحد

إنـــــه الطوفـــــان نـــــارٌ تلهـــــو ... وحـــــلا للنـــــار فـــــيّ الوقـــــد

واحتـــــواني - فـــــي الرزايـــــا - قـــــاعٌ ... وأنـــــا - فـــــي القـــــاع هـــــذا - فـــــرد

أحـــــرقُ القلـــــبَ علـــــى آمـــــالي ... والمنايـــــا – فـــــوق رأســـــي - لحـــــد

وانفعـــــالي ضـــــجّ مـــــن آهـــــاتي ... وكـــــذا أعيـــــا صـــــمودي الجهـــــد

صـــــابرٌ ، والصـــــبر أدمـــــى جرحـــــي ... واعـــــدٌ ، أعيـــــا خطـــــايَ المجـــــد

ثـــــائرٌ ، يطـــــوي انـــــدفاعي قـــــومي ... ويزيـــــد الحـــــزنَ فـــــيّ الســـــهد

آه لـــــو لـــــي قـــــوة يـــــا هلكـــــى ... لـــــم يطِـــــب – للشـــــامتين - الحِقـــــد

فأنـــــا الأعـــــزل ، وحـــــدي فـــــيكم ... وأنـــــا الحُـــــر ، وغيـــــري عبـــــد

لـــــيس زهـــــواً قلـــــتُ هـــــذا ، كـــــلا ... إنمـــــا حـــــقٌ يقـــــال وذود

ســـــوف يُـــــزوى فـــــي الليـــــالي نجمـــــي ... ثـــــم يُـــــزري مـــــا بـــــذلتُ الفقـــــد

ثـــــم يعلـــــو فـــــي مكـــــاني غيـــــري ... لـــــيس معطـــــاءً ، ولكـــــنْ وغـــــد

أيهـــــا الحيتـــــان فـــــيم الشـــــكوى؟ ... إنمـــــا البحـــــر قـــــلاه المـــــد

وخـــــلا الجـــــو لكـــــم ، فارتـــــاحوا ... ولكـــــم مـــــن كـــــل غِـــــر رفـــــد

لـــــم يُصـــــب طوفـــــانهم مـــــأواكم ... إنمـــــا – فـــــوق الخزايـــــا - الـــــورد

زادت الأمـــــوال فـــــي أيـــــديكم ... ثـــــم بـــــين الجـــــائرين العهـــــد

وتربصـــــتم – هنـــــا - وارتبـــــتم ... وقـــــلا الأفـــــواهَ تلـــــك الحمـــــد

رضـــــيَ الطـــــاغوتُ عـــــنكم ، نـــــاموا ... واســـــعدوا بـــــالعيش ، لا تعتـــــدّوا

وارتعـــــوا كـــــالعِيس فـــــي نـــــاديكم ... يســـــعدُ – اليـــــومَ - الـــــذي يرتـــــد

واجمعـــــوا الأمـــــوال ، لا تحتـــــاروا ... ربمـــــا لا يـــــأتينّ الغـــــد

واحصـــــدوا الخيـــــراتِ ، لـــــن تنضـــــاموا ... بـــــورك المحصـــــودُ ، بـــــل والحصـــــد

وانهبـــوا ، قـــد غـــاب أهـــلُ التقـــوى ولهـــذا النهـــب يومـــاً حـــد

أبعِـــد الـــداعون ، عاثـــت فوضـــى لـــم يعـــدْ فـــي الـــدار هـــذي جـــد

مـــأتمٌ للنـــور كـــي تقتـــاتوا أغـــرَق الطوفـــانُ مَـــن يحتـــد

مـــذبحٌ قـــام لأهـــل التقـــوى إنمـــا أنـــتم لـــذاك الجنـــد

فكلـــوا مـــن لحمهـــم أرطـــالاً إن هـــذا اللحـــم حقـــاً شـــهد!

واشـــربوا مـــن دمعهـــم أطنابـــاً قبـــل أن يغشـــى الضـــحايا الـــوأد

أيهـــا الأوبـــاش ، مـــاذا أحكـــي؟ إنمـــا أعيـــا اليـــراعَ الســـرد

والمنايـــا – فـــوق شـــعري - تتـــرى لـــم يعـــد يُحصـــي لظاهـــا العـــد

والمِـــداد العـــذب أضـــحى قيحـــاً وكـــذا مـــن وَجـــده يســـوَد

يشـــتكي الطوفـــان عنـــد المـــولى والأســـى - فـــي دمعـــه - يشـــتد

واليـــراعُ الشـــهم أمســـى ظـــلاً ولـــه - فـــي الكـــرب - هـــذا عقـــد

بعـــد أن كـــان عظـــيم الفحـــوى ولـــه - فـــي الحـــزن - بـــأسٌ صـــلد

لكـــن الطوفـــان أدمـــى عزمـــي وإلـــى روحـــي اللظـــى يمتـــد

أيهـــا الأرجـــاس ، نـــارٌ ظلمـــي لـــيس يـــدري مُنتهاهـــا البـــرد

ذلـــك الطوفـــانُ لـــم يغـــرقكم لا تخـــافوا ، ثـــم فـــيم الوَجـــد؟

إن للطوفـــان مرمـــىً أســـمى يُغـــرقُ الأبـــرارَ ، مـــاذا بعـــد؟!

أتيناكم أتيناكم

(تمر الأيام ، وتتعاقب السنون ، ويزداد إعجابي بهذا النشيد الجميل. وكنت أعجبت به للمرة الأولى منذ مطلع الثمانينات من القرن المنصرم. وعندما تزوجت وضعت شريطه بصوت المنشد المصري المحبوب (أبو عابد). ومرت أيام عُرسي الأولى على أنغام أبي عابد مصحوبة بالدف بغير جلاجل. وذلك بالإضافة إلى أناشيد أفراح أخرى مثل: (زوّجْ من ترضى أخلاقه – أفراحْنا شكرْ لربنا – وغيرهما) وأما نشيد (أتيناكم) فقد تصدر الجميع وأخذ المقام الأول والمنزلة العليا! وخاصة بعد الإضافات التي زوّده بها أبو عابد – حفظه الله -. وكنت قد دعيت إلى أحد الأعراس ، وتذكرت ما عليه التوحيد من غربة ، فأخذتُ أنتحب لا يسمعني أحد ، وتذكرتُ حديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم – عن غربة الإسلام: بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء. وتذكرت قول النبي – صلى الله عليه وسلم – يعلم الصحابة ماذا يقولون في الأعراس ، وتذكرتُ أن هذا المقطع الأنشودي قد نسج على منواله شعراء كثيرون في القديم والحديث:-

أتينـــــــــــــاكم ، أتينـــــــــــــاكمْ فحيونـــــــــــــا نحيـــــــــــــيكمْ

ولـــــــــولا الحبـــــــــة الســـــــــمرا لمـــــــــا سَـــــــــمُنت عَـــــــــذاريكم

ولـــــــــولا الـــــــــذهب الأحمـــــــــرْ مـــــــــا حُلـــــــــتْ بـــــــــواديكم

فرُحتُ أتغنى بهذا المطلع ، فصغته مكرراً وأضفتُ إليه وحذفتُ منه! مرة سنة 1983م ، ومرة أخرى سنة 1993م ، أي بفارق زمني بين الصياغتين والتعديلين والإضافتين هو عشر سنين. وقمت عام 1996م بدمج الصياغتين في قصيدة واحدة متجانسة ، والحكم للقراء وللتاريخ!)

أتينـــــــــــــاكم ، أتينـــــــــــــاكمْ فحيانـــــــــــــا ، وحيـــــــــــــاكم

إلـــــــــه النـــــــــاس ، راعينـــــــــا علـــــــــى التقـــــــــوى وراعـــــــــيكم

وديـــــــــن الله فـــــــــي الأفـــــــــرا ح شـــــــــادينا وشـــــــــاديكم

يمـــــــــينَ الله لا تنســـــــــوْا صِـــــــــحاباً فـــــــــي نـــــــــواديكم

أتـــــــــوْكم عـــــــــازمين علـــــــــى مشـــــــــاركةٍ تنـــــــــاغيكم

وفـــــــــي أعراســـــــــكم جئنـــــــــا نشـــــــــارككم ، نحـــــــــاكيكم

فـــــــــأنتم عُصـــــــــبة المـــــــــولى وللعليـــــــــا مســـــــــاعيكم

****************** ******************

قلـــــــــوبٌ للهنـــــــــا اشـــــــــتاقتْ وكـــــــــم زيـــــــــرتْ بـــــــــواديكم!

تتـــــــــــــــوق الآن للقيـــــــــــــــا ... فهـــــــــــل قمـــــــــــتم ننـــــــــــاجيكم؟

فكـــــــــــم ضـــــــــــاعت بشاشـــــــــــاتٌ ... وغاصـــــــــــت فـــــــــــي نـــــــــــواديكم!

هـــــــــــو الإســـــــــــلام حادينـــــــــــا ... بتـــــــــــرنيم ، وحـــــــــــاديكم

هـــــــــــو التوحيـــــــــــد داعينـــــــــــا ... إلـــــــــــى المـــــــــــولى ، وداعـــــــــــيكم

****

أتينـــــــــــاكم مـــــــــــن الفجـــــــــــرِ ... لنكســـــــــــب أعظـــــــــــم الأجـــــــــــرِ

ولـــــــــــولا حبنـــــــــــا فـــــــــــي اللـــــــــــ ... ـــــــــــهِ مـــــــــــا جئنـــــــــــا علـــــــــــى الفـــــــــــور

وأنـــــــــــتم إخـــــــــــوة التوحيـــــــــــ ... ـــــــــــد موعـــــــــــودون بالنصـــــــــــر

إذا حققـــــــــــتمُ الإســـــــــــلا ... مَ فـــــــــــي الإعـــــــــــلان والســـــــــــر

فـــــــــــلا تلـــــــــــووا ، ولا تهنـــــــــــوا ... ســـــــــــيعلو الـــــــــــدينُ بـــــــــــالكر

ولا يعلـــــــــــو بوضـــــــــــع الـــــــــــرأ ... سِ والأفكـــــــــــار فـــــــــــي الحِجـــــــــــر

ومـــــــــــن أعراســـــــــــكم تبـــــــــــدو ... أمـــــــــــاراتٌ لمـــــــــــا يجـــــــــــري

****

وفـــــــــــي أفـــــــــــراحكم جئنـــــــــــا ... نسَـــــــــــرّي عـــــــــــن مآســـــــــــيكمْ

نغنـــــــــــي ، لـــــــــــو تمعنـــــــــــتم ... رأيـــــــــــتم مِـــــــــــن أمـــــــــــاليكم

مآســـــــــــيكم مآســـــــــــينا ... فعـــــــــــذراً لـــــــــــو أصـــــــــــافيكم

أزاحـــــــــــتكم عـــــــــــن التقـــــــــــوى ... أيـــــــــــا قـــــــــــومي بلاويكـــــــــــم

وأهـــــــــــدافٌ لنـــــــــــا ماتـــــــــــت ... وتحيـــــــــــا فـــــــــــي ملاهـــــــــــيكم

أغاريـــــــــــدُ الغِنـــــــــــا هاجـــــــــــت ... وعانـــــــــــت فـــــــــــي نـــــــــــواديكم

إذ التوحيـــــــــــد مغتـــــــــــالٌ ... وأنـــــــــــتم فـــــــــــي دواعـــــــــــيكم

وســـــــــــر الخطـــــــــب أن قلنـــــــــا قضـــــــــــــــــــايانا قضـــــــــــــــــــاياكم

****

أتينـــــــــــــا كلنـــــــــــا ثـــــــــــورة علـــــــــــى أوضـــــــــــاعنا المُـــــــــــرة

علـــــــــــى إســـــــــــلامنا نبكـــــــــــي نعيـــــــــد – علـــــــــى العِـــــــــدا - الكَـــــــــرّة

ونصـــــــــــحب فـــــــــــي جوانحنـــــــــــا خيـــــــــــوط الفـــــــــــوز والنصـــــــــــرة

ولازلنـــــــــــا نـــــــــــذاكر فـــــــــــي ضـــــــــحى (بـــــــــدر) ، وفـــــــــي (الحَـــــــــرة)

توزعْنـــــــــــــــا ، ونوّعْنـــــــــــــــا تقاســـــــــــمْنا ســـــــــــنا الفكـــــــــــرة

فهـــــــــــذا حامـــــــــــلٌ رمحـــــــــــاً وهـــــــــــذي تحمـــــــــــل الجـــــــــــرة

وهـــــــــذا فـــــــــي قيـــــــــام الليـــــــــــ ـــــــــل يـــــــــدعو يـــــــــذرف العبـــــــــرة

بنـــــــــي إســـــــــلامنا قومـــــــــوا أســـــــــوداً ، واســـــــــتقوا العِبـــــــــرة

****

ألا يـــــــــا إخـــــــــوتي لبـــــــــوا نـــــــــداءً فـــــــــي مجـــــــــاليكم

بـــــــــذا تحيَـــــــــوْن أحيـــــــــاءً بـــــــــذا تنمـــــــــو أمـــــــــانيكم

فكونـــــــــوا يـــــــــا أشاوســـــــــنا ليوثـــــــــاً إذ عهـــــــــدناكم

لكَـــــــــم ترتـــــــــاب فـــــــــي قلبـــــــــي جـــــــــراحٌ مـــــــــن نوايـــــــــاكم!

تقولـــــــــون: العِـــــــــدا ذلـــــــــوا وذاقـــــــــوا قـــــــــيظ تقـــــــــواكم

ومـــــــــن إفـــــــــراطكم قلـــــــــتم بأيـــــــــدينا هزمنـــــــــاكم

وفـــــــــي أوحـــــــــالهم غصـــــــــتم وقلـــــــــتم: قـــــــــد خـــــــــذلناكم

وفـــــــــي أفلامهـــــــــم هِمـــــــــتم وبيـــــــــدتْ كـــــــــل ذكـــــــــراكم

تقاعســـــــــــتم ، تكاســـــــــــلتم وســـــــــــلمتم ســـــــــــجاياكم

ومـــــــــن إفلاســـــــــكم بعـــــــــتم ... بـــــــــلا شـــــــــئ ضـــــــــحاياكم

ورحـــــــــتم مـــــــــن مآســـــــــيكم ... وبـــــــــدّدتم وصـــــــــاياكم

ومـــــــا مـــــــن ناصـــــــح فـــــــيكم ... ينـــــــادي فـــــــي بقايـــــــاكم

يشـــــــد الهمـــــــة الحيـــــــرى ... يقلِـــــــب فـــــــي طوايـــــــاكم

يبيـــــــد الظلمـــــــة الظلمـــــــا ... ءَ مـــــــن تقـــــــوى حنايـــــــاكم

ففـــــــي أعطـــــــافكم تســـــــري ... بـــــــإخلاص مســـــــاعيكم

ولكـــــــنْ ظلمـــــــة رانـــــــت ... علـــــــى فحـــــــوى نوايـــــــاكم

****

أتينـــــــا نســـــــبق الأقـــــــدامْ ... وظِـــــــل الفـــــــرح فـــــــي الأحـــــــلامْ

أريـــــــجُ الســـــــعد نادانـــــــا ... نتـــــــوق لنصـــــــرة الإســـــــلام

وهـــــــذا العُـــــــرسُ ذكّرنـــــــا ... بنصـــــــر الله للأعـــــــلام

وإنـــــــا إذ نحيـــــــيكم ... نزيـــــــل الكـــــــرب والأســـــــقام

فلســـــــنا نرتضـــــــي ذلاً ... تســـــــطره لنـــــــا الأقـــــــلام

فـــــــإن الكـــــــرب أثقلنـــــــا ... وطـــــــال الليـــــــلُ والأحـــــــلام

وخيـــــــل الله قـــــــد عزمـــــــتْ ... علـــــــى العزمـــــــات والإقـــــــدام

****

أتينـــــــا نحمـــــــل البشـــــــرى ... نعيـــــــد الـــــــذكر والـــــــذكرى

ونســـــــعد باللقـــــــاء هنـــــــا ... نطيـــــــل الفـــــــرح والســـــــمَرا

ومـــــــن إخلاصـــــــنا جئنـــــــا ... لـــــــنمعن فـــــــي الســـــــنا النظـــــــرا

ومـــــــن ترحيبنـــــــا جئنـــــــا ... لنعمـــــــل فـــــــي الهنـــــــا الفِكـــــــرا

فعُـــــــــرسُ اليـــــــــوم أطربنـــــــــا وأحيـــــــــا الـــــــــنفسَ والفِطـــــــــرا

وللعليـــــــــا تقـــــــــدّمْنا نقـــــــــيم الأصـــــــــل والأطـــــــــرا

وجلـــــــــى فـــــــــي خواطرنـــــــــا قلوبـــــــــاً تبتغـــــــــي الظفـــــــــرا

********** **********

فيـــــــا مـــــــن تنشـــــــدون العـــــــز ، هـــــــذا الـــــــدينُ نـــــــاداكم

علـــــــى أوضـــــــاعكم هـــــــذي فلـــــــيس النصـــــــر مـــــــأواكم

فعـــــــز الله لا يـــــــأتي وعشـــــــقُ الـــــــذات منحـــــــاكم

ألا يـــــــا إخـــــــوتي كفـــــــوا خـــــــداعاً فـــــــي زوايـــــــاكم

أفيقـــــــوا علنـــــــا نمضـــــــي وجـــــــدّوا فـــــــي نوايـــــــاكم

نعيـــــــد الـــــــدين والـــــــدنيا وحـــــــب الله مثـــــــواكم

********** **********

أتينـــــــا لـــــــيس تمنعنـــــــا متاهـــــــاتٌ تقطعنـــــــا

فـــــــإن العُجْـــــــب فرّقنـــــــا وإن الحـــــــق يجمعنـــــــا

تعاهـــــــدنا علـــــــى صـــــــلةٍ ورب النـــــــاس يســـــــمعنا

وإن جـــــــوعٌ تعقبنـــــــا فـــــــآي الـــــــذكر تشـــــــبعنا

لنـــــــا فـــــــي الصـــــــبر آيـــــــاتٌ فـــــــلا يـــــــأسُ يُجزعنـــــــا

ونلـــــــتهم العنـــــــا دومـــــــاً فلـــــــيس الزهـــــــوُ ينفعنـــــــا

وننصـــــــح مَـــــــن يلاقينـــــــا ولـــــــو سُـــــــماً تجرعنـــــــا

********** **********

أتينـــــــا نصـــــــحبُ الأخـــــــواتْ لعُـــــــرس كلـــــــه طاعـــــــاتْ

فـــــــلا عُـــــــريٌ ، ولا فســـــــقٌ ولا عطـــــــــــرٌ ، ولا رنـــــــــــات

ويُعلـــــــن مـــــــن مســـــــاجدنا بـــــــه ذكـــــــرٌ ، بـــــــه صـــــــلوات

علـــــــى التوحيـــــــد منشـــــــؤهُ فكـــــــم تليـــــــت بـــــــه آيـــــــات

وكـــــــم ذكـــــــرتْ أحاديـــــــث تحفزنـــــــا علـــــــى الخيـــــــرات!

وأســـــــــــمعنا محاضـــــــــرة أظلتنـــــــا بهـــــــا الرحمـــــــات

وأمتعنـــــــــــا ذراريّنـــــــــا بعـــــــرس كلـــــــه بركـــــــات

****

****

أتينـــــــا نحمـــــــد الـــــــرحمنْ علـــــــى تكريمـــــــه الإنســـــــانْ

نحيـــــــي العُـــــــرس بـــــــالتقوى ونقـــــــري الضـــــــيف والخـــــــلان

ونمـــــــلأ حفلنـــــــا مرحـــــــاً بـــــــوحي الله والقـــــــرآن

ونـــــــدعو النـــــــاس قاطبـــــــة نجلـــــــي الهـــــــدي خيـــــــر بيـــــــان

ونعلـــــــي مـــــــن شـــــــريعتنا ونعلـــــــن طاعـــــــة الـــــــديان

ونفـــــــرض ديننـــــــا فرضـــــــاً علـــــــى الطـــــــاغوت والعُبـــــــدان

ونخـــــــتم عُرســـــــنا بـــــــالآ ي مشـــــــرقة مـــــــن الفرقـــــــان

نقـــــــيم الحُجـــــــة المثلـــــــى علـــــــى الأهلـــــــين والإخـــــــوان

ولا نرضـــــــي الدنيـــــــة فـــــــي تـــــــديُنِنا ، ولا الإيمـــــــان

ونرفـــــــع شـــــــأن مِلتنـــــــا وسُـــــــنة (أحمـــــــدَ) العـــــــدنان

ونحســـــــن للألـــــــى حضـــــــروا وأولـــــــى نحـــــــن بالإحســـــــان

ونشـــــــكرهم ونكْبـــــــرهم وأهـــــــلٌ نحـــــــن للعرفـــــــان

أماه

(يعود تاريخ كتابة هذه القصيدة لسنة 1986م ، وهذا يعني أنها من شعري القديم الذي يسبق مرحلة الإجادة نسبياً. وكنت قد جعلتها كما هي إلا من تعديل بسيط تطلبته الضرورة الفنية. وعندما يغترب الإنسان ويعيش بعيداً عن أمه بوجه خاص وعن عشيرته بوجه عام! وتصبح الكرة في ملعب الوشاة والحاقدين والخراصين ، فحدّث ولا حرج عن الإفك والتخرص والأوهام والأباطيل التي يلفقها هؤلاء عن رجل برئ لقدر من الله تغرب عن أهله يخشى أن يكون له نصيب من سؤال الملائكة يوم القيامة: (إن الذين توفاهمُ الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً). فليخفف هؤلاء الكاذبون الأفاكون من حربهمُ الكلامية وليكفوا عن كيل الاتهامات بالباطل. ولا أقول عن نفسي: (لست بالمُصِر!) ولكن يعلم ربي بالنية والقصد والسبب الذي من أجله كان الاغتراب. ويشهد ربي على الأعمال والأقوال والدموع والتضرع إليه وحده ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً. إن عوامل كثيرة ساعدت على هذا المصير. وإنني إذ أقدم لهذه القصيدة لا أكاد أجد من الكلمات التي بها أصدر لهذه القصيدة. فليكن عزائي أنني عنونت لها بـ (أماه). إنه ساعة يتذكر إنسان ما اللحظات الأولى في حياته عندما أخرجه الله وليدا من بطن أمه ، وطبيعي أنه لا يتذكرها بل يحكيها له الذين شهدوها ، وتحكيها بكل صدق وشفافية وصراحة الأم لأنها عاشتها لحظة بلحظة وثانية بثانية! ويتذكر مع هذه الذكرى المحكية له ذكريات تربيته التي مهما أدى لأمه من بر وجميل ومعروف ما أدى جميلها عليه ولا بزفرة من زفرات المخاض! وعلى وجه العموم فإن الأم تظل تحب ولدها أكثر من أي أحد! وهذا رجل يماني يطوف بالبيت ، يحمل أمه العجوز على ظهره ، ويطوف بها بالبيت ، من منا يفعل هذا؟ ومن منا يتصور هذا قبل أن يفعله؟ يحمل أمه على ظهره ثم يطوف حول البيت ، هل وصلنا بالبر إلى هذا المستوى؟ هل وصلنا بطاعة الوالدين وحبهما إلى هذه الدرجة؟ يحملها على ظهره فيطوف بالبيت! فيرى ابن عمر ذلك الرجل الصحابي الفقيه ، فقال له: (يا ابن عمر ! أتراني جزيتها؟ - تراني بهذا الفعل جزيت حق أمي وأرجعت لها الحقوق؟ - فقال له ذلك الرجل العالم ابن عمر: لا. ولا بزفرة من زفراتها ، ولا بطلقة من طلقاتها حين وضعتك من بطنها). وهذه قصة يرويها أحد بائعي المجوهرات يقول: دخل عليَّ في المحل رجل ومعه زوجته ، وخلفه أمه العجوز تحمل ولده الصغير! أربعة دخلوا في المحل ، يقول: وأخذت زوجته تشتري من المحل ، وتشتري من الذهب ، وتأخذ من المجوهرات ، ثم قال له هذا الرجل للبائع: كم حسابك؟ فقال له: عشرون ألف ريال ومائة! فقال هذا الرجل: ومن أين جاءت هذه المائة؟ نحن حسبناها عشرين ألف ، من أين هذه المائة ريال؟ من أين جاءت؟ قال: أمك العجوز اشترت خاتماً بمائة ريال ، قال: أين هذا الخاتم؟ قال: هو ذا ، فأخذ ابنها الخاتم ثم رماه إلى البائع ، وقال: العجائز ليس لهن الذهب ، ثم لما سمعت العجوز تلك الكلمات ، بكت وذهبت إلى السيارة ، فقالت زوجته: يا فلان! ماذا فعلت؟ لعلها لا تحمل ابنك بعد هذا. لعلها لا تحمل لنا الابن ، كأنها أصبحت خادمة ، فعاتبه بائع المجوهرات ، ثم ذهب إلى السيارة وقال لأمه: خذي الخاتم إن كنت تريدين ، خذي هذا الذهب إن أردتيه ، فقالت أمه: لا والله لا أريد الذهب ، ولا أريد الخاتم ، ولكني أردت أن أفرح بالعيد كما يفرح الناس ، فقتلت سعادتي سامحك الله! سامحك الله يا ولدي! (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) فبعد التوحيد والعبادة ، ماذا يا ربنا؟ (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ). عموماً هذه القصيدة أنا

غير راض عنها تمام الرضا! ولكنني أوردها كما كتبتها في بدايات كتابتي للشعر العربي! وإن بدا عليها بعض آثار الضعف الفني ، ولكنني فخور بها أنها محاولة في بداية الطريق!)

أمـــــاه شمســـــي فـــــي حيـــــاءٍ أشـــــرقتْ ... أمـــــاه روحـــــي للحنايـــــا أرجعـــــتْ

أمـــــاه قـــــد زال النـــــوى ، لا تعجبـــــي ... أمـــــاه والزهـــــرات نـــــوراً أينعـــــت

أمـــــاه قـــــد حـــــل الهنـــــاء بـــــدارنا ... أمـــــاه والأحـــــزانُ فـــــي سِـــــر نـــــأت

أمـــــاه والجـــــلاد ولـــــى مـــــدبراً ... والســـــوط ولـــــى والأعاصـــــير انجلـــــت

أمـــــاه والأشـــــباح باتـــــت أنجمـــــاً ... فينانـــــة خجلـــــى ، وتزهـــــو كالجَمَشْـــــت

أمـــــاه والأقمـــــار طلـــــت مـــــن عـــــل ... والنـــــور فـــــي سُـــــبُحاتها لا يلتفـــــت

أمـــــاه والأطيـــــافُ قالـــــت تشـــــتكي: ... خـــــل العنـــــا ، إن العـــــزائم لـــــم تمـــــت

أمـــــاه والســـــيافُ جـــــاثٍ ســـــيفه ... فـــــي غمـــــده أعطافـــــه قبـــــلُ ارتـــــوت

أمـــــاه والصـــــقارُ جـــــار دمعـــــه ... يبكـــــي صـــــقوراً للضـــــواحي فارقـــــت

أمـــــاه والســـــجان خـــــاو ســـــجنه ... حيطانـــــه كـــــم للأماجـــــد قـــــد أوت!

أمـــــاه أســـــرعت الخطـــــا للنـــــور ، لا ... أخشـــــى جهـــــالاتِ الظـــــلام المنفلـــــت

حتـــــى شـــــباك الـــــرمس ملـــــت غزلهـــــا ... وكأنمـــــا هـــــي بالتضـــــجر جـــــاهرت

حتـــــى رعـــــود الأمـــــس داعبهـــــا الهـــــوى ... فـــــوق الجـــــوى للنائبـــــات اســـــتعطرت

والنـــــورس الفضـــــي حلـــــق فـــــي الفضـــــا ... يحـــــتج لـــــو أترابـــــه زمَـــــراً أتـــــت

أمـــــاه إنـــــي صـــــابرٌ متصـــــبرٌ ... أهفـــــو إلـــــى شـــــمس بكربـــــي أشـــــرقت

مهمـــــا أرى ، مهمـــــا جـــــرى ، مهمـــــا بـــــدا ... مهمـــــا ألاقـــــي مـــــن حيـــــاةٍ قـــــد عصـــــت

أمـــــاه لا ، لليـــــأس ، للأتـــــراح لا ... للكـــــرب للأحـــــزان لا مهمـــــا حلـــــت

قلـــــبٌ كقلبـــــي لا يســـــليه الأســـــى ... روحٌ كروحـــــي لا يزكيهـــــا شـــــمت

نفـــــسٌ كنفســـــي هـــــل يـــــداوي جرحهـــــا ... وهـــــمٌ بـــــه الأســـــقام والعـــــدوى انـــــزوت؟

والـــــــنفسُ إن ضـــــــلت ينـــــابيع الهـــــدى ... أو باعـــــت التقـــــوى بـــــدنيا قـــــد عمـــــت

والـــــــروحُ لـــــو للـــــنفس تحيـــــا عمرهـــــا ... مـــــأجورة للشـــــر فـــــي نـــــار هـــــوت

أمـــــــا إذا عاشـــــــتْ لتعبـــــــد ربهـــــــا ... فـــــازت بـــــآخرةٍ ، وســـــادت لـــــم تمـــــت

لا يـــــأس إن دمعـــــتْ عيـــــوني ســـــاعة ... حتـــــى تـــــرى فـــــي الأفـــــق أطيـــــاراً شـــــدت

لا ضـــــير إن غابـــــت غرابيـــــبُ الفضـــــا ... حتـــــى تـــــرى غِيـــــداً بـــــه قـــــد حلقـــــت

هيهـــــات أن يطغـــــى الفتـــــى مترســـــلاً ... ويـــــروم جنـــــاتٍ بـــــأخراهُ انتشـــــت

أمـــــاه ســـــاعاتي هنـــــا معـــــدودة ... وعقـــــاربُ الســـــاعات فـــــي الأيـــــدي جـــــرت

إنـــــــي إذا راقبتهـــــــا ألفيتهـــــــا ... تســـــعى تلـــــوك الوقـــــت ليســـــت تلتفـــــت

أمـــــاه لـــــو عمـــــر الفتـــــى أغـــــرودة ... مـــــا كـــــان أن تلقـــــى لهـــــا أذنـــــاً صـــــغت

لكنمـــــا شـــــيطانه أوحـــــى لـــــه ... أن الخلـــــود لذاتـــــه روحٌ ســـــمت

أيامنـــــا أعمارنـــــا نحيـــــا بهـــــا ... أفراحنـــــا وجراحنـــــا هـــــذي انقضـــــت

أمـــــا عـــــن الـــــدنيا فيكفـــــي أنهـــــا ... مضـــــمونها يومـــــان: يـــــومٌ أقبلـــــت

ثـــــم انقضـــــى إقبالهـــــا فـــــي برهـــــةٍ ... وتـــــلاهُ يـــــومٌ قبـــــل أن يـــــأتي جلـــــت

دنيـــــاك يـــــا إنســـــانُ لا تـــــأمن لهـــــا ... غـــــرّت كثيـــــراً مـــــن نفـــــوس أوغلـــــت

كـــــم ذا يـــــذوق المـــــرء فيهـــــا مـــــن شـــــقا ... ويـــــذوق كيـــــد القـــــوم فيهـــــا والعنـــــت!

والخيـــــر كـــــل الخيـــــر فـــــي إهمالهـــــا ... يـــــا ليـــــت قلبـــــي منـــــك يـــــا دنيـــــا انفلـــــت

والخيـــــر كـــــل الخيـــــر فـــــي درب الهـــــدى ... وجـــــزاء هـــــذا جنـــــة قـــــد أزلفـــــت

ما لا أستطيع فهمه!

(الصراع بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين الرشاد والغي ، وبين الخير والشر ، لا ينتهي إلى الأبد. وتلك إرادة الله تعالى وقدره. يقول الله – عز وجل -: (ألم أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ويقول: (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن المنافقين). وتاريخنا ملئ بالحكايا المشرّفة في لقاء الحق والباطل. وفي كل جولة من جولات الصراع يكتب الله النصر والغلبة والتمكين للحق. ولكن لكلاحة الباطل وعماه وعمى أهله ليس يدرك وليس يرى وأهله حقائق الأشياء. فيستمر في عناده ولجاجه يزعم أنه يمكن أن ينتصر في النهاية. وهي حرب خاسرة ولكن لا فائدة ولا اعتبار ولا وعي. روى صاحب إحياء علوم الدين بإسناده في الجزء الخامس ص 54 أنه جئ بالعالم الجليل حطيط الزيات إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، فلما دخل عليه قال له الحجاج: أأنت حطيط؟ فقال: نعم! وسل عما بدا لك ، فإني عاهدتُ ربي عند مقام إبراهيم – عليه السلام – على ثلاث خصال: إن أنا سُئلت لأصدقن ، وإن أنا ابتليتُ لأصبرن ، وإن أنا عُوفيتُ لأشكرن. فقال الحجاج: فما تقول فيّ يا حطيط؟ فقال: أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة. فقال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ فقال: أقول إنه أعظم جرماً منك ، وإنك خطيئة من خطاياه. فأمر الحجاج أن يصبوا عليه العذاب صباً! فانتهى به العذاب إلى أن شقت له القصب ، ثم جعلوها على لحمه وشدوه بالحبال ، ثم جعلوا يمدون (أي يستلون) قصبة قصبة ، حتى انتحلوا لحمه ، فما سمعوه يقول شيئاً ، فقيل للحجاج: إنه في آخر رمق من حياته! فقال: أخرجوه فارموا به في السوق. قال جعفر وهو الراوي: فأتيته أنا وصاحب له ، فقلنا: يا حطيط ألك حاجة. فقال: شربة ماء. فأتياه بشربة ماء فشربها ثم استشهد. وكان عمره ثماني عشرة سنة – رحمه الله -. وهذه قصة مؤثرة نحتاج إليها اليوم في مواجهة من خلفوا الحجاج وأخذوا مكانه وساروا على نهجه في التنكيل بالمؤمنين وامتحانهم – على الحجاج ومن خلفوه وساروا على نهجه ما يستحقون من الجبار المنتقم -. لقد كثرت حوادث الردة والنكوص على الأعقاب ، والانتكاسات حتى بين بعض العاملين للإسلام مما يحمل المسلم على الخوف من أمثال تلك المصائر ، ويتلمس وسائل الثبات للوصول إلى برٍ آمن. إنه القلب الذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم في شأنه: «لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلياً». رواه أحمد والحاكم ، وهو في السلسلة الصحيحة. ويضرب عليه الصلاة والسلام للقلب مثلاً آخر فيقول: «إنما سمي القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن» رواه أحمد وهو في صحيح الجامع. وما هو أثر قول الله عز وجل: {أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ} ، في نفوس المؤمنين لمّا قال المنافق: "ائذن لي ولا تفتني"؟ أليس تثبيتاً على تثبيت ، وربطاً على القلوب المؤمنة ، ورداً على الشبهات ، وإسكاتاً لأهل الباطل؟ بلى وربي. ومن العجب أن الله يعِد المؤمنين في رجوعهم من الحديبية بغنائم كثيرة يأخذونها (وهي غنائم خيبر) ، وأنه سيعجلها لهم وأنهم سينطلقون إليها دون غيرهم ، وأن المنافقين سيطلبون مرافقتهم وأن المسلمين سيقولون لن تتبعونا وأنهم سيصرون يريدون أن يبدلوا كلام الله وأنهم سيقولون للمؤمنين بل تحسدوننا وأن الله أجابهم بقوله: {بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا}! ثم يحدث هذا كله أمام المؤمنين مرحلة بمرحلة وخطوة بخطوة وكلمة بكلمة.)

هـــــاجَ كربـــــي ، واستصـــــرخ المِحـــــرابُ والقلـــوبُ - مـــن خـــوف ربـــي - خـــرابُ

بـــــات شـــــهمٌ فـــــي جرحـــــه يتلـــــوى ... وكفـــــورٌ تحميـــــه منـــــا ذئـــــاب

والتقـــــيّ أمســـــى يـــــئنّ ويبكـــــي ... مزقتـــــه ثعالـــــبٌ وكِـــــلاب

حـــــار عقلـــــي ، كيـــــف الجبـــــان يهـــــاجي ... ويعـــــادي مـــــن للمليـــــك أنـــــابوا؟

ســـــتزول دنيـــــاك يـــــا غِـــــر يومـــــاً ... هـــــذه الـــــدنيا لـــــو فقهـــــت ســـــراب

أعلـــــى التوحيـــــد ليـــــثٌ هصـــــورٌ ... وعلـــــى التضـــــليل شـــــهدٌ مـــــذاب؟

أحســـــامٌ – علـــــى الـــــدعاة - مبيـــــرٌ ... ولـــــه فـــــي لحـــــم الهـــــدى أنيـــــاب؟

صـــــوته – فـــــي التجـــــريح – عـــــال جهيـــــرٌ ... كنعيـــــق قـــــد افتـــــراه غـــــراب

ولـــــه أجنـــــادٌ تـــــذل وتـــــردي ... والـــــدواهي أســـــيافهم والحِـــــراب

ولـــــه أحـــــزابٌ تـــــذر البلايـــــا ... إنهـــــم – عنـــــد الملتقـــــى - أضـــــراب

ســـــخرتهم – للانتقـــــام - الطـــــواغي ... فـــــإذا هـــــم – للعائـــــدات - أجـــــابوا

نفـــــذوه ، لمّـــــا يقولـــــوا: حـــــرامٌ ... وتمـــــادَوْا حتـــــى بكـــــى المحـــــراب

وحطـــــيط قـــــد عاهـــــد الله عهـــــداً ... ولـــــه – فـــــي صـــــدق الوفـــــا - أســـــباب

لـــــم يقـــــل: وحـــــدي تحتـــــويني المنايـــــا ... وأنـــــا معـــــذورٌ لأنـــــي شـــــباب!

لـــــم يصـــــرّحْ: أحببـــــتُ ليلـــــى ولبنـــــى! ... أو ســـــبتْ قلبـــــي والحنايـــــا عِتـــــاب!

أو شـــــغِلتُ بهيئتـــــي وجمـــــالي ... وأنـــــا تســـــعى خلـــــف ظلـــــي رَبـــــاب!

لـــــم يقـــــل: إنـــــي قـــــد عشـــــقتُ ومثلـــــي ... يشـــــتكي الحـــــب ، فـــــالهوى غـــــلاب

لـــــم يقـــــل: عـــــذراً قـــــد شـــــغلتُ بمـــــالي ... درهمـــــي – فـــــي دنيـــــا الـــــورى – الأصـــــحاب!

إننـــــي – بالمـــــال الـــــوفير - أســـــاوي ... والفقيـــــر – لـــــدى الأنـــــام - تـــــراب

لـــــم يقـــــلْ: إنـــــي لســـــتُ أملـــــك شـــــيئاً ... وعلـــــى مـــــا قـــــد قلـــــت لســـــتُ أعـــــاب

لـــــم يقـــــلْ: إنـــــي لســـــتُ أملـــــك جنـــــداً ... لأعـــــاديْ مـــــن قـــــد تعـــــامَوا وخـــــابوا

يـــا حطـــيط التقـــوى كفـــاك افتخـــاراً ... أن صـــدعت بـــالحق ، أنـــت مهـــاب

ثـــم للحجـــاج المكـــابر يـــومٌ ... فيـــه تلغـــى الأحســـابُ والأنســـاب

يُنصَـــب الميـــزانُ الـــذي لا يُحـــابي ... وإلـــى النـــار تفـــتح الأبـــواب

ويعـــود الحـــق البـــرئ مُعـــافىً ... بعـــدما أرداه الهـــوى والمُصـــاب

أنـــت فـــي (إحيـــاء العلـــوم) مُســـجّىً ... كـــل مـــا قـــد أبـــدعتَ فيـــه صـــواب

عنـــك يحكـــي جيـــلٌ لجيـــل ســـجايا ... ســـيرة لا ، لـــم يـــدخرْها كتـــاب

إنمـــا إشـــراقٌ يـــروح ويغـــدو ... أتـــراه يـــردي ضـــياه الغيـــاب؟

مـــا لهـــذا الحجـــاج يكـــره صـــدقاً؟ ... كيـــف يعلـــو – فـــي داره – الكـــذاب؟!

بهـــواه كـــم قـــد أذل وأخـــزى! ... لفظتـــه الأعجـــامُ والأعـــراب

واســـتباح الأعـــراضَ مـــن غيـــر حـــق ... وكـــأن الأعـــراضَ هـــذي ذبـــاب

أيهـــا (الزيّـــاتُ) الكـــريمُ تصـــبّرْ ... فـــإلى الجبـــار العزيـــز مـــآب

طمـــئن الـــنفسَ ، إن ربـــك عـــدلٌ ... عنـــده لا ، لـــن تنفـــع الألقـــاب

وســـيلقى جـــزاءه كـــل وغـــدٍ ... وتجـــرّ - مـــن خلفـــه - الأذنـــاب

تعـــس الظلـــم! كـــم أبـــاد ضـــحايا! ... كـــل جـــوْر لـــه مَـــدىً وحســـاب

يـــا حطـــيط عليـــك رحمـــة ربـــي ... طبـــتَ فـــيمن قـــد علمونـــا وطـــابوا

شموعٌ ودموع (الحجاج وسعيد)

(في المجموع يعلق شيخ الإسلام ابن تيمية على آية سور الحديد: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهمُ الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) بقوله – رحمه الله -: (ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد! كتابٌ يهدي به وحديدٌ ينصره ، فالكتاب به يقوم العلم والدين ، والميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية المقبوضة ، والحديد تقوم به الحدود على الكافرين والمنافقين. ولهذا كان في الأزمان المتأخرة الكتاب للعلماء والعُباد ، والميزان للوزراء والكتاب وأهل الديوان ، والحديد للأمراء والأجناد. والكتاب له الصلاة ، والحديد له الجهاد ، ولهذا كان أكثر الآيات والأحاديث النبوية في الصلاة والجهاد).هـ. والحقيقة أنني عندما أطالع قصة سعيد بن جبير – رحمه الله – مع الحجاج بن يوسف – عليه من ربه ما هو أهله – أشعر ببراءة الشموع وبذلها وعطائها ، وهي تحترق لتضئ الدروب للآخرين في مجاهيل الأرض وغياهيب المذاهب والأفكار والتصورات في دهاليز الجاهلية ، وأشعر بالغصة في حلقي من الظلم الذي يكاد يمحق نور الوحي ويستأصل يواقيت الحنيفية السمحة ، وتنهمر الدموع على وجنتيّ وأنا الضعيف الذي لا يملك حولاً ولا طولاً ، إلا الدعاء ، ونسأل الله أن ينصر من نصر الإسلام وأهله وأن يخذل من خذل الإسلام وأهله! والقصة بتمامها في وفيات الأعيان ج371/2 لمن أراد مطالعتها! قال ابن جرير: (قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير ، وكان سبب ذلك أن الحجاج كان قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رتبيل ملك الترك ، فلما خلعه ابن الأشعث خلعه معه سعيد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى أصبهان ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها ، ثم كان يعتمر في كل سنة ويحج! ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله القسري ، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها ، فقال سعيد: والله لقد استحييت من الله مما أفر ولا مفر من قدره؟ وتولى على المدينة عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود ، فتعلم منه خالد بن عبد الله القسري ، فعين من عنده من مكة سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وطلق ابن حبيب ، ويقال إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواماً من أهل الشقاق ، فبعث خالد بهؤلاء إليه ثم عفا عن عطاء وعمرو بن دينار لأنهما من أهل مكة وبعث بأولئك الثلاثة ، فأما طلق فمات في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سعيد بن جبير فلما أوقف بين يدي الحجاج قال له: يا سعيد ألم أشركك في أمانتي؟ ألم أستعملك؟ ألم أفعل؟ ألم أفعل؟ كل ذلك يقول: نعم حتى ظن من عنده أنه سيخلي سبيله! حتى قال له: فما حملك على الخروج عليّ وخلعت بيعة أمير المؤمنين ، فقال سعيد: إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك وعزم علي ، فغضب عند ذلك الحجاج غضباً شديداً ، وانتفخ حتى سقط طرف ردائه عن منكبه ، وقال له: ويحك ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى ، قال: ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية ، قال: بلى! قال فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك؟ يا حرسي اضرب عنقه. قال: فضربت عنقه فبدر رأسه عليه لاطئة صغيرة بيضاء ، وقد ذكر الواقدي نحو هذا ، وقال له: أما أعطيتك مائة ألف؟ أما فعلت أما فعلت. قال ابن جرير: فحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل ، قال: سمعت خلف بن خليفة ، يذكر عن رجل قال لما قتل الحجاج سعيد بن جبير فندر رأسه هلل ثلاثاً مرة يفصح بها ، وفي

الثنتين يقول: مثل ذلك لا يفصح بها. وذكر أبو بكر الباهلي قال: سمعت أنس بن أبي شيخ يقول: لما أتي الحجاج بسعيد بن جبير قال: لعن ابن النصرانية ـ يعني خالد القسري وكان هو الذي أرسل به من مكة ـ أما كنت أعرف مكانه ، بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد ما أخرجك علي؟ فقال: أصلح الله الأمير أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب أخرى ، فطابت نفس الحجاج وانطلق وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ثم عاوده في شيء ، فقال سعيد: إنما كانت بيعة في عنقي ، فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله. وذكر عتاب بن بشر ، عن سالم الأفطس ، قال: أتي الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجليه في الغرز ، فقال: والله لا أركب حتى تتبوأ مقعدك من النار ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه. قال: والتبس الحجاج في عقله مكانه فجعل يقول: قيودنا قيودنا فظنوا أنه يريد القيود التي على سعيد فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود. وقال محمد بن أبي حاتم ، ثنا عبد الملك بن عبد الله ، عن هلال بن خباب ، قال: جيء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال: كتبت إلى مصعب بن الزبير؟ فقال: بلى كتبت إلى مصعب ، قال: لا والله لأقتلنك ، قال: إني إذا لسعيد كما سمتني أمي ، قال: فقتله فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً ، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدو الله فيم قتلتني؟ فيقول الحجاج: ما لي ولسعيد بن جبير ، ما لي ولسعيد بن جبير؟ قال ابن خلكان: كان سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة كوفياً أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللون ، وكان لا يكتب على الفتيا فلما عمي ابن عباس كتب ، فغضب ابن عباس من ذلك وذكر مقتله كنحو ما تقدم ، وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل قبل بستة أشهر ، وذكر عن الإمام أحمد أنه قال: قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج ـ أو قال مفتقر ـ إلى علمه ويقال: إن الحجاج لم يسلط بعده على أحد. قال ابن جرير: وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين بن زين العابدين ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن جبير من أهل مكة).هـ. وهناك رواية مشهورة أن حواراً تقشعر منه القلوب دار بينهما (أي بين الحجاج وسعيد) حيث قال له الحجاج: ما اسمك؟ فأجاب سعيد: سعيد بن جبير. فقال الحجاج: بل أنت شقي بن كسير . فقال سعيد: بل كانت أمي أعلم باسمي منك! فقال: شقيت وشقيتْ أمك. فقال سعيد: إنما الغيب يعلمه الله. فقال الحجاج: لا بد لك بالدنيا نار تلظى. فقال سعيد: لو علمتُ أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها. فقال الحجاج: فما قولك في محمد؟ فقال سعيد: نبي الرحمة وإمام الهدى – صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعه وسلم ـ. فقال الحجاج: فما قولك في علي ، أهو في الجنة أم في النار؟ فأجاب سعيد: لو دخلتها وعرفت من فيها لعرفت أهلها. فقال الحجاج: فما قولك في الخلفاء؟ فقال سعيد: لست عليهم بوكيل! فقال الحجاج: فأيهم أعجب إليك؟ فقال سعيد: أرضاهم للخالق – عز وجل ـ. فقال الحجاج: فأيهم أرضى للخالق؟ فأجاب سعيد: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم. فقال الحجاج: أحب أن تصدقني. فقال سعيد: إن لم أحبك لم أكذبك. فقال الحجاج: إذن فما بالك لم تضحك؟ فقال سعيد: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين ، والطين تأكله النار؟ فقال الحجاج: فما بالنا نضحك؟ فقال سعيد: لم تستو القلوب. ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت ، فجمعه بين يديه. فقال سعيد: إن كنت جمعت هذا حتى تتقي به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير في شئ من الدنيا إلا ما طاب وزكا. ثم دعا الحجاج بالعود والناي ، فلما ضرب بالعود ونفخ بالناي بكى سعيد. فقال الحجاج: ما يبكيك؟ أهو اللعب؟ فقال سعيد: هو الحزن ، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم ينفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت من غير حق ، وأما الأوتار فمن الشاة تبعث

يوم القيامة. فقال الحجاج: ويلك يا سعيد. فقال سعيد: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة. فقال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك بها؟ فقال سعيد: اختر لنفسك أنت ، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة. فقال الحجاج: أتريد أن أعفو عنك؟ فقال سعيد: إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر. فعندئذٍ قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج ضحك سعيد. فأخبر الحجاج بذلك فقال: ردوه عليّ! فلما ردوه قال: ما أضحكك؟ فقال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك. فأمر الحجاج بالنطع فبسط ، وقال: اقتلوه. فقال سعيد: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. فقال الحجاج: وجهوه لغير القبلة. فقال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله. فقال الحجاج: كبّوه على وجهه. فقال سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى. فقال الحجاج: اذبحوه. فقال سعيد: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة ، وتوجه سعيد بعدها بالدعاء قائلاً: اللهم لا تسلطه على أحدٍ يقتله بعدي. والحمد لله الذي استجاب دعوته ومات ولم يقتل أحداً بعد سعيد. وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وعن مفهوم البطولة في الإسلام يقول الكاتب: د. أحمد بن عبدالعزيز الحصين ما نصه: (إن تاريخ الإسلام زاخر بأحداث البطولة التي امتدت عبر مراحله المتصلة دون توقف ، وهي في صورها القريبة لا تنفصل في مفهومها عن صورتها الأولى ، وكلها تستمد وجودها من مفهوم أساسي واضح ، هو القيام بدور يدفع الأمة الإسلامية نحو تحقيق أهداف الإسلام الكبرى. وتتسم البطولة في الإسلام بطابع عملي إيجابي ، ومن هنا كان البطل في الإسلام دائماً خادماً لمجتمعه وفكرته وأمته ، يؤمن حق الإيمان بأن عمله مقدور في ميزان العمل الصالح عند الله تعالى ، ثم عند المؤمنين على تعاقب الأجيال ، ومن هنا فهو لا يتطلع إلى الجزاء المادي أو المغنم أو الشهرة. فتحقيق العبودية الصادقة جعل من القلة المؤمنة في غزوة بدر قوة رهيبة قهرت عظائم الأحداث ، وأصبحت قانوناً خالداً ينظم حياة المسلمين على أصول الرسالة الخاتمة ، ويضيء أرواح وعقول الرجال المسلمين على مر العصور بالعبر المنهجية ؛ فالصدق والإخلاص في العمل لله وحده لا شريك له يفتح بصيرة المجاهدين حتى يروا ما أعد الله تعالى للشهداء في سبيله ، وهم بعد أحياء يمشون على الأرض. وجاءت غزوة أحد ، فكانت إصابات المسلمين في أنفسهم وفي جراحات النبي صلى الله عليه وسلم أعظم درس تربوي ممحص للمسلمين ليعرفوا وخيم عاقبة مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفة أمره عموماً ، ولا سيما إذا علموا أنهم مختارون ليكونوا حملة الإسلام إلى الناس في أقطار الأرض ؛ لذلك بيّن لهم خطورة الاختلاف وحب الدنيا وإرادتها ، وأن ذلك هو السبب فيما حل ويحل وسيحل بالمسلمين ، والله تعالى يقول: {ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين}. نعم ، لقد نصرهم الله تعالى على عدوهم إلى أن كان منهم الفشل والتنازع وعصيان بعضهم لأمر القائد صلى الله عليه وسلم ، عند ذلك تبدل النصر إلى هزيمة ؛ وفي هذا إيماء إلى سُنة من سُنن الله عز وجل في أخلاق البشر وأعمالهم على المستوى الفردي أو الجماعي ، وهي أن المصائب التي تعرض للمسلمين في خاصة أنفسهم أو في شؤونهم العامة ، إنما هي آثار طبيعية لبعض أعمالهم ، ولكن الله تعالى قد يعفو عن بعض الأعمال التي لا أثر لها في النفس ، وليست ملكة ولا عادة لها ، بل صدرت هفوة غير متكررة ، وهي التي عناها سبحانه وتعالى بقوله: {ويعفو عن كثير}).هـ. أما ابن جبير فقد مات! وأما الحجاج بن يوسف فقد مات! والدنيا ليست نهاية المطاف! وعند الله سبحانه وتعالى تجتمع الخصوم! وكل عبد له كتاب مسطرة فيه أعماله وأفعاله وأقواله!

يقول الله عز وجل: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين). وأرى أن هذا النص عزاء من الله لكل مظلوم! والآن لنقرأ النص!)

فـــي قلبـــك النـــورُ ، فاقـــذف كبـــة اللهـــبِ ... وأدّب الظلـــم ، وامحـــقْ جوقـــة الريـــبِ

وقـــدّم الـــروحَ للـــرحمن خالقهـــا ... فِـــدا الحنيفـــة ، واقمـــعْ نزغـــة الرهـــب

وأرخـــص الـــنفسَ ، إن الكـــل مرتحـــلٌ ... وأمهـــر الحُـــور ، إن الحـــور فـــي طـــرب

وجمّـــل البـــذل بـــالأفراح منتشـــياً ... قصـــيدة أنـــت تزكـــي دوحـــة الأدب

قصـــيدة بالـــدم الفـــوّاح أنســـجُها ... وأبـــذر الشـــعر فـــي بُحبوحـــة اللهـــب

وأزرعُ النـــور فـــي بيـــدائها غـــرداً ... لـــيعلم النـــاس مـــا فـــي الـــنفس مـــن عجـــب

كأنـــك الـــنجمُ - فـــي الأفـــلاك - مبتســـماً ... تقابـــلُ الزيـــفَ والبهتـــانَ بالشـــهب

أنـــت الســـعيد ، ونحـــن الحـــزنُ حطمنـــا ... فقـــد غرقنـــا ببحـــر اللهـــو واللعـــب

وكـــم هُزمنـــا ، وفـــل الحـــرصُ هيبتنـــا! ... غـــاب الإبـــاءُ ، وعنـــا الـــذل لـــم يغـــب

عـــدوّنا - بقيـــود الـــوهم - كبّلنـــا ... ونحـــن نوسِـــعه بالشـــعر والخطـــب

طغـــتْ علينـــا ســـيوفُ الغـــدر جائلـــة ... تخضّـــب الأرضَ بالرئبالـــة النجُـــب

يـــا ابـــن الجبيـــر لـــك التبيـــانُ مبتشـــرٌ ... وعنـــدك الحجـــة العصـــماء فـــي الغلـــب

بلاغـــة مـــن كتـــاب الله عُـــدتها ... تبختـــرتْ فـــي ســـنا أصـــدائها القشـــب

وأفحمـــتْ صـــولة الحجـــاج فـــي شـــرفٍ ... وودّعـــتْ غصـــص الآهـــات والكُـــرب

وخلفتـــه صـــريعاً وسْـــط جوقتـــه ... رغـــم المكانـــة والأســـياف واليَلـــب

ورغـــم جنـــدٍ دمـــاءُ الحـــق شـــرْبتهم ... تســـلحوا بســـهام الكيـــد والقضـــب

قـــد مُكنـــوا مـــن رقـــاب الصِـــيد فافترســـوا ... لحـــم الهدايـــة ، هـــذا منتهـــى الطلـــب

يـــا ابـــن الجبيـــر لـــديك العِـــز مبتشـــرٌ ... فيـــه الرجـــاءُ - بنصـــر الله - لـــم يخِـــب

أجبـــت كـــل ســـؤال دون توريـــةٍ ... فكـــل ردٍ لـــه رســـمٌ مـــن الـــذهب

لـــم تتخـــذ رخصـــاً بـــالرغم قـــد ســـهلتْ ... لأن قلبـــك لـــم يضـــعفْ ولـــم يَهـــب

فلـــم تعـــرّضْ ، ولـــم تعمـــدْ إلـــى كـــذب ... وإن كـــذبت فمـــا قـــد قلـــت بالكـــذب

لأنهـــا حِيـــلٌ - فـــي الشـــرع - جـــائزة ... تعمـــي عـــدواً لكـــم فـــاقوا أبـــا لهـــب

لكـــنْ أخـــذت بعـــزم فـــي مواجهـــةٍ ... مثـــل الـــذي حـــار فـــي الأحـــوال والســـبب

يـــا ابـــن الجبيـــر ومـــن فـــي النـــاس مـــثلكمُ؟ ... واجهـــت لمّـــا تخـــفْ مـــن شـــر منقلـــب

والعـــزمُ قـــادك نحـــو الخلـــد ، أحســـبكم ... كنـــت الشـــهيد ، وهـــذا أعظـــم اللقـــب

أقـــدمْ تـــر العلـــم فـــي أيامنـــا ســـببٌ ... لنيـــل قـــوتٍ ، وهـــذا أعـــذبُ الرغـــب

بـــات التكســـبُ بالفرقـــان منقبـــة ... بضـــاعة مـــا لهـــا فـــي الســـوق مـــن عطـــب

أهـــل العمالـــة للأقـــوات قـــد ضـــمنوا ... كـــذاك حـــازوا مـــن التكـــريم والرتـــب

وشـــهوة الجســـم مرمـــاهم وغـــايتهم ... وقـــد أجـــادوا علـــوم الحبـــك والهـــرب

تظـــاهروا بخِـــلال الصـــدق ، فانكشـــفوا ... لأنهـــم جوقـــة التضـــليل والشـــغب

لمّـــا الموائـــدُ مُـــدت كلهـــم رتعـــوا ... وعظمـــوا – فـــي البرايـــا – كـــل ذي حســـب

ولـــم يخـــافوا مـــن الجبـــار أخذتـــه ... لكـــنهم وقفـــوا للحـــق كالخشُـــب

ولـــم يراعـــوا لهـــدي الله مـــن حُـــرُم ... فجَرّعـــوا مـــن دعـــا مـــرارة النـــوب

يـــا ابـــن الجبيـــر وهـــذا الخـــذل طـــابعهم ... هـــم فـــي الحضـــيض ، وأنـــتم فـــي ذرى الســـحب

أجـــارك الله مِـــن أوضـــاع مَـــن فجـــروا ... هـــمُ الـــذئاب ، وبـــين النـــاس كالـــدبب

(القرآن كتاب الله عز وجل وكلامه. يرفع الله به أقواماً لأنهم علموه وعملوا به ، ودعوا إليه ، وحرّموا حرامه وأحلوا حلاله ، وجاهدوا به من خرج على أوامره. استقوا منه المعايير والموازين والمقاييس والضوابط والقواعد. وصالحوا عليه وخاصموا عليه ولم يخرجوا على نصوصه. ويخفض الله بهذا الكتاب أقواماً آخرين كانوا على النقيض من ذلك كله! لم يعلموه ، ولم يعملوا به ، ولم يدعوا إليه ولم يحرموا حرامه ، ولم يحلوا حلاله ، ولم يجاهدوا به ولم يستقوا منه معايير ومقاييس وقواعد حياتهم ، ولا استنبطوا منه عاداتهم ولا تقاليدهم ولا أعرافهم ، ولم يصالحوا إذا صالحوا عليه ، ولم يخاصموا إذا خاصموا عليه. بل أهدروا حرمته وعطلوا شريعته. فشتان بين القوميين العلمانيين الدهريين الدنيويين وبين المؤمنين الموحدين المخلصين! وكلما طالعت قصة المرأة المتحدثة بالقرآن مع عبد الله بن المبارك ازداد عجبي ووصلت دهشتي إلى ذروتها. وودتُ لو رأيت في عصري مثلها ، وتمنيت لو كان لي ابنة مثلها! وإنها لأعجوبة زمانها ولا شك! وخبرها يملأ الكتب والدواوين! وصدق فيها قول الشاعر الذي وجد في امرأة ما عجز عنه الرجال: (ولو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال). وقبل أن أورد القصة أحب هنا أن أشير إلى أنه دار جدل كبير عن هذه القصة! ورأييي أن الجدل إن دار حول إمكانية الحدوث فليس يساوي الحبر الذي كتب به! لماذا؟ والجواب: لأنها يمكن أن تحدث إن كان هناك من كان يستظهر القرآن رجلاً كان أو امرأة ، ثم هو يجيب بذات الإجابات من آي الذكر الحكيم في المواقف المختلفة. وأما إن دار الجدل حول السند والصحة من عدمها فهذا يدرس في مظانه لأنه ليس من اختصاصي ، وأكذب إن قلت أنني أفقه فيه القليل أو الكثير! يحكي لنا عبد الله بن المبارك – رحمه الله تعالى – فيقول: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبره – صلى الله عليه وسلم – فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف ، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقالت: (سلامٌ قولاً من رب رحيم). فقلت: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟ فقالت: (ومن يضلل الله فلا هادي له) ، فعلمت أنها ضالة عن الطريق ، فقلت لها: أين تريدين؟ فقالت: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس ، فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع؟ فقالت: (ثلاث ليال سوياً) ، فقلت: ما أرى معك طعاما تأكلين! قالت: (هو يطعمني ويسقين) فقلت: فبأي شئ تتوضئين؟ فقالت: (فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً). فقلت لها: إن معي طعاماً ، فهل لك في الأكل؟ قالت: (ثم أتموا الصيام إلى الليل). فقلت: ليس هذا شهر رمضان. قالت: (ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم). فقلت: قد أبيح لنا الإفطار في السفر. قال: (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون). فقلت: لم تتكلمين إليّ هكذا؟ لماذا لا تتحدتين إليّ كما أحدثك؟ فقالت: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد). فقلت: فمن أي الناس أنت؟ قالت: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً). فقلت: قد أخطأت في حقك ، فاجعليني في حل. قالت: (لا تثريب عليكمُ اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين). قلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذي فتدركي القافلة؟ فقالت: (وما تفعلوا من خير يعلمْه الله). فأنخت ناقتي فقالت لي: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ، فغضضت بصري عنها وقلت: اركبي! فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها ، فقالت: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ، فقلت لها: اصبري حتى أعقلها. فقالت: (ففهمناها سليمان) ، فعقلت الناقة وقلت: اركبي! فلما ركبت قالت: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا

لمنقلبون). قال فأخذت بزمام الناقة بعد ذلك وأخذت أسرع وأصيح. فقالت: (واقصدْ في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير). فجعلتُ أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر. فقالت: (فاقرأوا ما تيسر من القرآن). فقلت لها: لقد أوتيت خيراً كثيراً. فقالت: (وما يذكر إلا أولو الألباب). فلما مشيت بها قليلاً قلت: ألك زوج؟ قالت: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم). فسكتّ ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة ، فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها؟ فقالت: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا). فعلمت أن لها أولاداً ، فقلت: وما شأنهم في الحج؟ فقالت: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون). فعلمت أنهم أدلاء الركب ، فقصدت بها القِباب والعمارات ، فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟ فقالت: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً – وكلم الله موسى تكليماً – يا يحيي خذ الكتاب بقوة) ، فناديت: يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيي ، فإذا أنا بشبان ثلاثة كأنهم الأقمار ، قد أقبلوا ، فلما استقر بهمُ الجلوس قالت: (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه) ، فمضى أحدهم فاشترى طعاماً ، فقدموه بين يدي ، وقالت: (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية). فقلت: الآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمر أمكم هذي. فقالوا: هذه أمنا ، لها أربعون سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط الله الرحمن الرحيم عليها ، فسبحان ربنا القادر على كل شئ القادر على ما يشاء. فقال ابن المبارك: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم). والحقيقة أن ليس بعد تعليق ابن المبارك كلام. ومن هنا أوردت القصة على فرض صحة حدوثها وسندها وقلت: ليست بمستحيلة! وفي إحدى محاضراته عن القرآن يقول الأستاذ علي القرني ما نصه: (مازال به قومه بـ[الوليد] حتى رجع عن مقالته وكذب نفسه فيما قاله عن القرآن فقال منتكساً: إن هذا إلا سحر يؤثر ، ويتولى الله الرد عليه ويعنفه ويتهدده (سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر). ويأتي الرسول - صلى الله عليه وسلم - لِيُرَبِّي هذه الأمة على هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (تنزيل من حكيم حميد). فتربت الأمة وتهذبت! وأصبح عابد الأصنام قزماً من حماة البيت والركن اليماني! تربت الأمة على كتاب! ما قرأه قارئ إلا آجره الله. وما تدبره متدبر إلا وفقه الله. كتابٌ مَن حكم به عدل ، ومن استمع إليه استفاد ، ومَن اتعظ بمواعظه انتفع. كتابٌ من قرأه علمه الله علم الأولين والآخرين ، كتابٌ من استنار بنوره دخل الجنة ، ومن تقفاه وجعله خلف ظهره قذفه على وجهه في النار ، كتابٌ من تدبره أخرج النفاق والشك والريبة من قلبه ، فهو شفاء لما في الصدور! مَن التمس الهداية فيه هداه الله وسدده ، ومن التمس الهدى من غيره أضله الله وأهانه (ومن يهن الله فما له مِن مُكْرِم).هـ. والله لقد صدق القرني فيما وصف به القرآن! ويكفي أنه يخرج صاحبه العالم العامل به من الظلمات كل الظلمات إلى النور كل النور! وما مدحي لتلك المرأة المتحدثة بالقرآن إلا لأحمل الناس وخاصة النساء على التأسي بها علماً وعملاً بالقرآن الكريم! وبالطبع أنا كتبت القصيدة متأثراً بحكمة المرأة على فرض صحة الرواية عن ابن المبارك!)

أثـــــرٌ هـــــز ضـــــمير المؤمنـــــاتْ ... وعـــــلا – بالـــــذكر – دنيـــــا المفلحـــــاتْ

جسّـــــد القـــــدوة فـــــي دنيـــــا الـــــورى ... فـــــإذا النبـــــراسُ يمحـــــو الظلمـــــات

آيـــــة – فـــــي عـــــالم الإنـــــس - بـــــدتْ ... وخيـــــالٌ – مـــــن علـــــوم الغيـــــب - آت

حُجّـــــة – فـــــي الخلـــــق – ســـــادت قومهـــــا ... إنهـــــا – والله – إحـــــدى المعجـــــزات

أخيـــــالٌ – فـــــوق دنيانـــــا – ســـــما؟ أم إبـــــاءٌ فـــــي ســـــماء المكرُمـــــات؟

إنهـــــا الحكمـــــة والتقـــــوى معـــــاً ومَعـــــينٌ البـــــر تـــــاجُ الصـــــالحات

إنهـــــا الفرقـــــان يحيـــــا يانعـــــاً إنهـــــا المِحـــــراب للمستمســـــكات

إنهـــــا نـــــورٌ بـــــه العطـــــر شـــــدا عطـــــر الكـــــون بـــــذكرى القانتـــــات

إنهـــــا المجـــــد ، فمـــــاذا بعـــــدهُ؟ فبلـــــوغ المجـــــد أســـــمى الأمنيـــــات!

إنهـــــا الفقـــــه ، ويكفـــــي أنهـــــا كـــــل حـــــين فـــــي صـــــفاءٍ وثبـــــات

صـــــانها القـــــرآنُ عـــــن كـــــل هـــــوىً إنمـــــا الأهـــــواءُ أعتـــــى المنكـــــرات

تبـــــذل الخيـــــر علـــــى طـــــول المـــــدى إن بـــــذل الخيـــــر ســـــمتُ المؤمنـــــات

تنصـــــح العاصـــــيَ ، تعطيـــــه الهُـــــدى إنمـــــا النصـــــحُ ســـــبيلُ العابـــــدات

تعـــــظ الســـــادر فـــــي ســـــوق الخنـــــا شـــــأنها فـــــي ذاك شـــــأن الخيّـــــرات

زهـــــدتْ بالـــــدين فـــــي دنيـــــا الـــــورى لـــــم يكـــــن ديـــــدنها منعـــــاً وهـــــات

لـــــم تكـــــن ثرثـــــارة فـــــي قولهـــــا لـــــم تكـــــن تهـــــذي بقِيـــــل الترّهـــــات

وكـــــذا اســـــتغنتْ عـــــن الخلـــــق لمَـــــا نشـــــدتْ مـــــن خيـــــر رب الكائنـــــات

خشـــــيتْ مـــــن زلـــــة فـــــي قولهـــــا فتلـــــتْ مـــــن آي ربـــــي البينـــــات

تضـــــع الآيـــــة فـــــي موضـــــوعها كـــــل موضـــــوع بـــــآي وعِظـــــات

لـــــم تكـــــن تغفـــــل عـــــن قرآنهـــــا إنمـــــا كانـــــت مثـــــال الـــــذاكرات

حفظـــــتْ عِرضـــــاً ، وصـــــانتْ نفســـــها ثـــــم كانـــــت فـــــي عِـــــداد الـــــداعيات

فـــــدعتْ لله مـــــن قـــــد أقبلـــــوا إنمـــــا الـــــدعوة نـــــور المســـــلمات

ثـــــم ربّـــــت بـــــالتقى أولادهـــــا فتســـــامت فـــــي عطـــــاء الوالـــــدات

أذهبـــــتْ لـــــب الـــــذي خاطبهـــــا أدهشـــــتهُ بتـــــوالي النفحـــــات

لـــــم تكـــــن تحيـــــا لـــــدنيا تزدهـــــي ... إنمـــــا تحيـــــا لفعـــــل القربـــــات

وعلـــــى القـــــرآن عاشـــــت عمرهـــــا ... مثلهـــــا – فـــــي العـــــيش – مثـــــل الخيّـــــرات

عملـــــتْ بـــــالوحي ، كانـــــت فـــــي الـــــذرى ... عظمـــــــتْ لله كـــــــل الحُرُمـــــــات

لـــــم تجـــــاهرْ بالمعاصـــــي ، إنمـــــا ... يُـــــنقِصُ الإيمـــــانَ فعـــــلُ الموبقـــــات

شـــــرُفَ الشـــــعرُ بهـــــا إذ صـــــاغها ... وَردة فـــــي الـــــروض فـــــي أبهـــــى الســـــمات

واســـــتعار البـــــدرُ مـــــن أنوارهـــــا ... فـــــإذا بالبـــــدر فـــــي أحلـــــى الصـــــفات

عبـــــقُ القـــــرآن فـــــي أنفاســـــها ... فـــــائحُ الحســـــن رطيـــــبُ النبـــــرات

وحـــــروفٌ ـ فـــــي القـــــراطيس ـ ســـــمتْ ... كشـــــموس العـــــز مـــــن بـــــين اللغـــــات

أنعـــــمَ الله عليهـــــا ، فوعـــــتْ! ... مَثـــــلٌ حـــــيٌ لكـــــل المخبتـــــات

طيّـــــب الله ثراهـــــا ، إنهـــــا ... قـــــدوة فضـــــلى لكـــــل الطيّبـــــات

واجعـــــل اللهـــــم فينـــــا مثلهـــــا ... إنهـــــا – بـــــالله – خيـــــرُ المخلصـــــات

واهـــــدِ للقـــــرآن أزواجـــــاً لنـــــا ... إنمـــــا الـــــذكرُ ريـــــاضُ الصـــــالحات

واعصـــــم اللهـــــم زوجـــــاً أحســـــنتْ ... مَـــــن ســـــوى الـــــرحمن يجـــــزي المحســـــنات؟!

وعلـــــى المختـــــار صـــــلى ربُنـــــا ... وعلـــــى الأصـــــحاب أهـــــل المكرُمـــــات

وعلـــــى الأزواج مـــــن كُـــــن الضـــــيا ... أمهـــــات مســـــلمات مؤمنـــــات

(إن مواقف الإمام أحمد بن حنبل مع المتجاوزين لحدود الله وأهل البدع مواقف خالدة ، لا يقوى عليها إلا الرجال الأفذاذ الأبطال. فمن محنة إلى محنة ، ومن ابتلاء إلى ابتلاء ، ومن فتنة إلى فتنة! ويُسأل من قِبل ولده عبد الله: يا أبت متى الراحة؟ فيجيب: في الجنة إن شاء الله. وتاريخه حافل بالمواقف العظيمة. والتي منها ما جاء في كتاب طبقات الحنابلة للقاضى أبي الحسين أبي يعلى الفراء أنه قال: (كان الإمام أحمد – رحمه الله – جالساً في المسجد ، فجاءه صاحب له من قبل الخليفة العباسي المتوكل فقال: إن في بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع ، وقد أرسلني إليك لتدعو الله لها بالعافية ، فأعطاه الإمام أحمد نعلين من الخشب (قبقاباً) ، وقال: اذهب بهما إلى دار أمير المؤمنين ، واجلس عند رأس الجارية ، وقل للجنّي: يقول لك أحمد: أيهما كان أحب إليك فافعل: أن تخرج من هذه الجارية طاعة لله – تعالى – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – أو تصفع بهذا النعل سبعين مرة؟ فذهب الرجل - ومعه النعل - إلى الجارية ، وجلس عند رأسها وقال كما قال الإمام أحمد. فقال المارد الجني على لسان الجارية: السمع والطاعة لأمر أحمد ، لو أمرنا أن نخرج من العراق كلها لخرجنا منها ، إنه أطاع الله تبارك وتعالى ، فأطاعه بطاعته لله كل شئ! ثم خرج من الجارية ، فهدأتْ ورزقتْ بعد ذلك أولاداً وعزاً. فلما مات أحمد عاد إليها المارد الخبيث ، فاستدعى لها الأمير صاحباً من أصحاب أحمد ، فحضر بنفسه ومعه ذلك النعل ، وقال للمارد: اخرجْ وإلا ضربتك بهذا النعل ، فقال المارد: لا أطيعك قط ولا أخرج ، أما أحمد بن حنبل فرجلٌ أطاع الله – عز وجل – فأمرنا بطاعته).هـ. والحقيقة أنني عندما طالعتُ هذه القصة تامة في أكثر من كتاب في القديم والحديث ، تأثرتُ بها جداً ، فكانت هذه الانفعالة التعبيرية الخاطفة عن هذا الموقف وعن رجاله ، وأقول بالمناسبة ومن باب النصيحة لكثير من المرتزقة من حارقي البخور وقارعي الطبول وقارئي الكفوف وضاربي الرمال وموشحي الأوراد البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، من الذين يدعون أنهم يعالجون بالقرآن زوراً وبهتاناً على غير هدى من الله ولا كتاب منير: إن القضية قضية عقيدة وتوحيد في مقامها الأول! ومن هذا المنطلق فإن العلاج بالقرآن يجب أن يكون موافقاً للكتاب والسنة! لقد كان الإمام أحمد عليماً بالأحاديث ، الأمر الذي وفّر له ثروة هائلة في العلم مكّنته من الاستنباط. وقد وسّع باب القياس مما جعل الأحكام أقرب إلى مرامي الشارع ومقاصده المستوحاة من أعمال الرسول وأقواله. وكانت هناك حاجة ماسة إلى أحكامه ، لأنّ العرب تفرّقوا بين الأمصار التي فتحوها وفيها أمم وشعوب مختلفة. وقد قدّم الإمام أحمد الحديث على الرأي والقياس ولو كان ضعيفاً. كما أنه أكمل مشوار الشافعي من ناحية تعظيم دور السنة في البناء الفقهي. وكانت شخصية الإمام أحمد رمزاً للصمود والثبات على الإيمان الراسخ ورفض الأفكار الدخيلة على الإسلام والعقيدة الإسلامية! وقيل انه أسلم يوم مماته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، وأنّ جميع الطوائف حزنت عليه ، وأنه كانت له كرامات كثيرة وواضحة. فعن ابنه عبد الله قال: رأيت أبي حرّج على النمل أن يخرج من داره ، ثم رأيت النمل قد خرجت نملاً أسود ، فلم أرها بعد ذلك. وعن الإمام أبي الفرج الجوزي ، قال: لما وقع الغرق ببغداد سنة أربع وخمسين وخمسمائة وغرقت كتبي ، سلم لي مجلد فيه ورقات من خط الإمام أحمد بن حنبل. كانت وقفة الإمام أحمد بن حنبل في وجه الظلم وفي وجه حملة تحريف الدين الإسلامي وفي وجه هرطقة المعتزلة وتخبّطهم في علوم وخفايا الدين وقفة عظيمة. وقد صمد بالرغم من التعذيب والضرب بالسياط والحبس والملاحقة والإغراء. وثبت بثباته خلق كثيرون في محنة خلق القرآن وغيرها! أما ابن حنبل فقد مات رحمه الله تعالى! وكل من عذبوه ونالوا منه في الدنيا

بغير حق ، فقد ماتوا كذلك! وعند الله تعالى تجتمع الخصوم! ودنيانا هذه ليست نهاية المطاف! كلا ، بل هناك بعث وحشر وميزان وحساب وجنة ونار! فليستعد كل مظلوم لعرض مظلمته على الحكم العدل – سبحانه وتعالى -! وليستعد كل ظالم للحساب بالحق!)

يـــا إمـــام الحـــق ، يـــا زيـــن الرجـــالْ ... يـــا عظيمـــاً مـــا لـــه – فينـــا - مثـــالْ

يـــا وجيهـــاً نفـــعَ المـــولى بـــه ... فـــي زمـــان التيـــه ، فـــي دنيـــا الجـــدال

يـــا مَعـــين العلـــم والتقـــوى معـــاً ... يعبـــد الـــرحمن فـــي النـــاس الرجـــال

يـــا رفيـــعَ القـــدر ، يـــا عـــذبَ الصـــدى ... يـــا رطيـــبَ القـــول فينـــا والفعـــال

كنـــت فـــي الـــدنيا ســـراجاً نيّـــراً ... وإلـــى العلـــم لكـــم خضـــت المُحـــال!

لـــم تخـــفْ فـــي الله جبـــاراً طغـــى ... إنمـــا القـــدوة كانـــت فـــي (بـــلال)

كـــم تحملـــت البلايـــا والـــردى ... وتصـــديت لمـــن يرمـــي النبـــال!

ورفعـــت الحـــق يعلـــو فـــي الـــورى ... كـــل حـــق برجـــال وقتـــال

ورجمـــت البدعـــة الرعنـــاء فـــي ... واقـــع القـــوم ، ولـــم تخـــش المـــآل

إنمـــا الـــذكرُ كـــلامُ ربنـــا ... لـــيس مخلوقـــاً ، ولـــو كانـــت نصـــال

خافـــك الكـــل ، ولـــم تخـــش الأذى ... عنـــدما خِفـــت العزيـــز ذا الجـــلال

وأبنـــت الـــدرب درب المصـــطفى ... حِســـبة لله ، لـــم يَغـــرُرْك مـــال

وإذا المـــارد للأمـــر ســـجى ... خلّـــف المـــرأة فـــي أحســـن حـــال

إنهـــا التقـــوى طريـــقٌ ســـالكٌ ... كـــم أبـــادت مـــن همـــوم كالجبـــال!

مَـــن يخـــفْ رب الـــورى لا ينهـــزمْ ... إنمـــا يُهـــزم أصـــحاب الضـــلال

معـــدنُ التقـــوى بهـــيٌ مشـــرقٌ ... واتبـــاعُ النـــور يهـــدي للحـــلال

ولـــذا (أحمـــدُ) ســـاد العلمـــا ... ولـــه كـــم مـــن مقـــال كالخيـــال!

المشيب الناعي (أنى لمثلك الاعتبار؟)

(لم يخدعها أحد يوم تقدَّم للزواج منها ذلك الأشيب الغليظ الطباع! بل تقدّم وأغراها بريقُ ماله وكثرة عقاره ، فقبلت الزواج منه. ثم ما لبثتْ أن غضبت ونقمت ، وهاجت وماجت ، وأرغت وأزبدت. وكان عليها أن تفهم الأمور ، وتعي من حال الأشيب وأمره ما تعيه المرأة الحصيفة في الرجل وتفهمه. وفاتها الاعتبار بصويحباتها ممن لعبن ذات اللعبة ، وممن شربن من نفس الكأس ، وممن تجرّعن الهوان بما كسبتْ أيديهن من المخاطرة بحياتهن. ولكن هذا أضِيفَ إلى شيبه وضعفه هزله وقلة حيائه وسُخف منطقه. فكان ابتلاءً ما أشده وما أعتاه عليها! وإني لأواسي هذه المرأة العفيفة المُحصنة الموحّدة التي تزوجت من رجل يفتقد ما هي عليه! وأدركتُ كيف عانت وصبرت ، وافترضتِ الخير دون جدوى ، وتعللتْ بالأولاد بعد ذلك! وكانت حياتها سلسلة من المحن! والأصل الإباحة ولا شك! ولكن الدين والأخلاق والقيم مؤهلات معتبرة!)

أفنى طيوفكِ – في البرايا - جُندبُ ... وقضى عليك بلهجةٍ تتمذهبُ

وأراكِ قد خالت عليك زيوفه ... فخدعتِ فيه ، لأنه يتقرب

أغراكِ طولُ ركوعه وسجوده ... حتى غدت أحواله تتقلب

حِيلٌ عليك قد انطلتْ أشكالها ... وطقوسُ أحبار أتاها الأخطب

وحديث مَن لفظ الحياة ومَجّها ... هلا يُصدّق في التفضل أشيب؟

وتواضعٌ مثلُ السراب رموزهُ ... وبساطة فيها الجفا يتذأب

وتظاهرٌ بالعلم أمسى طابعاً ... والجهلُ فيه مُؤصلٌ ومركّب

وعليه كم من حُلةٍ قرشيةٍ! ... وقريشُ تبرأ من مَداه وتهرب

وقد ادّعى طبعَ الأعارب في الورى ... والعُربُ تهجر مثله ، وتغرّب

وكذا ادعى الأخلاق ، وهْو عديمُها ... وأتى دياركمُ يُجِب ويَخطِب!

فوقعتِ في أسر التسرّع والهوى ... فرمى الهُدى ، وغدا يَؤز ويُعطب

لم تسبري أغوار من قد نافقوا ... لم تدركي تغرير من بكِ يلعب

ثم اكتشفتِ عَواره وضلاله ... فرأيتِ أن تعظيه ، قد يتهذب

فلربما انقلب المُعربدُ حارساً ... للحق يحمله ، ولا يتهرب

ولربما الإعراض يَبرحُ قلبه ... فترينه للهذْي سيفاً يضرب

ولربما انقلب المُخذلُ شعلة ... تهدي الأنام إلى الهُدى ، وتحبب

لكنما عشمٌ تمرّق لم يدمْ ... وتمنياتٌ - في فؤادك - تطرب

خابت ظنونك في المُضلل فكرُه ... وكذا تخيبُ ظنونُ مَن لا ترْقب

إذ لا يزال على الغواية عاكفاً ... وعلى جميع الخلق ها هو يكذب

وكما ترين مُقيّدٌ بقيوده ... ومسربلٌ من كل وِردٍ يشرب

ولذا عصاكِ ، وقد أشاح بوجهه ... ورمى حجابك في الورى ، ما المأرب؟

وأزال عنكِ صيانة وتحشّماً ... وأباد عزاً شمسُه لا تغرب

وأذلّ بأسكِ في الأقارب ، لم يكن ... متورعاً ، إن التورع يَحجب

وعلى جبينك ما أتاه وما جنى ... والروح من أثر العنا تتعذب

أنى لمثلكِ الاعتبار وقد شغفـ ... ـتِ بحبه؟ فتعقلي يا (زينب)!

فيم التعلقُ يا أخيّة بالفنا؟ ... أنتِ الضحية ، لا الحليلُ العقرب

هو ليس تعجبه الحنيفة منهجاً ... وكما ترين بكل عمدٍ يُذنب

وإذا رآكِ يظل يهزأ بالهُدى ... وله المخالبُ في حيائك تنشَب

هو ليس يرضى بالحجاب فضيلة ... وترينه في كل عُرْي يرغب

رُدي عليه متاعه وصداقه ... وتخلصي ممن يُذل ويُخرب

وهنالكَ التمسي تقياً صالحاً ... في بيته يسمو التقى والمذهب

يُعطيك عزاً يُرتجى وسعادة ... وإذا رآكِ الناس قالوا: كوكب!

ويعيش آلام الحنيفة رافعاً ... كفَّ التوسل للمليك ، وينصَب

ويحب فيك تعففاً وأمانة ... وإذا رآكِ كليلة لا ينـدب

أبـــداً يغـــار عليـــك مـــن كـــل الـــورى ... وإذا المعاصـــــي داهمتـــــكِ ســـــيَعتب

أمـــــا العِيـــــال فـــــإنهم أولاده ... إذ إنـــــه لهُـــــدى المليـــــك مُغلـــــب

فلهـــــم عليـــــه هدايـــــة ورعايـــــة ... ولـــــه علـــــيهم طاعـــــة وتحسّـــــب

أمـــــا الصـــــبي فعـــــزة يعلـــــو بهـــــا ... وكـــــذا البنـــــاتُ مفـــــاخرٌ لا تثلـــــب

وفتـــــاه منـــــك كمـــــا الفتـــــى مـــــن غيـــــره ... أمـــــا البنـــــاتُ فـــــإنهن المكســـــب

ورســـــولُ ربـــــك يُتمُـــــه لـــــكِ أســـــوة ... فـــــالأم قـــــد رحلـــــتْ ، وقـــــد رحـــــل الأب!

وإذا بـــــــــــه آواهُ ربٌ مُـــــــــــنعمٌ ... وحنـــــا عليـــــه الكـــــل حتـــــى الأركُـــــب

كـــــانوا لـــــه أهـــــلاً ، وكـــــان ابنـــــاً لهـــــم ... ولـــــه لـــــديهم دُربـــــة وتحبّـــــب

صـــــلى عليـــــه الله جـــــل ثنـــــاؤه ... مـــــادام نجـــــمٌ – فـــــي الســـــما – أو كوكـــــب

فـــــيم التعلـــــلُ بالعيـــــال أخيّتـــــي؟ ... إن التعلـــــل بالصـــــغار لغيهـــــب

إن المشـــــيبَ نعـــــى فـــــؤادكِ والصـــــبا ... وبغـــــتْ - علـــــى الحســـــن الأســـــير - الأكلـــــب

وأنوثـــــة ماتـــــت ، وشـــــيّعها الجـــــوى ... ونضـــــارة وئـــــدتْ ، ولـــــم تـــــكُ تغلـــــب

ومرافـــــئ الـــــنفس الحســـــيرة أغرقـــــتْ ... وســـــفائنُ الأشـــــجان فيهـــــا نحّـــــب

ومشـــــاعرُ الأنثـــــى تحجّـــــر دمعهـــــا ... مـــــن بعـــــد أن مَحقـــــتْ ســـــناها الأذؤب

هلـــــك الشـــــبابُ ، فشـــــيّعي جُثمانـــــه ... وغـــــزاكِ شـــــيبٌ مُكفهـــــرٌ أشـــــهب

فتـــــداركي الأيـــــام ، واطـــــو مـــــراره ... ولـــــئن قـــــلاك فأنـــــت نعـــــم الثيّـــــب!

أنـــــا قـــــد نصـــــحتكِ ، والمهـــــيمن غـــــايتي ... صـــــوّرت مـــــا قـــــد كـــــان شـــــعراً يُطـــــرب

وأقـــــول: قـــــد أكـــــل المشـــــيبُ حياتنـــــا ... إن المشـــــيب هـــــو النـــــذير الأهيـــــب

أنـــــى لمثلـــــكِ الاعتبـــــار بمـــــا تـــــرى؟ ... فالـــــذكر ديـــــدنُ مـــــن يـــــؤوب ويـــــدأب

شتان بين الظل والحرور!

(إن الصديق الوفي عُملة نادرة. فهو الظل الظليل على صديقه في هجير العمالة والخذلان والنفاق. وشتان بين الوفاء والخيانة! وأنا في هذه القصيدة أتساءل: إلى متى الخذلان يرفع رايته في الناس؟ ألم يبدُ عَواره ويُدرَكْ قبحُه؟ أم أنه صار بديلاً مرحباً به عن الوفاء والبذل؟ ولا يُلام الصديق الذي أخلص على إخلاصه ، بل يُلام الذي لا قى إخلاصَ صديقه بالنكران والخذلان!)

متى يَهجر الوجدانُ مَن هتكوا السترا ... ويبرأ ممن شادها فتنة كبرى؟

متى يُوأد الخذلانُ وأداً يُريحنا؟ ... متى يبرح البهتانُ سانحة الذكرى؟

ألا ليت شعري كم حُرقتا بناره ... ولما يذرْ قلبا ، ولما يُرحْ فكرا!

نفاقُ الأصيحاب استباح مشاعري ... وأورث إحساسي جوىً ينشد الصبرا

أعاني ، وفي قلبي من الصحب حسرة ... وأعتبُ ، لكنْ ألتقي سامعي صخرا

وأعذرُهم ، لكنهم قد تنصلوا ... فأرجع مُهتاج النهى أحمل العُذرا

فيعمد أوفاهم لهجري تشفياً ... فيهجرني الأصحابُ رغم الوفا دهرا

ويخذلني الخلانُ في وقت حاجتي ... إليهم ، وأضحى أمرُ خذلانهم نكرا

وإن ظلال الصدق أجدى لأهلها ... وإن حَرور الكِذب يستجلب الشرا

عَييتُ من الخذلان يُزجيه أهله ... بديلاً عن الإسعاف يُهدي لنا الخيرا

وقاسيتُ من أهل التخاذل أمعنوا ... مدى الدهر في قمعي ، وأشهروا الهجرا

وأهلُ النفاق المُر شادوا بليتي ... وهم بالبلا يجتاحني في الورى أدرى!

أراني غريب الشِعر في بلدةٍ نأت ... وإني غريبُ الأهل في بلدةٍ أخرى

دموعي لدى شِعري الكئيب سواجمٌ ... وليلي مع الأشجان يرقبُ الفجرا

متى يا قريضي العذبَ تصفو صَحابتي ... وأنسجُ - في معسول أخلاقهم – شِعرا؟

كنتَ وأصبحت!

(أكثر من الحديث عن ماضيه وشبابه بالقدر الذي شغله عن حاضره ومستقبله. فزُحتُ أنصحه بأن ينشغل بالحاضر ويطوي صفحة الماضي! والذكي العبقري من الناس من أخذ من ماضيه العبر واستلهم من حاضره الدروس ليصلح المستقبل! وليس الذي يُسرف في البكاء على ماضيه والتغني به! إن البكاء على أطلال الدار لن يُعيد ساكنيها ومجدها إلى الحياة مرة أخرى! ولكن أخذ الدروس واستلهام العِبَر أولى!)

سِـــــراجُ الشـــــبيبة فيـــــكَ انطفـــــى ... ووودعـــــتِ الـــــنفسُ عطـــــرَ الصـــــفا

وجـــــرّ الـــــبلاءُ عليـــــكَ الشـــــقا ... فمـــــا عُـــــدتَ تعـــــرفُ غيـــــرَ الجفـــــا

ورجّ طموحَـــــــك فـــــــرط الجـــــــوى ... ومـــــا فـــــي تـــــدني الإبـــــا مـــــن خفـــــا

وعشـــــتَ وحيـــــداً بـــــلا صـــــاحب ... ألـــــيس - لـــــدى الصـــــحب - أي وفـــــا؟!

وأيـــــــن الجمائـــــــلُ أســـــــديتها؟ ... لمـــــاذا صـــــداها اللطيـــــف عفـــــا؟

وأيـــــن رعيـــــلُ الرفـــــاق مضـــــى؟ ... وأيـــــن التـــــزاور؟ أيـــــن اختفـــــى؟

لقـــــد كنـــــت حِبـــــاً سَـــــخيّ الإخـــــا ... وإمـــــا رآك الفريـــــقُ احتفـــــى!

لمـــــاذا قلـــــوْك وأنـــــت بهـــــم ... تعيـــــد لنـــــا شِـــــرعة المصـــــطفى؟

هـــــل العيـــــبُ فـــــيهم؟ أم العيـــــبُ فـــــي ... تخيّـــــر مـــــن عقلـــــه قـــــد غفـــــا؟

رويـــــدكَ ، لا تبتـــــئسْ ، واصـــــطبرْ ... وحـــــاذرْ مـــــن القلـــــب أن يُجرَفـــــا

وأمّـــــلْ خلاصـــــاً تنـــــلْ بعضـــــه! ... علـــــى اليـــــأس لا تـــــكُ مُستشـــــرفا!

وخـــــل التشـــــاؤم ، كـــــن واثقـــــاً ... بنصـــــر المليـــــك لقلـــــب صـــــفا

قـــــد اكتفـــــتِ الـــــنفس مـــــن حُزنهـــــا ... فهـــــلا فـــــؤادك منـــــه اكتفـــــى؟!

وودعْ مقالـــــــة: (كنـــــــتُ كـــــــذا) ... ففيهـــــا ذكـــــرت العـــــزا وكفـــــى!

وقابـــــلْ مَشـــــيبك مسترشـــــداً ... فرُشـــــدُك – فـــــي الشـــــيب – نعـــــم الشـــــفا!

في ظلك الجميل

(من أجمل شعري ما أكتبه لأولادي وهم صغارٌ في المهد. وكلما طالعت قصيدة أهديتها ابناً من أبنائي في مناسبة ما تعجبتُ كيف تجمعتْ كل هذه الإيحاءات والصور والمحسنات التي ترصّع جبين هذه القصيدة التي كتبتها لابني؟ ومن أكثر الأولاد الذين كتبت لهم وتأثرت بهم عمر الفاروق! جعله الله تعالى كعمر الفاروق رضي الله عنه – آمين! وكانت الهموم قد غلبتني ذات يوم فنمتُ ، لأن طبيعة الإنسان إذا لم يجد من يبثه نجواه ويُلقي بين يديه شكواه فسرعان ما تمل نفسه ـ فإذا به يأوي إلى ركن ربه الشديد فيجد الطمأنينة والأنس والهدوء. وقد فعلت فنمت (سُنة الله الذي ينام عبيده وهو سبحانه الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم). وبعد أن أخذ مني النوم مأخذه أتاني عمر الفاروق – وهو ثالث أولادي ورياحيني – وعمرُه يقارب العامين ولا يزال رضيعاً ، وطوقني بذراعيه ، فاستيقظت وأخذتُ أداعبه ، ثم رحتُ أتذكرُ الفاروق عمر – رضي الله تعالى عنه – وهو يرحمُ ويعطفُ ويشفقُ على من خلق الله وما خلق. فقلتُ في نفسي: لعل عندنا من الفاروق عمر ما قد وقر في وليدنا عمر الفاروق الذي أسميناه هكذا منذ البداية تيمّناً بأن يكون مثل الفاروق في أمة محمد – صلى الله عليه وسلم ـ. وأراني قد أهديت له المجد بهذه التسمية ليتكرر في أمتنا المسلمة: عبد الله وعبيد الله وعاصم وعبد الرحمن وأم كلثوم وحفصة ، وكلهم أبناء الفاروق عمر! وذكر الإمام السيوطي – رحمه الله ـ في تاريخ الخلفاء ، وأخرج الطبراني في الأوسط كذلك (عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أبغض عمر فقد أبغضني ، ومن أحب عمر فقد أحبني ، وإن الله باهي بالناس عشية عرفة عامة ، وباهى بعمر خاصة ، وإنه لم يبعثِ الله نبياً إلا كان في أمته مُحدّث ، وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر! قالوا: يا رسول الله ، كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه) إسناده حسن. ولقد كان عمر بن الخطاب هكذا فلقد تنزل القرآن برأيه.)

هـــذي الكرامـــة فـــي أســـمى معانيهـــا ... والمجـــدُ يطـــرقُ أبـــوابَ العُـــلا تِيهـــا

أحـــبُ فيـــك خِـــلالاً لســـتَ تعلمهـــا ... ولـــو علمـــتَ لمَـــا لمـــتَ النهـــى فيهـــا

فأنـــت أظـــرفُ مـــا خلفـــتُ مـــن ولـــدٍ ... وعـــن جمالـــكَ قـــد نوّهـــتُ تنويهـــا

قلائـــدٌ أربـــعٌ للشـــعر مفخـــرة ... هـــيَ القريحـــة ، والإلهـــامُ حاديهـــا

وأنـــت ـ فـــي موكـــب الأشـــواق ـ فارسُـــها ... وأنـــت ـ فـــي معقـــد الآمـــال ـ شـــاديها

وأنـــت ـ فـــي زورق الأشـــعار ـ أمنيـــة ... ترجـــو الســـلامة فـــي دنيـــا أمانيهـــا

وأنـــت قنـــديلُ مســـكٍ فـــاحَ رونقـــه ... فأنبـــت النـــورَ غضـــاً فـــي دياجيهـــا

وأنـــت ـ فـــي غـــرّة الأجيـــال ـ ملحمـــة ... تغشـــى المعـــامع ، لا تخشـــى عواديْهـــا

وأنـــت دُوحـــة سِـــدر طـــاب مأكلهـــا ... ويســـتظل بهـــا ـ فـــي القـــيظ ـ آتيهـــا

أنـــت الشـــهامة فـــي أســـمى معالمهـــا ... وعزمـــة الجـــدّ قاصـــيها ودانيهـــا

إنـــي اشـــتريتُ لـــك الأمجـــادَ ســـامقة ... صُـــنها لأنـــك يـــا فـــاروق حاميهـــا

وكـــم شـــقيتُ لتحيـــا باســـماً ألقـــاً ... فـــي غربـــةٍ سَـــحقتْ نفســـي بلاويهـــا!

قـــد أنشـــبتْ فـــي شـــراييني مخالبهـــا ... وأســـكنتْ همتـــي مـــأوى مآســـيها

حتـــى فزعـــتُ إلـــى ربـــي أحاكمُهـــا ... قوتلـــتِ مـــن غربـــةٍ فـــارت مخازيهـــا!

فثبّـــت الله قلبـــاً كـــان يركلهـــا ... فبـــات مـــولىً ذلـــيلاً مِـــن مَواليهـــا

فخاصـــمَ الكـــل فـــي الـــرحمن محتســـباً ... وجـــذوة الشـــعر قـــد فاضـــت قوافيهـــا

حتـــى أتـــانيَ وثـــابَ الخطـــا (عمـــرٌ) ... يُزجـــي العزيمـــة للمهـــزوم ، يُزْكيهـــا

أعـــز ربـــي بـــه الإســـلامَ يـــوم أتـــى ... يريـــد وأدَ العُـــرَى بقتـــل مُســـديها

فصـــار بعـــد دخـــول الحـــق فارســـه! ... كهـــف الحنيفـــة مِـــن بلـــوى أعاديهـــا

وســـلّ ســـيفاً علـــى الكفـــار مُنصـــلتاً ... يُطهّـــر الأرض مِـــن كُفـــر يغشّـــيها

كـــذا أريـــد أبـــا حفـــص لمِلتنـــا ... فإنهـــا اليـــومَ عانـــت ، مَـــن يواســـيها؟!

يـــا أيهـــا الشـــهمُ أنـــت اليـــوم عُـــدتها ... وأنـــت مشـــعلُ نـــور فـــي ضـــواحيها

وأنـــت فـــي لجـــة الأوهـــام مُنقـــذها ... بعـــد المليـــك إذا ضـــلتْ مراســـيها

أرخـــصْ دمـــاءكَ ، فـــالفردوسُ غاليـــة ... وتشـــتهي أن تـــرى أشـــلاء راجيهـــا

يـــا دوحـــة فـــي هجيـــر الـــدهر ترحمُنـــا ... فترســـلُ الظـــل غضـــاً مِـــن مَغانيهـــا

ظـــلٌ جميـــلٌ ، رعـــاك الله يـــا ولـــدي ... وبـــرُ أمـــك يـــا فـــاروق يُرضـــيها

فكـــن كريمـــاً تقيـــاً مخلصـــاً ورعـــاً ... أنـــت الكرامـــة فـــي أســـمى معانيهـــا

سجدة لله

(عندما لا يكون للإنسان غاية في حياته سوى جمع المال ، فينصرف بكل وجهته إلى حصد وتحصيل المال من حله وحرامه تصبح الحياة عدماً. وأناشد كل مرتزق - يبذل في سبيل المال كل ما يملك ابتداء من دينه ومعتقده وانتهاء بالناس من حوله – أن يتوب إلى الله! إن على المرتزقة أن يعلموا أنهم إن سجدوا لله سجدة واحدة خالصة ، ودعَوْا ربهم منيبين إليه ، فسوف يقبلهم! فلمَ لا يسجدونها؟ وباب التوبة مفتوحٌ ينتظر الداخلين ، فهل من مشمّر عن ساعد الجد؟ أما إذا استمروا في الارتزاق والتطويع فخسروا وخابوا!)

سجدة لله تمحو ... ما أتيتم من خطايا

أخلصوا التوحيد حتى ... تستفيدوا بالوصايا

واهجروا الأصنام هجراً ... واصقلوا هذي النوايا

واطرحوا الضُلال أرضاً ... قبل أن تمْسوا ضحايا

واعقِروا زيفاً تمادي ... إنه بئرُ المنايا

واقطعوا حيَل التردي ... واتركوا درب البغايا

ما كفاكم ما لقيتم ... من ضياع ورزايا؟

زمرة الحق تعاني ... وتصفيها البلايا

تحمل النور إليكم ... إنْ رجالاً أو صبايا

فاستجيبوا لنداها ... تربحوا خير العطايا

إنما المالُ سيفنى ... والدنانيرُ عرايا

جهلكم أمسى جهيراً ... والأباطيلُ خفايا

فانظروا الحق ، وجدّوا ... وابرحوا حمق المطايا

واقرأوا الهدْي مِراراً ... إنما الآيُ مَرايا

واقبلوا النصح ، وتوبوا ... وتساموا في البرايا

أريج التصابي (الحذاء الكلاسيكي)

(عندما تبتذل نفسها العجوز ، وتحاول أن تتقمص شخصية فتاة العشرين الساقطة ، فإنها تخسر وقارها واحترامها وهيبتها ، ويستهجنها أراذل الناس فضلاً عن الصالحين منهم! ومَن مِن الناس تستهويه عجوز متبرجة متزينة مستعطرة؟ إن الكِبَر له حكمه ، وإن الشيب له تجلته. وإذا لم تدرك كل عجوز ذلك ، فإنها لا تحتقر إلا نفسها! وعليها أن تتذكر أنها تعد أياماً تموت بعدها! وأنا هنا أناجي أريج التصابي أن يترفق بهذه العجوز التي آثرتْ ـ لحماقتها ـ أن تعيش في غير سنها! فأظهرت ما يزهد الناس فيه!)

أريـــــجَ التصـــــابي ترفـــــقْ بهـــــا ... ولا تقـــــض عُمـــــرك فـــــي حربهـــــا

ألا تســـــتحي ، يـــــا ربيـــــب الحيـــــا ... أراك تزخـــــــــــرفُ عرقوبهـــــــــــا

عجـــــوزٌ تمـــــرّق منهـــــا الحَـــــلا ... ونـــــام المشـــــيبُ علـــــى جيبهـــــا

ووجـــــــهٌ تفـــــــور تجاعيـــــــده ... وجيـــــدٌ تـــــدلى علـــــى صـــــدرها

وأمـــــــا القـــــــوامُ فعُرجونـــــــة ... كواهـــــا القتـــــامُ علـــــى قطبهـــــا

وعينـــــان فـــــي وجههـــــا غارتـــــا ... مـــــن الـــــدمع يقطـــــر فـــــي نحبهـــــا

وأمـــــراضُ هـــــذي العجـــــوز طغـــــتْ ... وحـــــار الأطبـــــاءُ فـــــي طبهـــــا

أراهـــــا تعـــــود لمـــــا قـــــد مضـــــى ... وليســـــت تتـــــوب إلـــــى ربهـــــا

عصـــــتْ فـــــي الشـــــبيبة ديّانهـــــا! ... وهـــــا هـــــي تعصـــــيه فـــــي شـــــيبها

فتلـــــبس نعـــــلاً لـــــه حـــــدوة ... وتلـــــبس ثوبـــــاً يغـــــصّ بهـــــا

لهـــــا فـــــي التبـــــرّج أســـــلوبُها ... ومكياجُهـــــا ضـــــجّ مـــــن عيبهـــــا

وأســـــنانها ودعـــــتْ فكّهـــــا ... وظهـــــرٌ تقـــــوّس فـــــي جنبهـــــا

وأصـــــباغها للبرايـــــا بـــــدتْ ... وفـــــاح الـــــدِهانُ علـــــى خِلبهـــــا

فتـــــوبي ، فلســـــتِ بمرغوبـــــةٍ ... جمـــــالُ الكهولـــــة فـــــي توبهـــــا

ومثلـــــكِ فـــــي القبـــــر يبكـــــي دمـــــاً ... علـــــى أنـــــه لـــــم يكـــــن نابهـــــا

الحرص يرتصد النفوس

(السعي على المعيشة أمرٌ مطلوب مرغوب محبوبٌ جميلٌ مشروع. لكنه إذا قاد إلى الحرص الصارف عن تعلم الحق والعمل به فإنه يُصبح وبالاً وخسارة وصنماً يُعبد من دون الله. والسعي على المعيشة جزء من عبادة الله تعالى ، وهذا له شواهده وأدلته في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ولكننا نقرر في هذه القصيدة أن هذا السعي وهو جزء من العبادة لا ينبغي أن يُعبد من دون الله! ألا وإن كل شئ قدّره الله سيكون! ففيم الحرصُ الزائد عن الحد؟ فلنعمل ولنتوكل على الله ، ولا نغالي!)

الحـــــرصُ يرتصـــــد النفـــــوس ، فخلـــــهِ ... ودع الحـــــريصَ ، ولا تكـــــن مـــــن أهلـــــهِ

واعلـــــم بـــــأن مَـــــراره لا ينقضـــــي ... والعلقـــــمُ البـــــريّ بعـــــض نبالـــــه

مـــــا إن يحـــــلّ بقلـــــب عبـــــدٍ مُخبـــــتٍ ... حتـــــى يُصـــــوّب رمحـــــه فـــــي أصـــــله

ويُحيلـــــه – خلـــــف الســـــراب - مشـــــتتاً ... ويظـــــل يأكـــــل فـــــي بهـــــي جمالـــــه

إن الحـــــريص يمـــــوت ألفـــــي مـــــرةٍ ... فالـــــدرهم الفضـــــي قـــــيّمُ عقلـــــه

ولـــــه انفعـــــالٌ للـــــدريهم مـــــذهلٌ ... ويبيـــــتُ يحلـــــم فـــــي ســـــنا أطلالـــــه

ولقـــــد يُقـــــاطعُ - فـــــي الـــــدراهم - خِلـــــه ... ويزيـــــدُ للـــــدينار كُلفـــــة وصـــــله

والحـــــرصُ داءٌ لا ســـــبيل لوصـــــفه! ... داءُ النفـــــوس ، فحتفهـــــا مـــــن فعلـــــه

يـــــأتي علـــــى نـــــور القلـــــوب ، فيجتنـــــي ... روحَ الثبـــــات ، فتغـــــرقنْ فـــــي ذلـــــه

فـــــاحرصْ علـــــى تقـــــوى المليـــــك ، ولا تكـــــنْ ... عبـــــد الـــــدراهم مَـــــن يمـــــوت بغِلـــــه

إذ مـــــا خلِقـــــتَ لجمـــــع مـــــال فـــــي الـــــدنا ... ذو المـــــال يقتلـــــه دجـــــى أموالـــــه

وعبـــــادة الـــــرحمن غايـــــة عيشـــــنا ... معبودُنـــــا القيـــــومُ لـــــيس كمثلـــــه

كـــــم مـــــن حـــــريص جمّـــــع الأمـــــوال فـــــي ... هـــــذي الـــــدنا موفـــــورة لعيالـــــه!

ثـــــم انتهـــــى للقبـــــر يُســـــأل وحـــــده ... عمـــــا جنـــــاه مـــــن الحـــــرام وحِلـــــه

مـــــن أجـــــل ذلـــــك لا تبـــــعْ أخـــــراك بالـــــ ... ـــــدنيا ، وفكـــــرْ فـــــي الحســـــاب وسُـــــؤله

الترويض على الذل

(لا يرتضي الذل سبيلاً في الحياة وديدناً في العيش وأسلوباً في التعايش ومنهجاً في التكيف مع الناس إلا إنسانٌ قد أكلت الخِسة والدناوة قلبه. ولم يعد له من الإنسانية إلا التسمي والانتساب! والأصيلُ الكريم لا يُروّض على الذل. والحق أنه متى رضيَ الإنسانُ بالذل والهوان تصبح حياته والعدم سواء. وكل مهان ذليل لا أثر له في الحياة ولا في الأحياء ، ولا يصنع المجد أبداً!)

إن الكـــريم لـــه - فـــي النـــاس - تـــأثيرُ ... هـــو العزيـــز ، ومـــن هـــم دونـــه العِيـــرُ

للـــذل قـــومٌ - علـــى أبشـــارهم - ضُـــربوا ... فاســـتعذبوا الـــذل ، إن الـــذل ديجـــور

ورُوّضـــوا ، فاستســـاغوا الـــذل مـــذ رضـــخوا ... ولـــم يكـــن فـــي نوايـــا القـــوم تغييـــر

وقبّلـــوا كـــفّ مـــن - بـــالقهر - كَـــبّلهم ... هـــو الحقيقـــة والـــدهما أســـاطير

كانـــت عصـــاه لهـــم إنْ رام تفرقـــة ... وإنْ أراد لهـــم جمعـــاً فتصـــفير!

حتـــى إذا سُـــلبتْ فحـــوى كـــرامتهم ... ذل الشـــريفُ ، وأحنتـــه التـــدابير

وهـــاجم الكـــلُ مَـــن بـــالعز ذكّـــرهم ... فزلـــزل العـــزمُ ، وانهـــدّ المغـــاوير

ورحّـــب القـــومُ بالخـــذلان ، فانحـــدروا ... إلـــى الحضـــيض وقـــالوا: ذاك مســـطور

كـــالثوْر أســـلم للجـــزار هامتـــه ... طـــوْعَ البنـــان ، وأحنـــى جيـــده النِيـــر

ذل الجميـــعُ ، فـــلا ديـــنٌ يحـــرّكهم ... ثـــم اســـتكانوا ، فغـــاب العـــدلُ والنـــور

والآدميـــة ماتـــت فـــي تـــرائبهم ... وفـــتّ فـــي عَضـــد الأحـــرار تثبيـــر

كيـــف الســـبيلُ وقـــد ماتـــت ضـــمائرهم ... ولـــم يعـــد عنـــدهم إلا المعـــاذير؟

يـــا قومنـــا فـــاطرحوا عـــنكم تعللكـــم ... حتـــى متـــى - عـــن رحـــاب الـــوحي - تـــأخير؟

حتـــى متـــى هجـــرة لـــدين خالقنـــا؟ ... حتـــى متـــى ظلمـــة ســـادت وتقصـــير؟

العَـــود أفضـــل يـــا قـــومي ، فـــلا تهنـــوا ... والتـــوب - وفـــق كتـــاب الله - مَيســـور

فـــيم التقـــاعسُ ، والأيـــامُ جاريـــة؟ ... ومَـــن يتـــبْ فبعفـــو الله مَقـــرور!

يا ابن آدم ، ترابٌ أنت وماء

(في زحمة الحياة ، وفي خضمّ الأحداث ، وفي مشوار العمر ، ينسى الإنسان نفسه أو يتناساها. فيعتقد أنه من غير التراب خلق ، ولغير العبادة لله وجد في هذه الحياة. ولقد خلق المرء من التراب المخلوط بالماء والمتروك حتى أسن وتعفن ويبس وتحجر ، علم أو لم يعلم! وخلق في هذه الحياة لعلة واحدة هي عبادة الله عز وجل بلا شريك. وإذ هو خالف فسوف يأتي اليوم الذي يقول فيه: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ليتني كنت تراباً! في مقالة عنوانها: (الإنسان في الشدة والرخاء) يقول أستاذنا علي محفوظ ما نصه بتصرف يسير: (من نظر إلى الإنسان ، وفكَّر في أحواله وطبائعه وجده كثير العجز ، قليل الصبر عند نزول الشدائد والبلاء ، كثير الغرور قليل الشكر عند وجدان الرخاء والنعماء ؛ فإذا أصابه نوع مكروه كمرض ، وفقر ، وعسر ، وغيرها من بلايا الدنيا ، وشدائدها ، استولى عليه اليأس ، وملكه الجزع ، ثم إذا ثاب إلى رشده أقبل على مولاه ، وأكثر من التضرع والدعاء له ـ تعالى ـ في جميع أحواله نائماً ، أو مضطجعاً ، أو قاعداً ، أو قائماً ساكناً ، أو متحركاً مجتهداً في التذلل والدعاء طالباً ، من الله – سبحانه وتعالى ـ إزالة تلك الشدة والمحنة وتبديلها بالنعمة والمنحة ؛ فإذا استجيب له وكُشِفَ عنه ما نزل به مضى في سبيله وعاد إلى سيرته الأولى ، واستمر على طريقته التي كان ينتهجها قبل مساس الضر وإصابة المكروه ، ونسي حال الجهد والبلاء ، وأعرض عن شكر مولاه ، ولم يعرف قدر إنعامه عليه ، وصار بمنزلة من لم يشعر بمكروه ، ولم يدع الله ـ تعالى ـ لكشف ضرٍّ نزل به. وذلك بلا ريب يدل على ضعف طبيعة الإنسان ، وقلة وفائه ، وشدة استيلاء الغفلة والشهوة عليه. وفي ذلك يقول الله ـ تعالى ـ: [وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]. ويقول ـ تعالى ـ: [وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ]. فأفاد ـ تعالى ـ أنه إذا تفضل على عبده بنعمة كعافية ، ورخاء ، أعرض عن شكره وطاعته ، واستطال بنعم الله على خلقه ، وثنى عِطْفَه متبختراً كبرياءً وعظمة. وإذا عرض له نوع مكروه كمرض وعسر أكثر من التضرع والدعاء ؛ لكشف ما عرض له ؛ فهذا شأن الإنسان ، وهذا حاله في الشدة والرخاء كما بينه الله ـ تعالى ـ في كتابه الحكيم ؛ تنبيهاً على أن هذه طريقة ممقوتة وأخلاق مذمومة! وأن الواجب على الإنسان العاقل أن يكون شجاعاً في الشدائد ، ثابتاً عند نزول البلايا ، شاكراً عند الفوز بالنعماء ، ومن شأنه أن يكون كثير الدعاء والتضرع في أوقات الرفاهية والراحة حتى يكون مجاب الدعوة في وقت المحنة ، ففي الحديث: (تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة). رواه عبد بن حميد والإمام أحمد. وعنه ـ صلوات الله وسلامه عليه – (من سره أن يُستجاب له عند الكرب والشدائد فليُكثر الدعاء عند الرخاء). رواه غير واحد. وجملة القول أن الإنسان جُبِلَ على الضعف ، والعجز ، وقلة الصبر كما جُبِلَ على الغرور ، والبطر ، والنسيان ، والتمرد ، والعتو ؛ فإذا نزل به البلاء حمله ضعفُه على كثرة الدعاء والتضرع وإظهار الخضوع والانقياد ، وإذا زال عنه البلاء ، وحصل على الراحة استولى عليه النسيان ، وغفل عن إحسان الله – تعالى – إليه ، ووقع في البغي والعدوان والجحود والنكران. وهذه الأحوال من نتائج طبيعته ولوازم خلقته ولكنه معذور ولا عذر له).هـ. ولقد كنت أعجب من قصائد أبي العتاهية التي تكاد تكون قصيدة واحدة في بنيتها وموضوعها (أعني ما صاغ أبو العتاهية بعد توبته). فقصائده تلك تذم الدنيا وتحض على العمل للآخرة وتذكر الموت والقبر والبلى. فكتبتُ في ذم عبادة الدنيا هذه القصيدة ، وجعلتها من الكامل على غرار السطر الشعري ، في خمس تفعيلاتٍ كلون من ألوان التجديد

فقط! فعسى الله أن تحوي هذه الأبيات موعظة وذكرى للذين عبدوا الدنيا بدراهمها وزخرفها من دون الله ، فأنستهم غاية وجودهم ومادة خلقهم ، فجعلتهم يتكبرون في الأرض بغير الحق! نسأل الله العفو والعافية!)

فـــــــيم التعلـــــــلُ بالـــــــدراهم والمكانـــــــة والرواكـــــــب والهنـــــــاءْ؟

أنســـــيت أنـــــك قـــــد خلقـــــت أيـــــا عتـــــي القلـــــب مـــــن طـــــين ومـــــاء؟

فـــــيم التفـــــاخر بالـــــذي أبـــــداً يـــــزول مـــــن الوجـــــود ، فـــــلا بقـــــاء؟

لـــــو كـــــان دام لغيرنـــــا مـــــا آل فـــــي هـــــذا الزمـــــان إلـــــى الغثـــــاء

لكنمـــــا قـــــلّ اعتبـــــارُك يـــــا ســـــقيم الفكـــــر مـــــن فـــــرط الـــــبلاء

فلقـــــد بليـــــت بنعمـــــةٍ جعلتـــــك تســـــرف يـــــا مشـــــتت فـــــي العـــــداء

لمّـــــا حَسِـــــبت المـــــال قـــــيّم عيشـــــنا ، فهْـــــو الحيـــــاة بـــــلا مِـــــراء

والهـــــدي يـــــا مُحتـــــال أكســـــير الحيـــــاة ، وثـــــم يَنبـــــوعُ الضـــــياء

أمـــــا الـــــدراهم فهْـــــي أســـــبابٌ تزخـــــرف عيشـــــنا مثـــــل الطـــــلاء

بـــــل قيمـــــة الإنســـــان فـــــي أخلاقـــــه ، ثـــــم اتبـــــاعُ هُـــــدى الســـــماء

قـــــد يملـــــك الإنســـــان مـــــالاً وافـــــراً ، وتـــــراه ظـــــلاً أو خـــــواء

ولـــــه القصـــــور ، ولا يســـــاوي درهمـــــاً ، والخيـــــرُ مـــــن هـــــذا بـــــراء

مـــــادام قـــــد لفـــــظ الهدايـــــة والتقـــــى ، فجميـــــع مـــــا يـــــأتي هبـــــاء

مـــــا قيمـــــة الأمـــــوال والإنســـــان يحيـــــا فـــــي ضـــــلال وشـــــقاء؟

لا يلعبن بك الأمل!

(لا يزال الأمل يذهب بصاحبه مذاهب شتى. لذا أحذر أصحاب الآمال من الإسراف في الغفلة والإعراض والاسترسال في اتباع الأماني والأحلام والآمال! وآثرتُ أن أجعل قافيتي هذه المرة لفظ الجلالة المطلقة والجمال المطلق والكمال المطلق (الله)! وإن جازت لابن القيم بالأمس ، فأنا بها اليوم أولى! وكم من شعراء كانت هذه قافيتهم وحازت قصائدهم القبول! وجعلت القصيدة على شكل نداءٍ حار للقلب لأنه بصلاحه تنصلح كل أعضاء الجسم ، وبفساده تفسد كل أعضاء الجسم! كما أخبر أبو القاسم – صلى الله عليه وسلم -.)

يـــا قلـــبُ ويحـــك ، لا تســـرفْ ، لـــك اللهُ ... إن الرقيـــب علـــى أعمالنـــا اللهُ

أحســـنْ ، فـــإن سِـــني العمـــر قـــد ذهبـــتْ ... هـــذي ذنوبُـــك يُحصـــي عـــدّها الله

فأصـــلح القـــول والأعمـــال محتســـباً ... إن الـــذي يـــرزق التقـــوى هـــو الله

إمـــا عصـــيت فتـــبْ ، فـــاللهُ مطلـــعٌ ... وإن ظلمـــت فـــردْ: حســـبيَ الله

وإن مـــررت علـــى قـــوم بهـــم ســـفهٌ ... فاحمـــدْ إلهـــك ، قـــل: نجـــانيَ الله

وإن حللـــت علـــى مـــن أعرضـــوا وطغـــوا ... فـــادعُ المليـــك ، وقـــل: أعاذنـــا الله

وإنْ هممـــت بـــأن تســـعى لمعصـــيةٍ ... فـــاذكر عقوبتهـــا ، والصـــارفُ الله

وإن أكلـــت حقـــوق النـــاس رُدّ لهـــم ... مـــا قـــد أكلـــت ، وقـــل: يُعِيننـــا الله

وإنْ أصـــابك مكـــروهٌ ، فكـــن جـــبلاً ... مـــن التصـــبّر ، إن الكاشـــف الله

لا تلعـــبنّ بـــك الآمـــالُ يانعـــة ... كـــم مـــن مســـوّف تـــوب ردّه الله!

فـــإن صـــلحت أيـــا قلبـــي فقـــد صـــلحتْ ... بـــك الجـــوارحُ ، والهـــادي هـــو الله

وإن فســـدت فقـــد ضـــاعت جوارحنـــا ... ومِـــن فســـادك ينْجـــي حالنـــا الله

نعـــوذ بـــالله مِـــن آلام غفلتنـــا ... فمنقـــذ الـــنفس ـ مـــن إفراطهـــا ـ الله

كـــذاك نســـأله حُســـناً لخاتمـــةٍ ... إن الـــذي يمـــنح الحُســـنى هـــو الله

وصـــل رب علـــى المبعـــوث ســـيدنا ... ومَـــن أطـــاع لـــه ، ومَـــن هـــدى الله

حوارٌ مع الليل

(عندما يُقبل الليل على قوم أذلةٍ ، فإنه يصطحب الشجون والهموم ، خاصة في زماننا الذي نيل فيه من أهل التوحيد ما لا يستطيع قلمٌ وصفه بحال! ومن هنا كانت هذه المحاورة الشعرية مع الليل الحزين! وذلك عبر سهرة مع النجوم في فناء البيت ، وعندها طاب السكون وعذبت المسامرة وحلا العتاب ، وتذكرت طيب الأصحاب وطيب الصحبة ومجاذبة أطراف الحديث حول قضية فكرية فودعتُ الليل! واستمرت الحكايا حتى غلب النوم قبيل الفجر بقليل ، ريثما يؤذن للفجر فأصلي!)

أيها الليلُ المستكينُ كفانا ... قد فقدنا – بين الأنام - الأمانا

واحتوانا الحزنُ المروّعُ دهراً ... وجثوْنا – فوق العذاب - زمانا

كل أرض فيها الدماءُ بحارٌ! ... ملئتْ يا ليلَ الكروب هوانا

إنها أرواحٌ توحّد رباً ... تنشد الحسنى والرضا والجنانا

رفع الكفر اليوم في الأرض رأساً ... وديارا وعَزمة وكِيانا

وله في كل البقاع ذيولٌ ... ويُعانُ ، والخير ليس مُعانا

وأيادٍ فيها الحِرابُ تغني ... وأماني الكفار لا تتوانى

تنشد النصرَ المستنيفَ علينا ... إنّ في طيّات الأماني دخانا

أيها الليلُ إنما نحن موتى ... فمُصابُ الموت البغيض طوانا

رخصتْ أعراضٌ ، وماتت قلوبٌ ... وأريقتْ في كل صُقع دمانا

وفؤادي في كل يوم يُعاني ... حسراتٍ في خاطري وطِعانا

وضميري – في حزنه - يتلوى ... ويراعي مللّ الدموع بيانا

ورفاقُ الدرب المَجيد سرابٌ ... صوّبوا – في قلب البرئ - السنانا

ثم كانوا عند الطواغي نسيماً ... يحتوي عطفاً نابضاً وحنانا

أيها الليلُ اذهبْ ، ودعني وصحبي ... كم سهرنا يا صاحبي ، فكفانا!

أعاجيب الأوهام

(كم قتلتِ الأوهام من قلوب أقوام أذعنتْ إليها ورضختْ لها واسترسلتْ معها! والقلوب المؤمنة لا تذعن للأوهام ولا ترضخ لها ولا تسترسل معها! والمخرج من الأوهام هو الاعتصام بحبل الله المتين والعمل بكتابه المبين واتباع نبيه الأمين – صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وأزواجه والتابعين -. وساعتها تنقشع الأوهام إلى غير رجعة! ويخشع القلب لذكر الله!)

إنما الوهمُ حقيرٌ وسخيفُ ... وله – في النفس – تأثيرٌ مخيفُ

كم شربتُ الوهم حتى ذاب قلبي ... عندما القلبُ تغشته الصروف!

فإذا بالوهم لم يبرحْ فؤادي ... وكأني بالأراجيف شغوف

وكذا النفس إذا النور قلاها ... تلفظ الوحي فيغزوها العزيف

غادة زلت ، وتاهت عن ضياها ... فاعترتها لخطاياها الجنوف

إيهِ يا نفساً بقعر الوهم غاصت ... ثم - حول الوهم - مازالت تطوف

ألأن الوهم هذا من خيال؟ ... إنما الوهم سرابٌ مستنيف!

أبعدَ القلبَ عن الحق طويلاً ... فإذا بالقلب تعلوه السيوف

لم يكن للقلب سِترٌ أو حجابٌ ... فاحتوتهُ – في تردّيه - الحتوف

ومشى – في التيه – جهلاً ، وتمادى ... وإذا الأوهام – في القلب - ضيوف

يا فؤادي لا تسرٍ في الوهم ، واعقلْ ... عاشق الوهم سقيمٌ وضعيف

فاسمُ بالقرآن – لا تبرحْ مداهُ ... قارئ القرآن شهمٌ وعفيف

في رحاب الذكر يحيا مستنيراً ... وهْو – بين الناس – عفٌ وشريف

واسأل السُنة دوماً عن دواءٍ ... فعلاجُ السنة الغرا ظريف

واسأل الله ثباتاً واصطباراً ... ربك الرحمنُ برٌ ورؤوف

واجعل التقوى طريقاً للمعالي ... يعشق العليا - من الناس - الحصيف

زفرة الآهات (كلماتٌ لها إيقاع)

(إن أهل الباطل عندهم جواب لكل سؤال مهما كان ذلك السؤال. وعندهم ردٌ على كل شبهة مهما كانت هذه الشبهة. وإن الشيطان ليجري على ألسنتهم بالردود والإجابات. والعاقل الفذ من تريث ووزن الكلمة قبل أن ينطق بها: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد). وخيرٌ للجاهل أن يسكت ولا أن يخوض في الكلام على الله بغير علم. قال أحد الجهلاء وقد استمع إلى موعظة عن الأمر الذي يكون بين الرجل وأهله مما شرع الله لهما ، وذكر عبرها المُحاضر أخلاقيات خاصة بهذا الشأن ، فاعتبرها ذلك الجاهل إسفافاً وقال: (إن هذا مما يثير نزوة وشهوة من يسمعون ومن يستمعن ومن بين من يستمعن ابنتي بل وزوجي! وهذا ليس أسلوباً موفقاً في الدعوة ولا في التربية!) فرد عليه المُحاضِر قائلاً: إذا كان حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما يثير الشهوات ويؤجج النزوات ويساعد على الانحراف ويهيج الغرائز عند ابنتك وزوجك – فماذا تفعل الأصنام التي ملأتم بها بيوتكم؟ تلك الأصنام التي تعرض ما تقشعر منه جلود البغايا حياء وخجلاً إن كان لا يزال عند واحدةٍ منهن حياء أو خجل ، ولكنه افتراض على أية حال! ونسأل: ماذا تفعل أفلام من يدعون العروبة والإسلام ، فضلاً عن المواد التي تبثها القنوات الإباحية الصليبية ، وقد أصبح العالم كله تقريباً قرية واحدة على حد ما يتشدقون؟ فإذا بالجاهل المتغطرس المتعجرف يُنهي الحوار فوراً. وأذكر أن مثل هذا الحوار حدث مع إحدى المؤمنات التي كانت تعلم الأطفال نشيد:

أحـــــــــزان قلبـــــــــي لا تـــــــــزولْ حتـــــــــى أبشـــــــــر بـــــــــالقبولْ

وأرى كتـــــــــابيَ بـــــــــاليمينْ وتقـــــــــرّ عينـــــــــي بالرســـــــــول

على نغمة أبي مازن! فاحتجّت إحدى الجاهلات الجاهليات على تلك المؤمنة وقالت: (إن هذه الكلمات تعقد الأطفال وتدفعهم إلى عالم الأحزان والهموم!) فردتْ عليها المؤمنة الواثقة وقالت: إن الأطفال اليوم قد حفظوا أغاني الحب والغرام والعشق والهيام ، مما قد أفسد أخلاقياتهم وأذواقهم يقيناً وفعلاً ، فكيف نخاف من تعليمهم الأناشيد الهادفة وهو ظن لا يرتقي إلى أولى درجات اليقين؟) فبهتت! وصدق من قال: (إن حماية هذه العقيدة من العاديات ؛ وكف العدوان والمعتدين من أعظم وأخطر مهمات أهل العلم والإيمان وأشرفها ، ولهم في ذلك القدح المعلى والحظ الأوفى ، وسيرهم مملوءة بالعبر التي كثرت فيها مصارع أهل البدعة والزندقة والكفر على أيديهم ، أي: أيدي أهل العقيدة وعلمائها ، حتى حصحص الحق وزهق الباطل! فلا أقوى من سلطان الحجة ، ولا أسطع من نور الدليل والبرهان ، وهذا من أعظم ما يمتاز به دين الله الحق ، إذ هو حجة وبينة ودليل وآية وبرهان ونور وشفاء لما في الصدور، وقد تهزم العساكر الكبار ، والحجة الشرعية الصحيحة لا تغلب أبداً!).هـ. وإذن فالحق أحق أن يُتبع! والحق أبلج ، والباطل لجلج!)

أيهـــــا الحمقـــــى أفيقـــــوا ، واســـــمعوا إنمـــــا الحـــــق شـــــهابٌ يســـــطعُ

وشـــــعاعُ النـــــور عـــــاتٍ وقعُـــــهُ ولـــــدى الحـــــق ســـــيوفٌ تلمـــــع

صـــــولة للحـــــق عـــــال صـــــوتها وضـــــباب الزيـــــف فيهـــــا يُقشـــــع

وأســـــــود الحـــــــق تســـــــمو للعُـــــــلا ... ولصـــــــوت الحـــــــق دومـــــــاً تســـــــمع

لـــــم تـــــزلْ تعطـــــي البرايـــــا خيرهـــــا ... جـــــوهر التقـــــوى وآيـــــاً تنفـــــع

وتغطـــــــي الأرض دمعـــــــاً ودمـــــــاً ... ولهـــــا ـ فـــــي كـــــل هيجـــــا ـ موقـــــع

وتضـــــــحّي ، وتعـــــــاني أبـــــــداً ... ولهـــــا – فـــــي الخيـــــر – جيـــــلٌ يـــــدفع

تعـــــرف الحـــــق ، وتســـــعى خلفـــــهُ ... وتحـــــب الصـــــدق ، ليســـــت تخـــــدع

فلمـــــــاذا لـــــــم تســـــــيروا خلفهـــــــا ... إنهـــــــا يـــــــا قـــــــوم عِـــــــز يرفـــــــع

أنـــــــتمُ جـــــــربتمُ سُـــــــبْل الهـــــــوى ... والهـــــــوى داءٌ مُبيـــــــرٌ مُفجـــــــع

وتلظيـــــــــتم ببلـــــــــوى رجســـــــــه ... وإلـــــى شـــــرع الهُـــــدى لـــــم تهرعـــــوا

أبلـــــةٌ يســـــخر مـــــن قـــــول النبـــــي ... ويـــــراعٌ للعـــــذارى يُفـــــزع

يســـــمع الآيـــــاتِ تتلـــــى عذبـــــة ... ثـــــم عـــــن إفلاســـــه لا يرجـــــع

يبســـــط الله يـــــداً فـــــي تـــــوبكم ... فاســـــتجيبوا للوصـــــايا واســـــمعوا

أإذا أطلقـــــــتَ بنتـــــــاً للخنـــــــا ... وأمـــــام الـــــدعر زوجـــــاً ترتـــــع

ســـــلب التلفـــــاز منهـــــا وعيهـــــا ... وإليـــــهِ كـــــل حـــــين تهـــــرع

وعلـــــى الهـــــزل تقضّـــــي عمرهـــــا ... همـــــة تخبـــــو ، وعـــــزمٌ يَخنـــــع

رأيهـــــا رغـــــم عماهـــــا نافـــــذ! ... قولهـــــا فصـــــلٌ ، وأنـــــت الطيّـــــع

ولهـــــا فـــــي الـــــرجس صـــــحبٌ ورؤىً ... وهْـــــي فـــــي التضـــــليل ســـــيفٌ يقطـــــع

ولـــــديها العهـــــرُ نـــــارٌ ســـــعّرتْ ... تهجـــــر البيـــــت ، لعـــــوبٌ ســـــلفع

وابنـــــة فـــــي كـــــل فســـــق برعـــــتْ ... وكـــــذا فـــــي كـــــل خِـــــزي تبـــــرع

وغـــــلامٌ فـــــي لظـــــى التيـــــه نمـــــا ... كيـــــف يحمـــــي نفســـــه أو ينفـــــع؟

ثـــــم تـــــأتي تـــــدعي فينـــــا التقـــــى؟ ... أعلينـــــا – فـــــي التجنـــــي – تبـــــدِع؟

عِرضـــــكم ربـــــاه وغـــــدٌ كـــــافرٌ ... وتلـــــوم الحـــــق يـــــا ذا الضـــــفدع؟

أيـــــن كنـــــتم يـــــوم ضـــــلت دُوركـــــم ... وغزاهـــــا – رغـــــم عـــــز - يَخـــــدع؟

يـــــوم صـــــارت كمـــــواخير البغـــــا ... وأراهـــــا - فـــــي أســـــاها - تصـــــرَع

ثـــــم حمقـــــا عـــــن غبـــــاءٍ أســـــفرتْ ... سُـــــمها فـــــي النشـــــأ يُـــــردي يكنـــــع

تـــــدّعي الأخـــــلاق ، ليســـــت تســـــتحي ... وإليهـــــا – فـــــي الضـــــلال - المرجـــــع

قلبُهـــــا مســـــتنقعٌ يحـــــوي الأذى ... ولهـــــا – فـــــوق الخبايـــــا - بُرقـــــع

تظهـــــر الحـــــرص علـــــى مَـــــن تحتهـــــا ... لـــــم يكـــــن مِـــــن دينهـــــا مـــــا يـــــردع

أشـــــهرتْ ســـــيف التحـــــدي غِيلـــــة ... وهْـــــي فـــــي حـــــرب المعـــــالي أشـــــجع

جـــــاهرتْ بـــــالزيف لمّـــــا تســـــتحي ... ثـــــم راحـــــتْ للقـــــوى تســـــتجمع

لكـــــنِ الحـــــق طواهـــــا ظـــــافراً ... ومحاهـــــا – فـــــي الحـــــوار - المَوقـــــع

حُجـــــة فاهـــــت بهـــــا أختُ الهُـــــدى ... وجـــــوابٌ – فـــــي التحـــــدي - يقمـــــع

ثبّـــــت الله خطاهـــــا أبـــــداً ... إنهـــــا الشـــــمسُ علينـــــا تطلـــــع

مثلهـــــا والله قلـــــتْ فـــــي النســـــا ... وســـــواها – فـــــي الـــــدنايا - تشـــــرع

فلمـــــا قالـــــت بقلبـــــي وقعُـــــهُ ... مفحـــــمٌ هـــــذا الجـــــوابُ المقنـــــع

زفـــــراتٌ للـــــورى فاهـــــت بهـــــا ... وكـــــلامٌ – فـــــي التحـــــدي - يصـــــفع

وكـــــذا آهاتهـــــا فـــــي مســـــمعي ... يختفـــــي خلـــــف صـــــداها المســـــمع

إنـــــه الإيقـــــاعُ فـــــي قلبـــــي جثـــــا ... وأنـــــا مـــــن ريّـــــه لا أشـــــبع

إنـــــه الحـــــقُ كحيـــــلٌ طرفـــــه ... وسِـــــواه بائـــــدٌ مُستبشـــــع

فـــــاحفظِ اللهـــــمّ هـــــذي ، وارعهـــــا ... نبتـــــة شـــــبّتْ ، وربـــــي يـــــزرع!

اعترافات على لسان حواء

(كثيراً ما نقرأ أو نسمع اعترافات نسائية بأن المرأة لم تبتذل في زمان قط مثلما ابتذلت في زماننا هذا. والموجة مطردة ، فما من يوم يمر إلا وتهان بنات حواء إهانة أعتى وأنكى! ابتذلت في العمل والإعلان والفيلم والمسلسل والدعاية ، وأصبحنا نسمع عن شهيدة الفن وشهيدة الغناء وشهيدة الموسيقى! ومطالبات شتى بجعلها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات والميراث والديات! ومطالبات بالتحرير الكامل للمرأة من سلطان الدين والرجل والعرف والمجتمع والقيم والأخلاق والمبادئ!)

إنما حواءُ في أيامنا هذي شريدة
تشرب الذل كؤو ساً في العذابات الجهيدة
وتعاني ما جنت ه أختها تلك البليدة
رقصتْ حتى تدنـ ـت ، ثم غنت مستزيدة
مثلتْ حتى قلتـ ـها فطرة الله المجيدة
وتعرّتْ في البرا يا بدنانير زهيدة
ثم قالت في جلا ءٍ: إنني – اليوم - وئيدة
أخذوني من حيا ئي ، ورمَوْني كالطريدة
قذفوني للضوا ري ، ثم قالوا لي: (شهيدة)
قلت: مهلاً ، صدقيـ ـني إنك – اليوم - فقيدة
ثم أستثني التي رفعتْ شأن العقيدة
آمنتْ بالله رباً دربها دربٌ حميدة
تعبد الله ، وتحيـ ـا في سنا التقوى رشيدة
ثم – فوق الجسم - سترٌ واحتياطاتٌ عديدة
وإذا سارت فخطوا تٌ على الأرض قصيدة
فاستفيدي من هدا ها ومراميها البعيدة

الضحية والجزار

(إن الضحية طفل بوسنوي رضيع ، ذبحه الجزار الصربي مع رفاق له نصب عيني أبيه ، وأمروا الأب أن يأكل من لحم ولده المشوى فأبى فقتلوه! أي قسوة تلك؟ وأي وحشية تلك؟ وهل فعل المسلمون هذا يوماً بأعدائهم؟ كيف ونبيهم يأمرهم أن لا يقتلوا الشيخ أو الطفل أو المرأة ولا يقتلعوا الشجر ولا يردموا الآبار؟)

لفظتَ الحياة وأنغامها ... وكنت تهنئ أحلامها

وكنت – من العيش – في سعةٍ ... تحب الديار وأيامها

وتهوى الأمان ، وتحمي الحمى ... ودارك تنسج آلامها

تردى الكِرامُ على أرضها ... ورام الأراذلُ إقحامها

وكانت ديارك مثل السنا ... تبث القصيدة أنغامها

وتهدي جنى الشعر من زارها ... وتهدي القريحة إلهامها

فلما تناست هدى ربها ... وراحت تعطل إسلامها

أتاها من الله مقدورها ... وأرسلت الصربُ أصنامها

فإن العقاب بذنب الورى ... وبالتوب ترزق إكرامها

إلى أن أتاك العذاب الذي ... يذيق الخلائق آثامها

وطفلك في النار كان الفدا ... ودارك تكرم من سامها

يريد الكلاب الذي لم يكن ... لترضيَ – بالظلم - حُكامها

أشيخٌ يشُم دخان ابنه؟ ... مَعاذ السجايا ومن رامها

كذاك هناك الضحايا التي ... ستشكو البلايا وإجرامها

أتسبَى النساء بعصر الفضا؟ ... ودُورٌ تبارك إعلامها

على أنه ناقلٌ صورة ... تذيب القلوب وإقدامها

ضريبة الذل

(منذ سنوات كتبت (الناقة والسايس) ، ونشرتها في جريدة (الوحدة العربية). واليوم أكتب (ضريبة الذل) لأعبّر فيها عن مدى ما يخسره المرء يوم يقرر أن يتنازل عن حريته وإبائه وكرامته وإنسانيته! وفي نهاية المطاف يلقي باللائمة على الآخرين من حوله لبلاهة عقله! وإنها ضريبة الذل التي تدفعها الملايين يوم تفرّط في دينها الذي هو عصمة أمرها ومناط حياتها!)

إنما الذل خرابٌ وضياعُ ... وذليلُ القوم في السوق يُباعُ

ليس يرضى ذله إلا حقيرٌ ... لفظ العِز ، وأرداهُ الخِداع

وكريمُ النفس يسمو للمعالي ... وله – في الخلق – أوصافٌ تذاع

قد يُضحّي بالدنانير رضياً ... ليس – في القلب – يغوثٌ أو سُواع

في سبيل الله يقلو كل غال ... وله في نصرة التوحيد باع

وسواهُ في دجى الذل أسيرٌ ... يعشق القهر ، له فيهِ متاع

وعبيد القمع من أشقى البرايا ... لحرام الله – كلا – لم يُراعوا

فإذا الطاغوتُ فيهم يتشفى ... فإذا كل يدٍ فيها يراع

وإذا كل لسان يتغنى ... بهوى الطاغوت ، والحب مُشاع

وإذا الطاغوت قد قال كلاماً ... أمرُه – رغم الملايين - مُطاع

إنه قد صاغ ذل القوم ثوباً ... فإذا القوم عِطاشٌ وجياع

وإذا القوم بلا دين قويم ... وإذا – في الناس – قد شبّ الصراع

وإذا الحُر - لدى الظلم - أسيرٌ ... وإذا العُبدان ترديها السِباع

وإذا العيشُ فسادٌ في فسادٍ ... وإذا المَركبُ جافاها الشراع

وإذا الكل لفرعون يغني ... ويقول: أنت شهمٌ وشجاع

إنه الذل يُميتُ القلب حقاً ... أمة ذلتْ ، وأعماها الشياع

دموع القوافي (قل للمليحة)

(إن البلايا التي يتعرض لها الموحّدون والموحّدات اليوم لا تجعل للغزل عفيفاً كان أو غير عفيفٍ مكاناً في القلوب ، ولذلك تدمع القوافي لتعبّر بالدموع عن الحال التي وصل إليها أهل الحق! وأولى بالشاعر الجاد أن يتناول الموضوعات الجادة الهادفة في شعره بدلاً من الموضوعات السخيفة! وأعتقد اعتقاداً جازماً أن شعر المراهقين قد تولى زمانه ليحل محله شعر الرجال العقلاء! وهنا أوجه دعوتي شعراً لكل المليحات المتبرجات أن يكففن عن عَرض البضاعة الرخيصة!)

قـــل للمليحـــة مـــات الحِبـــرُ والـــورقُ ... وبالمشـــاعر ضـــاق القلـــبُ والأفـــقُ

وزخـــرُفُ العـــيش قـــد بـــادتْ معالمـــه ... ولـــم يعـــد ليـــراع الشـــوق مرتفـــق

وجـــوهر الشـــعر قـــد غاصـــت بيارقـــه ... ومركـــبُ الحـــب قـــد أودى بهـــا الغـــرق

فـــيم التغـــزل ، والآمـــالُ ضـــائعة ... وبـــأسُ أهـــل الهُـــدى فـــي الـــدرب يحتـــرق؟

وضـــاع منـــا الحمـــى فـــي ظـــل فرقتنـــا! ... وريحُنـــا ذهبـــتْ ، والصـــف مختـــرق

دمـــعُ القـــوافي – علـــى القرطـــاس - منســـكبٌ ... وصـــورة الشـــعر أدمـــى حُســـنَها الأرق

ضـــج الغـــرامُ لمـــا قـــد نـــال جوقتـــه ... وجيلنـــا – مـــن صـــدى – عُشـــاقه شـــبق

إلا الـــذين – علـــى التوحيـــد - مـــنهجُهم ... فهـــؤلاء لهـــم - فـــي الخيـــر - مســـتبق

إنـــا مللنـــا مـــن العشـــاق نشـــهدُهم ... مـــن الهدايـــة والأخـــلاق قـــد مرقـــوا

وشـــاعرُ العشـــق فـــي أيامنـــا فـــرحٌ ... إذ إنـــه برذيـــل الشـــعر يرتـــزق

يُسَـــطر الشـــعر فـــي عينـــين قـــد بـــدتا ... وفـــي جبـــين بـــدا كأنـــه الشـــفق

وفـــي القـــوام ســـعى كأنـــه قمـــرٌ ... وفـــي الجمـــال ســـعى بـــدراً لـــه ألـــق

وفـــي اللآلـــئ زانـــت جيـــد غانيـــةٍ ... وفـــي الشـــعور تـــدلى خلفهـــا الـــورق

وفـــي الخـــدود تزيـــد الوجـــه مَلهبـــة ... وفـــي النهـــود ، وفـــي سُـــوق لهـــا عبـــق

إنْ كـــان ذلـــك يُرضـــي قلـــب غادتنـــا ... ليأخـــذِ اللهُ مـــن ضـــلتْ ومـــن فســـقوا

إن قلبي جريح

(إن الداعي إلى الله تعالى يظل يعطي حتى إذا حِيل بينه وبين ما يشتهي من دعوة الناس وبيان الحق ، اشتكى إلى ربه تعالى ما يلقى وما يعاني. وإن المؤامرة على الحنيفية السمحاء مؤامرة عالمية تتجمع في ناديها كل قوى الشر. ولسوف ينتصر الحق يوماً كما انتصر من قبل في جميع جولاته بالأمس. وإنْ هي إلا دول تدال بين الناس ليكون المستقبل لهذا الدين في النهاية. وصدق الرب – عز وجل – إذ قال ، وقوله الحق: (وتلك الأيام نداولها بين الناس). وإذن فالحق سوف ينتصر لأنه دين الله ، والله أغير عليه من سواه وأقدر على نصرته وإن خذله (أي الحق) أهل الأرض جميعا بما فيهم المسلمون! إنه بسبب الوشاية الرخيصة والنفاق الممقوت الذميم والارتزاق المرذول والعمالة الملعونة الحقيلاة ، حيل بين داعية موحّد وبين منبره ، بل حيل بينه وبين الناس المحبين له! ومسته البأساء والضراء وزلزل وكاد أن يضيع في هذه الحياة لولا عناية الله تعالى ولطفه ورحمته. وذات يوم زار ذلك الداعية مسجده الذي اعتاد أن يدعو إلى الله من خلاله بالمواعظ والمحاضرات والدروس والخطب ، وتذكر الأيام الخوالي والذكريات الجميلة ، واستلهم قيمة الحياة الراحلة واعتبر بهوان الأيام الحالية ، فتخيلته يبكي لنا شعراً فأنشدت هذه القصيدة! متخيلاً قلبه الجريح وشعوره المدمى وإحساسه اللاعج وروحه المعذبة وهو يتحدث إلى مسجده!)

بينـــي وبينـــك حِيـــل - اليـــوم - يـــا بطـــلُ ... وحاســـب الله مـــن قـــالوا ومـــن فعلـــوا

بـــالرغم منـــي رمـــاني الصـــحبُ ، وانصـــرفوا ... وأســـلموني ، فمـــات الحـــب والأمـــل

وقـــد جفـــانيَ أشـــقى القـــوم تشـــفية ... حتـــى يبـــالغ فـــي تكريمـــه (هُبَـــل)

وبـــاع ودي ، ولـــم يـــرحم صـــداقتنا ... ولـــم يـــرد لظـــى أحقـــاده الخجـــل

ثـــم ادعـــى الاجتهـــاد الحـــق فـــي ملـــق ... لكنمـــا النـــذلُ قـــد غصـــت بـــه العِلـــل

خانتـــه حُجتـــه ، فارتـــد منهزمـــاً ... وظـــالمُ النـــاس قـــد يحـــدو بـــه المَهـــل

حتـــى يظـــن بـــأن الله تاركـــه! ... وسُـــنة الله لا يـــأتي لهـــا العَجَـــل

يُمْلـــي العزيـــز لمـــن جـــاروا ويُمهلهـــم ... فربمـــا رجعـــوا ، وربمـــا اعتـــدلوا

وثـــم أخـــذ ، ولا إفـــلات يُـــدركهم ... ولا نجـــاة لهـــم ، وتغلـــق الســـبل

يـــا مســـجدي كفكـــفِ الـــدمع الحـــزين ، كفـــى! ... حتـــى متـــى وســـيولُ الـــدمع تنهطـــل؟!

يـــا منبـــري العـــذبَ لا تنكـــأ أخوتنـــا ... حتـــى متـــى وعيـــون الشـــهم تنهمـــل؟!

لـــولا الخيانـــة مـــا حولـــتُ راحلتـــي ... ولـــم أهـــاجرْ ، فمثلـــي لـــيس يرتحـــل

كـــــم اعتليتـــــك ، زادي العلـــــمُ أبذلـــــه! وكـــاتمُ الحـــق – بـــين النـــاس - يُبتـــذل

ولـــم أنـــافقْ ، وســـيفي فـــوق حُنجرتـــي أمـــزق البغـــيَ ، للتوحيـــد أنفعـــل

والمنبـــر الفـــذ محبـــورٌ بملحمتـــي والبُـــوقُ مؤتلـــقٌ ، فـــي بثـــه بطـــل

يختـــال زهـــواً ، فعطـــرُ الحـــق يغمـــره وإن أطلـــتُ شـــكَوْا ، والبُـــوق يحتمـــل

يُهـــدي اليقـــين إلـــى المحـــراب فـــي ثقـــةٍ ألا يخـــاف ولا يحظـــى بـــه الوجـــل

والمســـجد الشـــهم يعطينـــي نصـــيحته يقـــول: عنـــد المليـــك الـــرزق والأجـــل

فـــلا تخـــفْ أبـــداً بُهتـــان مـــن كـــذبوا إن الجليـــل نصـــيرُ الحـــق يـــا رجـــل

يومـــاً سيَنصـــر رب النـــاس دعـــوتكم هـــو الظهيـــرُ لمـــن عليـــه يتكـــل

وغيـــرُك – اليـــوم – بـــالوحيين مرتـــزقٌ كمـــا تـــراهم ببـــذل العلـــم قـــد بخلـــوا

وقـــد نصـــحتَ لهـــم ، لكـــنهم خشُـــبٌ وكـــم أبنـــتَ لهـــم ، لكـــنهم همَـــل!

كـــلٌ يريـــد دراهيمـــاً يُـــداعبها والمخلصـــون - لنيـــل الخلـــد - قـــد عملـــوا

كـــلٌ يبيـــع لأهـــل الظلـــم مِلتـــه والصـــادقون - بغيـــر النصـــح - مـــا اشـــتغلوا

وأغلـــبُ العِيـــر – للطـــاغوت – قـــد ركنـــوا ولـــم تسُـــدْ ملـــة فـــي الأرض ، بـــل مِلـــل

يـــا مســـجداً يكتـــوي بالنـــار لافحـــة صـــابرْ ، فإنـــك – فـــي هـــذا العنـــا – رجـــل!

يومـــاً يعـــود إلـــى الميـــدان فارســـه ويختفـــي النـــذلُ والمُحتـــالُ والحِيَـــل

إن ضـــقتَ ذرعـــاً بمـــا تلقـــاه مـــن كـــذب فـــاعلم بـــأن جـــزاء المفتـــري الخبـــل

والله يعلـــم مـــا حـــاكوا ومـــا اختلقـــوا والحـــق خـــاذلُ مـــن ضـــلوا ومـــن جهلـــوا

فخفـــفِ اللـــوم ، إن الأمـــر ذو شـــجن قلبـــي جـــريحٌ ، وخطبـــي - اليـــوم - مكتمـــل

إن له لحلاوة

(التراويح في دار الغربة لها طعم آخر ومعنى آخر! فما إن يحن وقتها حتى ترى الناس رجالاً ونساء يتوافدون على المساجد يصلون لله ويذكرونه ويقفون بين يديه – عز وجل – ضارعين. وخاصة في العشر الأواخر يكون الأمر على نطاق واسع حتى ليمكننا القول بأنه لم يبق في البيوت أحد! وما أجمل التراويح إنْ أدّاها بالناس إمامٌ صحيح العقيدة صحيح التلاوة يترنم بالقرآن ويشدو به ويتغنى ويتباكى إن هو لم يبك! فيجمع بذلك بين (التوحيد والتجويد). وعندها يحس الإنسان بلذة الصلاة وجمالها وعذوبتها. ولقد اعتدت في فترة من الفترات أن ألتمس العقيدة والصوت معا في إمامي مهما بعُد المسجد! فكنت في شرق البلاد أو غربها أو شمالها أو جنوبها ألتمس الإمام الموحّد والخطيب الموحّد مهما كلفني ذلك. وفي دار غربتي كان لي توله وتعلق بمسجد (سلمان الفارسي) ، مثلي في ذلك مثل كثير من المصريين ، وليس تعصباً لإمامه المصري الأستاذ عبد المنعم عبد المبدي – حفظه الله - ، بل كان ذلك مني ومنهم حباً في المسجد وأهله وعُمّاره وزواره من العابدين المخلصين! وما أحلى أن يعيش الموحّد مع كلام ربه يتلوه فمٌ صادق مؤمن لإنسان يعرف الحق ويعمل به. وإن نظن إلا ظناً ، وما نحن بمستيقنين. وتحديداً في يوم العاشر من رمضان لعام 1417هـ كنت قد صليت التراويح في مسجد سلمان الفارسي ، وأدى التراويح بنا إماماً الأستاذ عبد المنعم عبد المبدي ، وكأني به قد أوتي مزماراً من مزامير آل داود ، لا حرمنا الله ذلك الصوت الشجي الندي العذب الرطب ، وكنت قد انفعلت للقراءة الجميلة تلك ، جعلها الله في ميزان من قرأ ومن سمع ومن عمل بما قرأ وسمع ، وكانت ترجمة هذا الانفعال بهذه القراءة الظريفة قصيدة تحرّك جنينها في رحم الشعور ، وذلك بعد أربع ركعات التراويح ، حيث اعتاد الأستاذ أن يتوقف عن الصلاة ليلقي شيئاً من الموعظة متعلقاً بما تلاه على المسامع في الصلاة. ولما تم الحمل وناء رحم الشعور بمطلع وأبيات القصيدة وحانت ساعة الولادة ، تذكرت كيف يحفظ الله كتابه وسُنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – بالرجال الموحّدين المخلصين – جعلنا الله منهم – وأذكر في هذا المقام ما كتبه ابنُ الأثير في الكامل ص125ج6: (لما بعث الله تعالى سيد الأولين والآخرين محمداً – صلى الله عليه وسلم – عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وقريش وسائر العرب ، لأنه سفه أحلامهم وعاب أديانهم وآلهتهم ، وفرّق جمعهم ، فاجتمعوا يداً واحدة عليه فكفاه الله كيدهم ونصره عليهم ، فأسلم منهم من هداه الله تعالى ، فلما قبض – صلى الله عليه وسلم – نجم النفاق وارتد بعض العرب ، وظنوا أن الصحابة يضعفون بعده ، فجاهد أبو بكر حتى ردّ الردة ، وأذل الكفر ، ووطئ الجزيرة العربية فارس والروم. فلما حضرته الوفاة ، ظنوا أنه بموته ينتقض الإسلام ، فاستخلف عمر بن الخطاب فأذل الروم وفارساً ، وغلب على ممالكهما! فدس عليه المنافقون أبا لؤلؤة المجوسي فقتله ، ظنا منهم أنه بقتله ينطفئ نور الإسلام. فلما قتل ووليَ بعده أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب ، قام بالأمر أحسن قيام ، فلما يئس الأعداء من استئصاله (أي الإسلام) بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم).هـ. وأنا أقول بعد ابن الأثير: إن سُنة الله جرت بأن ينتصر الإسلام بقدر من الله الغالب القوي القدير على أيدي الرجال الصِيد المؤمنين المخلصين. والشاهد على هذا التصور ما نراه نحن اليوم وما رأيناه بالأمس. والآن نعود للأستاذ عبد المنعم الذي أمتعنا بالقرآن وأشجانا به ، فجزاه الله الخير كله ، ولا نزكي على الله أحداً. وكنت قد جعلت عنوان القصيدة ما وصف الوليد بن المغيرة به كتاب الله تعالى في أدق وأحلى وصف عندما أخِذ بجلال وجمال وكمال وحلاوة وعذوبة ورقة القرآن عندما تلاه عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم جاء ليساوم النبي على ترك ما يدعو

إليه. وكنتُ قد اخترتُ العنوان من هذا الرجل الكافر من باب: (الحكمة ضالة المؤمن). لئلا يقول سفيه: كيف نأخذ عبارة الكافر؟! يقول الأستاذ علي القرني – حفظه الله – في وصف القرآن: (إن لكل رسول من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - معجزة اِختُصَّ بها من بين الرسل ليصدقه قومه وليعلن التوحيد فيهم بالبراهين! فكان لموسى عليه السلام معجزة العصا يوم خرج في قوم بلغوا في السحر ذروته ومنتهاه ، فأتت عصاه تلقف ما صنعوا فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون! وبلغ قوم عيسي مبلغاً عظيماً في الطب ، فأتي إليهم عيسي بطب من الواحد الأحد يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، فوقع الحق واندحر الباطل! وأما رسولنا صلى الله عليه وسلم فبعث في أمة فصيحة في لغتها مجيدة في بيانها ، خطيبها أخطب الخطباء أرقى الشعراء فأتي إليهم بالقرآن ، سمعوه فدهشوا من بيانه وبهتوا من بلاغته وعذوبته وفصاحته!)

حبّـــــر الآيـــــاتِ ، طيّـــــبْ مَعشـــــري ... وامـــــلأ الـــــدنيا بطِيـــــب العنبـــــرِ

وامـــــنح القلـــــبَ ســـــروراً يُشـــــتهى ... وارق – بـــــالروح – لـــــروض مُزهـــــر

مـــــن أريـــــج الآي يـــــا طيفـــــاً شـــــدا ... حـــــرّكِ الـــــدمعَ بعينِـــــي ، واذكُـــــر

واســـــكب الفحـــــوى علـــــى قلـــــب هفـــــا ... إن هـــــذا الـــــذكر يُزْكـــــي مَعْشـــــري

وابـــــذر الخيـــــر علـــــى ســـــمع الـــــورى ... إنمـــــا الـــــذكرُ رطيـــــبٌ وطـــــري

وارو بـــــالترجيع نفســـــاً تبتغـــــي ... جنـــــة المـــــأوى ونهـــــرَ الكـــــوثر

وارفـــــع الـــــروحَ إلـــــى أعلـــــى ســـــما ... واهـــــدِنا بالمســـــتنير المعْطِـــــر

وأعرنـــــي الصـــــوت هـــــذا ليلـــــة ... أو بـــــع الشـــــدو ، وإنـــــي المشـــــتري!

إنـــــه مزمـــــارُ داودٍ ســـــرى ... فـــــي قلـــــوب النـــــاس مثـــــل الجـــــوهر

إنـــــه الشـــــمس ، تنـــــاغي وهجهـــــا ... تبعـــــث الـــــدفء بقلـــــب الخيّـــــر

إنـــــه الـــــنجم مُحيّـــــاهُ الســـــنا ... ولـــــه المعنـــــى بهـــــيجٌ والسّـــــري

زخـــــرفِ المحـــــرابَ ، أغرقنـــــا بُكـــــا ... واذبـــــح الكيـــــد بقلـــــب المفتـــــري

أتـــــرع المســـــجد عطـــــراً والـــــورى ... ليلـــــة زينـــــتْ بمســـــكٍ مُعْصِـــــر

واقـــــرأ الآيـــــاتِ فينـــــا صـــــادحاً ... تنبـــــتُ الـــــذكرى بـــــوادٍ مُقفـــــر

أيهـــــا البلبـــــلُ أســـــعدْ مُهجتـــــي ... ثـــــم أتحفنـــــي بظـــــل الســـــوْحر

عنـــــــدليبَ الخيـــــــر متـــــــعْ همتـــــــي ... جفـــــــف الـــــــدمع بقلـــــــب المحجـــــــر

(بورســـــــعيد) اليـــــــوم شـــــــادٍ فخرُهـــــــا ... ولهـــــــا عُـــــــرسٌ بليْـــــــل أشـــــــجر

قلـــــــتُ: قـــــــد حـــــــق لهـــــــا أن تزدهـــــــيْ ... وتبـــــــاهيْ بـــــــالزكي العبقـــــــري

مـــــن يعيـــــد – اليـــــوم – مجـــــداً قـــــد مضـــــى ... بهُـــــدى الله المنيـــــر المُثمـــــر

مـــــن لـــــه الفرقـــــانُ أمســـــى مَعْلمـــــاً ... مـــــن ســـــعى خلـــــف الجميـــــع المجهـــــر

مـــــن ســـــما فـــــي الـــــدين والـــــدنيا معـــــاً ... مـــــن تســـــامى بـــــالمَعين المُـــــؤثر

إيـــــه يـــــا (ســـــلمانُ) هـــــذا ضـــــيفكم ... أكـــــرم الضـــــيف عظـــــيم المَحسَـــــر

وافـــــتح الأبـــــواب للقـــــوم الألـــــى ... طرقوهـــــا فـــــي بكـــــاءٍ مُبحـــــر

فـــــالتراويحُ ســـــتهدي نورهـــــا ... كـــــل عبـــــدٍ مخبـــــتٍ مُســـــتعبر

رمضـــــانُ العـــــامَ يمضـــــي شـــــاهداً ... شـــــيخنا فـــــاقرأ بحُـــــزن جهْـــــوري

فـــــاقرأ (الأعـــــراف) فـــــي ســـــمْع الـــــورى ... واذرفِ الـــــدمع كمـــــاء الأنهُـــــر

واقـــــرأ (الأنفـــــال) فـــــيمن وحّـــــدوا ... وأعـــــدْ فينـــــا الجهـــــاد الســـــمهري

واقـــــرأ (الرعـــــد وطـــــه والضـــــحى) ... وبيانـــــاً كـــــان فـــــي (المـــــدثر)

واقـــــرأ (الإســـــراء والكهـــــف) معـــــاً ... ثـــــم غـــــردْ بـــــ (النبـــــا) كالمِسْـــــور

واقـــــرأ (الـــــروم ولقمـــــان) معـــــاً ... وانحـــــر الجهـــــل بـــــآي (الكـــــوثر)

واقـــــرأ (الطـــــارق والأعلـــــى) معـــــاً ... واقـــــرأ (الفجـــــر) بعـــــزم الأصـــــحر

ثبـــــتِ اللهـــــم عبـــــداً قـــــد تـــــلا ... وقِـــــه شـــــر المُضـــــل الفيقـــــر

وانفـــــع اللهـــــم أجيـــــالاً بـــــه ... واهـــــزم اللهـــــم جُنـــــد القيصـــــر

ثـــــم بـــــاركْ يـــــا إلهـــــي صـــــوته ... عـــــز مـــــن ســـــيفٍ فتـــــي مُشْـــــهَر!

لا عـــــدمنا الصـــــوت هـــــذا أبـــــداً ... فـــــض فـــــوه مـــــن عليـــــهِ يفتـــــري!

لا حُرمنـــــــــاهُ مَعينـــــــــاً صـــــــــافياً ... خـــــذ إلهـــــي مـــــن عليـــــهِ يجتـــــري

واخـــــذل اللهـــــم مَـــــن كـــــادوا لـــــه ... أبطـــــل اللهـــــم ســـــحرَ الحبتـــــر

غـــــرّه حِلمـــــك ربـــــي ، فانتصـــــرْ ... وأجرْنـــــا مـــــن قطيـــــع يمتـــــري

حـــــاربوا الحـــــق ، وعـــــابوا أهلـــــه ... ولهـــــم كيـــــدٌ رهيـــــبٌ يعتـــــري

وسُـــــكارى أتقنـــــوا صُـــــنع الأذى ... فـــــي غثـــــاءٍ ضـــــائع مســـــتهتر

رب أنـــــت الحـــــق دمّـــــرْ كيـــــدهم ... وامحـــــق اللهـــــم زيـــــف الجيهـــــر

رب أظهـــــرْهُ علـــــى أعدائـــــه ... أرســـــل النصـــــر كمـــــوج الأبحُـــــر

وتـــــول العبـــــد هـــــذا ، إنـــــهُ ... يبـــــذل النصـــــح كغيـــــثٍ أزهـــــر

لـــــم يخـــــفْ فـــــي الله سُـــــوآى ظـــــالم ... وكـــــذا لـــــم يخـــــش بلـــــوى الحيـــــدر

كـــــم يحـــــب الحـــــق! كـــــم يعطـــــي لـــــه! ... بســـــخاء مســـــتنيفٍ مُمْطـــــر!

هـــــو يَنبـــــوعُ المعـــــاني والـــــرؤى ... وهْـــــو – فـــــي الإعـــــراب – فـــــاق العُكبـــــري!

حســـــن الســـــمت ، وعـــــذب الملتقـــــى ... وهْـــــو فـــــي التحـــــديث مثـــــل (اليشـــــكري)

إن رأى معصـــــــــيّة أنكرهـــــــــا ... بهـــــــــدوءٍ وبيـــــــــان مُبْهِـــــــــر

مثلـــــــه فينـــــــا قليـــــــلٌ نـــــــادرٌ ... وهْـــــو – فـــــي التصـــــوير – فـــــاق (البحتـــــري)

لا أزكّيـــــــــهِ علـــــــــى رب الســـــــــما ... إنمـــــــــا أحســـــــــبه ، لا أمتـــــــــري

إنمـــــــــا أنزلِـــــــــه منزلـــــــــه ... ثـــــم فـــــي هـــــذا حـــــديث المُنـــــذر

إنـــــه منـــــي كنفســـــي أو أخـــــي ... رب فـــــانفعني بشـــــهم خيّـــــر

حوار الشجون

(إن للمسلم على المسلم أنْ يستر عورته ، ويغفر ذلته ، ويرحم عَبرته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويُديم نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويُكافئ صلته ويشكر نعمته ، ويُحسن نصرته ، ويقضي حاجته ، ويشد من أزره ، ويشفع مسألته ، ويشمت عطسته ، ويرد ضالته ، ويواليه ، ولا يعاديه ، وينصره على ظالمه ، ويكفه عن ظلم غيره ، ولا يُسْلمه ، ولا يخذله ، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه ، وأن يقوم برد الشبهة عن نفسه عنده أو عنه عند غيره ما أمكن. وإنني في قصيدة (حوار الشجون) أقوم بالدفاع عن شبهة ارتأتها (أم عمران) وهي أخت في الله ، قدمها لنا وقدمنا لها الأستاذ عبد المنعم عبد المبدي إمام وخطيب مسجد سلمان الفارسي بدبي عام 1996م. والشبهة التي ارتأتها نحاول هنا أن نرد عليها شعراً. ونعتذر عن طول المقدمة إذ لا بد منها في نظرنا لكي يكون القارئ على بينة وتوطئة لما سوف يُطالع في القصيدة. ظنت أم عمران أنني ـ لكثرة ما أنفعل لكلاحة الباطل وأهله وهوان الحق وأهله – قد تعقدت من الحياة والأحياء. فراجعتُ حساباتي واستغرقتُ في تفكير عميق خرجتْ بعده هذه القصيدة التي أعطيتها عنوان (حوار الشجون). وأحب أن أقول: إن شكوى الحال إلى الله تعالى واللجأ إليه والاستغاثة به وحده في السراء والضراء سمتُ أهل التوحيد من الأنبياء والرسل ابتداءً ومن اتبعهم وسار على منهاجهم. لقد كانوا في دعوتهم يتعرضون لكلاحة الباطل وأهله ، وينفعلون لذلك أشد الانفعال ، ويتمنون على الله لو زال سلطان ذلك الباطل وآلت العزة والكلمة والشوكة والمنعة إلى أهل التوحيد. يقول الله تعالى: (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) وهذا هو نوح عليه السلام يقول: (رب إني مغلوبٌ فانتصر) ويقول: (رب إن قومي كذبون) ويقول: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً). وأيوب عليه السلام يقول: (رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين). وزكريا عليه السلام يقول: (رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين). ويوسف عليه السلام يقول: (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين). وموسى عليه السلام يقول: (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم). فهل كان موسى عليه السلام يحقد هنا على فرعون ومن حوله من الملأ والبطانة والحاشية؟ أم كان يعبّر عن مدى غيرته على الحق وتمنى أن لو كان المال والزينة لأهل التوحيد؟ وأيضا في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما كان يوم بدر نظر إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه ويقول: (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إنْ تهلكْ هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض). وأيضاً في الحديث الضعيف عندما رجع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – آسفاً حزيناً وفي أثناء عودته بهذه الحالة التي يرثى لها ، توجه إلى ربه بهذا الدعاء: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات وأشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ،

ولا حول ولا قوة إلا بك). فهل كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على فرض صحة الحديث – مُعقداً من الحياة وناقماً عليها؟ بالطبع لا ، وإنما هو الكرب واستفحال الباطل للحد الذي به يذل الحق وأهله فتنشأ عن ذلك أمان في القلب لو زال هذا السلطان من أيدي أعداء التوحيد وآل إلى أهل الحق والتوحيد وصار لهم غنيمة باردة! ومن هذا المنطلق ، ومن تلك المشربية أعاتب أم عمرو أو أم عمران مبيناً لها أنني لست معقداً من الحياة ولا ناقماً عليها! يقول الدكتور الحوالي: (ما منا أحد اليوم إلا وهو يسمع ويجالس ويرى ويستشعر في كل حين هذه الأحداث الدامية العصيبة ، التي تمر بأمة الإسلام في كل البلاد. مع أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يجامل في سنته ولا يُحابي أحداً ، فله سُنن ثابتة لا تتخلف ، وقد ابتلانا قبل ذلك بالنعماء وبالسراء ، ثم ها هي قد بدأت طلائع البأساء والضراء ـ ونسأل الله العفو العافية ـ وليست المشكلة في أن البلايا تقع ، أو أن العذاب يقترب ، أو أن الفتن والمحن تموج ، فهذا تاريخنا الإسلامي حافل بها. ولكن المصيبة والمشكلة في غفلتنا عن أسباب الوقاية ، وفي بُعدنا عن الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، والأخذ بموجب التقوى والإيمان ، الذي يدفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به العذاب ، ويكشف عنا به البلاء ، والله عز وجل رحيم وكريم وهو الغني الحميد ، ومن رحمته بهذه الأمة ـ وهو الذي أنزل إليها الكتاب رحمة وبعث إليها نبي الرحمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أن بين لها كيف تتقي عذابه؟ وكيف تتجنب سخطه؟ وكيف تأخذ بأسباب النجاة في أمر دينها ودنياها؟ وإن مما شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجعله سبباً ـ بل هو من أعظم الأسباب ـ لاتقاء عذابه وسخطه ، دعاءه والتضرع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، والتوبة والاستغفار والإنابة ، فنحن في هذه الأيام أحوج ما نكون إليها ، وإن كنا محتاجين إليها في كل وقت وفي كل حين ؛ لكن مع هذه الفتن ومع هذه الأحداث فنحن أحوج ما نكون إلى أن لا ننسى ذلك. فيجب أن ننشر هذا الحق وهذا الخير ، وأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا ، وأن نجتهد جداً في دفع هذا البلاء عن الأمة ببيان أسباب الوقاية منه ـ بإذن الله تبارك وتعالى ـ وهذا من أعظمها كما بين الله عز وجل ذلك ، بل إن الله تبارك وتعالى جعل التضرع غاية وذلك كقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ). وفي الآية الأخرى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يتضرعون). هـ. والآن لنقرأ عتابية أم عمرو أو حوار الشجون! وأعتذر للقراء الأجلاء عن طول المقدمة الذي كان لا بد منه وأسأل الله أن يديم بيننا المعروف يا أختنا أم عمران! كما أسأله سبحانه أن ينفع بنا وبأشعارنا!)

يـــا أم عمـــرو لمـــاذا اللـــومُ والألـــمُ؟ فـــيم التقـــول؟ حـــار اللفـــظ والكلـــمُ!

فـــيم انفعالـــكِ عـــن حـــالي وغـــائلتي؟ إنـــي البـــرئُ ، ودمعـــي اليـــوم ينســـجم

قـــد أحرقتنـــيَ – فـــي أصـــقاعكم ـ محـــنٌ تـــردي الصـــحيحَ ، ومُزجيهـــا هـــو الألـــم

وألهبـــتْ كبـــدي – فـــي داركـــم ـ زمـــرٌ فـــي حـــرب أهـــل الهُـــدى صـــدقاً لهـــم هِمـــم

يُزنـــــدقون إذا مـــــا عـــــاينوا خطـــــأ ويلمـــــزون لهـــــم فـــــي لمـــــزهم خُمَـــــم

يُبـــــدّعون إذا مـــــا استشـــــكلوا جُمَـــــلاً ويغمـــــزون وفـــــي تشـــــهيرهم تهـــــمٌ

علـــــى الطواغيـــــت بـــــردٌ حـــــالمٌ عبـــــقٌ كلامهـــــم مـــــائعٌ ، كأنـــــه نغـــــم

وهـــم علـــى صـــاحب التوحيـــد كارثـــة ... نـــارٌ تبيـــد ، وعِلـــمٌ بعضُـــه الظلـــم

كـــذاك فـــي داركـــم يـــا أختُ شـــرذمة ... غـــوث العِـــدا ، ومـــن الإســـلام تنـــتقم

وجـــاهرتْ ربهـــا بـــالكفر عامـــدة ... كمـــا تـــرين اشـــتكتْ إفلاســـها الأمـــم

قـــوارعُ الـــدهر مـــا ردتْ غوايتهـــا ... ووازعُ الـــدين لـــم يـــردعْ ، ولا القـــيم

وروّجـــتْ لصـــنوف الـــدعر وانحـــدرتْ ... ولا تـــزال - إلـــى الأعـــراف - تحـــتكم

تحمـــي الضـــلال ، وتعلـــي شـــأن جوقتـــه ... وتقمـــع الحـــق يشـــكو ظلمهـــا الصـــنم

يـــا أم عمـــرو أمـــام العـــين مهزلـــة ... الشـــرقُ رائـــدُها ، والغـــربُ ، والعجَـــم

مـــن الـــذين لغيـــر الله قـــد ســـجدوا ... هـــمُ القضـــاة ونـــص الحُكـــم والحَكـــم

هـــمُ الأبـــاة ، ومـــن هـــم دونهـــم همـــجٌ ... هـــم الرعـــاة ، ومـــن هـــم تحـــتهم غـــنم

تنـــاقضٌ مـــا لـــه – فـــي الكـــون – مـــن شـــبهٍ ... كـــذا فصـــامٌ يُـــرى – فـــي ظِلـــه - العـــدم

طـــفّ الحـــرامُ ، وفيـــه النـــاس كـــم رتعـــوا! ... كيـــف اســـتبيحتْ هنـــا بـــين الـــورى الحُـــرُم؟

دِيـــنٌ يُهـــان ، ولا جيـــلٌ ، ولا عُلمـــا ... والحـــق غاصـــت – علـــى أنـــواره - الـــرمم

فمعظـــم الجيـــل بالتفســـيق مشـــتغلٌ ... كمـــا تـــرين ، وبالتبـــديع مختصـــم

بضـــاعة فـــي رُبـــا صـــهيون قـــد صـــنعتْ ... وجيـــلُ أعرابنـــا فـــي أكلهـــا نهـــم

والمـــال فـــوق رؤوس العِيـــر مُبتشـــرٌ ... ويُحـــرم المـــالَ مَـــن أعطـــوْا ومَـــن خـــدموا

والجاهليـــة – فـــي الأرحـــاب - ســـافرة ... تضـــلل القـــوم: مَـــن ذلـــوا ومَـــن غنمـــوا

يـــا أم عَمْـــرو كفـــى لومـــاً ، فبـــي كمَـــدٌ ... وخـــاطري – اليـــوم – مكســـورٌ ومضـــطرم

ترجّـــع الشـــعر فـــي قلبـــي عواطفـــه ... والصـــوتُ مـــن أثـــر البلـــوى بـــه ســـأم

ويأكـــل الشـــوقُ فـــي شـــعري طلاوتـــه ... ومـــن فعـــال الـــورى فـــي مهجتـــي غمـــم

فكـــم كتبـــتُ! وكـــم نوّهـــتُ معتبـــراً! ... وصـــوتُ شـــعريَ - فـــي أســـماعكم - رخِـــم

أنّ العـــــروضُ ، وأنّـــــتْ كـــــلُ قافيـــــةٍ ... وكابـــــد الشـــــعرُ حتـــــى هـــــدّه الســـــقم

وكـــــم رســـــمتُ بـــــبطن الـــــدار تجربتـــــي! ... وكـــــم بكيـــــتُ! وكـــــم زلـــــت بـــــيَ القـــــدم!

وكـــــم ســـــؤال لنـــــا (عِمـــــرانُ) ســـــائلهُ ... وذي (غـــــديرٌ) لطـــــرح الســـــؤل تبتســـــم!

حتـــــى أجيـــــب ، فتجلـــــو كـــــل غاشـــــيةٍ ... أريـــــده عَلمـــــاً فيـــــه الهُـــــدى تمـــــم

ولا أريـــــد لـــــه مـــــا الجيـــــلُ يشـــــربه ... مـــــن الضـــــلال ، فيهـــــواهُ ويلـــــتهم

يـــــا أم عمـــــرو ، وأنـــــت اليـــــوم باذلـــــة ... لـــــه الهدايـــــة حتـــــى يـــــذهب الـــــبكم

تعلِمـــــين ، ورب النـــــاس مطلـــــعٌ ... وتكـــــرمين ، وفـــــي الـــــرحمن ذا الكـــــرم

نـــــذرٌ يُـــــوَفى ، وآمـــــالٌ مرفرفـــــة ... وشِـــــبلكِ – اليـــــوم – للمعـــــروف يغتـــــنم

لـــــن يـــــذهب العُـــــرفُ ، لا تأســـــيْ ، ولا تهنـــــي ... أعطـــــاكِ ربـــــك ، فـــــيم الحـــــزن والألـــــم؟

تصـــــبّري ، إن شـــــكوى الحـــــال منقصـــــةٌ! ... تجلـــــدي ، لا يُمـــــت عزماتـــــكِ اللمـــــم

وخففـــــي اللـــــوم ، إن القلـــــب منفطـــــرٌ ... علـــــى الحقيقـــــة ، والصـــــرعى هنـــــا أكـــــم

كـــــلٌ يتـــــوق لـــــدينار يؤلهـــــه ... أو قيمـــــةٍ بتـــــراب الأرض تـــــرتطم

أو لقمـــــةٍ أســـــنتْ فـــــي فنـــــدق فكـــــهٍ ... وســـــوف يعقبهـــــا فـــــي بطنـــــه الخمـــــم

أو غـــــادةٍ كشـــــفتْ للوغـــــد سَـــــوْأتها ... وتلـــــك يعجـــــز – عـــــن تصـــــويرها ـ القلـــــم

فـــــي أمـــــةٍ دفنـــــتْ ـ فـــــي الـــــدعر ـ هيبتهـــــا ... ولـــــيس يبـــــدو – علـــــى هـــــام الـــــورى ـ النـــــدم

كـــــلٌ يفكّـــــر فـــــي الـــــدولار لـــــيس ســـــوى ... تضـــــيعُ ـ فـــــي كســـــبه ـ الأخـــــلاق والشـــــيم

يـــــا أم عمـــــرو ، وشـــــعري اليـــــوم منتحـــــرٌ ... مـــــن النفـــــاق الـــــذي فينـــــا لـــــه ضـــــرم

يـــــا أم عمـــــرو لهـــــذا لا أنـــــام هنـــــا ... أفضـــــي إليـــــك ، فأنـــــتِ اليـــــوم لـــــي رحِـــــم

أبثـــــكِ الآن مـــــا فـــــي القلـــــب مـــــن شـــــجن ... ذي قمـــــة ، وقليـــــلٌ – فـــــي الـــــورى ـ القِمـــــم

أنـــــت الغنيـــــة عـــــن بثـــــي وأســـــئلتي ... وإن لفظـــــكِ قـــــد فاضـــــت بـــــه الحِكـــــم

يـــا دَوْحـــة الـــدر مَـــن تقـــديرُها ذهـــبٌ ... فيـــكِ الفراســـة ليســـت قـــط تنخـــرم

وصـــدّقي ، لســـتُ – فـــي الـــدنيا - بمبتـــئس ... لكنمـــا همـــة - بالصـــخر - تصـــطدم

ولـــيس يرحمُهـــا – فـــي النـــاس - مُبصـــرها ... كانـــت شـــباباً ، فـــأردى صـــفوها الهـــرم

ترفقـــي ، وارحمـــي قلبـــي وعـــاطفتي ... فـــإن خطبـــيَ – فـــي أصـــقاعكم - عَمـــم

واللهَ أســـأل أن تبقـــى مودتنـــا ... فالحـــبُ – فـــي الله – عقـــدٌ لـــيس ينفصـــم

مـــن الـــذين بـــوحي الله كـــم أكلـــوا! ... أجارنـــا الله ممـــا تفتـــري العِمـــم

فـــالارتزاق بـــآي الله مخبثـــة ... يُجيـــدها – اليـــوم – مـــن فـــي دينـــه وَخـــم

يُتـــاجرون ، ورب النـــاس هـــازمهم ... ولـــن يكـــون لهـــم عهـــدٌ ولا ذِمـــم

وقومُـــكِ الصِـــيدُ بالأوغـــاد كـــم خـــدِعوا! ... ولـــيس يُخـــدع – فـــيهم – مـــؤمنٌ فهـــم

كلامهـــم كهـــزيم الرعـــد نبرتـــه ... يستقســـمون لهـــم - بـــين الـــورى - زلـــم

وإن يقولـــوا ، فقـــولٌ غيـــر مبتـــذل ... وكلهـــم بكـــلام الله يختـــتم

مصـــائبٌ فوقنـــا حلـــتْ وكارثـــة ... علـــى الحنيفـــة حطـــتْ ، والأذى قِســـم

ترفقـــي إن ذكـــرتِ - اليـــوم - مشـــكلتي ... فـــإنني للـــذي تـــرين أحتـــرم

وأنـــت أختٌ لنـــا فـــي غربـــةٍ ظلمـــتْ ... تحمـــين غيبتنـــا ، فالصـــف منهـــزم

من كيد الشيطان

(يقول الناس: (من عاش رأى ، ومن مشي رأى أكثر). وأنا أقول: (ومن قرأ كتب العلم رأى الكثير والكثير مما لم يكن يحلم به. فليرحم الله تعالى أهل العلم والأدب والفكر ، فلقد مكّنونا من أن نرى ونبصر ونفكرّ ونعرف أكثر. وواحدٌ من أهل العلم والفقه في دين الله تعالى هو الأستاذ عبد الرحمن الدوسري – رحمه الله تعالى – من علماء الجزيرة العربية الأفذاذ النحارير. له تفسير جم المناقب دقيق للغاية في الوصول بمن يقرؤه إلى الحق المبين. يشعر الذي يطالعه أنه يتجول في (الظلال). والدوسري شاعر كبير كتب القصيدة العمودية الأصيلة ، كما كتب القصيدة النبطية العامية. وكان شديد الغيرة على لسان الضاد وكتابها الأول (القرآن). وكانت لي فيه (أقصد في تفسير الدوسري قراءات). واسم الكتاب (صفوة الآثار والمفاهيم. ووقفت كثيراً عند هذا السفر العظيم ، وخاصة تفسيره للاستعاذة في أول صفحات التفسير. أما الدوسري فقد عني بالاستعاذة جداً حتى أنه أفرد لها ما يزيد على ثلاث صفحات من القطع الوسط. ومن هنا رحت أستل تفسير الاستعاذة لأجعله استهلالاً لقصيدتي: (من كيد الشيطان). يقول الدوسري في تفسيره للاستعاذة ما نصه: (وليُعلم أن (الشيطان) ليس مقصوراً معناه على إبليس وذريته ، بل هو اسم جنس لكل متمرد عارم عاتٍ من الجن والإنس والدواب ولكل من تعاون مع إبليس وكان من جنوده في الإغواء وتحبيذ المنكر والفحشاء ، والصد عن سبيل الله ، والدعوة إلى طريق الباطل بأي أسلوب وتحت أي شعار أو مذهب ، فالشيطان في لغة العرب مشتق من (شطن) أي بعُد بطبعه أو مذهبه وأوقد ، فمن ابتعد بشئ من ذلك عن سائر بني جنسه فهو شيطان ، لا سيما إذا كان فيه شئ من الطغيان أو الاستعلاء والاستكبار. ومن هذا النوع إبليس ، ومن اقتفى أثره وورث طباعه من الجن والإنس ، ومن ابتعد عن الخير المألوف بفسقه أو فجوره وكان ساعياً أو مرغباً بضده فهو شيطان مهما كان جنسه وصفته. قال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلانٌ إذا فعل فِعل الشياطين ، ولهذا يُسمى شيطاناً كل من تمرد من جني وإنسي وحيوان ، وقد نزل عمر عن البرذون الذي أركبوه إياه قائلاً: (ما حملتموني إلا على شيطان ، ما نزلتُ منه حتى أنكرتُ نفسي). قال الله تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يُوحِي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً). وكل من حاول فتنة أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأمم الأنبياء قبله عما شرع الله لها على ألسنتهم فهو شيطان لمفارقة أخلاقه أخلاقهم ، وابتعاد مذهبه وذوقه عن مذاهبهم وأذواقهم ، فهو من أعداء الأنبياء إلى يوم القيامة ، يقول العربي: شطنتْ داري عن داري إذا بعدت. والذبياني يقول:-

نـــأتْ بســـعاد عنـــك نـــوى شـــطون فبانـــت والفـــؤاد بهـــا رهـــينُ

وقال أمية الشاعر مبيناً مصير كل شاطن متمرد عارم يُضل البشرية ويحمل الناس على الضلال:-

أيمـــا شـــاطن عصـــاه عكـــاه ثـــم يُلقـــى فـــي الســـجن والأغـــلالِ

وعلى هذا فيكون الاسم مشتقاً من مادة شطن يشطن فهو شاطن. إذ لو كان من (شاط – يشيط) لقال أيما شائط. كما هو معلوم في اللغة العربية! وقال شاعر غيره مبيناً حقيقة لفظ (شطن):-

أتقبـــل عـــذر الصـــب ام أنـــت عاذلـــهُ لـــذكر حبيـــب عنـــه شـــطتْ منازلـــهُ

فكل شاطن عاص مبتعد عن وحي الله تعالى ساع لإبعاد الناس عن شرعه وحكمه عامل على إغوائهم وإغرائهم ، أو متسلط بقهرهم على سلوك الباطل فهو شيطان ، وأشد منه شيطنة من يُرهق الناس بالقتل والتعذيب ليتبعوه على مذهبه ويتحدوا معه في هدفه كطغاة السيوعية ورؤساء الإلحاد الذين تقبلوا مذاهب اليهود ، وأبرزهم الاستعمار بين شعوبهم بأنواع حيله ومكره وشعاراته الدجلية التي يغزو بها القلوب ويُفسد بها العقيدة الإبراهيمية ، فإنه يزيد على إبليس في الشيطنة ، لأن إبليس قال: (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهمُ المخلصين) وقال: (لأحتنكن ذريته إلا قليلاً). وهذا الشيطان المتسلط من الإنس على بني جنسه لم يقتصر على الإغواء كإبليس ، ولكنه تسلط بجميع أنواع الفتنة والإرهاق! يُريد إغواء الجميع وإضلالهم واحتناكم ، كاحتناك الجراد للزرع ، واحتناك اللجام للفرس ، حيث لا يدع أحدا ينطق إلا ما يوافقه ولا يسعى إلا بهواه ، فهو من جهة فيه يزيد على إبليس بتزيين الشر والإغراء على السوء والفحشاء والمنكر ، وتحبيب ذلك بالأساليب الموافقة لكل عصر ، والداخلة في ذهن كل واحد ، يحسبه وهو من جهة أخرى أشد نكاية من إبليس الذي لا يقدر إلا على الوسوسة والتمثيل بغيره من أعوانه ، فهذا من جنده المنفذين لخططه ، المنطلقين في خدمته ومرضاته ، وبالطبع ليس للسلطان قيمة بلا جنود ، فهذا الذي نصب لنفسه من حيث يشعر أو لا يشعر جندياً لإبليس يزيد شره عليه لما يعمله من التسلط وتجنيد القوى المادية والأدبية والمعنوية مما يعظم به ضرره ويشتد خطبه ، والعياذ بالله ، فما أجمع حكم الله للخير وأبلغ كلامه في الإرشاد والابتعاد عن الشر ، إذ قال: (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ولم يقل استعذ من إبليس لكثرة أجناس الشياطين وأنواعهم الذين يصدون عن سبيل الله ، ويلبسون الحق بالباطل. ويُحرّفون الكلم عن مواضعه ، وينفثون في صدور الناس خلاف الحق. ويشغلونهم عن قراءة القرآن ويلغون فيه. ويصرفونهم عنه بتسخير جميع الوسائل المُلهية التي يُضيّعون فيها أوقاتهم ويحملونهم أن يتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، وقد ورثوا ذلك من أئمة الكفر كابراً عن كابر. إذ حكى الله عنهم أنهم قالوا: (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوْا فيه لعلكم تغلبون). وما أكثر أعداء الرسل من شياطين الإنس الذين ظهروا في كل عصر وبلد وفي كل فترة! وهم أشد ضرراً من شياطين الجن كالفراعنة ومن على شاكلتهم من فلاسفة الإغريق والرومان وملاحدة اليهود المتنوعين ممن ظهر قبل البعثة المحمدية وبعدها ممن على عهده – صلى الله عليه وسلم – كأئمة الكفر من قريش ويهود وغيرهم كرأس المنافقين عبد الله بن أبَي بن سلول ومن على نهجه من المرجفين في المدينة وممن خرج بعد موت النبي – صلى الله عليه وسلم – يسوس ضد الإسلام الدسائس ويحيك المؤامرات ، كعبد الله بن سبأ وميمون بن القداح وأعوانهما ومن على شاكلتهما من الطواغيت الذين ينشرون المبادئ الهدامة والنظريات المضللة والفرقة لصفوف الأمة تحت شعار مذهب أو حب أسرة أو دعوى خلافة أو مهدوية مزعومة ، سواء كانوا من علماء السوء أو رؤساء الفتنة والضلال ، وهم يستغلون الدين تارة ، ودعوى الحضارة والتطوير تارة ، والفلسفة وعلوم النفس تارة ، حسب ما يلائم الأوضاع والبيئات ، ويلبسون الحق بالباطل بأروع فنون الدجل لترويج مذاهبهم وتنفيذ مقاصدهم بشتى الوسائل والأساليب ، ويسلكون لكل طبقة مسلكاً ، ويلبسون للناس الأثواب المتنوعة من الدجل والتقشف أو من العبادة والتصوف أو دعوى محاربة الأعداء وتحرير الأوطان أو دعوى الباطنية أو محبة الأسرة الفلانية أو النِحلة العلانية أو نشر الطريقة التيجانية أو الرفاعية أو الحُلولية أو الإلحادية أو النقشبندية أو البابية أو البهائية أو الإسماعيلية أو القاديانية أو غيرها كأنواع القبورية أو المذاهب المصرية التي نبشها ملاحدة اليهود والنصارى من قومية وبعثية وشيوعية واشتراكية ونحوها من رواسب المزدكية والماركسية ، أو دعوى رفع الظلم والاستغلال إفكاً وزوراً ونحوها مما أظهروا من كل ما هو مخالف ملة

إبراهيم وشريعة سيد المرسلين – عليهم الصلاة والسلام أجمعين – على أيدي من وصفهم المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بأنهم يلبسون للناس جلود الضأن من اللين. ألسنتهم أحلى من السكّر ، وقلوبهم قلوب الذئاب. فهذه النحل كلها ما خرج منها وما سيخرج من وحي الشياطين. الجن والإنس ، وهي مهما اتسمت بسمة الدين أو المادة أو المصيبة الجنسية أو الوطنية ، أو تسترت باسم الطب والفلسفة وما إلى ذلك ، فكلها منشؤها السياسة الفاجرة الماكرة بالدين وأهله ليجعلوهم شيعاً وأحزاباً متناحرة ، ولو جهل بعض حملتها من أعوان الشياطين ذلك فإن المؤسسين لها في الأصل هذا قصدهم ولهم غايات من وراء ذلك حملتهم عليها حاجات في صدورهم ، فاندفعوا إلى ما يريدون بكل حماس واتبعهم كل موتور ، ومن يرى أنه مكبوت أو قلبه متلهب بالحقد على منافسيه أو من هم أعلى منه ، وساعدهم المرتزقة والفوضوية الذين هم أتباع كل ناعق ، فهكذا كثرت سبل الشياطين واتبعت ، وقل سالكو الصراط المستقيم بسبب فتنة هؤلاء ، ولم يكتف الله بأمره عباده بالاستعاذة من جنس الشيطان ، بل أخبرهم بطرق الشياطين ومصائدهم وخطواتهم مبتدئاً في إخبارهم بقصة إغواء كبيرهم وأستاذهم إبليس للأبوين آدم وحواء ، كيف دلاهما بغرور ، وقال: (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين). وبه وبقسمه كانت الفتنة الأولى!).هـ. بهذه الكليمات عرّف الدوسري للشيطان من خلال تفسيره للاستعاذة. فرحمة ربنا على الدوسري ، وأسكنه فسيح جناته. وعداوة الشيطان عداوة متأصلة كانت بدايتها مع أبينا آدم ، واستمرت مع ذريته من بعده ، ولقد حذرنا الله تعالى وحذرنا رسوله – صلى الله عليه وسلم ـ من الشيطان ومن عداوته لنا ، وخوفنا من مصائده ومكائده ، فقال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ، وقال: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} ، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} ، وقال: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}. من أجل هذا كله كانت هذه القصيدة في التحذير من شياطين الإنس والجن!)

كـــــمْ - بهـــــذا الكـــــون - دُورٌ تهـــــدمُ ... ورؤوسٌ – فـــــي البرايـــــا – تجْـــــرمُ!

وقلـــــوبٌ – فـــــي هواهـــــا أسِـــــرتْ ... وعقـــــولٌ يشـــــتريها الـــــدرهم

ورجـــــالٌ – فـــــي دجـــــى الغـــــيّ - مضَـــــوْا ... ونســـــاءٌ – للرزايـــــا - مَغـــــنم

وبيـــــوتٌ سُـــــودتْ أيامهـــــا ... ثـــــم عاشـــــت – فـــــي المخـــــازي - تـــــنعم

وقـــــوىً فـــــي الشـــــر والبلـــــوى ربـــــتْ ... ولهـــــا فـــــي الكيـــــد ســـــيفٌ يـــــنقِم

وعلـــــى الكفـــــر عبيـــــدٌ أكْرهـــــوا ... فاســـــتكانوا كـــــي يســـــود الأظلـــــم

وعلـــــى الفســـــق نفـــــوسٌ قبضـــــتْ ... أزّهـــــا – نحـــــو الضـــــلال - الأرقـــــم

وكـــــذا فـــــي الزيـــــف خطـــــتْ كتـــــبٌ ... ضـــــل مـــــن صـــــاغوا ، وخـــــاب المِـــــرقم

وعلـــــــى البهتـــــــان ماتـــــــت همّـــــــة ... صـــــــانتِ الـــــــزور ليرضـــــــى المجْـــــــرم

وفهـــــــــومٌ غرّهـــــــــا إفلاسُـــــــــها ... فاحتواهـــــا – فـــــي الســـــراب - الـــــديلم

ورجـــــالاتٌ – علـــــى الخيـــــر - قضـــــوْا ... كـــــل يُمنـــــى كـــــان فيهـــــا أدهـــــم

وديـــــارٌ مـــــن ســـــنا الـــــوحي خلـــــتْ ... وشـــــبابٌ - فـــــي قراهـــــا - يُهـــــدم

وخطايـــــا ارتكبـــــتْ بـــــين الـــــورى ... ورزايـــــا غـــــاص فيهـــــا الهُـــــوّم

ســـــبّب الشـــــيطانُ هـــــذا كلـــــه ... وشـــــقيٌ مـــــن لـــــه يستســـــلم

ولـــــه فـــــي الكيـــــد نفـــــخ لافـــــحٌ ... وحُســـــامٌ قاصـــــلٌ لا يُـــــثلم

كـــم أضـــلّ الخلـــق فـــي هـــذي الـــدنا ... يكـــرهُ الخيـــر ، ومنـــهُ يـــنقِم!

ويخـــاف النـــاسُ مـــن تســـويلهِ ... وكـــأنّ الغِـــر هـــذا ضـــيغم

بـــدأ الجولـــة لمّـــا لـــم يُطِـــع! ... ثـــم نـــال العـــز يســـمو آدم

عنـــدما ســـوّاهُ ربـــي طيّبـــاً ... نفـــخ الـــروح ، فقـــام القـــيّم

قـــال بعـــدُ للملائـــك اســـجدوا ... فأطـــاعوا الله! ربـــي الأكـــرم

وإذا الإبلـــيس يعصـــي ربـــه ... ولـــه رأيٌ بليـــدٌ طلســـم

خبّـــأ الشـــأر الطريـــدُ المفتـــري ... كـــي يُضِـــل النـــاس مَـــن قـــد أســـلموا

زادُه الشـــر ، ونـــارٌ دربُـــهُ ... ثـــم مـــأواه – مـــن المـــرء - الـــدم

وخيـــوط الزيـــف مـــن ألوانـــه ... ولـــه – فـــي الخلـــق – صـــحبٌ خـــوّم

مُوغـــلٌ فـــي الغـــي ، هـــذا طبعُـــهُ ... وهُـــدى القـــرآن منـــه يعصِـــم

كـــم أضـــل الخلـــقَ فـــي هـــذي الـــدنا ... ولـــه – فـــي الكيـــد – نفـــخ أبكـــم!

وكثيـــرٌ فـــي الـــورى أعوانـــه ... إنهـــم جمـــعٌ غـــويٌ بلـــتم

كـــــل مـــــن حـــــرّف هـــــديَ المصـــــطفى ... كـــــل جبّـــــار عتـــــيٍّ يظلـــــم

كـــــل فنـــــان تحلـــــى بالخنـــــا ... وعـــــن الأخـــــلاق أمســـــى يُحجـــــم

كـــــل ســـــحّار مَريـــــدٍ فـــــي العَـــــدا ... ولـــــه – فـــــي الســـــحر – دَورٌ مُحكـــــم

كـــــل مـــــن يســـــحق بُنيـــــان الحيـــــا ... ولـــــه فـــــي الســـــحق ســـــيفٌ صَـــــيلم

كـــــل مـــــن يكتـــــب هـــــزلاً ماحقـــــاً ... وضـــــلالاً - فـــــي التـــــردي - يُضـــــرم

كـــــل فرعـــــون ضـــــلالٌ هديُـــــهُ ... ويُعـــــادي الحـــــق لا ، لا يـــــرحم

كـــــل طـــــاغوت بغـــــى فـــــي حكمـــــه ... وبقـــــانون البرايـــــا يحكـــــم

كـــــل قـــــارون ســـــرابٌ مالـــــهُ ... ولـــــه ســـــمتُ التعـــــالي مَعْلـــــم

كـــــل هامـــــان جهيـــــرٌ ظلمـــــه ... ســـــاعدُ الفرعـــــون ، بـــــل ذا أظلـــــم

كـــــل مـــــن غنـــــى ليُغـــــويْ جيلنـــــا ... قـــــبّحَ اللحـــــنُ ، ومِـــــن بعـــــدُ الفـــــم

كـــــل مـــــن زنـــــدق أهـــــل العلـــــم ، لـــــم ... يلـــــتمس عُـــــذراً ، فهـــــذا أجـــــرم

كـــــل مـــــن يُظهِـــــر فـــــي دنيـــــا الـــــورى ... بـــــدعاً كُفريـــــة لـــــو يعلـــــم

فـــــإذا تـــــابوا ، فربـــــي غـــــافرٌ ... وحلـــــيمٌ ولطيـــــفٌ راحـــــم

فـــــارحم اللهـــــم جـــــيلاً ضـــــائعاً ... واخـــــذل اللهـــــم قومـــــاً أجرمـــــوا

واهـــــدِ مِـــــن خلقِـــــك مَـــــن فيـــــه الهُـــــدى ... مُـــــنّ بـــــالتقوى ، فأنـــــت المـــــنعم

شعري يرجح كنوز الأرض

(استفزني أحدُ الحمقى الجهلاء مُعرّضاً بكل أشعاري مقارناً الأشعار بالدولارات! قائلاً: لو كانت جعبتك هذي ملئت مالاً لكنتَ من الأغنياء. فعقبتُ قائلاً: امتلاؤها بالشعر يرجح كنوز الأرض. وكان في حقيبتي يومها ديوانان من أحدث ما كتبت. وانهال عليّ الجاهل زجراً واستهزاءً وسخرية مفضلاً المال على الشعر ، وظن السفيه أني إذ أعطيته الفرصة لأن يتكلم أنني قد عجزت عن الرد. وأخذ يثبت أنني مجرد ناظم فقط! ففاجأته قائلاً: لو كان أحمد شوقى مثلاً قد ترك مائة ألف مليون دولار وذهب عنها وأخذها ورثته من بعده ، أكان يُذكر اليوم بشئ؟ بالطبع لا. إنما ظلت قصائده وستظل تملأ سمع الزمان وتعمر قلوب وأفئدة الناس وعقولهم. فالعلم إذن لا يوزن بالمال ، والشعر من العلم. إذ لا يكون الشاعر شاعراً فحلا حتى يُتقن مجموعة من العلوم (العلوم الطبيعية بكل أنواعها ا- العلوم اللغوية من البديع والنحو والصرف والمعاني والكلام والصورة والمحسنات البلاغية واللفظية وعلم العروض والقافية وغير ذلك الكثير. وكذلك علم فقه الواقع الذي يعيشه بكل ما تعنيه الكلمة). فالشاعر الحق عالِمٌ نحريرٌ في حقيقة أمره. وبم يفاخر اليوم أحفادُ أحمد شوقي الناس من حولهم؟ إنهم لا يفاخرون بغير أشعار شوقي. وإذن فالشاعر جزءٌ من مجتمعه! يقول الدكتور شوقي ضيف عن علاقة الأديب بالمجتمع: "الذي لا شك فيه أن الأديب لا يكتب أدبه لنفسه ، وإنما يكتبه لمجتمعه. وكل ما يقال عن فرديته المطلقة غير صحيح ، فإنه بمجرد أن يمسك بالقلم يفكر فيمن سيقرأونه ، ويحاول جاهداً أن يتطابق معهم ، ويعي مجتمعهم وعياً كاملاً بكل قضاياه وأحداثه ومشاكله لسبب بسيط ، وهو أنه اجتماعي بطبعه ، ومن ثَمَّ كانت مطالبته أن يكون اجتماعياً في أدبه مطالبة طبيعية". ويقول الشاعر والناقد المعروف ت.س. إليوت عن مهمة الشعر وعلاقته بالمجتمع: "أظن أن أول مهمة من مهمات الشعر هي على وجه اليقين: إثارة المتعة ، ولكن للشعر دائماً هدفاً أبعد من الهدف الخاص أو المعين ، وهو أن الشعر يحاول دائماً إيصال تجربة جديدة ما ، أو إلقاء ضوء جديد على شيء مألوف ، أو التعبير عن شيء بيدنا ولم نستطع أن نصفه في كلمات! مما من شأنه أن يغني وعينا ، ويرهف حساسياتنا ، وليس بشعر على الإطلاق ما لا يثير في الإنسان هذين الأمرين". ويقول الأستاذ محمد قطب: "إن المفروض على المسلم أن يعيش الإسلام في كل دقيقة من حياته ، فالله عز وجل يقول: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون". وهذا التعبير القرآني يعني أن غاية الوجود البشري محصورة في عبادة الله ، ولكن هذا المعنى قد يحتاج في أجيالنا المتأخرة إلى توضيح. على خلاف الأجيال الأولى التي لم تكن تتصور أن العبادة هي الشعائر فقط. ولو تصورنا أن العبادة محصورة في هذه الشعائر. فكم تستغرق إذن من عمر الإنسان؟ لا يستغرق ذلك إلا جزءاً قليلاً منه ، ففيم ينقضي عمر الإنسان؟ في العبادة أم خارجها؟ لو كان خارجها ما كنا كما أراد الله أن نكون. ولو كان ينقضي داخلها فيجب أن نوسع مفهوم العبادة. فلا نقصرها على الشعائر فقط ، وهذه العبادة المقصودة في الآية الكريمة تشمل الحياة كلها بمختلف أنشطتها. وبما أن الأدب هو التعبير الجمالي وهو نشاط بشري ، لزم إذن أن يكون ضمن دائرة الإسلام التي شملت كل نشاط الجمالي في حياتنا. ومن البدهيات أيضاً أن المسلم – أدبياً أو غير أديب - يجب أن تكون حياته داخل دائرة العبادة الإسلامية. وكذلك النشاط الأدبي يجب أن يكون ملتزماً بتلك الدائرة ، فلا يظنَّ الأديب أنه في مجال الأدب يسقط عنه التكليف فيفكر كيف يشاء ، ويكتب كيف يشاء. فهذا خطأ ، والصحيح أن يشعر أنه مسلم أولاً ، وأديب ثانياً ، فيكون نشاطه ملتزماً بالعبادة في مفهومها الواسع". وفي هذا أيضاً يقول الشاعر والناقد الأمريكي الكبير ستيفن سبندر: "الشعر ليس مجرد تصوير لحظة احمرار وجنات الحبيبين أو رؤية

جمال زهرة أو روعة لون الغروب ، بل الشعر هو الذي يروي الحياة كلها. والشاعر يضع نصب عينيه دائماً الظروف التي تحيط بالحياة ، إذ لا يمكن أن يجرّب الحياة دون أن يضطر إلى التفكير في المشاكل الإنسانية الجوهرية. وما النظم السياسة والاجتماعية إلا محاولات لحل هذه المشاكل حتى نستطيع أن نختار الحياة. لذلك نجد أن الشعر يجبر على أن يعيد النظر في هذه الحلول وحينئذ قد يتبين له أنها تتحقق فيها إلى حد ما الشروط الجوهرية للوجود الإنساني ، وقد يتبين له العكس أيضاً ، وبهذا المعنى لا شك أن الشعر نقد للحياة". ويقول الروائي الأمريكي نورمان مالر في مؤتمر أدنبره: "إن الالتزام هو بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم صداماً أفضى إلى الفوضى". وقد سئل الشاعر والناقد الأمريكي ألن تيت عن مسؤولية الشاعر: أمام من تكون؟ وعمَّ تكون؟ فأجاب ما خلاصته: "إن دعاة الالتزام في العالم الحُر يرون أنه لو نهض الشعراء والأدباء بمسؤولياتهم الأدبية لما وقع النظام الحر فيما وقع فيه من مخاطر. ولما كنا تعرضنا للحرب العالمية الثانية ، ورزحنا تحت ويلاتها. كما يرون أن قيام (النازية الهتلرية) يصور إخفاقنا في تطبيق المبادئ الديمقراطية ، وهو إخفاقٌ سببه فقدان الشعور بالمسؤولية لدى أولئك الذين يملكون فن الكلمة ، وهمُ الكتاب عامة والشعراء خاصة". وذات يوم كتب الدكتور حامد طاهر وتحت عنوان: (الشاعر والناظم) ما نصه: (يتشابه الشعر والنظم في أن كلا منهما كلامٌ موزون مقفى. لكن الشعر يتميز عن النظم بأنه يمتلئ بروح حية تسري فيه ، وأطياف ملونة تدور حوله ، وكهرباء تنساب منه فتؤثر في روح المتلقي ، وتتركه في حال من الانفعال الممتزج بالنشوة ، وأحيانا بالغضب. أما النظم الذي يشبه الشعر من حيث شكله وبناؤه تماما ، فإنه يصك سمع المتلقي وقد يؤثر في أذنه لكنه لا يتجاوز ذلك إلى صميم قلبه وروحه. الشاعر فنان بطبعه ، والناظم «صنايعي» لا يجيد سوى التقليد والتصليح وإخراج القصيدة على نحو ما يفعل الشاعر من حيث الظاهر ، ومع ذلك فإنه لا يتمكن أبدا من أن ينفخ فيها الروح ، أو يجعلها ذات وقع وتأثير يتجاوز حدودها إلى قلوب الآخرين. ومشكلة الناظم أنه يتجاهل أهم خصائص الشعر وهو الإلهام الذي لا يهبط إلا على أصحاب الموهبة ، وأنا أقول إن الموهبة منحة من الله تعالى للشعراء والأدباء ، ويقول نقاد الغرب إنها منحة من الطبيعة ، لأنهم لا يؤمنون بالله. وهناك من الناظمين من يحاول استدعاء الموهبة بأي شكل وأحيانا بأي وسيلة ، فتراه يطيل شَعره ، أو يمسك عصا ، أو يهمل ملابسه ، أو يضع حول رقبته كوفية ملونة ، وإذا جلس في ندوة راح يُحدّق في السقف ، وقد يبتسم بدون داع ، أو يتمتم بكلمات لا تخرج من شفتيه. ومع ذلك فإنه عادة ما يجيد فن إلقاء قصيدته ، محاولاً جعلها تبدو أنها من الشعر ، وهي في واقع الأمر من فصيلة النظم. ولكي أضع في يدك معيارا تميز به بين الشعر والنظم فإنني أدعوك لقراءة القصيدة «الشعرية أو المنظومة» بعيداً عن إلقاء صاحبها ، وعندئذ سوف تحس فعلاً بأن «القصيدة الشعرية» هي التي تشدك إليها شداً بخيوط من المشاعر والأحاسيس).هـ. أكتب هذه القصيدة منتصراً لنفسي وللشعراء من هذا الجاهل فأقول:)

كـــم بشـــعري علـــوتُ قـــدْراً وجاهـــا ... واســـتميتُ - بالشـــعر - بـــين البرايـــا!

كـــم بشـــعري ســـامرتُ أحلـــى القـــوافي ... واصـــطفيتُ للشـــعر أســـمى التحايـــا!

وارتقيـــتُ بالشـــعر أســـمى المَراقـــي ... واكتشـــفتُ بالشـــعر مُـــرّ الخفايـــا

لـــم أرِدْ بالأشـــعار وجـــه فـــلان! ... والعلـــيمُ ربُّ الـــورى بالنوايـــا

لـــم أجامـــلْ حتـــى يُقـــال: أديـــبٌ! مـــا جعلـــتُ الأشـــعارَ يومـــاً هـــدايا

مـــا مـــدحتُ الطـــاغوت أرجـــو نـــوالاً فعطـــاءُ الطـــاغوت شـــرُّ العطايـــا

بـــل فجَـــرْتُ بالشـــعر يَنبـــوعَ حـــقٍّ لـــيس فيـــهِ إلا جليـــلُ القضـــايا

لـــم أغـــازلْ بالشـــعر أي فتـــاةٍ لـــم أعَـــرّضْ يومـــاً بحُســـن الصـــبايا

لـــم أجمّـــلْ بالشـــعر أي قبـــيح بـــل ترفعـــتُ عـــن جميـــع الـــدنايا

لـــم أهـــوّن بالشـــعر شـــأنَ المعاصـــي مثـــلُ هـــذا مِـــن ســـيئات الخطايـــا

ولهـــذا فالشـــعرُ أســـمى مقامـــاً مـــن نقـــودٍ أصـــحابُها كالضـــحايا

دفعـــوا ـ فـــي تحصـــيلها ـ كـــل غـــال مُهـــدِرين التقـــوى وعـــذبَ الســـجايا

زاعمـــين أن التلـــوّن فـــنٌّ والكتابـــاتِ فيهـــا مَريـــرُ الخبايـــا

إن شـــعري ديباجـــة ذاتُ مغـــزى ضـــمنتْ مـــا قـــد عايشـــت مِـــن حَكايـــا

إن شـــعري أغلـــى مـــن الـــدُّر قطعـــاً كـــم بشـــعري المغـــوار كـــم مـــن مزايـــا!

إن ميـــراث الشـــاعر الفـــذ شِـــعرٌ يَســـكنُ القلـــبَ والنهـــى والطوايـــا

يـــذهب المـــالُ ، والقصـــائدُ تبقـــى واعظـــاً يســـتهويه بَـــذلُ الوصـــايا

إنمـــا شـــعري مُنـــذرٌ لا يُحـــابي ينبـــئ النـــاسَ عـــن صـــنيع المنايـــا

لا يقـــاسُ بالمـــال شـــعري بتاتـــاً إن هـــذا القيـــاسَ بعـــضُ الرزايـــا

هـــو أغلـــى مِـــن أي كَنـــز ثمـــين لكـــنِ الشـــعرُ لا يـــروقُ المطايـــا!

المخرج من عنق الزجاجة

(لامني كثيرون على المقدمات التي هي لقصائدي كفروض الأعيان! يُضاف إلى ذلك طول بعضها لدرجة تفوق صفحات القصيدة ذاتها. وبعضهم قال: أتجاهل المقدمة وأضرب الذكر صفحاً عنها ثم أقبل على القصيدة مرة واحدة. وبعضهم تمنى لو أن تصدر طبعة للديوان وقد حذفتُ منها كل مقدمات القصائد ، وتبقى القصائد وحدها كغالب الدواوين التي تجوب الأرض اليوم وأمس وغداً! وحجة هذا الفريق الأخير أن الشاعر لا يجب أن يقول كل شئ للقارئ أو يُفصح له عن مراده من قصيدته والجو النفسي لها وسبب كتابتها ابتداءٍ. وليجعل القارئ يستنبط ويستنتج ويُخمن ويكتحل بالفكرة بغير خلفيات ولا مقدمات. وعلى هذا فلا ينبغي أن يناول الشاعر قصيدته للقارئ كالبيضة المقشرة على حد ما يتشدقون! وفريق ثالث أو رابع يُريدها لغزاً من الألغاز وفزورة من الفوازير ورمزاً من الرموز ـ ومن هنا فهذا الفريق يجعل الكرة في مرمى القارئ معتمداً فيه على البصيرة والخبرة والمؤهلات ، ويتعين إذن على ذلك القارئ أن يغوص في أعماق القصيدة ويحصد الجواهر واللآلئ منها ، ثم يخرج بها من القاع إلى السطح حاملاً معه كل التأويلات والاحتمالات التي لا يدري هل هي صحيحة أم أن بينه وبين الشاعر في مقصوده كما بين السماء والأرض من البُعد! إلى غير ذلك من الأقوال ، وإنني لأعتذر حقاً عن مقدماتي طويلة كانت أم قصيرة. هذا إن كانت مملة إلى هذا الحد الذي ذهب إليه من يستطيلها. وأعمد إلى تفنيد هذه الشبهة والدفاع عن فكرتي بأن أقول بكل صدق وحيدة وموضوعية بأنني لم أشأ أن أعنف القارئ في تكلف معرفة مناسبة قصيدةٍ ما أو سبب كتابتها أو إدراك مرادي منها. كما أنني أحياناً كنتُ أشعر بأنني لو أحطتُ القراء علما بخلفيات القصيدة وأسباب كتابتها والجو النفسي الذي يعيشه شاعرها ربما يُسهّل ذلك كله عليهم فهمها والوقوف على المعاني والأهداف المرادة منها. يا قومنا نحن لا نكتب الشعر من باب التلهي والتسلي أو ليُقال شاعر: (معاذ الله) ، بل هو جزء من رسالتنا في الحياة. ومن أراد أن يقبلنا على منهجيتنا فليُطالع وله التقدير والشكر والامتنان. ومن أراد أن يُخالفنا إلى أشعار الآخرين فله ذلك ولا تثريب عليه. لقد كان عنوان هذه القصيدة (إلى متى الانتظار؟) ثم بدا لي أن أغيّره فأجعله (المخرج من عنق الزجاجة) لعله يكون أفضل! إنني أكتب هذه القصيدة بهذا العنوان الجديد لأبين للقراء أنه قد آن الأوان لأن نخرج جميعاً من عنق زجاجة إدانة الآخرين والحكم عليهم بلا دليل ، بل يجب تحري الدليل وافتراض حسن النية إلى أن يثبت العكس! أكتبها لكل من كان سادراً في الغي ثم التحق بركب الصلاح والتقوى بعد أن منّ الله الخالق القدير الإله المعبود عليه فهداهُ إلى الصراط المستقيم ، وبدلاً من أن يلقى الترحيب من قافلة أهل الخير والصلاح ، وجد من بعض أفرادها التجريح والغمز واللمز بقصد أو بغير قصد ، وكان منهم التعيير له أو لها بما كان منه في ماضيه. وأخص بالذكر عملاق المعالم والظلال وقطب العلماء الربانيين ، وكذلك من أهل الفن سابقاً وأهل التوبة والإنابة لاحقاً شمس الملوك البارودي ونسرين وهالة الصافي وسهير البابلي وهناء ثروت وشهيرة وهالة فؤاد وغيرهن ، وأسأل الله أن يتوب على أهل الفن جميعاً وغيرهم ممن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فرأوْها حسنة. دعوة لا نريد بها إلا وجه الله تعالى ثم سعادة أهل الأرض جميعاً والمسلمين خاصة بسبب ما يقدمه الفن لهم من الجاهلية المقننة المشرعنة مقروءة ومسموعة ومرئية. ومن البواعث على هذه القصيدة كذلك أنني بفضول مني أردت أن أعرف كيف يفكر أهل الفن هؤلاء بعد توبتهم ، فعمدتُ إلى سماع شمس الإسلام لا شمس الفن وذلك من خلال محاضرة لها هنا في الإمارات في جمعية الإصلاح عام 1990م ، وأخذتُ أقارن بين فهمها وتصورها اليوم وتصورها بالأمس الغابر وقد كنتُ يوماً واحداً من الذين

وقعتْ عيونهم وآذانهم وقلوبهم يوماً على شئ من آثارها في جاهليتها على حد تعبيرها ، فأشفقتُ عليها كثيراً بعد توبتها. وعلمتُ أنه أتاها أعداء الله يعرضون عليها (مليون جنيه) مقابل تصوير فيلم ، فقالت: ما عند الله خير وأبقى ، وأخبرتهم بأن نجوم السماء أقرب لهم من هذا الطلب! وتأبتْ عليهم ورفضتْ طلبهم الحقير المزري. فتقبّل الله يا شمس ، ولا عليك من الماضي الذي تولى ، ولا يفتّ في عضدك أبداً من يُخرجون وينالون! فلا هم في العِير ولا هم في النفير ، وهذا سمتهم مع العلماء ودأبهم مع الصالحين. والأعجب من هذا الفريق فريق آخر لا يحب أن يستمع إليك بعد توبتك! فأيام كنتِ من مستهلكات سينما الجاهلية المعاصرة كنتِ عندهم عاصية ، ولما أن منّ الله – عز وجل – عليك بالهداية لا يقبل عندهم كلامك ووعظك! الله أكبر ، أقول وقد ناقشتُ أحدهم حول هذه القضية والله شهيد على الذي أقول ، ودافعتُ بشدة عن التائبين والعائدين إلى الله والعائدات. فقال من جادلته عنهم: ما أظن الله يغفر لهؤلاء! فقلت: الله أكبر ، هذا منك تأل على الله أم علم بما عنده سبحانه؟! وحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في صحيح مسلم (حديث الأخوين) يرد عليك فِريتك وتعديك وجَوْرك. ومن ذا الذي يحول بين الله وبين عباده المذنبين وقد عادوا إليه؟ (ربكم أعلم بما في نفوسكم ، إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً) ، (قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم) ، (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء). ولله در الشاعر الحكيم التائب المنيب إذ قال:

مـــا لـــي ســـوى قرعـــي لبابـــك حيلـــة فلـــئن رددتَ فـــأيَ بـــاب أقـــرع؟!

وشاعر آخر غلبته ذنوبه ونالت منه الكثير فكانت منه هذه الدمعة الشعرية يتوسل إلى الله بها:-

إن كـــان لا يرجـــوك إلا محســـنٌ فـــبمن يلـــوذ ويســـتجير المجـــرم؟

وكل ابن آدم خطاءٌ ، وخير الخطائين التوابون والتائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. أقول بصدق: لقد كان جُل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مشركين عُبّاد أصنام وأوثان في جاهليتهم ، فمنّ الله تعالى عليهم وهداهم للإيمان والتوحيد الخالص ، ولا يُماري في ذلك إلا مُغالط معاند جاهل. وكتب السير والحديث والتراجم والرجال بين أيدينا ليست غائبة. وهذا لا يقدح في عدالة أحد منهم. بل هم جميعاً عندنا على العدالة ونترضى عنهم ونحسن الظن بكل ما أتانا عنهم ونحقر أعمالنا إلى أعمالهم ونراهم أفضل أمة الإسلام بإطلاق بعد نبيهم – صلى الله عليه وسلم -. ونشهد ونعتقد الاعتقاد اليقيني الجازم الراسخ رسوخ الجبال الرواسي أنهم جميعاً على الخير والعدالة ، وهذا معتقدُنا فيهم ، والإسلام يجب ما قبله. والنبي لم يؤاخذ واحداً منهم على تصرّف فعله في الجاهلية! أقول: إن لبعض أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – شعراً في ذمه وذم دينه والسخرية منه قبل إسلامهم ، وهذا لا يقدح في عدالتهم أبداً! لكن الشاهد الذي أعني هو أن التاريخ كما يدخر اليوم للعملاق صاحب المعالم والظلال الوارفة بعض الكتب والأشعار التي فيها الشطط والغلواء ، فإنما الرجل قد تبرّأ من هذا كله وخلف كتباً عملاقة وأبحاثاً جيدة في الفكر والتصور بعد ذلك. فلا يصح أبداً الاستشهاد بما كتبه أولاً قبل مرحلة الهداية إلى الصراط المستقيم وفهم اللإسلام على حقيقته ليكون مطعناً عليه بعد هدايته. وكما أن التاريخ اليوم يدخر في شتى البقاع والأصقاع أفلام شمس وأخواتها من التائبات العائدات إلى الله ، فلا يصح في بداهة العقل والمنطق أن يُستدل بها لتكون مطعناً في دين شمس اليوم ومن على شاكلتها من التائبات العائدات إلى الله حيث إن

المرأة أعلنت على الملأ أنها تبرأت من أفلام ماضي الجاهلية وصويحباتها ودربها ، بهذا اللفظ الذي سمعته عبر الكاسيت بصوتها وأسطره اليوم شهادة لله. فما دامت المرأة قد ودعت حياة الجاهلية وتفيّأت ظِلال التوحيد وتنفست أرج العقيدة وتنسمت عبق الشريعة الربانية فلا أقل من أن يرفع أهل الحق عنها عقيرتهم ويبدأوا معها من حيث انتهت لا من حيث بدأت. أما أهل الجاهلية من الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم شهداء ويروّجون للفساد والضلال في الأرض فإن هؤلاء سيظلون يروّجون لأفلامها لا محالة ، وإن شاء الله تصيبهم دعوتها التي دعت بها عليهم هنا في الإمارات وتناقلتها الصحف في الأرض كل الأرض: (اللهم إني قد تبرأت من حياة الجاهلية وأفلامها وودعت عفنها ودنسها فعليك اللهم بمن ينشر هذا الماضي الجاهلي ليُفسد في الأرض ويضل الناس عن سبيلك ويجعلني وأفلامي سبيلاً في إشاعة الفاحشة في الأرض. آمين!) أقول: ماذا كان عملاق الحنيفية السمحة عمر بن الخطاب في جاهليته وقبل إسلامه؟ إن كثيراً من الناس في الأرض اليوم يظنون أن عمر ولد يوم ولد فاروقاً يفرق بين الحق والباطل ، لا ، بل كان من العتاة الشداد الغِلاظ الصادين عن سبيل الله والمعذبين لأتباع الحق. تروي السير أنه كان يعذب الواحد من أتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – ويضربه بالسوط بكل قسوة ووحشية ، فإذا كلّ وملّ قرفص الضحية وجعله كرسياً يجلس عليه ليستريح. فإذا استراح أعاد الكرة فأكمل الجولة. حتى لقد تصوّر بعضهم أن يُسلم حمار الخطاب على حين لا يسلم عمر! ألم ينو عمر وهو في جاهليته قتل النبي – صلى الله عليه وسلم -؟! ماذا كان عمرو بن العاص قبل أن يُسلم؟ ألم يكن سفير قريش إلى النجاشي لتتبُع الموحدين في الحبشة ، فكان بذلك إنتربولاً قرشياً؟! ثم منّ الله عليه فهداه إلى الإسلام ، وجاهد وأبلى في الإسلام بلاء حسناً وأصبح في يوم من الأيام والياً مسلماً على مصر بتفويض أو تكليف من خليفة المسلمين عمر بن الخطاب؟ ماذا كان خالد بن الوليد قبل أن يمن الله عليه بالإسلام؟ ألم يكن كبير قادة قريش في أحُد والذي هزم الموحدين وظاهر على النكال منهم؟ ثم أسلم فكان سيف الله المسلول؟! إن شرف خالد إسلامُه ثم عروبته ، وقد محا الإسلام ذنوب جاهلية خالد! ويقول في ذلك شعراً أستاذنا حسانُ حتحوت:-

إن العروبـــة فـــي (بـــدر) قـــد اقتتلـــتْ ســـيفاً بســـيفٍ ، وكـــان الكـــل عُربانـــا

فهـــل أبـــو لهـــب فـــي غيـــه وأبـــو جهـــل كمثـــل أبـــي بكـــر وعثمانـــا

هـــل (خالـــد) وهْـــو ســـيفُ الكفـــر فـــي أحـــدٍ كخالـــدٍ قـــاد باســـم الله فرســـانا؟

عروبتـــان: فـــذي نـــورٌ ، وذي ظلـــم وإن بينهمـــا شـــتان شـــتانا!

وموقف أم أبي هريرة وأم سعد بن معاذ معروف (أعني قبل إسلامهما) ، حتى منّ الله عليهما بالإسلام ، وبعد دعاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فانطمس ماضي الجاهلية الجهلاء. وكذلك أشعار السيدة العظيمة والصحابية الجليلة هند بنت عتبة قبل إسلامها في هجاء النبي – صلى الله عليه وسلم – وسبه وقد ظلت عشرين عاماً تعادي الرسول والإسلام والمسلمين ، وكانت شاعرة فذة ، وكانت - كما تذكر كتب التراجم والسير ودواوين التاريخ – تجود بحُليّها وذهبها في سبيل الصد عن سبيل الله ، حتى إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أهدر دمها ، إذ سخرتْ شعرها في الكيد من الإسلام وأهله ، وموقفها من حمزة بن عبد المطلب – رضي الله عنه – معروف مشهور لا يحتاج إلى بيان ، وأناشيدها الشعرية الارتجازية

التي منها (نحن بنات طارق) وكذلك (مذمّماً أبينا) أناشيد معروفة ، ولا تقدح في عدالتها وفضلها لأن ذلك كان منها قبل إسلامها. وموقف كعب بن زهير بن أبي سلمى قبل أن يُسلم من أخيه بُجَير بن زهير بن أبي سلمى ، حيث أسلم بُجير قبله ، وكان كعبٌ ممن هجا النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل إسلامه وقد عز عليه إسلامُ أخيه بُجير ، فكتب إليه رسالة شعرية يلومه على إسلامه أشد اللوم فيقول في قصيدته:

ألا أبلغـــا عنـــي بُجيـــراً رســـالة ... فهـــل لـــك فيمـــا قلـــت ويحـــك هـــل لكـــا؟

ســـقاك بهـــا المـــأمون كأســـاً رويّـــة ... فأنهلـــك المـــأمونُ منهـــا وعلكـــا

علـــى مـــذهب لـــم تلـــف أمـــاً ولا أبـــاً ... عليـــه ، ولـــم تعـــرفْ عليـــه أخـــاً لكـــا

فأجابه أخوه بُجير بن زهير بن أبي سلمى وقد منّ الله عليه بالإسلام كما أسلفنا:-

فمَـــن مُبْلـــغ كعبـــاً فهـــل لـــك فـــي التـــي ... تلـــومُ عليهـــا بـــاطلاً وهْـــي أحـــزمُ؟

إلـــى الله لا العُـــزى ولا الـــلات وحـــده ... فتنجـــو إذا كـــان النجـــاءُ وتســـلم

لـــدى يـــوم لـــيس ينجـــو ، ولـــيس بمفلـــتٍ ... مـــن النـــار إلا طـــاهرُ القلـــب مســـلم

فـــدينُ زهيـــر ، وهـــو لا شـــئ ، دينـــه ... وديـــن أبـــي سُـــلمى علـــيّ مُحـــرّم

وإذن فقد أعلن بُجير بن زهير بن أبي سلمى البراءة من دين أبيه زهير الذي يعتبره كثير من المتسرعين الذين يطلقون الكلام على عواهنه أنه من الحنفاء الموحدين في الجاهلية لبعض أبيات في الفطرة والربوبية وبعض جوانب الألوهية في شعره ، إن هذا لم يمنع من كونه على دين قومه! ومن أعلم بالوالد من ولده؟ بل من ولده الموحد القانت المؤمن؟ وأسلم كعب بعد ذلك وأبلى في الإسلام بلاء حسناً ولم يقدح هجاؤه في كونه على العدالة لأن الإسلام يجب ما قبله. وأسأل: ألم يكن الصحابي الجليل راشد بن عبد ربه السُلمي وكان في الجاهلية اسمه ظالم بن عبد العزى ، وعندما أسلم يوم فتح مكة سماه النبي – صلى الله عليه وسلم – بالاسم الذي ذكرنا ، ألم يكن سادن صنم في الجاهلية؟ ثم هو أسلم بعد ذلك وأصبح على التوحيد ، وهو عندنا على العدالة. وأسأل: ألم يكن العملاق الموحد خزاعي بن عبد نُهم سادن صنم يدعى (نُهم) في الجاهلية؟ ثم لما أسلم كسر صنمه بيده ، وأصبح من الموحدين. وأسأل: ألم يكن ذباب بن الحارث السعدي التميمي عابد صنم ، ثم لما أسلم حطمه وشهد شهادة الحق ، وأصبح موحداً؟ وأسأل: ألم يكن مازن بن الغضوية الطائي النبهاني ذات يوم عابد صنم يسمى (باجر) وكان في بني طئ ، ثم منّ الله عليه وحطم صنمه ووفد على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأسلم؟ وأسأل: ألم يكن للصحابي الجليل عمرو بن الجموح السلمي الخزرجي الأنصاري صنم ، وكان يُجله وينظفه كل يوم وينصبه ، فكان صبيان المدينة يوم جاء الإسلام يُغِيرون عليه كل ليلة فيلقونه في بئر مهجورة فيرجع الشيخ المسن عمرو بن الجموح فيخرجه وهكذا كل يوم حتى أسلم وشهد شهادة الحق؟ وأسأل: ألم يكن العملاق الموحد الجارود بن عمرو بن المعلى أو هو بن العلاء ، نصرانياً فأسلم سنة 10هـ ومات عام 21هـ؟ وأسأل: كيف ننسى موقف عمر بن الخطاب

من أخته فاطمة في يوم أسلمت؟ وأسأل: هل يقدح تصرفه هذا في عدالته؟ وهل يقدح ما نواه من قتل النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه؟ أقول: لا يقدح بل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عندنا على العدالة كبقية أصحاب النبي وصحابياته لأن الإسلام. يا أيها المتنطعون في الأرض اليوم الإسلام يجُبّ ويمحو ما كان قبله! علم ذلك من علمه وجهله من جهله. وأسأل: ألم يكن الصحابي الجليل سواد بن قارب الدويسي كاهناً في الجاهلية وقد وفد على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأسلم وأصبح من الموحّدين؟ وأسأل: ألم يكن شاعراً معادياً بشعره الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين كلٌ من أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي ، حيث إن كلا منهما سخر شعره في هجاء النبي – صلى الله عليه وسلم – والإسلام؟ ثم لما فتح الله على نبيه مكة فتح قلباً الشاعرين وصارا من الموحدين ، والمعروف أن النبي أهدر دم ابن الزبعرى ولكنه اعتذر عن شعره الجاهلي وأسلم وكان على التوحيد بعد ذلك؟ وإذن فكما يحتفظ التاريخ لأهل الحق ببعض الزلات أيام جاهليتهم قديماً فإنه كذلك قد احتفظ لهم بخيريتهم بعد الهداية للحق. والفرق بين هذه الأخبار وهذه الأفلام أن الأخبار مكتوبة في الكتب لغة لكنّ الأفلام بالصوت والصورة في أرشيفات القنوات الفضائية والاستوديوهات ومحلات الفيديو ومكتبات الإذاعات والتلفزيونات وأرشيفات وزارات الإعلام ومواخير الفساد والإفساد والبارات ونوادي الفيديو ونوادي الليونز والروتاري وبيوت الدعارة والعهر وما شابه ذلك مما لا يحضرني اسمه ولا رسمه ولا يشرفني أن أضعه في مقدمة قصيدة لي إلا على سبيل التنبيه وبيان الحق للناس! وإذن فتقنية العصر لها دور كبير في الاحتفاظ بماضي هؤلاء وأولئك! بمعنى أنه لو كان أيام الجاهلية كاميرات وحواسيب وآلات مونتاج ودوبلاج وسينما وما شاكل ذلك لكان من اليسير علينا أن نشاهد فلاناً أو علاناً من الأقطاب قبل إسلامه وهو يعبد الصنم أو يذبح له أو يطوف به أو يدعوه أو يأكله إن هو جاع وكان الصنم مصاغاً مما يؤكل كالتمر أو الإقط! ولكان من اليسير علينا أن نشاهد الرقص في الجاهلية الأولى وطوافهم بالبيت عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم! ولكان يسيراً علينا أن نشاهد الزواج في الجاهلية بأنواعه الأربعة التي أشار إليها حديث السيدة عائشة في البخاري! ولكان يسيراً علينا أن نشاهد الشعراء وهم يسبون النبي – صلى الله عليه وسلم – صوتاً وصورة والعياذ بالله! ولكان يسيراً علينا أن نشاهد تبرج الجاهلية الأولى بصوره! ولكان يسيراً علينا أن نشاهد سوق الغواني وعروض النخاسة واستعراض ملكات الجمال في الجاهلية الأولى! ولكنْ لمّا كانت تقنية عصرهم الرواة والسير والكتب فما وصلنا إلا الأخبار فقط! ولو عشنا زماناً كزمانهم لبقيت أفلام شمس وغيرها أخباراً في الكتب لا تزيد! وتلك مسألة يجب أن تراعى جوانبها عند المقارنة بين التائبين اليوم كمسلمين عاديين يجُب إسلامهم ما قبله على شروط التوبة في الإسلام ، وتائبي الأمس بشروط التوبة كذلك! وتبقى الصحبة ورؤية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واتباعه ولقيا الله على ذلك والمعيشة في القرون المفضلة الثلاثة الأولى ميزات في الخيرية حُرمَها من أتوا بعد إلى يوم الناس هذا! وأسأل: ألم يكن أبو محجن الثقفي الذي هو عبد الله بن خُبيب يشرب الخمر ويجنح إلى المجون وهو الرجل الذي فعل ذلك بعد أن أسلم وهو الرجل الذي اختلف الروايات في كونه صحابياً أم لا ، ثم تاب وأناب على يد سعد بن أبي وقاص ، وهو على العدالة قبل شربه للخمر وبعد شربه لها مادام مسلماً مؤمناً موحداً ، ذلك أننا لا نكفر بالمعصية كالخوارج (فشرب المؤمن للخمر يُنقص إيمانه بالله ولا ينقضه ما لم يستحل!) كما هو معلوم في الأصول. وأسأل: ألم تكن سُعدى بنت كريز العبشمية خالة عثمان بن عفان كاهنة من كواهن العرب في الجاهلية ، ثم تابت وأنابت وأسلمت ودعت عثمان إلى الله؟ وأسأل: ألم يكن الموحد العملاق - الذي صاغ الشعر في الجاهلية والإسلام فهو على هذا من الشعراء المخضرمين – عَبْدة بن الطبيب يزيد بن عمرو التميمي وهو من

سودان العرب كان لصاً في الجاهلية ، ثم أسلم وجاهد في الفتوح وكان على العدالة بإسلامه؟ وأسأل: ألم يرتد عن الإسلام ويعود إليه كلٌ من: جندب بن سَلمى المدلجي الشنوقي وعُطارد بن السيد الجاهلي المشهور حاجب بن زرارة التميمي ، ويُذكر أن كلا منهما وفد على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأسلم على يديه ، ثم عاد كل منهما مسلماً بعد ردة! وهما عندنا ومن شاكلهما على العدالة لكن شرط الصحبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – يكون قد افتقد! لأن تعريف الصحابي (من لقي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتابعه على دينه ومات على ذلك). أما الذي يرتد بعد موت النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم يسلم مرة ثانية فلا يكون صحابياً ، بل هو مسلم شأنه شأن كل مسلم دخل في دين الله بعد موت رسول الله – صلة الله عليه وسلم – إذ لقيا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شرط في الصحبة. ووالله إن الشواهد كثيرة جدا وتكاد لا تحصى عداً ولا كثرة! وإنما أنا سُقت الذي استطعت الوصول إليه على ضعف مصادري وقلة حيلتي وضآلة خبرتي واقتحامي مجالاً ليس لي ولستُ من أهله! يا قوم اقرؤوا إن أنتم أردتمُ الإنصاف والوصول للحق في بعض المراجع مثل: (الإصابة – الاستيعاب – سير أعلام النبلاء – سيرة ابن هشام – سيرة ابن كثير – سيرة ابن إسحق - سيرة الواقدي – السيرة الحلبية – البداية والنهاية لابن كثير) وغير ذلك من كتب التاريخ والتراجم والرجال. وقبل أن يقرأ أحدكم عن إسلام الصحابي والصحابية فلتكن هناك قراءة متأنية لما كان عليه قبل إسلامه ، لحياته في الجاهلية لتنصفوا المعاصرين من الذين تزل بهم القدم ويستزلهم الشيطان ويزين لهم سوء أعمالهم فيصدهم عن سبيل الله ثم يمن الله عليهم بفضل منه ورحمة ويهديهم للحق وللطريق المستقيم ولا تكيلوا بمكيالين ، بل اعلموا أن الإسلام يجُب ما قبله ، ولنا ظاهر الناس والله يتولى سرائرهم ، وإن قوماً قد أعلنوا براءتهم من الجاهلية وبدأوا عهداً جديداً مع الله تعالى خالقهم فإنه يجب أن يحسن الظن بهم وينبغي الدفاع عنهم ضد أهل البدع والغالية من الذين يودون أن تمتلئ الأرض بقتام المعصية وبغبار الضلال البعيد. ولا تكونوا من الذين رموا الأنبياء بقولهم على الواحد منهم ساحر أو كاهن أو مجنون أو مبدل للدين أو صابئ عن دين الآباء أو كذاب أو مبتغ للزعامة أو مفسد عال في الأرض. وأقول لمن يقطع بعدم مغفرة الله لمن تاب من عبيده: (أهم يقسمون رحمة ربك) وأعجب من امرأة تابت وأنابت وأقلعت عن المعصية وأحسب أن يقبلها الله ويفرح بتوبتها إن صدقت وكانت التوبة على شروطها ثم لا يقبلها ولا يفرح بتوبتها عبادُ الله! بل ترى أنها تابت وأنابت وبرئت من أعمالها ثم يشاهد أفلامها أقوام يزعمون أنهم وقافون عند حدود الله! لقد تابت فتوبوا أنتم! والبعض يقول: إنما تاب هؤلاء الفنانون والفنانات لأنهم أصبحوا راكدين كالبضاعة المزجاة عند التاجر يزهد فيها زبائن المحل ، وكذلك هؤلاء الفنانون والفنانات التائبون والتائبات يزهد فيهم المخرجون والمخرجات! إذ لم يعودوا مادة جذب للجمهور الجاهلي ، فالمرأة منهم مثلا إن كبرت وترهلت وشاخت ، وكذلك لأن بعضهن رفعن ثمن الفساد أو أجر الفيلم ومن هنا أبى المنتجون والمخرجون التعامل معهن وعمدوا إلى التعامل مع أخريات أخفض سعراً وأكثر جاذبية وشهوانية وإثارة وعُرياً حيوانياً. أقول رداً ودفاعاً: كل هذا الكلام ضلال وخداع حيث أقلع عدد لا يوصف من الفنانات وهن على قدر كبير من الجمال والجاذبية التي ينتظرها شباك التذاكر الجاهلي وبعضهن عندهن شركات توزيع وإنتاج فني راقية وعالمية فلماذا التوبة؟ إن التوبة لله يا ناس ، والله بهم خبير. وأقول إنما استشهدتُ بهذه الروايات عن الصحابة والتابعين لا لأنال منهم حاشا وكلا ، وما يكون لأحد مثلي من صعاليك الناس إن هو قورن بتابعي فضلاً عن صحابي أن يتطاول على أصحاب النبي الرسول – محمد – صلى الله عليه وسلم – ورضي الله عن صحابته -. ولكن لأقيس ما كان فيه الأصحاب من الجاهلية قبل إسلامهم وما آلوا إليه بعد أن منّ الله عليهم وهداهم إلى الإسلام. لأقيس ذلك على ما كان

فيه الفنانون وكذلك الفنانات قبل الهداية والتوبة من الجاهلية والضلال البعيد والدعارة وما آلوا إليه بعد التوبة والهداية من الخير والطهر والعفة والاحتشام. والحمد لله نظرتُ في الساحة فوجدتُ كتباً عديدة كتبها كتابٌ أفاضل يحبون الخير والصلاح والحق على اختلاف التواريخ التي كتبوا فيها فمن متقدم ومن متأخر ، فظهرتْ كتب تدافع عن العائدين إلى الله والعائدات من أهل الفن والتمثيل والغناء. وظهرت كتب ترد الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها كذلك عن صاحب المعالم والظلال كنموذج ، في مختلف بقاع الأرض وهذا يثلج الصدر أنك في الوقت الذي تجد أربعة كتب تزندقه وتبدعه وتشيّعه وتعلمِنه وتجعل الشر كله مجتمعاً فيه على حد تعبير أحد الغلاة الجفاة العتاة البغاة الحاقدين ، تجد هنالك في الجانب الآخر مجموعة تزيد على الستين كتاباً تدافع عنه وتبين للناس ما له من الحسنات وما عليه من السيئات ، توضح للناس تصويباته وأخطاءه ، سلبياته وإيجابياته ، مميزاته وعيوبه ، وفي هذه الستين قاسمٌ مشترك هو الذي قررناه من أنه على العدالة ولله الحمد ، ورغمت أنوف الغالية والمبتدعة ومن يكفرون العلماء الموحدين ويشهدون بالإسلام للطواغيت المارقين ، وحسابهم على الله وعقابهم عليه وحده. وصدق من قال: (ولما كانت حاجتنا إلى التوبة حاجةً ماسَّة ، بل إن ضرورتنا إليها مُلِحَّة ؛ فنحن نُذْنِبُ كثيراً ، وَنُفَرِّطُ في جنب الله ليلاً ونهاراً ؛ فنحتاج إلى ما يصقل القلوب ، وينقيها من رين الذنوب ، لأن كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ؛ فالعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية! فمن أعظم نعم الله عز وجل أن فتح باب التوبة ، وجعله فجراً تبدأ معه رحلة العودة بقلوب منكسرة ، ودموع منسكبة ، وجباه خاضعة. فباب التوبة مفتوح للكفار، والمشركين ، والمرتدين ، والمنافقين ، والظالمين ، والعصاة ، والمقصرين. ولما كان باب التوبة مفتوحاً وإنما الأعمال بالخواتيم ، والله تعالى يقول: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً) ويقول: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) ، وثبت في الصحيحين عن سهل ابن سعد الساعدي أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم - قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ). وعلى ذلك فإن الإنسان إذا صدق في التوبة إلى الله تعالى بُدِّل حاله من ظلامٍ إلى نور ومن شِقْوةٍ إلى سعادة ، ومن ضلالٍ إلى هُدى. وقد أورد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن الفضل بن موسى قال: كان الفضيل بن عِياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية! فبينا هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تاليا يتلو: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوَاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَمَا نزل من الحق) ، فلما سمعها قال: بلى يا رب ، قد آن! فرجع فآواه الليل إلى خربة ، فإذا فيها سابلة ، فقال بعضهم: نرحل ، وقال بعضهم: حتى نصبح ، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا ، قال: ففكرتُ وقلت: (أنا أسعى بالليل في المعاصي ، وقوم من المسلمين ها هنا يخافونني ، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع ، اللهم إني قد تبتُ إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام).هـ. ولا أدري كيف يتطاولون على العالِم والكتاب والسنة فيهما ما يدل على احترام أهل العلم وتوقيرهم؟ ألا فليحذر طالب العلم أن يكون سيئ الخلق ناطحاً للسحاب يترقب للعالم الهفوات ويلتمس العثرات لِيُشَهِّرَ به! فإن ذلك ينقصُ من مقدار التقوى عنده مما يكون سبباً في حرمانه من العلم ، بل ينبغي لطالب العلم أن يكون كريمَ الطباع حميدَ السجايا مهذبَ الأخلاق سليمَ الصدر مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر إذا تكلم غَنِم وإذا سكت سَلِم وينبغي له أن يعرف أن العالِم مع جلالته وسَعة علمه قد يخطئ في اجتهاده ، فإن لكل جوادٍ كبوة ولكل عالمٍ هَفْوَة وسبحان من له الكمال).هـ. أقول وكذلك التائبون نفرح لهم! وقد آن لنا أن نخرج جميعا: قراءً وكتاباً ، خاصة وعامة دهماء وخواصا من عنق الزجاجة التي يضعنا فيها على علم منا وخبثٍ منهم آل صهيون وأذنابهم الرطبة وعملاؤهم في الداخل والخارج ، وأسأل إلى متى ننتظر هذا

الخروج من مآزقنا ؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وأكتفي بهذا المقدار وأعتذر عنه! والآن لنطالع معاً ما من الله تعالى علينا به في هذا الخصوص!)

هاجـــتِ الأشـــجان فـــي قلـــب قصـــيدي ... فـــإذا أوزانُ شـــعري كـــالقيودِ

وقـــوافي الشـــعر أدماهـــا سُـــهادي ... فـــإذا الإيحـــاءُ كـــالطيف الشـــريد

وإذا بالـــدمع محبـــوسٌ بلفظـــي ... يـــذبحُ البســـمة فـــي جـــوف قصـــيدي

وإذا الإحســـاسُ فـــي الأنـــات جـــاثٍ ... يشـــتكي اللوعـــة ، لـــم يخـــش وعيـــدي

فـــارسَ الخيـــر أحـــقٌ مـــا ســـمعنا؟ ... أم هُـــراءاتٌ بـــأفواه العبيـــد؟

أصـــحيحٌ أنـــك – اليـــوم – تعـــاني؟ ... وتقاســـي مـــن أباطيـــل الحَقـــود؟

أيهـــا الأقـــوام زورٌ مـــا افتـــريتم ... وســـخافاتٌ كتخييـــل القـــرود

ســـيدُ التوحيـــد يـــا قـــومي بـــرئٌ ... مـــن زيـــوفٍ صـــغتموها كالحصـــيد

ادرســـوا الفكـــرة كُـــلاً لا اجتـــزاءً ... واطرحـــوا هـــزل الكســـالى للخمـــود

واقتلـــوا الفتنـــة هـــذي فـــي قرانـــا ... لا تزيـــدوا النـــار عمـــداً بـــالوقود

نفـــخ الـــدهقانُ فـــي الجيـــل سُـــموماً ... فاستســـاغوها ، وجـــدّوا فـــي الصـــدود

ثـــم للنفخـــة يـــا كَـــم مـــن ضـــحايا! ... كـــم لسُـــم الصِـــل مـــن طفـــل وئيـــد!

لـــم يكـــن يعـــرف – فـــي الإســـلام - شـــيئاً ... ثـــم كـــان البـــدءُ تشـــييدَ الســـدود

بينـــه والنـــور ســـدٌ خلـــفَ ســـدٍ ... ويعـــيش – اليـــوم – فـــي غـــي شـــديد

لـــم يكـــن يقـــرأ – فـــي الحـــق - مقـــالاً ... لا ، ولـــم يعمـــل بتلقـــين الجـــدود

ويـــرى فـــي نفســـه العـــالِم حقـــاً ... (طبـــريَ) الجيـــل فقهـــاً و(الزبيـــدي)

ويـــرى فـــي ذاتـــه الشـــاعر صـــدقاً ... لا يُســـاوي قولـــه قـــولُ (لبيـــد)

فـــاق أهـــل العلـــم علمـــاً واجتهـــاداً ... ضـــالعٌ فـــي الفقـــه والفكـــر التليـــد

هـــو يَنبـــوعُ الوصـــايا فـــي البرايـــا ... وســـليلُ المجـــد فـــي الحشـــد القعيـــد

ظنـــــــه هـــــــذا خيـــــــالٌ ، لـــــــيس إلا ... وغـــــلا ، لـــــم ينتصـــــحْ ، يـــــا للعنيـــــد!

بثـــــه فـــــي رُوعـــــه غِـــــرٌ جهـــــولٌ ... وغـــــدا – بـــــين يديـــــه - كالمُريـــــد

زنـــــدقَ الأعـــــلام ، واجتـــــاحَ البرايـــــا ... واســـــتباحَ العِـــــرض بالجهـــــد الجهيـــــد

ثـــــم وامتـــــدتْ يراعـــــاتٌ تـــــداجي ... تخمِـــــش الجـــــرحَ بأحشـــــاء الشـــــهيد

وكتابـــــاتٌ يصـــــب الـــــزور فيهـــــا ... تمـــــلأ الرحـــــب استسِـــــيغتْ كالثريـــــد

لـــــم تـــــدع مَـــــن مـــــات أو مَـــــن كـــــان حيـــــا ... وأراهـــــا لـــــم تخـــــفْ يـــــوم الوعيـــــد

أيهـــــا القطـــــبُ: هشـــــيمٌ دعـــــك منـــــهُ ... أنـــــت شـــــمسٌ ، والعِـــــدا بعـــــضُ جليـــــد

هـــــل بقـــــاءٌ لجليـــــدٍ عنـــــد شـــــمس؟ ... وهنـــــوا ، والقطـــــبُ كـــــالطود العتيـــــد

لا تفكّـــــر ، خلفـــــك – اليـــــوم - رجـــــالٌ ... يُرجعـــــون الحـــــق يزهـــــو مـــــن جديـــــد

زادُهـــــم توحيـــــدُ ربـــــي والوصـــــايا ... وكـــــذا فـــــي الليـــــل تطويـــــلُ الســـــجود

وعـــــدوك – اليـــــوم – ألا يســـــتكينوا ... وعلـــــى الأبـــــرار إنجـــــاز الوعـــــود

إنْ يكـــــن عنـــــك كتـــــابٌ لفقـــــوهُ ... زيّفـــــوا فيـــــه ، وزادوا فـــــي البنـــــود

وافتـــــروا زوراً وبُهتانـــــاً عظيمـــــاً ... وتمـــــادى الجمـــــعُ فـــــي الظلـــــم الأكيـــــد

ثـــــم ســـــاروا – فـــــي المتاهـــــات - جميعـــــاً ... كـــــي يُبيـــــدوا الـــــنجم فـــــي قلـــــب الوجـــــود

وأراهـــــم ســـــطروا عنـــــك الخطايـــــا ... ولهـــــم فـــــي الكيـــــد عـــــزمٌ كالحديـــــد

إنهـــــم عـــــن كـــــل خيـــــر فيـــــكَ حـــــادوا ... ولهـــــم فـــــي إفكهـــــم بـــــأسُ الرعـــــود

إن تكـــــن أخطـــــأت ، مـــــا منـــــا مـــــلاكٌ ... مـــــا خـــــلا مـــــن زلـــــةٍ أيّ وليـــــد!

ثـــــم عنـــــك اليـــــوم تســـــعون كتابـــــاً ... أزجـــــتِ الحـــــق بـــــأقلام الجنـــــود

إنهـــــم جُنـــــدُ الهُـــــدى فـــــي كـــــل صُـــــقع ... وحُمـــــاة الحـــــق فـــــي كـــــل صـــــعيد

ثـــــم هـــــذي كُتْـــــبهم فـــــي كـــــل وادٍ ... تظهـــــر النـــــور بتـــــدليل ســـــديد

لـــــيس فـــــي أفكارهـــــا أدنـــــى شـــــكوكٍ ... ثـــــم لا تســـــعى لإرضـــــاء اليهـــــود

مبـــــدأ التبيـــــان موفـــــورٌ لـــــديها ... زادُهـــــا التقـــــوى بعـــــز وصـــــمود

لـــــم يســـــطرها هبـــــاءً كاتبوهـــــا ... لـــــم تكـــــن مـــــن أجـــــل تحصـــــيل النقـــــود

كتبـــــتْ فـــــي الحـــــق ، والحـــــق مَـــــداها ... زانهـــــا الســـــبكُ كترجيـــــع النشـــــيد

وأرى القـــــراء – فـــــي النقـــــد - نســـــوراً ... والطموحـــــاتُ تنـــــادي مـــــن بعيـــــد

كـــــل نبـــــراس لـــــه العلـــــم طريـــــقٌ ... مـــــا لعـــــزم الشـــــهم – كـــــلا – مـــــن حـــــدود

عنـــــده التحقيـــــقُ منهـــــاجٌ قـــــويمٌ ... إنـــــه يخشـــــى مغبّـــــاتِ اللحـــــود

يكشـــــفُ الزيـــــفَ مـــــن الحـــــق هُمـــــامٌ ... ويُـــــرى – فـــــي غيـــــه – كـــــل بليـــــد

وعميـــــلُ الـــــدرب ترديـــــه البلايـــــا ... لـــــيس يعلـــــو ، لا يـــــرى ظـــــل القيـــــود

والنفـــــاق – اليـــــوم – فـــــي الخلـــــق كثيـــــرٌ ... والمـــــراؤون تمـــــادَوْا فـــــي الشـــــرود

كـــــم تبـــــاع – اليـــــوم – للشـــــر نوايـــــا ... زهِـــــدوا فيهـــــا لـــــدينار زهيـــــد!

مـــــا قـــــرأتم يـــــا خزايـــــا آي (هـــــودٍ) ... مـــــا اعتبـــــرتم بهُـــــدى الـــــذكر المجيـــــد

اهجـــــروا التلفيـــــق هـــــذا ، واســـــتقيموا ... واقـــــرأوا التـــــاريخ بالقلـــــب الرشـــــيد

وانظـــــروا مـــــاذا جنـــــى كـــــل عميـــــل ... وانظـــــروا أهـــــوال خـــــوّان العهـــــود

واتركـــــوا مـــــن تـــــاب لله ، فهـــــذا ... حقـــــه ، والله يجـــــزي بالمزيـــــد

تـــــرك الـــــذنب مليـــــاً دون عـــــودٍ ... بـــــاكيَ العينـــــين ، مُلتـــــاعَ الخـــــدود

واتركـــــوا مـــــن أقلعـــــتْ ، ثـــــم اســـــتقامتْ ... واســـــتجابتْ لنـــــدا الـــــرب الحميـــــد

طرحـــــتْ كـــــل الخطايـــــا خلـــــف ظهـــــر ... فـــــإذا – فـــــي قلبهـــــا – حـــــب الـــــودود

مَجـــــتِ الـــــدعر ، وردتْ مَـــــن أتاهـــــا ... يـــــدفع (المليـــــون) مـــــن وسْـــــط الشـــــهود

ثـــــم قالـــــت: قعـــــرُ بيتـــــي فيـــــه عِـــــزي ... ولـــــيَ التوحيـــــدُ كالقصـــــر المشـــــيد

وتصـــــوم النفـــــل ، والـــــذكر صـــــداها تقـــــرأ الآيـــــات بالصـــــوت الوجيـــــد

والأحاديـــــــث تزكّـــــــي مقلتيهـــــــا وســـــنا القـــــرآن يجـــــري فـــــي الوريـــــد

إيـــــه يـــــا (شـــــمسُ) ، وأنـــــت اليـــــوم شـــــمسٌ أتحفـــــي النســـــوان بـــــالعَوْد الســـــعيد

وانشـــــري النـــــور ، ولا تخشـــــي ســـــراباً لقنينـــــا الـــــدرس عـــــذباً كـــــالورود

ذكّرينـــــــا بالصـــــــحابيات دومـــــــاً واغمرينـــــــا بيواقيـــــــت الرشـــــــيد

كـــــم دعـــــوتُ الله أن يهـــــدي خلقـــــاً فـــــي ضـــــلال النـــــاس كـــــانوا كالأســـــود!

واســـــتجيبتْ دعـــــوتي ، فـــــالبعض عـــــادوا ثـــــم مـــــن تـــــابوا لهـــــم دارُ الخلـــــود

مـــــن يتـــــبْ يغفـــــرْ لـــــه مـــــا قـــــد جنـــــاهُ ثـــــم يحيـــــا بعـــــدها مثـــــلَ الوليـــــد

خرائب الجاهلية

(إنني أعني بخرائب الجاهلية كل مكان تعاقر فيه الخمر ، وتنتهك فيه حرُماتُ الله ، وتستباح الشريعة الربانية تحت أي مسمى وتحت أي شرعنة! فلقد سُمّيتِ الخمر بغير اسمها ، فلا غرو أن نجد مسمياتٍ أخرى لأماكن يلعنها الله ويباركها ويعطيها شرعيتها وينفخ فيها روحها العُرفُ أو التقليدُ أو العادة أو القانون! وبالطبع هذا كله لا يجعلها مباحة في دين الله تعالى! إذ هناك تقعيدٌ للعُرف والعادة والتقليد أنها لا يجب أن تخالف كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -.)

لكَـــم شـــقِيتْ بمـــن فســـقوا الـــديارُ! وعربـــدَ – فـــي مرابعهـــا - البَـــوارُ

وفـــي الحانـــات كـــم شُـــربتْ خمـــورٌ! وأم خبائـــثِ الـــدنيا العُقـــار

وكـــم غشِـــيَ الزنـــا – جهـــراً – قراهـــا! وفيهـــا للربـــا دُورٌ كِبـــار

وزاحمَهـــا الغِنـــاءُ بكـــل صُـــقع! مـــدائنها تغنـــي والقِفـــار

وميْســـرها تعـــدّى كـــل حـــدٍ يُعضـــده التهتـــكُ والقِمـــار

وأزلامُ الكِفـــار طغـــتْ عليهـــا وأضـــرحة تعظـــم أو تـــزار

وأمـــوالٌ بـــلا حـــق تـــؤدى كـــأن الظلـــم – فـــي الـــدار - الشـــعار

وتهـــدَر أو تضـــيعُ حقـــوقُ قـــوم بأقيســـةٍ تؤلـــفُ أو تعـــار

وأرواحٌ – علـــى الأرض - اســـتبيحتْ دمـــاءُ أباتهـــا – صـــدقاً - غِـــزار

وأعـــراضٌ تهَتـــك دون وعـــي ولـــيس يـــزور خاطرَهـــا الفِـــرار

وأبيـــاتٌ تهَـــدّم فـــوق قـــوم ولا بيـــتٌ يُقـــامُ ، ولا اعتـــذار

وشـــرعٌ عطلـــوه ، فـــلا تـــراهُ يُحَكّـــم – فـــي الـــورى – أو يُستشـــار

وكُـــرّم فاســـقٌ يئـــد المعـــالي وكـــأسُ الخمـــر – فـــي يـــده - تـــدار

ويُعـــدَم مـــؤمنٌ يهـــدي البرايـــا لـــدين الله ، ذلكـــمُ المنـــار

ألا تعســـتْ حيـــاة يحتويهـــا خـــرابٌ دُمّـــرتْ فيـــه الـــديار!

تحية للشاعرة صابرة محمود العزي

(طالعتُ قصائد من ديوان الشاعرة صابرة محمود العزي ، واسم الديوان: (نفحات الإيمان) ، فألفيته ديواناً عظيماً يحوي قصائد عظيمة صاغتها شاعرة عظيمة ، ولا أزكّي على الله تعالى أحداً ، بل أحسبها كذلك والله حسيبها ووكيلها. ونأت صاحبة الديوان بشعرها عن الغواية والمجون والفحش شأن كثيراتٍ من شاعرات الهوى! وعظيم منها أن تكون إحدى شواعر عصرنا حيث تسطر اليوم شعراً يكون شاهداً على عصرها غداً! فأسأل الله أن يأجرها على شعرها القيم!)

حمـــــائمُ الـــــدوح تلهـــــو فـــــي بوادينـــــا ... وأنجـــــمُ الليـــــل تشـــــدو فـــــي لياليـنـــــا

تُســـــدي العنـــــادلُ مـــــا صـــــاغته (صـــــابرة) ... مـــــن القـــــريض غنـــــاءً عـــــن مآســـــينا

وقـــــد بـــــدتْ (نفحـــــاتُ) الطهـــــر ناشـــــرة ... شـــــذى القـــــريض صـــــدىً يتلـــــوه حادينـــــا

قصـــــائدٌ فـــــي لظـــــى الآلام قـــــد وُلـــــدتْ ... تناولـــــتْ مـــــا اعتـــــرى ظلمـــــاً (فلســـــطينا)

وشـــــيدتْ مجـــــد مـــــن قـــــادوا جحافلنـــــا ... فـــــي كـــــل هيجـــــا مغـــــاويراً ميامينـــــا

وبيّنـــــتْ مـــــا ســـــنا الإيمـــــان يصـــــنعه ... إنْ واجـــــه الصِـــــيدُ فـــــي الحـــــرب الشـــــياطينا

ديـــــوانُ شـــــعر لـــــه – فـــــي الـــــنفس - مـــــأثرة ... وكـــــم أبـــــان لنـــــا عنهـــــا مضـــــامينا!

أبياتـــــــه كلمـــــــا طالعتهـــــــا ســـــــطعتْ ... وأهـــــدتِ القلـــــب مـــــن شِـــــعر رياحينـــــا

وكـــــم كتبـــــتُ! وكـــــم طالعـــــتُ مـــــن أدب! ... وقـــــد أقـــــيمُ – علـــــى قـــــولي - البراهينـــــا

لكـــــنّ مـــــا نقشـــــت بالشـــــعر (صـــــابرة) ... يفـــــوق فـــــي قـــــوة الســـــبك الـــــدواوينا

أكبرتهـــــا ، واحترمـــــتُ الشـــــعر تكتبـــــه ... مـــــا خالفـــــتْ حبكـــــه ولا الموازينـــــا

وســـــخرتْ شـــــعرها لكـــــرب أمتهـــــا ... وأكرمـــــتْ بقِـــــرى الشـــــعر المســـــاكينا

كأنـــــه صـــــدقاتٌ لا يُضـــــارعُها ... شـــــئٌ ، فجـــــاوز والله الأظانينـــــا

عنوانهـــــا الصـــــدقُ فيمـــــا ســـــطرتْ يـــــدُها ... فـــــي عـــــالم يفتـــــري – اليـــــوم - العناوينـــــا

حييـــــتُ فيهـــــا بمـــــا صـــــاغته شـــــاعرة ... فاحـــــت قصـــــائدُها مِســـــكاً ونســـــرينا!

الخوف (أرجوزة)

(لا شئ يُقلق مثل الخوف الشديد من المجهول أو إرعاد الظالمين ووعيدهم. والإيمان بالله – عز وجل – حقاً يُحرر من هذه العقدة ويجعل صاحبه لا يخاف إلا الله. ثم يُوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطأه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. ويوقن أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. والحقيقة أنني لكثرة ما ألمّ بي من البلاء من بني البشر على اختلاف مِللهم وأجناسهم وجنسياتهم في غربتي التي طالت عليّ ، أخذت ألومُ نفسي وأسألها: هل هذا من الابتلاء الذي يُصبر عليه لرفع الدرجات ومحو السيئات وزيادة الحسنات؟ أم أنه العقوبة على كثرة ما اقترفتِ النفس من الذنوب وما وقعت فيه من أعراض الآخرين؟! وفي نهاية اللوم والعتاب توصلتُ إلى أنهما معا ترجمة لهذا وذاك! وجعلتُ هذه القصيدة على شكل أرجوزة لتصور كل أطياف تركيبة الخوف التي تنتابني!)

عـــــــذاباتٌ تحـــــــوّلني سَـــــــرابا ... وتغـــرسُ – فـــي ســـنا قلبـــي ـ الحِرابـــا

وأشـــــــربُها فتكـــــــوي أمنيـــــــاتي ... وتوغِـــــل فـــــي شـــــرايين حيـــــاتي

وآلامٌ تفتـــــــتُ فجـــــــر عمـــــــري ... وترســـــم صـــــورة كَلمـــــى بشـــــعري

وآمـــــــــالٌ مبعثـــــــرة تنـــــــاءتْ ... وألبـــــابٌ – علـــــى ذلـــــي ـ تلاقـــــتْ

وأنغـــــــامٌ تســـــــطرني رمـــــــادا ... وفـــــي الأنـــــات ســـــامرُها تمـــــادى

علـــــى غبنـــــي قـــــد اجتمعـــــتْ ذئـــــابُ ... وكـــــم شـــــجّوا مخـــــالفتي ، وعـــــابوا!

وآهـــــاتٌ تخمّـــــش فـــــي الحنايـــــا ... ودمـــــعُ العـــــين تصـــــفعُه المنايـــــا

وأحـــــزانٌ بـــــرتْ فحـــــوى فـــــؤادي ... وزادتْ مـــــن ديـــــاجير سُـــــهادي

وأصـــــحابٌ شـــــقيتُ بهـــــم كثيـــــرا ... وكـــــم كـــــان الرحيـــــل بهـــــم مريـــــرا!

وقـــــد خـــــانوا الشـــــريعة والرفاقـــــا ... لـــــذا ســـــبكوا التنطـــــع والنفاقـــــا

وأحـــــوالٌ لهـــــا الـــــروحُ تعـــــاني ... وتنتحـــــرُ المشـــــاعرُ والأمـــــاني

وأشـــــجانٌ تحَطـــــم فـــــيّ أنســـــي ... وتحفـــــرُ فـــــي جحـــــيم الصـــــمت رمســـــي

وتحمِلنـــــي – علـــــى الـــــنعش ـ مُســـــجىً ... ومِـــــن ألـــــم المـــــرار العـــــزمُ ضـــــجا

وألمـــــحُ مـــــن ظـــــلام العـــــيش طيفـــــاً ... يحِـــــنّ علـــــيّ ، ثـــــم يمُـــــد كفـــــا

فـــــأزجُره ، وعِـــــزي فـــــوق صـــــوتي ... أقـــــول لـــــه: لقـــــد أختـــــار مـــــوتي

ولا أحيـــــا كمـــــا يحيـــــا الشـــــياهُ ... ومَـــــن فـــــيهم تعلمنـــــتِ الجبـــــاهُ

أقرّعـــــه ، وداعـــــاً يـــــا صـــــديقي ... فماضـــــي العُمْـــــر بـــــددهُ شـــــروقي

وســـــاءلتُ الضـــــمير ، فقـــــال: هـــــذا ... بمـــــا كســـــبتْ يـــــداك ، وبعـــــدُ مـــــاذا؟

فقلـــــــتُ: الله غفـــــــارُ الـــــــذنوبِ ... وربـــــــي البـــــــرُ ســـــــتار العُيـــــــوبِ

وقـــــد أســـــرفتُ ، مـــــا جادلـــــتُ ، كـــــلا ... ومـــــن عِظـــــم الـــــذنوب القلـــــبُ مَـــــلا

ولكـــــنّ المليـــــك بنـــــا رحـــــيمُ ... ومَـــــن بالســـــر والنجـــــوى علـــــيمُ

ودنيانـــــا طغـــــتْ دهـــــراً علينـــــا ... فغشـــــتنا ، وللتيـــــه انتهينـــــا

كـــــأن التيـــــه – فـــــوق الـــــرأس تـــــلُ ... وشـــــوقي للحيـــــاة بـــــه يُمَـــــلُ

صـــــراعٌ ، والشـــــقاءُ بـــــه شـــــديدُ ... وقلبـــــي – فـــــي دجـــــى البلـــــوى - شـــــريدُ

ذنـــــوبي – فـــــوق رأســـــي - كالجبـــــالِ ... ودمّرنـــــي التهـــــوّكُ فـــــي الجـــــدالِ

وفـــــاض الخـــــوفُ ، واهتـــــاج الحنـــــينُ ... وأجـــــأرُ للمليـــــك ، ولـــــي أنـــــينُ

أخـــــاف اليـــــوم مـــــن وخـــــذ الجـــــراحِ ... ولـــــيس يعيـــــد مـــــا ولـــــى نـــــواحي

وحـــــالي – الآن – مبتـــــئسٌ مـــــريضُ ... ولـــــومي – للبليـــــات - بغـــــيضُ

ومـــــا لـــــي فـــــي الرزايـــــا مـــــن حِـــــراكِ ... وغابـــــت كـــــل ألـــــوان الفكـــــاكِ

وأخشـــــى أن أكـــــون فقـــــدتُ رشـــــدي ... وأعيـــــاني الركـــــونُ إلـــــى التـــــردي

سِـــــهامُ الخـــــوف – فـــــوقي - شاخصـــــاتُ ... ونـــــار الخـــــوف أشـــــعلها الشِـــــماتُ

وأطمـــــعُ أن يزيـــــد الخـــــوفُ حرصـــــي ... ولـــــي قـــــدرٌ يحاســـــبني ، ويحصـــــي

وعفـــــوك يـــــا إلـــــهَ النـــــاس أرجـــــو ... وآمـــــلُ - لـــــو مـــــن الخســـــران - أنجـــــو

يا فتاتي رجّعي الشعر الجلي!

(رحلتْ عني إلى مصر أمُ الأولاد مع أولادها جميعاً. وبقيتُ وحدي ألوكُ آلام الفراق وأعاني لواعج الشوق إليهم. وليس في كل سفر ووداع ورحيل تكون قصيدة ، فليس الأمر ميكانيكا أو أن الشعر لا يستعصي عليّ مرة أو مرات! إن الذي يتصور أن الشاعر يمكن له أن يكتب في كل وقت وحين هذا إنسان لا يفهم عن الشعر والشعراء الكثير من الذي ينبغي أن يعرف عنهم. بل القضية قضية انفعال يقود إلى عاطفة! وإذا تمخضت الفكرة عن قريض أمسكت الأنامل باليراع ، وكانت القصيدة ترجمة لما عاش الإنسان من شعور. فالمسألة شعور قاد إلى شعر ، وليست أبداً شعر قاد إلى شعور! إن الشعر أسمى من ذلك مقاماً وأرفع قدراً وأعلى منزلة. وكنتُ قد كتبتُ قصيدة مماثلة في ديوان (نهاية الطريق) منذ خمس سنوات ، وكان عنوانها: (الياسمينة) ، وأيضا قصيدة مرارة الذكرى ، وأيضاً قصيدة: (لوعة الرحيل) التي تجاوزت الستمائة بيت عندما رحلت عني بأولادها! وهي أطول ثاني قصيدة! وأهديتها يومها لذات الإنسانة التي أكتب لها اليوم لها (يا فتاتي ، رجّعي الشعر الجلي!) لأم عبد الله – حفظها الله تعالى – أذكّرها بالأيام الخوالي التي عشناها في مصر من صفاء الحب وطيب العشرة! وكأني أريد أن أقول لها: رجّعي الشعر الجلي الذي تذاكرناه معاً في أول زواجنا ، واغمري قلبي بسالف الذكريات العذبة! وذكّرينا بقراءة القرآن ومُدارسة أحاديث النبي العدنان – عليه السلام -. وظللتُ أتخيلها أمامي وأطلب منها أن تعيد أطياف الأيام الحلوة التي قضيناها معا إبان زواجنا عام 1988م ، هناك في مصر في كنف الأهل والأصحاب والإخوة! وفي كل مرة أكتب القصيدة على فترات تشبه زخات المطر ، وأحياناً أكتبها جملة واحدة ، وهذه القصيدة من هذا النوع! وما ذاك إلا لفرط الحب في الله ، وتعتبر أم عبد الله المرأة الوحيدة التي أحببتها في الله وعلى نور منه – سبحانه وتعالى - ، وتزوجتها على كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -. وأسأل الله أن تكون زوجي في جنات النعيم!)

رجّعـــــــي الشـــــــعر الجلـــــــي ... واغمـــــــري القلـــــــب الخلـــــــي

بالأمـــــــــــاني والصـــــــــفا ... يـــــــا فتـــــــاتي ، واســـــــألي

عـــــــن حبيـــــــب راحـــــــل ... للمَعـــــــــــــــــــين الأول

هـــــــدّ قلبـــــــي بُعـــــــدُهُ ... ورحيـــــــــــلُ الأشـــــــــبُل

أيـــــــن حـــــــبٌ صـــــــادقٌ ... وفـــــــق قـــــــرآن العلـــــــي؟

أيـــــــن نصـــــــحٌ مخلـــــــصٌ ... كـــــــان عـــــــذبَ المنهـــــــل؟

أيـــــــن ودٌ مُخبـــــــتٌ ... مُغـــــــدقٌ كالجـــــــدول؟

أيـــــــن نـــــــورٌ مُشـــــــرقٌ ... فـــــــي العطـــــــاء المِكْمَـــــــل؟

أيـــــــن عِطـــــــرٌ فـــــــائحٌ ... مـــــــن ثنايـــــــا المخمـــــــل؟

أيـــــــــن يـــــــــاقوتُ المُنـــــــــى ... فـــــــــي أريـــــــــج المَأمـــــــــل؟

أيـــــــــن قـــــــــولٌ قـــــــــاطعٌ ... كـــــــــان عـــــــــفّ المَحْمَـــــــــل؟

ذكّرينـــــــــــــــا بالســـــــــــــــنا ... وانفحينـــــــــــــــا ، عجّلـــــــــــــــي!

بلغِـــــــــي (العِـــــــــز) الـــــــــذي ... فـــــــــي الهشـــــــــيم المُمْحِـــــــــل

أننـــــــــــــــا اشـــــــــــــــتقنا لـــــــــــــــهُ ... ولأمـــــــــــــــن المَوئـــــــــــــــل!

وللقيـــــــــــــــاهُ هنـــــــــــــــا ... ولمَـــــــــــــــرآه الجَلـــــــــــــــي

إنْ تلاشـــــــــــــــى حُبنـــــــــــــــا ... فعـــــــــن الماضـــــــــي ســـــــــلي

منـــــــــذ غابـــــــــتْ (عزتـــــــــي) ... والجـــــــــوى قـــــــــد عـــــــــنّ لـــــــــي

عكّـــــــــر الصـــــــــفوَ الـــــــــذي ... كـــــــــان غـــــــــضَ المنـــــــــزل

كانـــــــــتِ الـــــــــدنيا بـــــــــه ... كـــــــــالربيع الغيـــــــــدل

كـــــــــم قرأنـــــــــا الـــــــــذكرَ فـــــــــي ... وعْـــــــــي قـــــــــوم كُمّـــــــــل!

ونســـــــــجنا الشـــــــــعر ثـــــــــوْ ... بـــــــــاً زهـــــــــا بـــــــــالمِغزل!

وتخِـــــــــذنا الصـــــــــبر در ... بـــــــــاً بعـــــــــزم مُخضِـــــــــل

وســـــــــمَوْنا للـــــــــذرى ... عنـــــــــد أســـــــــمى مَعقـــــــــل

ســـــــــلمي يـــــــــا غـــــــــادتي ... بـــــــــالقريض المُثكـــــــــل

واذكـــــــــري عـــــــــن حـــــــــالتي ... والعـــــــــذاب المُقصِـــــــــل

وصِـــــــــفيني عنـــــــــدها ... واصـــــــــدقي فـــــــــي المِقـــــــــول

لا تخـــــــــافي لومَهـــــــــا ... أو كـــــــــلامَ العُـــــــــذل

إنهـــــــــا اللطـــــــــفُ بـــــــــدا ... كـــــــــاحمرار الكَربـــــــــل

كـــــــــم بكيـــــــــتُ فقـــــــــدَها ... بـــــــــالعيون الهُمّـــــــــل!

ورحيـــــــــــلُ الإلـــــــــــف يُغـــــــــــ ـــــــــــري قطيـــــــــــعَ المُيّـــــــــــل

يجعـــــــــــل الشـــــــــــمسَ دجـــــــــــيً فـــــــــــي النهـــــــــــار الأليـــــــــــل

رجعـــــــــــي الشـــــــــــعر الـــــــــــذي سُـــــــــــقته ، لـــــــــــم أبخـــــــــــل

لوعـــــــــــة فـــــــــــي خـــــــــــاطري عنـــــــــــه ذي لـــــــــــم ترحـــــــــــل

وفـــــــــــؤادي عبْرهـــــــــــا يصـــــــــــطلي فـــــــــــي مِرجـــــــــــل

فـــــــــــارحمي القلـــــــــــبَ كفـــــــــــى وارفقـــــــــــي بـــــــــــالأعزل

واذكـــــــــــري مـــــــــــا قلتـــــــــــه عـــــــــــن غرامـــــــــــي الأمثـــــــــــل

وفـــــــــــق شـــــــــــرع طـــــــــــاهر لـــــــــــم يكُـــــــــــن بالمُبطـــــــــــل

صـــــــــــغته (ترنيمـــــــــــة) فـــــــــــي قريضـــــــــــي المُجْمَـــــــــــل

فاقبليهـــــــــــا غضـــــــــــة واقرئـــــــــــي ، لا تخجلـــــــــــي

إننـــــــــــي حبرتهـــــــــــا مثـــــــــــل شـــــــــــدو البلبـــــــــــل

رســـــــــــختْ فـــــــــــي (عَزتـــــــــــي) كرســـــــــــوخ الأجبُـــــــــــل

وصـــــــــــفتْ فـــــــــــي لفظهـــــــــــا كصـــــــــــفاء السلســـــــــــل

رجعـــــــــــي الشـــــــــــعر لهـــــــــــا أكرميهـــــــــــا ، وابـــــــــــذلي

أخبريهـــــــــــا أنـــــــــــه لـــــــــــم يصـــــــــــغه (الموصـــــــــــلي)!

وكـــــــــــذا (زريـــــــــــاب) مـــــــــــا خضـــــــــــب الألحـــــــــــان لـــــــــــي

إننـــــــــــي غنيتـــــــــــه لـــــــــــكِ بـــــــــــالرتم الجلـــــــــــي

ثـــــــــــم قـــــــــــد أهديتـــــــــــه لـــــــــــك – حُبـــــــــــي - فـــــــــــاقبلي

حيّاكِ الله يا صاحبة القرآن (رسالة إلى عصماء!)

(أحد الجاهليين من الذين لم يُرد الله بعد أن يمُن عليهم فيطهر قلوبهم. كان قد عشق ابنة عم له صوامة قوامة موحدة ، فلما أن أبتْ كما هي طبيعة المؤمنة الاقتران به زوجاً عزم على أن يتحقق له ذلك بالحِيلة! وكانت الحِيلة أن لجأ هذا الضال إلى السحرة والدجالين مستعيناً بشياطين الإنس والجن من أجل أن يقهر صاحبة القرآن موضوع قصيدتنا على الاقتران به زوجاً. وجاء السحرة لميقات يوم معلوم ، وأرسلوا واردهم ليستطلع اخبار الفتاة ومكانها وأوقات نومها ، ودارت رحى الحرب بين ولية الله الغافلة المُحْصنة وبين شياطين الإنس والجن ، ومدّ الليل سكونه وأرخى سُدوله ، وخذل الله تعالى الشياطين ونصر المؤمنة به ، وعادت شياطين الجن تخبر شياطين الإنس أنه لا سبيل لنا أبداً على هذه الفتاة ، إذ لا طاقة لنا بغرفة تقرأ فيها البقرة وغيرها من سور القرآن. وهذا يُبرهن لنا كيف يحمي الله بهذا القرآن من يتعبد الله به فيتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، ويتدبره ويعمل به كاملاً ، فيحرم حرامه ويحل حلاله ، ويؤمن به ويجاهد به ويدعو إليه ويوالي ويعادي وفق آياته وأحكامه. وإذا كان الجهاد في سبيل الله يأتي بالأبدان ، فإن القرآن يأتي بالأبدان والقلوب معاً! ولذلك أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يُجاهد به الكفار والمشركين فقال: (وجاهدهم به جهاداً كبيراً). فصاحبة القرآن موضوع هذه القصيدة كانت – ولا نزكّيها على الله – من هذا النوع الموحّد المجاهد القانت. إلى أن عاد الغادر الأثيم ابن العم الشاذ إنسانياً واجتماعياً ، لأنها أخته على أي حال! عاد يطلب ودّها وصفحها ويلح في أن تكون له زوجة. فاشترطت عليه التوبة النصوح والندم والعزم على عدم العودة واتباع سبيل المؤمنين الموحدين ولزوم الصالحات ، فإن فعل وآنستْ منه رشداً ودِيناً وخلقاً وتوحيداً واستقامة فلن تتردد لحظة في قبوله زوجاً ، بدون مقدمات ولا اشتراطات مبتغية بذلك وجه الله. ونحن نحيي (عصماء) ابنة الإمارات التي حق للإمارات بغير مبالغة أن تفخر بها ابنة بارة مؤمنة يتمناها ابنة كل أب مؤمن ، ويتمناها زوجة كل شاب مؤمن ، ويتمناها أختاً في الله ورسوله والإسلام كل مؤمن ، وتتمناها أختا لها في الله كل مؤمنة. إننا لنسعد كل السعادة ، ونفاخر كل المفاخرة بهذه المؤمنة الصالحة ، ونباهي بها كل اللواتي نعرفهن من النساء. وإنني أسجل هذه القصيدة تاجاً على رأسها وياقوتة في دربها وسراجاً يُنير حوالك الظلم للائي اشترين الضلالة بالهدى هداهن الله. فإلى كل فتاة ضحك عليها شياطينُ الإنس والجن اليوم فأوردوها موارد الهلكة والضياع بأساليب كثيرة لا تخفى على عاقلة حصيفة وإلى كل فتاة أو امرأة لوثت عينها بالنظر إلى الفن الهابط وأهله مسموعاً ومقروءاً ومرئياً ، ودنست أذنها بسماع الغناء بجميع أنواعه وأنغامه ، ووسخت قلبها بالمسلسلات والتمثيليات والأفلام والمسرحيات المرذولة بجميع أصنافها ، إلى كل حواء أعرضتْ عن ذكر الله وما نزل من الحق وزهدتْ في القرآن والسُنة. وإلى كل حواء لعب بها وبقلبها وبعقلها الجاهليون المارقون من المغنين والمغنيات والممثلين والممثلات – عليهم من الله جميعاً من الله ربهم الجبار المنقتم ما يستحقون - . وإننا لنحمد الله تعالى – ونحن نحيي (عصماء) – أن عشنا ليوم ندرك فيه أمثال (الرميصاء أم سليم بنت ملحان) تلك الصحابية الجليلة التي كانت من أغلى النساء مهراً عندما اشترطت على أبي طلحة الأنصاري أن يُسْلم فيكون ذلك مهرها ، وذلك عندما أتاها يخطبها فقالت: يا أبا طلحة مِثلك لا يُرد ، ولكن اعلم أنه لا ينبغي لمثلي أن تتزوج مُشركاً ، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها عبدُ آل فلان ، ولو أشعلتم فيها ناراً لاحترقتْ ، هل تنفعك هذه الآلهة؟ ألا تستحيي تعبد شجرة نبتتْ من الأرض؟ فأسلم بعد ثلاث ليال من التفكير العميق! وتزوجا زواجاً مباركاً! ولقد كانت لها عند النبي – صلى الله عليه وسلم – حظوة ومكانة عظيمة ، فهي من

المجاهدات معه ومن المبشرات بالجنة! والدليل مارواه الإمام البخاري ومسلم في الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (دخلتُ الجنة فسمعتُ خشفة (صوت مشي) فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك). فنحن نحمد الله أنه في عصر الإنترنت والأقمار الصناعية والغزو الفكري والهجمة الشرسة على الإسلام وأهله ، أن يوجد من تحْيي اليوم سُنة أم سُليم بالأمس! فلقد جعلتْ مهرها التوبة والاستقامة على منهج الله تعالى! فحياكِ الله يا عصماء ، يا رميصاء القرن الحادي والعشرين يا صاحبة القرآن ، ويا فخر الإمارات العربية المتحدة ، ويا خِيرة بنات الخليج العربي! وإنه لشرف لشاعر في الثلاثين من عمره أن يحكي قصتكِ شعراً!)

إيـــهِ يـــا مـــن غـــدوتِ فينـــا منـــارا ... بـــات يهـــدي قومـــاً غفـــاة حَيـــارى

يجتلـــيهم مـــن كـــل كيـــدٍ وجَـــور ... ويُفيـــق المُسْـــتكبرين السُـــكارى

يبـــذر النـــورَ المســـتبين وحيـــداً ... فـــي قطيـــع عنـــه الضـــياءُ تـــوارى

يـــزرع الخيـــر – فـــي الأنـــام - احتســـاباً ... وعطـــاه – فـــي النـــاس – لـــيس يُبـــارى

صـــامدٌ فـــي البأســـاء مـــا قـــال: (أفِ)! ... وسْـــط قـــوم – فـــي المُوبقـــات - أســـارى

صـــابرٌ فـــي الضـــراء ، بـــل ويُضـــحّي ... وينـــادي – فـــي العـــالمين - جهـــارا

يرقـــبُ الفجـــر ، ثـــم يســـعى حثيثـــاً ... وعلـــى خديـــه الـــدموعُ بحـــارا

يغســـل التقـــوى بـــاليقين فيحيـــا ... هـــادئ الـــنفس ، وعـــزهُ لا يُجـــارى

يحمـــل القنـــديلَ المشـــعّ ضـــياءً ... وكفـــى بالبـــذل الكـــريم افتخـــارا

إنـــه القـــرآن الكـــريم يُحَلِـــي ... همـــة أمســـتْ للتقـــاة منـــارا

غـــادة تمشـــي بيننـــا تتهـــادى ... قمـــرٌ بـــالأنوار زانَ الـــديارا

فلهـــا مـــن نـــور اليقـــين ســـراجٌ ... يجتبـــي مِـــن صِـــدق الـــولاء شـــعارا

أنـــتِ شـــمسٌ فـــي الكـــون تنضـــح عطـــراً ... وعلـــى أهـــل الســـوء تقـــذف نـــارا

قـــدوة فـــي الكـــون الرحيـــب تســـامتْ ... وشـــذاها أمســـى يفـــوحُ وقـــارا

أســـلمتْ لله القـــدير ، ويكفـــي ... أن فـــوق الـــرأس المُطيـــع خِمـــارا

ســـترتْ وجهـــاً والكُفـــوفَ احتســـاباً ... ثـــم أدنـــى الجلبـــابِ شـــدتْ إصـــارا

ثـــم ســـارت – فـــي النـــاس – مثـــل مـــلاكٍ ... مـــا عليهـــا مـــن بصـــمةٍ للنصـــارى

صـــوتها همـــسٌ ، لا يجـــاوز سَـــمعاً ... إذ تعـــاني – مـــن العُلـــو - جـــؤارا

وكـــلام (العصـــماء) بعـــضُ حـــروفٍ ... فلقـــد أمســـتْ كثـــرة القـــول عـــارا

وطعـــامُ الزهـــراء بعـــض فتـــاتٍ ... إنهـــا اختـــارتْ مـــا تـــودّ اختيـــارا

وشـــرابُ الشـــماء جرعـــة مـــاء ... فتحـــاكي بالشـــرب هـــذا الصـــغارا

وســـخاءُ الشـــهباء لـــيس يُحـــاكى ... إنهـــا طابـــت مَنبتـــاً وجـــوارا

لـــيس تعطـــي إلا بكـــل ارتيـــاح ... مثـــل غيـــثٍ عـــمّ الـــورى مـــدرارا

ضـــحْكها فـــي سِـــرّها دون جهـــر ... إذ تحـــاكي – فـــي ضـــحْكها - الأبـــرارا

تلـــك حـــازتْ مـــن كـــل خيـــر مَـــداهُ ... وأقامـــتْ – مـــن حولهـــا - الأســـوارا

حـــار فيهـــا الصَـــبُ العشـــيق طـــويلاً ... وجنـــودُ الشـــيطان جـــاؤوا جُمـــارى

حـــاولوا ، واللهُ القـــديرُ بصـــيرٌ ... وتحـــدّوْا ربّ الـــورى القهـــارا

أجمعـــوا الكيـــدَ – دون خـــوفٍ - ورامُـــوا ... حـــظ نفـــس تســـتهدف الـــدينارا

شـــيّدوا المكـــر والخديعـــة سَـــداً ... وأقـــاموا – خلـــف الـــدهاء - جـــدارا

وأرادوا خـــوض الغِمـــار عُتـــاة ... ثـــم حـــاكوا الأهـــوال والأخطـــارا

واســـتعانوا بكـــل صِـــل رجـــيم ... فـــإذا بـــالتنور ضـــجّ وفـــارا

واســـتعاروا التقـــوى رداءً نـــدياً ... وأقاموهـــا جُنـــة وسِـــتارا

وأتـــوْا صـــفاً لـــيس يعـــرفُ ربـــاً ... وأرادوا أن يغلبـــوا الجبـــارا

اخســـأوا يـــا أقـــزامُ ، أنـــتم ســـرابٌ ... رب فاقصـــمْ مســـتكبراً ديّـــارا

وأرحْنـــا مـــن كـــل فـــظٍ غلـــيظٍ ... ميّـــتِ القلـــب يعبـــدُ الـــدولارا

ربّ أبطـــلْ سِـــحراً توحّـــد صـــفاً ... رب واهـــزمْ جـــيش العِـــدا الجـــرارا

لا تـــــدعْهم يُـــــؤذون قومـــــاً كِرامـــــاً ... وأذلّ الضُـــــــــــلاّل والأشـــــــــرارا

عربـــــدوا فـــــي الأرض الفســـــيحة دهـــــراً ... وأزاغـــــوا الألبـــــاب والأبصـــــارا

ألفـــــوا الأوراد المُضـــــــلة ردحـــــاً ... واستشـــــاروا الرهبـــــان والأحبـــــارا

واســـــتباحوا فعـــــل الحـــــرام طـــــويلاً ... ثـــم صـــاروا – فـــي بيعِـــه - تُجّـــارا

وغـــــدا سِـــــحرُ المجـــــرمين ســـــبيلاً ... للتحـــــدي ، يُـــــؤرّق الأحـــــرارا

أزعجـــــوهم بالســـــحر لـــــيلاً نهـــــاراً ... واســـــتغلوا الســـــكران والخمّـــــارا

وأبَـــــوْا ديـــــن الله شـــــرعاً وهـــــدياً ... وغـــــدا أســـــتاذاً لهـــــم (جيفـــــارا)

كـــم تحـــدّوْا (عصـــماءَ) وفـــق هـــواهم! ... وأصـــــروا علـــــى الأذى إصـــــرارا

حـــــاولوا تضـــــييق الخِنـــــاق عليهـــــا ... مـــا اســـتطاعوا – فـــي حربهـــا - المِشـــوارا

وأتـــوْا صـــوبَ البنـــت مثـــل الضـــواري ... إذ تنـــاجي الغِـــزلانَ والأجفـــارا!

أشـــهروا الســـحرَ المســـتبينَ ، وكـــادوا ... والفتـــاة تســـتغفر اســـتغفارا

تجعـــلُ الـــذكر العـــذب زاداً وذخـــراً ... وبهـــذا تُضـــاعفُ الأذخـــارا

ذِكرُهـــا ربَ النـــاس ســـيفُ تحـــدٍ ... ولهـــذا تســـتثمر الأســـحارا

ولـــديها القـــراءُ شـــرقاً وغربـــاً ... وتـــراهم – فـــي كربهـــا - سُـــمّارا

يقـــرأون الـــذكرَ الحكـــيمَ احتســـاباً ... كـــل صـــوتٍ كـــم يحتـــوي أســـرارا!

ثـــم تتلـــو مـــن الحـــديث ، وتشـــدو ... بحُـــداءٍ يســـتنوق الأشـــعارا

غـــادة بالإيمـــان تصـــرعُ ســـحراً ... ثـــم تزْجـــي - بعـــد الصـــراع - انتصـــارا

غيرُهـــا بالســـحر الرهيـــب تحـــدّى ... غـــادة الحـــق ، واعتلـــى الإعصـــارا

شـــن حربـــاً – علـــى التقيّـــة – شـــعوا! ... وانـــزوى حتـــى يســـتجيشَ الأوارا

وإذا الحـــقُ يطـــرحُ الســـحر أرضـــاً ... ثـــم يُلقـــي - مـــن فوقـــه - الأحجـــارا

يَـــــرجُم الشـــــرَ ، لا يخـــــاف المنايـــــا والشـــــرورُ قـــــد ولـــــتِ الأدبـــــارا

أمَـــــة فـــــي طهـــــر الحنيفـــــة عاشـــــت كـــــم أعـــــارتْ - لغيرهـــــا – الأزهـــــارا!

إنهـــــا بـــــالوحي المنيـــــر تســـــامتْ وبـــــه كانـــــت تحـــــرقُ الزنـــــارا

لـــــم تكـــــن ترضـــــى بالفســـــاد حيـــــاة لـــــم تجامـــــلْ أو تصـــــحب التيـــــارا

شـــــمختْ بـــــالحق المبـــــين ، فعفـــــتْ ولـــــذا فالشـــــيطانُ – فـــــي الكيـــــد - حـــــارا

وأدارتْ للقـــــوم ظهـــــراً ، وجـــــدّتْ واســـــتقرتْ – فـــــي عيشـــــها - اســـــتقرارا

لـــــم تلـــــوثْ عينَـــــيْ ربيبـــــةِ شـــــرع لـــــم تـــــدنس مَـــــن تتبـــــع الآثـــــارا

بالأغـــــاني – كـــــلا – ولا بـــــالغواني لـــــم تطـــــاوعْ وَسواسَـــــها الأمـــــارا

لـــــم توسّـــــخْ عِرضـــــاً بفـــــن المطايـــــا مَـــــن جلـــــبن – إلـــــى الـــــديار - البـــــوارا

فـــــاجراتٌ يـــــبعن دينـــــاً بـــــدنيا مطربـــــاتٌ أفســـــدننا والـــــدارا

بـــــل رأت فـــــي الممـــــثلاتِ خزايـــــا قـــــد ســـــحقن الزوجـــــاتِ ، بـــــل والعـــــذارى

لـــــم تكـــــن تهفـــــو للفنـــــون ، فعـــــزتْ إن - فـــــي هـــــذي الموبقـــــات - الخســـــارا

قاتـــــل الله المســـــتعانُ فريقـــــاً يجعـــــل الفـــــن سُـــــؤدداً وفخـــــارا

لـــــيس يهـــــوى الأفـــــلامَ غيـــــرُ رقيـــــع وأراهـــــا عُهـــــراً يَشـــــيعُ وعـــــارا

وأرى الفنـــــانين أعهـــــر قـــــوم وأراهـــــم – فـــــي دارنـــــا - الأعيـــــارا

وأرى الفنانـــــات بعـــــض حظايـــــا وأراهـــــن العِيـــــر والأبقـــــارا

تعســـــتْ أرواحٌ بهـــــن تغنـــــتْ جعلـــــتْ مـــــن أهـــــل الهـــــوى تـــــذكارا

أيهـــــا الأقـــــوامُ اســـــتفيقوا ، كفـــــاكم لـــــيلكم أمســـــى لا يُطيـــــق النهـــــارا

لكـــــنِ النـــــورُ ســـــوف يمحـــــو سَـــــواداً كـــــم طمســـــتم – مـــــن دونـــــه – الإســـــفارا!

واســـــألوا التـــــاريخ الـــــذي لا يُـــــداجي واســـــتجيبوا ، واســـــتبحثوا الأخبـــــارا

سُـــــــنة الله لا تجامـــــــل قومـــــــاً ... فاقرأوهـــــا ، تقلـــــب الأعصـــــارا

أمهـــــلَ الـــــرحمنُ الـــــرحيمُ قطيعـــــاً ... شـــــارداً عـــــن نهـــــج الهُـــــدى كَفـــــارا

وغـــــداً تـــــأتي سُـــــنة الله حتمـــــاً ... ونـــــرى مِـــــن تـــــدميره أطـــــوارا

وقضـــــاءُ الجبـــــار لـــــيس يُحـــــابي ... وأراه يســـــتعجل الأقـــــدارا

فتقـــــول الأقـــــدارُ: عفـــــواً ، قضـــــائي! ... عـــــلّ قومـــــاً يســـــتعبرون انكســـــارا

إيـــــهِ يـــــا نبـــــراسَ البنـــــات عِظينـــــا ... واغمُرينـــــا تحيـــــة وفخـــــارا

نحـــــن ، مـــــا نحـــــن دون هـــــدي وتقـــــوى؟ ... علمينـــــا ، وعطريـــــه حـــــوارا!

بصّـــــرينا بـــــالروح كيـــــف يُضـــــحّى ... واملئـــــي ألبابنـــــا إيثـــــارا

واصـــــدعي بـــــالحق المضـــــمّخ عِطـــــراً ... أخرســـــي يـــــا أنشـــــودتي الثرثـــــارا

واقمعـــــي - بالآيـــــات - قومـــــاً تمـــــادَوْا ... فـــــي الـــــدياجي ، ثـــــم ارجمـــــي الصرصـــــارا

فيـــــكِ إنـــــي أحببـــــتُ كـــــل تحـــــدٍ ... صـــــادق العـــــزم ، لـــــم يكـــــن مُســـــتعارا

لـــــكِ حبـــــي يطفـــــو عليـــــه إخـــــائي ... وإذا قصّـــــرتُ اقبليـــــه اعتـــــذارا

ذاك حـــــبٌّ فـــــي الله يمـــــلأ قلبـــــي ... وإخـــــاءٌ أضـــــحى سَـــــنا مِعطـــــارا

وقصـــــيدي أهديـــــه أخـــــت اعتقـــــادٍ ... بـــــات نجمـــــاً فـــــي جيلنـــــا سَـــــيّارا

فاقبليهـــــا قصـــــيدة مـــــن ضـــــمير ... لـــــبس الحـــــبَ – فـــــي المليـــــك - إزارا

ولـــــه مـــــن حـــــب التقـــــاة سِـــــراجٌ ... يُتـــــرعُ الـــــدربَ – حولنـــــا - أنـــــوارا

كـــــم كتبـــــتُ الأشـــــعارَ أنشـــــد أجـــــراً ... وســـــطرتُ الأشـــــواقَ والأفكـــــارا!

كـــــم ســـــلكتُ للشـــــعر أرضـــــاً ودربـــــاً ... وقطعـــــتُ الآمـــــادَ والأســـــفارا!

والتمســـــتُ الأســـــتاذ فـــــي كـــــل وادٍ ... وحملـــــتُ الأقـــــلام والأســـــفارا

وســـــبرتُ أغـــــوار شـــــعريَ وحـــــدي ... وزرعـــــتُ – فـــــي ســـــاحه - الأشـــــجارا

ورشـــفتُ – مـــن نبعـــه العـــذب ـ كأســـاً وفجَـــرتُ – فـــي أرضـــه ـ الآبـــارا

ثـــم أهـــديتُ الشـــعر صـــحبي ، فضـــنوا واســـتخفوا واســـتهتروا اســـتهتارا

غيـــرَ خِلـــيْن اســـتعطرا بحُـــدائي قـــدّما النصـــحَ يحمـــلُ الأثمـــارا

فـــ (لعـــدنانٍ) مـــن فـــؤاديَ شـــكرٌ فلقـــد أزجـــى نصـــحه مـــدرارا

ثـــم لـــ (لنـــوبيّ) الأديـــب التحايـــا حيـــث وفـــى بالوعـــد لمّـــا أشـــارا

نصـــحاني بكـــل صـــدق ولطـــفٍ فأجـــادا واســـتظهرا اســـتظهارا

فجـــزا المـــولى مخلـــصَ الصـــحب خيـــراً مَـــن هـــداني ، ومَـــن أقـــال العَثـــارا

وجـــزا خيـــراً مـــن تحـــدّثْ عِـــداها فـــي ثبـــاتٍ ، هاتيـــك تـــاجُ العـــذارى

ضـــربتْ فـــي الصـــدق الجميـــل مثـــالاً ثـــم زادتْ عنـــد اللقـــاء اصـــطبارا

غلبـــتْ بالطاعـــات مـــن حاربوهـــا وهـــمُ جَـــرّوا الـــذل والأوزارا

لـــم تكـــن تنـــوي الحـــربَ ، هـــذي مـــلاكٌ لكـــنِ اضـــطرتْ للتحـــدي اضـــطرارا

فاســـتعانتْ بـــالله لمّـــا أتوْهـــا فاســـتحالوا – عنـــد اللقـــا ـ أثـــوارا

كيـــف يـــؤذي وليّـــة الله عبـــدٌ فـــي التغـــابي والجهـــل فـــاق الحِمـــارا؟!

مـــن تقـــوّتْ بـــالله كيـــف تعـــادَى؟ كيـــف يُرمـــى – فـــوق المَـــلاك – الحِصـــارا؟

إن ربـــي نصـــيرُ كـــل منيـــب مَـــن بـــه إثـــر العاديـــات اســـتجارا!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

أجفار: جمع جفر وهي العنز. جاؤوا جُمارى: جميعا. جؤار: غصة في الصدر. إصار: حبل يُشد به أسفل الخباء. زنار: ما على وسط النصارى. أعيار: جمع عِير وهو حِمار الوحش. أعصار: جمع عصر. أذخار: جمع ذخر. عثار: تعثّر. الزهراء والموفقة والمخلصة والشماء والشهباء: عصماء!

هذا بعض ما أعيش! رسالة شعرية إلى رياحيني الثلاث!

(عندما يرحل فلذات الأكباد يتعذب الأب ، إذ يبقى وحيداً يغالب جوى الأشواق إليهم ولواعج الترقب لعودتهم. إن مثل هذا الشعور عند الشاعر جدير بأن يجعله في انتظار قصيدة يرفرف صداها على وحدته ومعاناته. فبعد أن نقشتُ هذه القصيدة رحتُ أرجّع ألحانها وأعيد النظر فيها مرة بعد مرة. فألفيتها قد أخرجتْ ما بي من ألم الفراق على قرطاسي الحزين. وصارت بعد ذلك رسالة شعرية يتمثلها كل من رحل عنه أحبابه وصغاره وعاش ما عشتُ من الشجن. والشاعر حالب والقارئ شارب! حقيقة إنه بعد رحيل الأحباب يشعر الإنسان بالفراغ القاتل! لكن الشعراء - والشعراء الموحدين فقط - لا يقتلهم الفراغ بقدر ما يُسليهم ويمتع أدبهم وينمي شعرهم ، فإذا الفراغ القاتل طريق إلى إثراء الأدب ووسيلة من وسائل تحويل الوحدة إلى شعر موحد مؤمن تصل النفس عن طريقه إلى اليقين في الله عز وجل. وقد رحل الرياحينُ الثلاث: (عبد الله – عبد الرحمن – عمر الفاروق) ومعهم أمهم الغالية. وأحسستُ بالوحدة ، وتذكرتُ ما عاشه الشاعر عمر بهاء الدين الأميري وهو يعيش الموقف ذاته ويطرح عدة أسئلة يعنون لها بـ (أين الضجيج العذب والطربُ؟) ليَخرج بقصيدة متفردة من اللون الواقعي الأسري الاجتماعي لم يسبقه إلى مثلها سابق فيما أعلم! فقلتُ في نفسي لأشاطرن الأميري ولأعارضنه وعلى ذات بحره ورويه ، فعساني بذلك أطفئ لهيب الوحدة وأكبت ألم الفراق ، فكانت قصيدة (هذا بعض ما أعيش ترجمة لهذا الشعور! وأعلم علم يقين أن الأيام تمر ، والمناسبات تنقضي ، والظروف تتحول عن الزمان والمكان ، ويبقى الشعر الذي يتناوله من بعدي ابنٌ أو حفيد! وتكون رسالتي قد وصلت عندما تكون قصائدي بين يدي حفيد يعطيها قدرها من الاحترام ، وليس كاحترام المشاعر! وهنا أعارض بهاء الدين الأميري ، فله السبق والشكر معاً!)

أيـــــن انســـــجامُ العـــــيش والأربُ؟ أيـــــن انبســـــاط الـــــروح والطـــــربُ؟

أيـــــن ابتســـــامُ القلـــــب يُبهجنـــــي؟ أيـــــن التئـــــامُ الشـــــمل والرغـــــب؟

أيـــــن اجتمـــــاعُ الأهـــــل يُســـــعدني؟ أيـــــن القـــــريضُ العـــــذبُ والأدبُ؟

أيـــــن الرجـــــالُ الصِـــــيدُ يُطربنـــــي مـــــنهم كـــــلامٌ بعضُـــــه الرطـــــب؟

هـــــم ســـــاعدي فـــــي غربـــــةٍ قطعـــــتْ منـــــي العُـــــروق ، فبـــــتّ أحتســـــب

هـــــم بســـــمتي ، إن كنـــــتُ مبتئســـــاً هـــــم فرحتـــــي ، إن بـــــتّ أنتحـــــب

إنـــــي أراهـــــم فـــــي دجـــــى ألمـــــي نـــــوراً يُضـــــئُ ، كـــــأنهم شُـــــهُب

فـــــي كـــــل ركـــــن خلفـــــوا طلـــــلاً يبكـــــي علـــــى تصـــــويره العجـــــب

فالـــــدارُ مـــــن بعـــــد الضـــــياء دجـــــىً حتـــــى يـــــراعُ الشـــــعر يكتئـــــب

والـــــنفسُ - مـــــن بعـــــد الصـــــفا - كـــــدرٌ والقلـــــبُ - مـــــن فـــــرط الجـــــوى - لجـــــب

والـــــــروح – ممـــــــا نالهـــــــا - تعبـــــــتْ ... والحـــــــسّ أضـــــــنى شـــــــعرَه الخبـــــــب

إنـــــــي افتقـــــــدتُ الزهـــــــر يُتحفنـــــــي ... عطـــــــراً وريحانـــــــاً لـــــــه أرَب

هـــــم - فـــــي حيـــــاتي - الأنـــــسُ يُؤنسُـــــني ... هـــــم - فـــــي حيـــــاتي – العِـــــز والنســـــب

هـــــم - فـــــي حيـــــاتي - النـــــورُ مُؤتلقـــــاً ... هـــــم - فـــــي حيـــــاتي – الصـــــحبُ والحَســـــب

هـــــم – فـــــي حيـــــاتي – الفـــــرْحُ إن صـــــمتوا ... حتـــــى وإنْ - فـــــي هجعتـــــي - شـــــغبوا

هـــــم – فـــــي حيـــــاتي – الشـــــوق يغمرنـــــي ... حبـــــاً ، وإن جـــــدّوا وإن لعبـــــوا

هـــــم باقـــــة مـــــن ورد (عَزتنـــــا) ... منهـــــا الشـــــذى الفـــــوّاحُ يُجتلـــــب

إنـــــي – مـــــن الأعمـــــاق - أكْبـــــرهم ... إذ إنهـــــم فتياننـــــاً النجُـــــب

فـــــيهم كتبـــــتُ الشـــــعر مـــــرتجلاً ... حتـــــى حـــــوتْ أشـــــعارَهم كتـــــب

أبنـــــي علـــــيهم كـــــل أمنيـــــةٍ ... أن يُصـــــبحوا ذخـــــراً لـــــه الغلـــــب

أعـــــددتُ للهيجـــــا ثلاثـــــتهم ... والـــــزادُ – فـــــي الهيجـــــاء - يُطلـــــب

ناشـــــدتُ رب النـــــاس يجعلهـــــم ... شُـــــمّا إذا حلـــــوا ، وإن ذهبـــــوا

عَبـــــدان للمـــــولى ، وذا عُمـــــرٌ ... والأمّ - فـــــي عِـــــز الإبـــــا - ســـــبب

والشـــــهمُ (عبـــــد الله) ممـــــتحنٌ ... لمّـــــا يَشُـــــقه اللهـــــو واللعِـــــب

لمّـــــا رأى الإســـــلام مبتئســـــاً ... أفضـــــى إليـــــه الضـــــيقُ والغضـــــب

فاختـــــار أن يحيـــــا لنصـــــرته ... فالفـــــذ – للإســـــلام - ينتســـــب

يـــــا عابـــــد الـــــرحمن ، يـــــا أملـــــي ... خـــــلّ الـــــدُمى ، فالســـــلمُ مُكتئـــــب

قـــــمْ عَطـــــر الـــــدنيا بشـــــرعته ... حتـــــى يـــــزول الحـــــزنُ والرهَـــــب

واستنصـــــر القهـــــار فـــــي لجـــــأ ... إذ نصـــــرُه – للهَـــــدي - يقتـــــرب

يـــــا أيهـــــا الفـــــاروق: أمتنـــــا ... أودتْ بهـــــا الشـــــحناءُ والريَـــــب

قـــم خلـــصِ الـــدارَ التـــي أسِـــرتْ ... والطغمـــة العـــادون كـــم غصـــبوا!

حـــرّرْ بســـيف الحـــق مَقدسَـــها ... فالمســـجدُ الأقصـــى بهـــا خـــرب

طهّـــرٍ بقـــاع الســـلم يـــا عمـــرٌ ... فالسِـــلّم فيهـــا بـــات يغتـــرب

واقمـــع دهـــاقينَ الفجـــور بهـــا ... لا يَصـــرفنْك الخـــوفُ والنـــوب

وحّـــدْ (أبـــا حفـــص) كتائبنـــا ... غـــال علينـــا الجمـــعُ واللقـــب

واهـــزمْ طواغيـــت الضـــلال ، كفـــى ... مـــا أفســـدوا ، فالـــدارُ تضـــطرب

تفـــديك نفســـي لا أضـــنّ بهـــا ... يُهـــديكها – عنـــد النـــزال - أب

(عُمَـــرَ الهُـــدى) أرجـــعْ خلافتنـــا ... مـــن بعـــد أن أدمـــى العُـــرى اللهـــب

أســـميتك (الفـــاروق) ، أقصـــدها ... يرضـــاك أهـــل الحـــق والعَـــرَب

يـــا مـــن كتبـــتُ الشـــعر فيـــه صـــدىً ... غنـــتْ بـــه الآكـــامُ والخشُـــب

لـــم يَرْعـــه الأهلـــون أجمعهـــم ... فاستســـخروا حتـــى بـــدا الكـــذب

إذ إنهـــم - فـــي المـــال - قـــد غرقـــوا ... وزخـــارفَ الـــدنيا لقـــد طلبـــوا

إنـــي لفظـــتُ الأمـــس زخرفهـــا ... واليـــوم طمّـــت بيننـــا الحُجُـــب

مرضـــاة بارينـــا إذن أملـــي ... والجنـــة الفيحـــاء والعُـــرُب

إنـــي لأدعـــو أن يُجنـــبكم ... ربـــي هـــوى الـــدنيا ، فـــذا النصـــب

إنـــي أرى – فـــي حـــبكم - هـــدفي ... يـــا مـــن علـــى آدابكـــم نثِـــب

كونـــوا – لهـــذا الـــدين - مأســـدة ... مـــا خـــاب مَـــن فـــي الله يحتســـب

غرّدْ يا بلبلَ النشيد (مُهداة للمنشد أبي عابد)

(النشيد المتأدب بأدي العقيدة والتوحيد كلمة ولحناً وأداء ، لا بد له من تحية وتقدير! وأعتقد أن المنشد الكبير أبا عابد قد أتحفنا بالكثير من الأناشيد الطيبة المحترمة بدءاً من أناشيد الأعراس الإسلامية وانتهاء بمجموعته الإنشادية (أطياف)! ومن هنا رحتُ أحييه شعراً! ومن الطبيعي أن القلب الذي امتلأ بالأغاني الجاهلية لا يحس بروعة الأناشيد الملتزمة بالإسلام! فاستمر يا أبا عابد في مشروعك ولا تحِدْ عنه ، واعلم بأنك على ثغر من ثغور الإسلام فلا يؤت من قِبلك!)

إيـــــهِ يـــــا لحنـــــاً يســـــتجيش بنفســـــي ... وطيوفـــــاً تختـــــالُ ، تتحـــــف أنســـــي

وجمـــــالاً يُهـــــدي القلـــــوبَ ســـــروراً ... وسِـــــراجاً يزهـــــو ، وفـــــي القلـــــب يُمســـــي

ونســـــيماً يشـــــفي العليـــــل فيحيـــــا ... لـــــيس يُبقـــــي – فـــــي الـــــنفس – ذرة يـــــأس

وعبيـــــراً – خلـــــف النشـــــيد - تـــــوارى ... كـــــي يجـــــود – علـــــى الفـــــؤاد - بـــــدرس

يـــــزرعُ الشـــــوقَ فـــــي الضـــــمير ، فيســـــمو ... طبـــــتَ يـــــا مـــــن أراك أطيـــــب غـــــرس

وأرى الشـــــهم المســـــتنير عزيـــــزاً ... قـــــد تســـــامى عـــــن كـــــل عُهـــــر ورجـــــس

وإذا (الأطيـــــافُ) الحبيبـــــة تشـــــجي ... كـــــل قلـــــب ، وكـــــل عـــــين وحـــــدْس

وإذا الأنـــــاتُ الأبيـــــة تزْكِـــــي ... كـــــل نفـــــس وكـــــل شـــــعر وطِـــــرس

وإذا الأنغـــــامُ النديـــــة تســـــمو ... فـــــي ريـــــاض الأشـــــواق شـــــعراً لقـــــيس!

وإذا الأصـــــداءُ الجريئـــــة تشـــــدو ... وعليهـــــا الأنـــــداءُ مثـــــل الـــــدمقس

ذي الأهـــــازيجُ – فـــــي المصـــــاب - عـــــزاءٌ ... ولهـــــا – فـــــي روحـــــي – عذوبـــــة جـــــرس

إنهـــــا – فـــــي هـــــذا الزمـــــان - بـــــديلٌ ... عـــــن غنـــــاء أمســـــى يُـــــدسّ بكـــــأس

حُجـــــة هـــــذي قـــــد أقيمـــــتْ علينـــــا ... ويـــــحَ قـــــوم - عنـــــد التنـــــاظر - خـــــرس

لفظوهـــــا ، ثـــــم استســـــاغوا (أنوشـــــكا) ... مـــــن قلتهـــــا – بـــــالله – شـــــهوة تـــــيس

يـــــا (أبـــــا العبـــــد) اصـــــبرْ وأنشـــــدْ ودعْهـــــم ... ثـــــم أمســـــك للعُهـــــر مقـــــبض فـــــأس!

انصحْ ، وأجرك على الله (مهداة للشاعر عبد الرحيم السعيدي)

(أهدي هذه القصيدة للشاعر الإماراتي الكبير عبد الرحيم إسماعيل محمد السعيدي – حفظه الله – ولا أزكي على الله ربي أحداً. وذلك بمناسبة مجموعته الشعرية الأولى والتي أسماها (فاعذريني) تعبيراً مني عن إعجابي بها! وقد غلب على معظم قصائدها النصح والوعظ واللوم والعتاب. على أنني التقيت بهذا الشاعر عام 1995م هنا في الشارقة ، وتحديداً في مطبعة المعارف ، وأهداني بيمينه مجموعته الشعرية الأولى ، إلا أنني أحس وكأني أعرفه من عقود!)

عطـــــرتَ يـــــا (عبـــــد الـــــرحيم) الجـــــيلا ... والشـــــعرُ نـــــوّرَ – بالرشـــــاد - عقـــــولا

ونفحتنـــــــا بالشـــــــعر أجمـــــــل نفحـــــــةٍ ... وحملـــتَ – وحـــدك – فـــي الـــورى القِنـــديلا

حتـــــى تـــــلألأ – فـــــي الـــــدروب - أريجُـــــه ... والشـــــعرُ أنـــــدى لـــــذة وقبـــــولا

فتضـــــــمّختْ بشـــــــذاه كـــــــل قريحـــــــةٍ ... تُهـــــدي العفـــــافَ ، وتحمـــــل التبجـــــيلا

وترَفـــــعَ الـــــديوانُ عـــــن مـــــدح الغثـــــا ... فغـــــدا يُقـــــرّعُ تُبّعـــــاً وذيـــــولا

وغـــــدا يُعـــــرّف كـــــل نـــــذل شـــــأنه ... وقصـــــائدُ الـــــديوان أرفـــــع قِـــــيلا

لـــــم يـــــدّخرْ نصـــــحاً يُقـــــوّي عزمـــــة ... إلا وينصـــــــحُ – بالثبـــــات - الجـــــيلا

(عبـــــدَ الـــــرحيم) عبيـــــرُ شـــــعركَ فـــــائحٌ ... وأراه يُتـــــــرعُ أنفســـــــاً ومُيـــــولا

قلـــــتَ الـــــذي لمّـــــا يقلـــــه فطاحـــــلٌ ... إذ إنهـــــم قـــــد أتقنـــــوا التخـــــذيلا

شـــــابوا علـــــى تطويـــــع إرهاصـــــاتهم ... ولكـــــل بـــــرذون علـــــوْا تقبـــــيلا

بـــــاعوا مشـــــاعرهم بـــــدنيا غيـــــرهم ... والشـــــعرُ أمســـــى – فـــــي الصـــــراع - قتِـــــيلا

لكـــــنّ هـــــذا الليـــــث طـــــوّع شـــــعره ... للخيـــــر حتـــــى لا يكـــــون عمـــــيلا

(عبـــــدَ الـــــرحيم) حبـــــاك ربـــــك عِـــــزة ... وجـــــزاك عـــــن شـــــعر الإبـــــاء جميـــــلا

فلأنـــــت أصـــــدقُ فـــــي الشـــــعور تصـــــوراً ... مـــــن جوقـــــةٍ تســـــتعذب التطبـــــيلا

حيـــــاك ربـــــك إذ نفحـــــت جراحنـــــا ... وغـــــدا قريضـــــك بلســـــماً معســـــولا

على يديك امتهنوا

(عاش أبوهم يُدللهم ويُعلمهم القيم والكرامة. ويُربيهم على العزة. فلما مات عنهم تزوجتْ أمهم رجلاً أهانهم فتأثروا وتأثرتْ. وقالت: كانوا مُكَرّمين مُعززين ، وما امتهنوا إلا منذ تزوجتك أيها الزوج. على أنهم أطفالٌ أبرياءُ لم يتجاوز أكبرُهم العاشرة ، ولكن هذا الزوج الجديد راح يعاملهم أسوأ معاملة بين سب ولعن وشتم وضرب! وراحتِ الزوجة تناشدُه الرفق بهم والإحسان إليهم! ولكنه أعرض ونأى بجانبه! برغم أن الاتفاق المبدئي كان يحتوي شرطاً هو وجود الأولاد في عُش الزوجية المزعوم ، ولكن نقض العهد وخلف الوعد وهدم الاتفاق كان النهاية! وراح يُثبت لها أنها ممتهنون مذ جئتهم! فقالت: على يديك كل هذا! فأنشدت حاكياً عنها من المنسرح!)

أحزنـــــتَ يـــــا صـــــاح قلبـــــي ... فحســـــــــبيَ اللهُ ، حســـــــــبي!

أرســـــــلت ســـــــيف التشـــــــفي ... صـــــــوبَ البنـــــــين ، وصـــــــوبي

واغتلـــــــت أنـــــــسَ اليتـــــــامى ... واغتلتنـــــــــــــي دون ذنـــــــــــب

وكنـــــــتُ أنشـــــــدُ زوجـــــــاً ... يَخـــــــصّ طفلـــــــــــي بحـــــــــب

ويُوسِـــــــعُ البيـــــــت عطفـــــــاً ... مِـــــــن بعـــــــد جـــــــدٍ ولعـــــــب

واليـــــــوم خابـــــــت ظنـــــــوني ... وخـــــــانني مَيـــــــلُ قلبـــــــي

فقـــــــد أحلـــــــت حيـــــــاتي ... والبيـــــــت ســـــــاحة حـــــــرب

أنـــــــا صـــــــغاري كِـــــــرامٌ ... مُـــــــدللون ، وربـــــــــــي

لـــــــم يَحملـــــــوا أي حقـــــــدٍ ... أو يُـــــــدركوا أي عيـــــــب

وفـــــــي حيـــــــاة أبـــــــيهم ... لـــــــم يســـــــمعوا أي ســـــــب

ولـــــــم يُخصّـــــــوا بلعـــــــن ... كـــــــلا ، ولا أي ضـــــــرب

علـــــــى يـــــــديك اســـــــتُذلوا ... وعـــــــاينوا كـــــــل صـــــــعب

يـــــا صـــــاح أحســـــنْ إلـــــيهم ... تنـــــلْ حنـــــاني وقَربـــــي

ولا تُهـــــــنْهم ، فـــــــإني ... واللهِ ، أعلـــــــن حربـــــــي!

مرة واحدة

(لا يُجمع قوم على رأي واحد في قضيةٍ ما إلا إذا كانوا أصحاب هوىً وباطل فيها أو أصحاب حق وصواب. وهذا يعود بالطبع لرجاحة أو خفة عقولهم ولقوة أو ضعف دينهم! فيأتون على باطلهم أو على حقهم مرة واحدة في وقت واحد. ولذا حار الأدباءُ والشعراءُ في تشخيص هذه القضية! وأتتْ أشعار أهل الحق منهم ناراً تلظى على الباطل وأهله ، وبرد النسيم على الحق وأهله! وأنى للمسألة إلا أن تكون كذلك؟ والشعراءُ المؤمنون هم أكثر الناس إحساساً بالباطل وبالحق!)

دمِعَتْ من الشعر الأصيل قوافِ ... تبكي غيابَ العدل والإنصافِ

الحق - مهما نيلَ منه - مُبَرّؤٌ ... من سيء الأفكار والأوصاف

وله رجالٌ يُظهرون منارَهُ ... وبرغم أنفِ مُعاندٍ مُتجاف

ويجاهدون لكي يكون مهيمناً ... ويحاربون الشر بالأسياف

لا يرعوون لمستبدٍ مُبطل ... مُتذرع بالجُند والأحلاف

لا يعبأون بمن يُحارب حقهم! ... وكفاحُهم متشامخ الأهداف

والعدلُ سمتٌ ، والعدالة منهجٌ ... شتان بين العدل والإجحاف!

وعلى النقيض هناك أهلُ ضلالةٍ ... مَردوا على التضليل والإسفاف

ويُغالطون إذا أتاهم ناصحٌ ... يرجو بيانَ الحق دون تجاف

فإذا بهم يستسخرون تهكُماً ... ليضيعَ حقٌ بالكلام الجافي

هم يفرضون على الخلائق باطلاً ... أمسى يُخالفُ منهجَ الأسلاف

أسرى الهوى قد أصبحوا وبلا مِرا ... ما هؤلاء البُلهُ بالأشراف؟!

لا يُدركون - من الرشاد - كماله ... إن الرشاد له كمالٌ صاف

لكنّ أهل الحق خيرٌ سِيرة ... وسَبيلهم فيها الدواءُ الشافي

لا يسألون

(سخره اللهُ لهم فنفعهم به منفعة عظيمة. فلمّا تمكّن كلٌّ منهم ووصل لبُغيته تنكّر. وأضحى هذا سَمْتَ الجميع بغير استثناء. وكأنهم تواصوا به. وباتوا لا يسألون عن الرجل مجرد السؤال. فكانت صحبة انتفاعية خسيسة من طرفٍ واحد. والأصلُ أن يكون لدى الإنسان ميزانٌ يزنُ به الناس ، وأن يكون له تصورٌ ينظر من خلاله للناس ، ويُقيّمهم حسب ميزان القيم ومنظومة الأخلاق! أما أن يُسرفَ في عواطفه فلا يلومن إلا نفسه! وقالت العرب قديماً: (إنك لن تجنيَ من الشوك العنب!) وقال المصريون: (إنك لن تصنع من الفسيخ شربات!) فليكن للمرء ميزانٌ وتصورٌ ونظرة! وإذا كان ذلك كذلك ، فلن يكون المرء بالغِب وليس الغِب يخدعه!)

فـــيمَ الســـؤالُ وقـــد نـــالوا الـــذي طلبـــوا ... ولـــم يعُـــد - لبقـــاء الملتقـــى - ســـببُ؟

تظـــن خيـــراً بمـــن عهـــودُهم مَرَجـــتْ ... وبالنذالـــــة والجهالـــــة اختضـــــبوا

تُريـــد مِـــن جوقـــةٍ مريضـــةٍ قِيَمـــاً ... أتنشـــدُ الصـــدقَ فـــيمن دِينـــه الكـــذب؟

وكيـــف ترجـــو مـــن الأوغـــاد مَكرمـــةً؟ ... وهـــل لـــديهم تُقـــىً يُـــرادُ أو أدب؟

وكيـــف تأمـــل فـــي الأنـــذال بعـــضَ حَيَـــا ... وهـــم ببـــاطلهم - بـــين الـــورى - اعتصـــبوا؟

تـــا الله مـــا العيـــبُ فـــي هـــذا الغثـــا أبـــداً ... فهـــؤلاء لهـــم - بظلمهـــم - نســـب

العيـــبُ فيـــكَ ، وإن أطرقـــت مُعتـــذراً! ... ألـــيس عنـــدك فـــي وزن الـــورى لَبَـــب؟

ميزانـــك اليـــوم قـــد طاشـــت مثاقلـــه ... فقـــد تســـاوى لديـــه القـــش والـــذَّهب!

أغـــرّك القـــومُ فـــي أقـــوالهم مَلـــقٌ ... يســـبي الفـــؤادَ ، إليـــه الشـــهمُ ينجـــذب

أتـــوْك يَرجـــون أن تُقضَـــى حـــوائجُهم ... وخِلـــت أن كبيـــر القـــادمين أب

وكـــم تزلـــفَ هـــذا الجمـــعُ مُحـــتملاً ... مـــا ترتجيـــه ، ولـــو عانيـــت ينتحـــب!

حتـــى غـــدوت لهـــم ضـــحية رخُصـــتْ ... حقوقهـــا اليـــومَ - رغـــم الأنـــف - تُغتصـــب

هـــل بعـــد أن أدركـــوا يـــا صـــاح بُغيـــتهم ... تريـــد حقـــاً - مـــن البـــاغين - يُطلـــب؟

لـــن يســـألوا عنـــك إذ حـــازوا مـــآربهم ... وحققـــوا كـــل مـــا قـــد كـــان يُرتقـــب!

فاحترقتِ الضحية

(اشتهرت (لطيفة) بين صويحباتها بالدسّ والوقيعة والغيبة والنميمة والغدر والخداع. فكانت بذلك اسماً على غير مُسمى! وقلاها الكل فاحترقتْ بين الأحياء. إذ الناسُ أسرى لكل ذي خلق كريم ومعاملة طيبةٍ حسنة. والحال أن هذا النموذج المقيت الخسيس من البشر ، لا يهلك إلا نفسه في النهاية! ذلك أنه يصل بالوقيعة والدسيسة وإفساد ذات البين إلى بُغض الناس! ومن ثم يشعر بالجفاء والانطواء والانزواء! ويجد ذاته وحيدة بعد أن اعتزله الجميع! بينما الإصلاح ، واحترام حقوق الآخرين ، ومراعاة شعورهم ، والعمل على كسب ودّهم ، والمحافظة عليهم ، كل هذه الأشياء جديرة بتحقيق حب الناس لمن تحلى بها!)

كـــم فجعـــتِ مِـــن قلـــوب يـــا (لطيفـــة)! واســـــتجارتْ منـــــك أعـــــراضٌ شـــــريفةَ

كـــم صـــدمتِ مِـــن نفـــوس لـــم تؤمّـــلْ منـــــــكِ إلا ذكريـــــــاتٍ مُســـــــنيفة!

أنـــــتِ - بالغيبـــــة - حَطمـــــتِ الولايـــــا منـــكِ لـــم تســـلمْ - مـــن البلـــوى - عفيفـــة

أنـــــتِ - بالإيقـــــاع - دمّـــــرتِ البرايـــــا هـــــل غـــــدا الإيقـــــاع شُـــــغلاً أو وظيفـــــة؟

لـــمَ تحتـــالين - بـــين النـــاس - دومـــاً وبألفـــــــــاظٍ تُـــــــــدَوّي كالقذيفـــــــــة

لـــم يكـــنْ لاســـمك مـــن معنـــاه حـــظَ! لـــــم يجـــدكِ النـــــاسُ فَضـــــلى أو لطيفـــــة!

فقـــــلاكِ الكـــــل لمّـــــا صـــــرتِ عِبئـــــاً مـــــا لـــــه حـــــلٌّ ســـــوى سُـــــكنى تنوفـــــة

وصُـــلِيت النـــار فـــي ســـر وجهـــر والإصـــــاباتُ - مـــــن الحَـــــرق - طفيفـــــة

وشِـــماتُ النـــاس أمســـى لا يُبـــارى بعبـــــــاراتٍ لهـــــا فحـــــوى ســـــخيفة

ولـــــبعض العَـــذل رنـــاتٌ وصـــوتٌ بلحـــــــون بـــــــل وأنغـــــام ظريفـــــة

وحـــــدكِ اليـــــومَ تلـــــوكِين الرزايـــــا لا تقـــــولي: خففـــــوا ، إنـــــي ضـــــعيفة!

وحـــــدكِ اليـــــومَ تـــــذوقين البلايـــــا وتجـــــــوبين الســـــــراديب المُخيفـــــــة

وحـــــدكِ اليـــــوم تعُبـــــين المنايـــــا والعـــــذاباتُ - علـــــى الـــــدرب - كثيفـــــة

إيـــه يـــا (لَطـــوفُ) تـــوبي مـــن قريـــب إنمـــــا التوبـــــةَ تســـــمو بالحنيفـــــة

الثعبان

(لعب ذلك الصِل لعبة على أوراق عقد شراء. ثم امتدت اللعبة للواقع. إذ أثبتت له الملكية التي هي لغيره. ولدغ لدغته! أما المظلوم فاشتكى إلى الله. يقول الدكتور مصطفى محمود: (والكون كله جدول من القوانين المنضبطة الصريحة التي لا غش فيها ولا خداع. سوف يرتفع صوت ليقول: وما رأيك فيما نحن فيه من الغش والخداع والحروب والمظالم وقتل بعضنا البعض بغياً وعدوانا؟ أين النظام هنا؟ وسوف أقول له: هذا شيء آخر. فإن ما يحدث بيننا نحن دولة بني آدم يحدث لأن الله أخلفنا في الأرض وأقامنا ملوكاً نحكم وأعطانا الحرية. وعرض علينا الأمانة فقبلناها. وكان معنى إعطائنا الحرية أن تصبح لنا إمكانية الخطأ والصواب. وكان كل ما نرى حولنا في دنيانا البشرية نتيجة هذه الحرية التي أسأنا استعمالها).هـ. فكتبتُ منددا على البحر المجتث هذه القصيدة مبيناً ما قام به ذلك الصل الآدمي الحقير في غفلةٍ مني وغفوةٍ ولا شك. والله تعالى المستعان عليه وعلى أعوانه!)

فجعـــــتَ - يـــــا صِـــــلُ - قلبـــــي ... وزدت - بالغـــــــــدر - خطبـــــــــي

وحُـــــــزت مـــــــالي اغتصـــــــاباً ... لكـــــــــي تُعِـــــــــدّ لحربـــــــــي

وكنـــــــت دلســـــــت عقـــــــداً ... بكـــــــــل كيـــــــــدٍ ونهـــــــــب

وقـــــــد أعانـــــــك قـــــــومٌ ... أراهـــــــمُ شـــــــرّ حِـــــــزب

وجئـــــــتُ أطلـــــــبُ حقـــــــي ... معـــــــي رفـــــــاقي وصـــــــحبي

فـــــأنكرَ الصـــــلُ فـــــوراً ... فقلـــــتُ: يـــــا رب حســـــبي

وقـــــال صـــــحبي: تـــــذكّرْ ... وأنـــــت صـــــاحبُ لـــــب

فقـــــال: هـــــذا كـــــذوبٌ ... فقلـــــتُ: أثبـــــتُ كـــــذبي؟

وســـــقتُ أهـــــدى دليـــــل ... مفنـــــداً كـــــل رَيـــــب

وشـــــارحاً كـــــل لـــــبْس ... وفاضـــــحاً كـــــل عَيـــــب

فقـــــال: هـــــل مـــــن عقـــــودٍ ... صـــــحيحةٍ دون لِعْـــــب؟

فقلـــــت: إلا يمينـــــي ... فســـــاق لعنـــــي وسَـــــبي

فقـــــال: مـــــا لـــــك شـــــيءٌ ... فقلـــــتُ: كـــــلا ، وربّـــــي

فقـــــال: دعنـــــي وشـــــأني ... فقلـــــتُ: مـــــولايَ حَســـــبي!

تائبة

(نذرتْ هند وهي تضع أول مولودٍ لها أنها أن وضعت بسلام وأمان ، فسوف تتوب عن الفن إلى غير رجعة. وكانت تائبة صادقة حيث وفتْ بنذرها. وتابت إلى الله تعالى عن التمثيل الذي كانت قد امتهنته. فكتبتُ لها من المتدارك! ألا وإن وهناك ثمانية عشر مفتاحاً للتوبة أشار إليها الأستاذ الفيلسوف جمّاز بن عبدالرحمن الجمّاز بقوله نصيا: (هناك سبلٌ وطرقٌ مُعِينة على الاستمرار في التوبة ، بل هي مفتاح التوبة ، فالزمْها واحرصْ على تطبيقها ، ومنها: * أولا: الإخلاص لله - تبارك وتعالى -: فهو أنفع الأدوية ، فمتى أخلصتَ لله - جل وعلا- ، وصدَقْتَ في توبتك - أعانك الله عليها ويسّرها لك وصَرف عنك الآفات التي تعترضُ طريقك ، وتصدّك عن التوبة ، من السوء والفحشاء ، قال تعالى- في حق يوسف - عليه السلام -: "كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ". قال ابن القيم: "فالمؤمنُ المخلصُ لله من أطيب الناس عيشاً ، وأنعمهم بالاً ، وأشرحهم صدراً ، وأسرّهم قلباً ، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة".هـ. فليكن مقصدك صحيحاً ، وتوبتك صالحة نصوحاً. * ثانيا: امتلاء القلب من محبة الله - تبارك وتعالى -: إذ هي أعظم محركات القلوب ، فالقلب إذا خلا من محبة الله - جل وعلا - تناوشته الأخطار ، وتسلّطت عليه الشرور ، فذهبتْ به كل مذهب ، ومتى امتلأ القلب من محبة الله - جل وعلا - بسبب العلوم النافعة والأعمال الصالحة – كَمُل أنْسُه ، وطاب نعيمُه ، وسَلِم من الشهوات ، وهان عليه فعلُ الطاعات. فاملأ قلبك من محبة الله - تبارك وتعالى - ، وبها يحيا قلبك. * ثالثا: المجاهدة لنفسك: فمجاهدتك إياها عظيمة النفع ، كثيرة الجدوى ، معينة على الإقصار عن الشر ، دافعة إلى المبادرة إلى الخير ، قال تعالى : "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ". فإذا كابدت نفسك وألزمتها الطاعة ، ومنعتها عن المعصية ، فلتُبشرْ بالخير ، وسوف تُقبل عليك الخيرات ، وتنهال عليك البركات ، كل ما كان كريهاً عندك بالأمس صار عندك اليوم محبوباً ، وكل ما كان بالأمس ثقيلاً ، صار اليوم خفيفاً ، واعلم أن مجاهدتك لنفسك ليست مرة ولا مرتين ، بل هي حتى الممات. * رابعا: قِصَر الأمل: وتذكّر الآخرة: فإذا تذكّرت قِصَر الدنيا ، وسرعة زوالها ، وأدركتَ أنها مزرعة للآخرة ، وفرصة لكسب الأعمال الصالحة ، وتذكّرت الجنة وما فيها من النعيم المقيم ، والنار وما فيها من العذاب الأليم ، ابتعدتَ عن الاسترسال في الشهوات ، وانبعثت إلى التوبة النصوح ورصّعتها بالأعمال الصالحات. * خامسا: العلم: إذ العلم نور يُستضاء به ، بل يشغل صاحبه بكل خير ، ويشغله عن كل شر ، والناس في هذا مراتب ، وكلٌ بحسبه وما يناسبُه ، فاحرصْ على تعلم ما ينفعك! ومن العلم أن تعلم وجوب التوبة ، وما ورد في فضلها ، وشيئاً من أحكامها ، ومن العلم أن تعلم عاقبة المعاصي وقبحها ورذالتها ودناءتها. سادسا: الاشتغال بما ينفع وتجنّب الوحدة والفراغ: فالفراغ عند الإنسان هو السبب المباشر للانحراف ، فإذا اشتغلتَ بما ينفعك في دينك ودنياك ، قلَّتْ بطالتك ، ولم تجد فرصة للفساد والإفساد ، ونفسك أيها الإنسان إن لم تشغلها بما ينفعها شغلتك بما يضرك. * سابعاً: البُعد عن المثِيرات ، وما يُذكّر بالمعصية: فكل ما من شأنه أن يثير فيك دواعيَ المعصية ونوازع الشر ، ويُحَرّك فيك الغريزة لمزاولة الحرام ، قولاً وعملاً ، سواء سماعاً أو مشاهدة أو قراءة ، ابتعدْ عنه ، واقطعْ صلتك به ، كالأشخاص بعامة ، والأصدقاء بخاصة ، وهكذا النساء الأجانب عنك ، وهكذا الأماكن التي يكثر ارتيادها وتُضعف إيمانك ، كالنوادي والاستراحات والمطاعم ، وهكذا الابتعاد عن مجالس اللغو واللغط ، والابتعاد عن الفتن ، وضبط النفس فيها ، ومنه إخراج كل معصية ثُبتَ منها ، وعدم إبقائها معك ، في منزلك أو عملك. * ثامناً: مصاحبة الأخيار: فإذا صاحبت خيّراً حيا قلبك ، وانشرح صدرك ، واستنار فكرك وبصّرك بعيوبك ، وأعانك على الطاعة ، ودلّك على أهل الخير.

وجليس الخير يذكرك بالله ، ويحفظك في حضرتك ومغيبك ، ويحافظ على سُمعتك ، واعلم أن مجالس الخير تغشاها الرحمة وتحفّها الملائكة ، وتتنزّل عليها السكينة ، فاحرصْ على رفقة الطيبين المستقيمين ، ولا تعد عيناك عنهم ، فإنهم أمناء. *تاسعاً: مجانبة الأشرار: فاحذر رفيق السوء ، فإنه يُفسد عليك دينك ، ويخفي عنك عيوبك ، ويُحسّن لك القبيح ، ويُقبّح لك الحسن ، ويجرّك إلى الرذيلة ، ويباعدك من كل فضيلة! حتى يُجرّئك على فعل الموبقات والآثام ، والصاحب ساحب ، فقد يقودك إلى الفضيحة والخزي والعار ، وليست الخطورة فقط في إيقاعك في التدخين أو الخمر أو المخدرات ، بل الخطورة كل الخطورة في الأفكار المنحرفة والعقائد الضالة ، فهذه أخطر وأشد من طغيان الشهوة! لأن زائغ العقيدة قد يستهينُ بشعائر الإسلام ، ومحاسن الآداب ، فهو لا يتورعُ عن المناكر ، ولا يُؤتمنُ على المصالح ، بل يُلْبس الحق بالباطل ، فهو ليس عضواً أشل ، بل عضو مسمومٌ يسري فساده كالهشيم في النار. * عاشراً: النظر في العواقب: فعندما تفكر في مقارفة سيئة ، تأمّل عاقبة أمرك ، واخشَ من سوء العاقبة فكما أنك تتلذذ بمقارفة المنكر ساعة ، ليكن في خَلَدك أنك سوف تتجرّع مراراتِ الأسى ، ساعاتٍ وساعات ، فجريمة الزنا ، فضيحة وحَدّ ، والحدّ إما تغريب أو قتل! وجريمة السرقة ، عقوبة وقطع ، وجريمة المُسْكر ويلاتٌ وجلد ، وجريمة الإفساد ، صلبٌ أو قطع أو قتل. * حادي عشر: هجر العوائد السيئة: فينبغي لك أيها الصادق ، ترك ما اعتدته من السكون إلى الدعة والراحة ؛ لأنك إن أردت أن تصل إلى مطلوبك ، فتحوّل عنها ؛ لأنها من أعظم الحُجُب والمواقع التي تقف أمام العبد في مواصلة سيره إلى ربه ، وتعظم تلك العوائد حينما تُجعل بمنزلة الشرع أو الرسوم التي لا تُخالف. وكذلك يصنع أقوياءُ العزيمة ، وأبطالُ التوبة ، فكن منهم. * ثاني عشر: هجر العلائق السيئة: فكل شيء تعلّق به قلبك دون الله ورسوله من ملاذ الدنيا وشهواتها ورياساتها ومصاحبة الناس والتعلق بهم ، والركون إليهم ، وذلك على حساب دينك ، اهجره واتركه واستبدله بغيره ، وقوِّ علاقتك بربِّك ، واجعله محبوبك ، حتى يضعف تعلّق قلبك بغير الله - تعالى -. * ثالث عشر: إصلاح الخواطر والأفكار: إذ هي تجولُ وتصولُ في نفس الإنسان وتنازعُه! فإن هي صلحتْ صلح قلبك ، وإن هي فسدتْ فسد قلبك. واعلم أن أنفع الدواء لك أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك ، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر ، ومن فكّر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه ، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة لدينه. وإياك أن تمكِّن الشيطان من بيت أفكارك وخواطرك ، فإن فعلتَ فإنه يُفسدها عليك فساداً يصعبُ تداركُه ، فافهم ذلك جيداً. * رابع عشر: استحضار فوائد ترك المعاصي: فكلما همّت نفسك باقتراف منكر أو مزاولة شر ، تذكّر أنك إن أعرضتَ عنها واجتهدت في اجتنابها ، ولم تقرب أسبابها ، فسوف تنال قوة القلب ، وراحة البدن ، وطيب النفس ، ونعيم القلب ، وانشراح الصدر ، وقلة الهم والغم والحزن ، وصلاح المعاش ، ومحبة الخلق ، وحفظ الجاه ، وصون العرض ، وبقاء المروءة ، والمخرج من كل شيء مما ضاق على الفساق والفجار ، وتيسير الرزق عليك من حيث لا تحتسب ، وتيسير ما عَسُر على أرباب الفسوق والمعاصي ، وتسهيل الطاعات عليك ، وتيسير العلم ، فضلاً أن تسمع الثناء الحسن من الناس ، وكثرة الدعاء لك ، والحلاوة التي يكتسبها وجهك ، والمهابة التي تُلقى لك في قلوب الناس وسرعة إجابة دعائك ، وزوال الوحشة التي بينك وبين الله ، وقرب الملائكة منك ، وبُعد شياطين الإنس والجن منك ، هذا في الدنيا ، أما الآخرة فإذا مِتَّ تلقتك الملائكة بالبشرى من ربك بالجنة ، وأنه لا خوف عليك ولا حزن ، تنتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة ، تنعم فيها إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة وكان الناس في الحر والعَرَق ، كنتَ في ظل العرش فإذا انصرفوا من بين يدي الله - تبارك وتعالى- ، أخذ الله بك ذات اليمين مع أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين و"ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ". إنك إن استحضرت ذلك كله ، فأيقن بالخلاص من الولوغ في مستنقع الرذيلة. * خامس عشر: استحضار أضرار الذنوب والمعاصي: فكلما أردتَ مزاولة الحرام ، ذكِّر نفسك أنك إن فعلت شيئاً من ذلك فسوف تُحرم من العلم والرزق ، وسوف تَلقى وحشة في قلبك بينك وبين ربك ، وبينك وبين الناس ، وأن المعصية تلو المعصية تجلب لك تعسير الأمور ، وسواد الوجه ووهن البدن وحرمان الطاعة وتقصير العمر ، ومحق بركته وأنها سبب رئيس لظلمة القلب ، وضيقه وحزنه وألمه وانحصاره وشدة قلقه

واضطرابه وتمزّق شمله وضعفه عن مقاومة عدوه وتعرِّيه من زينته. استحضر أنّ المعصية تورث الذل وتفسد العقل وتقوي إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة وتزرعُ أمثالها وتدخلك تحت اللعنة وتحرمُك من دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوة المؤمنين ودعوة الملائكة ، بل هي سبب لهوانك على الله ، وتُضعِفُ سيرك إلى الله والدار الآخرة ، واعلم أن المعصية تطفئ نار الغيرة من قلبك ، وتذهبُ بالحياء ، وتضعِفُ في قلبك تعظيم ربك ، وتستدعي نسيان الله لك ، وأن شؤم المعصية لا يقتصرُ عليك ، بل يعود على غيرك من الناس والدواب. استحضر أنك إن كنت مصاحباً للمعصية ، فالله يُنزل الرعب في قلبك ويزيل أمنك وتُبدَّل به مخافة فلا ترى نفسك إلا خائفاً مرعوباً. تذكّر ذلك جيداً قبل اقترافك للسيئة. * سادس عشر: الحياء: إذِ الحياء كله خير ، والحياء لا يأتي إلا بخير ، فمتى انقبضتْ نفسك عما تُذم عليه ، وارتدعتْ عما تنزعُ إليه من القبائح ، فاعلم أنك سوف تفعلُ الجميل تلو الجميل وتتركُ القبيحَ تلو القبيح ، وحياءٌ مثل هذا هو أصل العقل ، وبذر الخير ، وأعظمه أن تستحي من ربك ـ تبارك وتعالى ـ بأن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه ، فإنك متى علمتَ بنظر الله إليك ، وأنك بمرأى ومسمع منه ، استحييت أن تتعرّض لمساخطه قولاً وعملاً واعتقاداً. ومن الحياء المحمود الحياء من الناس ، بترك المجاهرة بالقبيح أمامهم. ومن الحياء المحمود ، الحياء بأن لا ترضى لنفسك بمراتب الدون. * سابع عشر: تزكية النفس: طهِّر نفسك وأصلحها بالعمل الصالح والعلم النافع ، وافعل المأمورات واترك المحظورات ، وأنتَ إذا قمتَ بطاعةٍ ما ، فإنما هي صورة من صور انتصارك على نفسك ، وتحرّرك من قيودها ، وهكذا كلما كسرتَ قيداً كلما تقدمت خطوة والخير دائماً يلد الخير ، واعلم أن شرف النفس وزكاءها ، يقود إلى التسامي والعفة. * ثامن عشر: الدعاء: فهو من أعظم الأسباب وأنفع الأدوية ، بل الدعاء عدو البلاء ، يدافعُه ويعالجُه ويمنعُ نزوله ويرفعُه أو يُخفِّفه إذا نَزَل. ومن أعظم ما يُسأل ، ويُدعى به سؤال الله التوبة. ادع الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يمُنّ عليك بالتوبة النصوح).هـ. يقول مالك للشافعي: (إني أرى الله ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئْهُ بظلام المعصية) فاعلم أن الله لن ينير قلبك ويطهره إلا بالتوبة ، ولن تتعلم أو تتعبد إلا بالتوبة ، ولن تترك الحرام إلا بالتوبة ولن تبتعد عن مجالس الفسق إلا بالتوبة والموفّق من وفقه الله ، والمخذول من خذله الله ، والطائع من أسعده الله! فأهل الطاعة عزوا عليه فقرّبهم ، وأهل المعصية هانوا عليه فأبعدهم ، واسمع قول ابن مسعود (إني أحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالذنب يعمله). وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: يا أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم ينادي جبريل في أهل الأرض: يا أهل الأرض إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل الأرض ، فيكتب له القبول في الأرض ، وإذ أبغض الله عبدا ينادى: يا جبريل إن الله يبغض فلاناً فأبغضْه فيبغضه جبريل ، وينادى جبريل فى أهل السماء: يا أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، فيبغضه أهل السماء ، وينادى في الأرض يا أهل الأرض إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضه أهل الأرض فتوضع له البغضاء في الأرض!)

جعلـــــتْ مِـــــن توبتهـــــا حمـــــدا ... فاقبـــــل يـــــا مولانـــــا (هنـــــدا)

وعلـــــى مـــــا اقترفـــــتْ مـــــن ذنـــــب ... نـــــدمتْ ، إذ أبصـــــرتِ الرُشْـــــدا

كانـــــت فـــــي (الفـــــن) مُسَـــــيّرة ... لا تملـــــــــــك رأيـــــــــــاً أو ردا

فـــــالأموالُ لهـــــا سَـــــطوتها ... والأضـــــواءُ أعـــــز وأنـــــدى

والشـــــهرة تأسِـــــر صـــــاحبها ... وبريـــــقُ (الفنانـــــة) أجـــــدى

كـــــــابوسٌ سَـــــــطوته أمضـــــــى ... مِـــــــن ســـــــيفٍ مـــــــاض يتحـــــــدى

عمـــــــلٌ فنـــــــيٌ يتبعُـــــــه ... أخـــــــرُ قـــــــد رتبـــــــه الأعـــــــدا

والمســـــــكينة فـــــــي أيـــــــديهم ... تنتظـــــــر الشـــــــهرة والمجـــــــدا

أمَـــــــة ســـــــلبوا حُرّيتهـــــــا ... طوعـــــــاً ، لا جبْـــــــراً أو عِنـــــــدا

بطلـــــــة أفـــــــلامٍ ســـــــاحرة ... ثـــــــم اختـــــــاروا البطـــــــل العبـــــــدا

إن قـــــــالوا تـــــــرقصُ فلتـــــــرقصْ! ... وعلـــــــى ذا وقعـــــــتِ العقـــــــدا

أو قـــــــالوا تبـــــــدو عاريـــــــة ... فلتكشـــــــفْ ، ولتبـــــــدِ الـــــــوُدا

ولهـــــــذا (هنـــــــدٌ) خـــــــذلتهم ... إن ســـــــبيل المـــــــولى أهـــــــدى

لفظـــــــتْ كـــــــل الفـــــــن ، وتابـــــــت ... إذ عاهـــــــدتِ المـــــــولى عهـــــــدا

وفي الختام

الحمد لله الملك القهار ، العزيز الجبار ، الرحيم الغفار ، مقلب القلوب والأبصار ، مقدر الأمور كما يشاء ويختار ، مكور الليل على النهار ، خلق الشمس والقمر بحسبان ومقدار ، وجعلهما مواقيت في هذه الدار ، حكمة بالغة من عليم ذي اقتدار ، أحمده وأشكره وفضله على من شكره مدرار. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له مقدر الأقدار ، شهادة تبوئ قائلها وقارئها وسامعها دار القرار ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البدر جبينه إذا سُر استنار ، واليم يمينه إذا سئل أعطى عطاء من لا يخشى الإقتار ، الحنيفية دينه ذلك الدين القيم المختار ، رفع الله سبحانه وتعالى ببعثته عن أمته الأغلال والقيود والآصار ، وكشف بدعوته أذى البصائر وقذى الأبصار ، وفرّق بشرعته بين المتقين والفجار حتى امتاز أهل اليمين عن أهل اليسار ، فتح الله به القلوب فانشرحت بالعلم والوقار ، والآذان فزال عنها ثقل الأوطار ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه المؤمنين وأتباعه الأخيار ، ما ناض برق وما هب النسيم وما حل ليل أو نهار! أما بعد ، فقد وصلنا إلى نهاية ديواننا الحبيب: (ترنيمة على جدار الحب) ، وكم كان لهذه الترنيمة من آثار في القلب ، وخلجات في النفس ، ومداعبات في الخاطر ، وابتسامات تشرق في الوجدان ، وأريج في الروح ، ونسائم على المشاعر والأحاسيس. ألا إن الإنسان ليشفق على نفسه من حال يكتئب فيه للتاريخ حيث إن الأقوام لا يستهويهم اليوم من القريض إلا ما يهيج أخس ما فيهم ، إلا من رحم ربي من المتذوقين للشعر والباذلين له من أموالهم ، بل ومن أوقاتهم وجهودهم ، فهم يعيشون للقيم المطبقة واقعاً وسلوكاً في حياة الناس ، ويعيشون كذلك للقيم المقروءة والمكتوبة نثراً كانت أو شعراً أو عواناً بين ذلك من المزيج الذي يغلب شعره نثره أو العكس. إن لحظة يعيشها المرء للقيم تعدل عمراً ليس له نهاية في غير القيم ، بل وهذه اللحظة تفوق ذلك العمر. ذلك أن الإنسان ليس يدري متى تأتيه منيته: أتأتيه وهو يعيش للقيم أم تأتيه وهو يحاربها ويعاديها ويحارب أهلها ويعاديهم؟ نعم هو سؤال محير ، هل الإنسان تأتيه منيته وهو يحارب القيم الإيمانية وينصّب من نفسه مستكبراً مفسداً في الأرض بغير الحق؟ أم تأتيه منيته وهو يحقق الخير وينصره وذلك بنصرة القيم الإيمانية والتوحيدية والعقيدية المنبثقة من الحنيفية السمحة دين الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين؟ أم أن هذي المنية سوف تأتيه وهو في الحضيض حضيض الجاهلية يعيش يعظم شأن الغرائز والشهوات؟ وأظن أنه قد آن الأوان لأن يدرك الأقوام اليوم جمال الشعر الذي صاغه من كتبه في سبيل القيم ودفاعاً عن أهلها وأدواتها ومادتها. إننا في زمان تموج فيه الفتن موج البحر الهادر والعياذ بالله منها ومن أهلها. ومن أجل ذلك تبرز لنا أهمية القيم الإيمانية. وما (ترنيمة على جدار الحب) إلا مشاركة في ديوان هذه القيم الكبير الضخم منذ أن كتب شاعر صاحب خلق ودين شعراً يبتغي به وجه الخالق القدير تبارك وتعالى. وإن كان قد حوى من القيم التي قصدت إليها وصوبت إليها يراعتي فإن هذا من عند الله سبحانه ومن توفيقه لي ، وإن كان القلم قد زل وألم به الشطط وأعماه الغلواء ، فإن ذلك من نفسي والشيطان: (إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي) ، (إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً). وكل قارئ يصل إلى خطأ في ديواني هذا أو غيره مما كتبت عليه فوراً أن يبذل قصارى جهده في إعلامي قدر استطاعته! ويشهد الله أنه سيجدني – إن شاء الله – من الصالحين الذين إذا ذكّروا رجعوا وأنابوا ولم يتمادوا في الغي. هذا مجمل ما أردت قوله ، وأرجو الله ألا أكون كالذي تخدعه الشمس بطول ظله أو تغره النفس بكثرة أمانيها وحظوظها ، أو يزداد عجباً وغروراً لدواوين ستة صاغها كانت والله جهد المقل ، وما حوت إلا شارات بعضها متمنى فات ، وبعضها لا يزال في

بطون المؤلفات ، لم آت فيها على آخر الإرادة ، ولا أزعم أنني أوفيت على الغاية في الإفادة قد قلت وكتبت وألفت بمقدار ما اجتهدت ، وما شهدت إلا بما علمت ، ومن جعل أنفه في قفاه فإن من السوأة أن يفتح فاه ، وما شعري الذي كتبت إلا لبنة راسخة في بناء الشعر الهادف البناء. وأسأل الله تعالى ألا يكون نصيبي من هذا الشعر الشقاء والسمعة والصيت والشهرة ، فإنما هذا والله هو الخسران المبين ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة. وأسأل الله لهذا الشعر أن ينفع به الإسلام والمسلمين في شتى بقاع الأرض ، إذ إنني كتبته في الله وبالله وعلى نور من الله. فلم أبتغ به عرَضاً من أعراض الدنيا. ولو فكرت في أعراض الدنيا على عادة الشعراء المرتزقة قديماً وحديثاً لما اتجه الشعر بصاحبه والناس إلى هذا. والحقيقة أنني أوصي كل شاعر مؤمن موحد يجاهد بيراعه في سبيل الله تعالى ، ألا يجعل الواقع الآسن يسيطر عليه طرفة عين ولا أقل من ذلك. بل يكون هو بالله ثم بشعره أكبر من الواقع وأهله مهما كانت النتائج! نعم ليست هناك منتديات شعرية للشعر المحترم الجيد الذي يحبه الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم - ، وليست هناك أسواق أدبية كعكاظ وذي المجاز ومجنة ، وليست هناك أمسيات شعرية للشعر الهادف البناء المحترم ، وليس هناك نفوس عالية الهمة تتبنى الشعر الهادف البناء المحترم ، ويلاحظ كذلك أن أغلب الناس في زماننا يقبلون – إن هم أقبلوا – على كل شعر ردئ حقير مأجورة تلك الأقلام التي تكتبه. ذلك أن عهر القنوات الفضائية الماسونية لم يبق مساحة أمام الناس ليقرأوا القرآن كتاب الله وكلامه وحديث رسوله وشروح الكتاب والحديث ، فكيف بنا نتصور أن تكون لهم قراءة في الشعر جيده أو رديئه؟! ولكن هل يعني ذلك كله أن يقف الشاعر مكتوف اليدين لا يحرك ساكناً ولا يدلي بدلوه؟ أقول له: لا ، بل اكتب واستعن بالله ولا تعجز واصبر على ما أصابك وقم بواجبك وشارك بكل ما تستطيع من الشعر الجيد ، وحافظ عليه من الضياع بدلا من أن يدخل معك قبرك إلى الأبد كما فعل كثير من الشعراء الذين مات شعرهمُ الجيد الهادف البناء بمجرد أن ماتوا! وبتنا لا نجد منه إلا القليل متناثراً هنا وهناك في مجلة أو جريدة سيارة! وكم كنت أتمنى لقصائد: (ترنيمة على جدار الحب) أن تلقى – وغيرها من قصائدنا – على الناس ليعرفوا الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، والرشاد من الغي. تلقى في أمسيات شعرية محترمة ، يستمتع فيها الناس كل الناس بما أحل الله من الشهر المحترم الهادف ، وليس بما حرم الله من الشعر المحرم الذي ينعق به اليوم الشعراء الخونة الجاهليون المارقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، إذ يسبون الله تعالى في أشعارهم ويتطاولون على الأنبياء والمرسلين ، ويستهزئون بالجنة والنار والملائكة! والأمسيات – وللأسف – كانت قد أصبحت حكرا على هؤلاء (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)! أولئك الشعراء المرتزقة الذين ليس عند أحدهم قضية قد عاش لها ونذر لها حياته وجند لها قلمه ، إلا الرذيلة والفحشاء والقبح! أولئك الشعراء الذين تخرجوا في بارات لندن وباريس واستكهولم وسان فرانسيسكو وكوبنهاجن وبوينس إيرس وغيرها من قلاع الإباحية وأصقاع الضلال ومهاوي الرذائل! والمهرجانات الأدبية والجوائز النقدية والعينية والأوسمة والنياشين يحظى بها هؤلاء المرتزقة بالشعر ، من المستشعرين الذين لا دين لهم ولا شعر عندهم. ودور النشر والتوزيع أغلبها يفتح أبوابه وأحضانه لكل كاتب جاهلي شاعر أو ناثر أو مستشعر أو مرتزق على حساب القيم يقدمون جميعاً الوجبات الشهوانية الآثمة اللاهية من خلال القصة أو الرواية أو المقالة أو القصيدة. أقول لهؤلاء جميعاً: إنكم مسؤولون أمام الله تعالى عن أنفسكم مرة وعن الدين الحق مرة وعن الناس مرة ثالثة. كفاكم لقد أضللتم الجيل! وأزيد الأمر وضوحاً فأقول: لم يعد يهمني كثيراً أو قليلاً أن يربح الشعر أو يخسر! فقد فهمت اللعبة الفرعونية الطاغوتية الماسونية جيداً ، من ظاهر أقوالكم وأفعالكم أيها البائعون للفساد والإفساد والغواية والإغواء.

لماذا هذا العنوان؟

الحمد لله ، وصلنا إلى نهاية ديواننا: (ترنيمة على جدار الحب)! ونسأل سؤالاً: لماذا هذا العنوان؟ إن كثيراً من الناس لا يتصور أن المؤمن الموحد لا يحب ولا يحس بالحب ولا يكتب عنه! وذات يوم كنت ضيفاً على ديوان عام وزارة الإعلام في دبي هنا بالإمارات ، وتحدثت موظفة أمامي عن هذا الأمر فقالت: أنا لا أتخيل (واللفظ لها) أن مطوّعاً أي (مسلماً ملتزماً بالإسلام) يتكلم عن الحب والغزل والنساء! فناقشتها وحاولت إقناعها لكن تشرّبها بالعلمنة كان أقوى من جدالي بالحق! إن المسلم الملتزم بالإسلام أولى الناس بالحديث عن الحب والغزل والمرأة! ولكن: أي حب وأي غزل وأي امرأة؟ إنه باختصار يغلب كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – في كل ما يكتب ، ويجعل مرضاة الله نصب عينيه متخيلاً سوق القيامة أمامه وعن يمينه الجنة وعن شماله النار ، ثم يأخذ في الكتابة! إن شاعراً هذا وصفه لا يمكن أن يصدر عنه إلا كل كلمة طيبة وشعر جميل! ومن هنا اخترت هذا العنوان معبرا فيه عن تجربتي الحقيقية لا الوهمية في الحب ، على منهاج الله: فإذا المرأة التي أحببتها وتزوجتها فتاة تؤمن بالله ، ولم يكن بيننا في تجربتنا في الحب إلا ما شرع الله! وكانت الخطوبة ومراسيم العرس وطقوسه على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -. وأحببت أن أضع هذه التجربة بين يدي القراء لتكون نبراساً ومثلاً يحتذى. وإذا الكلمات التي عبرت فيها عنها في قصيدة: (ترنيمة على جدار الحب) قد جاءت ترجمة حية لتجربتي في الحب على منهاج الله عز وجل ورسوله – صلى الله عليه وسلم -. وفي قصيدة (من وحي العيد) نذكّر بأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يشرع لأمته إلا يومين فقط للفرحة واللهو واللعب المباح ، وهما (يوم الفطر ويوم الأضحى)! والفطر يأتي بعد أداء فريضة الصيام ، وأما الأضحى فيأتي بعد فريضة الحج. وإذن فكل عيد غير هذين فهو من أعياد الجاهلية! وما أكثرها اليوم! اللهم إلا إذا أخذنا في الاعتبار يوم الجمعة الذي هو العيد الأسبوعي لكل مسلم ومسلمة. والحال أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما أتى إلى المدينة وجد القوم في فرحة وبهجة ، فسأل عن سر هذه الفرحة والبهجة ، فأجيب بأنها كانت أيام لهم في الجاهلية يفرحون فيها. فنهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك فقال في معنى كلامه: لقد أبدلكم الله عز وجل خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى. وكأني بهذا الدين كما يعلن غير مرة أنه يغاير الجاهلية وأهلها ويطرحها أرضاً ، ويأبى أن يحاكيها في أي شيئ. وأما قصيدة (لا ، يا من كنت شقيقي) وكذلك قصيدة (الرجولة الموؤودة) وقصيدة (شقيقان فرّقهما الهوى) ، فهي قصائد توحّدتْ فكرتها ، وكأنها خرجت مخرجاً واحداً تنعي الرجولة في أغلب أهل زماننا ، وتبكي النخوة الغائبة عن أغلبهم ، وترثي لحال كثير ممن فقدوا الإنسانية الآدمية التي ولت مدبرة ولم تعقب. نعم إن لكل أخوة تكاليف وأعباء يعجز عنها اليوم أشباه الرجال الذين ليس لأحدهم من الرجولة إلا التسمي بأسماء الرجال والتزيي بأزيائهم. وهم في الحقيقة ذكور تنجب الجنس الآدمي وتحافظ على نوعه ليس إلا! ورُبّ أخ لك لم تلده أمك ، كما أثر عن الصادق المصدوق – صلى الله عليه وسلم -. ولا تضارع الأخوّات الموجودة اليوم في جملتها إذا قيست (لا أقول بأخوة الإيمان والإسلام ، بل حتى بالأخوة الجاهلية التي واكبت بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم -. حيث يروي لنا أصحاب المغازي والتراجم والتاريخ أنه قد عيّن النبي – صلى الله عليه وسلم – اثنين لا يتعرّض لهما أحد من المسلمين هما (العباس بن عبد المطلب – طبعا قبل إسلامه – وأبو البختري بن هشام لأنهما كانا مشركين مسالمين لأهل الإيمان في مكة قبيل غزوة بدر المباركة. وإذا بالصحابي الجليل المجذر بن زياد البلوي – رضي الله عنه – يمر به أبو البختري بن هشام ومعه صديق للثاني يدعى جنادة بن

مليحة. فقال المجذر له: أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن نستثنيك وحدك يا أبا البختري بن هشام ، فانج بنفسك! فقال بدون تردد: وصديقي هذا؟ فقال له المجذر: أمرنا رسول الله أن لا نتعرض لك وحدك. فقال: أتريد أن تقول نساء قريش أنني أسلمتُ صديقي حرصاً على الحياة ، نموت معاً أو نعيش معاً! إنها كلمات ذهبية أخرجها كافر لا يدين دين الحق ، وأولى بها اليوم من يتشدقون بالإسلام من أهل الجبن والخور. إن الإسلام أيها البلهاء يعلم أهله أن لا يخافون إلا من الله وحده. إن أغلبكم اليوم يذاكر كتب العقيدة والتوحيد ليتعلم كيف يخاف غير الله ويحتاط ملايين الحيطات قبل اتخاذ أي قرار لا لشيئ إلا للخوف من غير الله تعالى. على حين أننا نجد أغلبية أهل الضلال من غير أهل ملتنا ملة الإسلام أو من أهل ملتنا انتساباً لا حقيقة لا يخاف الطاغوت عشر معشار خوف بعض المسلمين منه! بل في الوقت الذي يتجرأ أهل الضلال على مخالفة قانون الطواغيت وتشريعاته نجد كثيراً من أهل الإسلام يحتاط إذا هم بحلم يخالف فيه قوانين الطواغيت والظالمين. إن الرجولة الحقة لا تعرف هذه الأنثوية المنحرفة المقيتة. والشعور بالغيرة بين الأشقاء شعور طبيعي جبلي غرزي ، لكن عندما ينقلب إلى حقد أعمى كريه وحسد وضغينة وشحناء فلا تكون هناك ثمة أخوة. بل البعد أفضل من القرب ، والاغتراب أفضل من الاقتراب. مادام أنه لا أمل في الإصلاح البتة. والرحم التي لا يستقر لها قرار إلا إذا تشفت في قطعة منها ، والسعي في تخريب البيوت وتبديد الطاقات والمقدرات ، إن هذه الرحم رحم شاذة منكودة (خاصة إن كانت جاهلية لا اعتقاد يتحكم في تصرفاتها ، ولا خوف قيامة وحساب يردعها ، ولا حكمة تهيمن عليها). إن القرابة والأخوة ليست دعوى هينة مهيضة التكاليف مجردة من الأخلاق ، ولا ادعاء رخيصاً باهتاً هزيلاً! كما أنها ليست عُملة بغير رصيد! كلا ، إن القرابة والرحمية والأخوة بذلٌ وعطاءٌ وجود. وإلا يكنْ ذلك كذلك فرب أخ لك لم تلده أمك. وأما قصيدة (صياغة معاصرة لمعلقة عمرو بن كلثوم الفاتك الشاعر الجاهلي) فإنني أسجلها كشاهد على بيان عزة العرب أعاد الله لهم اليوم عزهم المنبثق من العمل بالإسلام والدعوة إليه والجهاد في سبيله بالأمس! لقد كان العرب قبيل بعثة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – جاهليين لكنهم كانوا أعزة يرفضون الضيم والذل والهوان ، ثم ما لبثوا أن ازدادوا عزة وأنفة وجلالاً بالإسلام ومتابعة النبي – صلى الله عليه وسلم -. ذلك النبي العظيم الذي جعل من رعاة الغنم سادة للأمم ، ومن العبيد الأرقاء غطاريف مغاوير أعزاء. ثم ما لبثوا أن عادوا أراذل لابتعادهم عن إسلامهم. ولا أدلّ على ذلك من تصريح الفاروق عمر – رضي الله عنه – إذ يقول: (نحن قوم كنا أذل الناس ، فأعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله)! والذل الجاهلي الذي يعنيه الفاروق هو الابتعاد عن الدين والإيمان. وأما العز الذي عناه عمر فهو الإسلام. والعز الذي أعنيه في العرب هو مدى ما كانوا عليه من إباء وأنفة ورفض لأي معنى من معاني الهوان والضعة والهزيمة.

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – ترنيمة على جدار الحب

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
الإهـــــ	ــــــــــــــــــــــــ	ــــــــــــ	ــــــــداء	9
الـــمـــ	ـــــــــقـــــــــــ	ـــــــــد	مــــــــــة	11
الافـــــ	ـــتـــــتـــــــــــا	حـــيــــــ	ـــــــــــة	13
بـــــــ	ـــيـــــــــن يـــدي الـــــد	يـــــــــــ	ـــــــوان	15
كـــــــ	ـــل مـــــــــــا فـــــــ	ـــي الأمـــ	ـــــــــــر	17
جـــــــ	ـــئت يـــحـــــدونـــــي يــــ	ـــقـــــــ	ـــينـــــي	21
1	ترنيمة تتلو ترنيمة	الكامل	فمي	27
2	أنا يا فتاة الحي	الرمل	شمسُ	29
3	هنيئا لكِ حلاوة الصبر يا خنساء!	المتقارب	ثوى	30
4	كريم في إزار خادم	الطويل	المخرّفُ	31
5	لا تعتبنّ علي الجبان	البسيط	السُطط	32
6	الصلح العقيم	الرمل	مريد	33
7	حقيقة الشاعر	البسيط	الريّبِ	34
8	يا صاح أما آن الأوان؟!	الطويل	المرَطب	35
9	قصرٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ ثم نشر	الطويل	الطريق	36
10	العذراء والقلم التائه	البسيط	القلم	37
11	تصابى الكهول ، ومات الصبا	المتقارب	يهربا	38
12	أعرابية في عصر الإنترنت	وزن مخترع	فصيح	39

13	ابدأ بنفسك (نصيحة شعرية)	البسيط	السُبُلُ	41
14	القصيدة الوعظية (مذنب)	الوافر	للرشادِ	43
15	أسمى آيات التهاني (قصيدة أعراس)	الرمل	المعالي	45
16	ليت لي	الرمل	القنوعة	47
17	بلادي بلادي	المتقارب	منوعة	49
18	أشواق وراء المجهول	الكامل	منوع	60
19	يا صاح كُف عن الهُراء!	السريع	العطبُ	69
20	من وحي العيد	البسيط	والبيدُ	70
21	بين الغموض والبيان	الرمل	النهوضُ	72
22	غربة الحق	البسيط	اللججُ	74
23	أعمال ونيات	الرجز	أعودْ	76
24	اعتراف قلب قاس	الخفيف	الرمادا	78
25	ابتهال (اللهم إليك أشكو)	الخفيف	الأمانِ	80
26	رسالة مودة للشاعر سالم النوبي	الخفيف	الأحزانُ	82
27	اتركوني مع من أحببت في الله	الخفيف	الأوغادِ	83
28	غريب الدار	الوافر	خلي	85
29	التاريخ الجريح	الرمل	هيا	86
30	إلى صديق حزين	الرمل	الشجارْ	87
31	مواساة عصفور	الكامل	تعبْ	90
32	حتى يسود الحق	الكامل	هوانِ	91
33	شهيد حب	الخفيف	اللهيبِ	92

34	عتمة الدنيا	الخفيف	التمني	94
35	تدبّر الكتاب	الكامل	مستثقل	95
36	في سماء الهداية	الكامل	أنقاضنا	96
37	من وحي المولد	المتدارك	الأقدامْ	99
38	زفرات أسير	المتقارب	الأجلْ	103
39	الأفعى	الخفيف	الربواتُ	106
40	رسالة إلى المرتزقة	الرمل	لا يُداجي	113
41	سؤال وجواب	الخفيف	يغيبُ	116
42	الأخوة الزائفة (سداسيات شعرية)	الرمل	منوعة	120
43	لا ، يا من كنت شقيقي	الكامل	بالألوانِ	123
44	لا تبكِ يا صديق الأمس!	الطويل	يُثمرُ	127
45	الرجولة الموؤودة	الخفيف	رسولُ	130
46	شقيقان فرقهما الهوى	الرمل	عذبا	132
47	شرود وضياع	الرمل	أجدى	137
48	لمن أكتب الشعر؟	الرمل	كهفا	140
49	لا يطفئ النار الرماد!	الرمل	القرى	143
50	تحية شعرية لسلاطين آل عثمان	الكامل	الشاءُ	144
51	ترنيمة على جدار الحب	الكامل	والإيمانِ	145
52	الفجر الضائع (خماسيات شعرية)	الوافر	قافية منوعة	150
53	الرحيل المرير	الكامل	يا أميرْ	158
54	عندما تعود	الرجز	كآبتي	160

55	الرجولة والشجاعة	الخفيف	لا تتسامى	162
56	بريد الذكريات	الطويل	المتبسّم	164
57	ورقة خريف	الوافر	لهُ نواحُ	166
58	صياغة معاصرة لمعلقة عمرو بن كلثوم	الوافر	الجاهلينا	168
59	طيف صديق	الهزج	الداجية	173
60	مجرد حقيقة	الكامل	نارها	176
61	ألا يا صريع المال	الوافر	دويا	179
62	الطوفان	الرمل	الودُّ	181
63	أتيناكم أتيناكم!	الوافر	منوعة	185
64	أماه!	الكامل	أرجعتْ	191
65	ما لا أستطيع فهمه	الخفيف	خرابُ	194
66	شموع ودموع	البسيط	الرّيَبِ	197
67	رياض الصالحات	الرمل	المفلحاتْ	202
68	رجالٌ ومواقف	الرمل	مثالْ	206
69	أنى لمثلك الاعتبار؟! (المشيب الناعي)	الكامل	تتمذهبُ	208
70	شتان بين الظل والحرور!	الطويل	فتنة كبرى	211
71	كنتُ ، وأصبحت!	المتقارب	عطر الصفا	212
72	في ظلكَ الجميل	البسيط	تيها	213
73	سجدة لله	مجزوء الرمل	خطايا	215
74	أريج التصابي (الحذاء الكلاسيكي)	المتقارب	في حربها	216
75	الحرصُ يرتصد النفوس	الكامل	من أهله	217

76	الترويض على الذل	البسيط	دونه العيرُ	218
77	يا ابن آدم ، ترابٌ أنت وماء!	الكامل (سطر)	والهناء	219
78	لا يلعبنّ بك الأمل	البسيط	اللّه	221
79	حوار مع النيل	الخفيف	الأمانا	222
80	أعاجيب الأوهام	الرمل	تأثيرٌ مخيفْ	223
81	زفرة الآهات (كلمات لها إيقاع)	الرمل	يسطعُ	224
82	اعترافات على لسان حواء	مجزوء الرمل	شريدة	227
83	الضحية والجزار	المتقارب	أحلامها	228
84	ضريبة الذل	الرمل	يباعُ	229
85	دموع القوافي (قل للمليحة)	البسيط	والأفقُ	230
86	إن قلبي جريح	البسيط	ومن فعلوا	231
87	إن له لحلاوة	الرمل	بطيب العنبرِ	233
88	حوار الشجون	البسيط	والكلِمُ	237
89	من كيد الشيطان	الرمل	تجرم	242
90	شعري يرجحُ كنوز الأرض	الخفيف	بين البرايا	247
91	المخرج من عنق الزجاجة	الرمل	كالقيودِ	250
92	خرائب الجاهلية	الوافر	البوارُ	261
93	تحية للشاعرة صابرة محمود العزي	البسيط	في لياليا	262
94	الخوف	الوافر	الحرابا	263
95	يا فتاتي ، رجّعي الشعر الجلي	مجزوء الرمل	القلب الخلي	265
96	حيّاكِ الله يا صاحبة القرآن (رسالة إلى عصماء)	الخفيف	حيارى	268

97	هذا بعض ما أعيش (رسالة إلى رياحيني الثلاث)	السريع	والطربُ	275
98	غرّدْ يا بلبلَ النشيد (مُهداة للمنشد أبي عابد)	الخفيف	أنسي	278
99	انصحْ وأجرك على الله (للشاعر عبد الرحيم السعيدي)	الكامل	عقولا	279
100	على يديك امتهنوا	المنسرح	حسبي	280
101	مرة واحدة	الكامل	والإنصافِ	281
102	لا يسألون	البسيط	سبب	282
103	فاحترقتِ الضحية	الرمل	شريفة	283
104	الثعبان	المجتث	خطبي	284
105	تائبة	المتدارك	هندا	285
وفـــــ	ـــــــــــــــي الـــخـــــــــــــــ	ـــــتـــــــــ	ـــــــــــام	289
لـمـــــ	ـــــــــــــــــــــــــــــــ	ـاذا هـــذا العـ	ـــنـــــــوان؟	291
تـــــــ	ـــــــــــــــر جـــــــمـــــــــ	ـة الشـــــــــ	ـــــــــاعر	287
تـــــــ	ـــــــــــــــنـــــــــــــــــــ	ـــويه هـــــ	ـــــــــام	291
فـــــــ	ـــــهـــرس الـقـصـــائـــد & مـــســـرد	مـــــوســـــ	ـيـــقـــــــي	293

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته!

تنويهٌ هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر
باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية
(إدارة الإيداع القانوني)
16004 / 2006 في يوم 6 – 8 – 2006م
بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤوون الفنية
008 ، 811

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

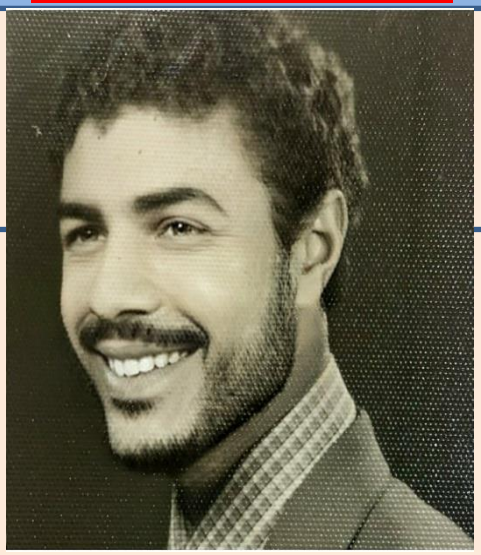

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!